رواية
Des: MaiHussam
ميراث العشق والدموع
مكاوي الكتب
رضوى أحمد

"ميراث العشق والدموع "

رضوى أحمد

تصميم غلاف خارجي وتنسيق داخلي

مي حسام

تصدر عن دار حكاوي الكتب للنشر الإلكتروني

www.hakawelkotob.com

الفصل الأول

كان يقود سيارته وهو غارق فى أفكاره وخواطره ...

...التى تزاحمت جميعها.... تتصارع....ولا فكاك منها....

أن قلب الصعيد ....حيث ولد ...كان ولازال ...من أكثر الأماكن التي تموج بالاحداث الساخنة ...والصراعات التي لاتنتهي...

تتجسد أمام عينيه الأن .....صورة أبيه.. والذى كان ...ولايزل كبير الهوارية فى نجع الصالح.....وقد أقعده المرض...فألقى كل أحمال العائلة على كتفىّ ولده البكرمنذ سنوات....

لم ينعم بالراحة بعد تلك المسؤولية....والتى لم يكن له رفاهية قبولها او رفضها ... ولم يكن يستطيع أن يتقاعص عن حملها ....فهو الأبن البكرلوالده.... والذى لم ينجب غيره من الذكور....بجانب أخته سهام .....والتي تصغره بأكثر من سبع سنوات ....

....وأمه الحاجة فضيلة .....تلك المرأة .....بشخصيتها القوية والتى ربته على الحزم والشدة .....والتى طالما... كانت تتباهى

بأن ولدها... منذ نعومة اظافره ....قلبه ميت... لا يعرف الرحمة مع من لا يستحقها ..

.....الفضل يعود لتلك السيدة .... فيما وصل إليه الأن ...

و هو لا ينكر ذلك أبداً.....فالكل يهابه... ويقيم له ألف حساب ...ولا يمكن لأي من كان .... أن يعترض على حكمه ....

أو يرد له كلمة.....فهو الأمر الناهي فى ذاك النجع ..

منذ سنوات.....وهو يعرف أن الناس تدعوه بالغول....

أو الوحش....لشدته ...وقساوة قلبه.....لكن.....

لولا ذلك لكان الهوارية.....وسيرتهم ..مضغة تُلاك فى الأفواه... ...و سخرية لأهل النجع والنجوع المجاورة .....

.....خاصة بعد تلك القصة القديمة.... التى كللت أسم الهوارية بالعار ...وأحنت هامات رجال العائلة ....

....لطالما أعادت أمه على مسامعه أحداث تلك القصة...

....وأزكت الرغبة بداخله.... يوما بعد يوم....

في الأنتقام .....والذي يعتبره واجب مقدس ...

لا يموت بالتقادم .....ولن يقدر علي أتيانه...أحد سواه..

....وأنه لابد من أن يأتى يوم ... ..لينتقم من ذاك الذى تجرأ

ليخطئ فى حق الهوارية...ويحنى رؤوسهم...لفترة ليست بالقليلة...

حتى أعادت....قسوته وسطوته تلك الهيبة المفقودة ....

أخته سهام ....انها تلك النسمة الرقيقة...

.... فى ظل أجواء حياته المحاطة بالكراهية و الصراع ....

الأن هي موضع .....قلق وتوجس أمه الحاجة فضيلة

...فهى ناهزت الخامسة والعشرين ولم تتزوج بعد.....

.....كيف ذلك !!!....وهى أيه من الجمال بجانب حسبها....

ونسبها ....وأصلها الطيب...

ربما كان له دوره فى ذلك ..

أن سطوته وجبروته ...أثرت بالسلب.....

على زواج أخته الوحيدة..... والتى لم يتجرأ الكثيرون..

للمثول أمامه لطلب يدها .....ومن تجرأ و فعل لم يجده هوجديراً بأخته الرائعة ...

تنهد...وقد لاحظ انه تقريبا قطع أكثر من نصف المسافة حيث مزرعته بالقرب من القاهرة ....

حاول ان يقطع ذاك الحبل الممتد من الافكار والخواطر....أنه يشعر بأنه يعيش دائما على حد السيف..

يجد نفسه دوماً ...فى خضم من الصراعات والقلاقل..

التى لا تنتهي .....

حتى أقرب الناس إليه..... لم يسلم من ضغائنه..

...وتجسدت أمام عينيه .....صورة عمه غسان رحمه الله....

.....وابنه سليم ...لطالما حذرته امه من مكرهما وكيدهما..

....و لطالما كانت غيرة سليم ....منذ ان كانا طفلين....

هى كل ما يكنه له من مشاعر....

ثم زاد عليها.... بعض من الحقد والكراهية ...

..كم تمني أن يكون سليم ذاك الأخ الذي لم يحظي به..

..لكن سليم كان مثل النار ....التى تحرق من يقترب منها ..

.....نار تزكيها الكراهية ...

....التى زرعها عمه غسان.....فى قلب ولده.. تجاه بن عمه الوحيد.....

.....لطالما شعر عمه.... بأن مكانه دائما....

..... هو رأس العائلة وعميدها .....لكن أبوه الحاج مهران...

لم يأتمن عمه على العائلة ومصالحها ....لأسباب كثيرة ...

....رفض أبوه ذكرها ....ربما.....رغبة فى بقاء...

... صورة العم نقية.... بعض الشئ فى مخيلته...

..... تقدم سليم لخطبة سهام أخته عدة مرات.....وكان أبوه ..

في كل مرة.....أول الرافضين ....

.....كان دائما ما يقول ...مبرراً رفضه .....

.....انه لو يعلم ....انه سيصونها... لكان أولى بها فهو بن عمها.....لكن كل ما يهمه.... هو ميراثها ...بعد عمر طويل .....

مد يده ليشغل مذياع السيارة الفارهة التى قيودها..

محاولا أن يقطع ذاك السيل العارم.... من الاحداث والخواطر.. ...والتى تداهمه ما أن يبقى وحيدا ...

....فتهادت الموسيقى الناعمة الرقيقة ...لأحدى الأغاني العاطفية....التى تقطر شجنا وهياما ....

...ظهرت على شفتيه ابتسامة ساخرة... وهو يستمع لكلمات الحب التى تقطر هجراً.. ولوعة.. وقال محدثا نفسه:-... حب وعشج ومسخرة... وكلام فاضى... اهو بيضحكوا على الحريم بكلمتين...

...تنبه انه على مشارف الوصول للمزرعة.....

.... والتى يتشارك في ملكيتها مع أحد أصدقاؤه منذ أيام الجامعة..

.... وترك له الأشراف على إدارتها ...ولولا إلحاحه ..

للقدوم ....بسبب بعض الأمور الإدارية الهامة...

والتى يتوجب عليه القيام بها... ...ما استطاع ان يترك النجع

وأموره المعلقة والتي لا تسير إلا تحت إمرته ....

....اخيراً وصل الى حدود مزرعته....

..... وها هو يعبر بوابتها..... واذ فجأه تمر من البوابة...

.... فى نفس اللحظه سيارة اخري مسرعة....

..... توقف على الفور يتطلع لذاك المتهور الذى يقودها .....فلم يلمح من خلف الغبار سوى خيال لغطاء رأس انثوى خلف مقود العربة....

عبر البوابه فى ثقة.....

..... وهلل له الحراس فى حبور :- حمد الله بالسلامة يا باشمهندس(عاصم) نورت مزرعتك ...

...ابتسم لهم فى حبور ....واومأ برأسه ..

.....واتجه حيث مبنى الإدارة..... ليستقبله شريكه المهندس(ممدوح) فى حبور مماثل :- حمد الله على السلامة .....ايه الغيبة الطويلة دى يا عاصم ....

.....هو انا لازم ابعتلك علشان اشوفك مفيش مرة تغلط وتيجى لوحدك .....وتقوم باعت بدالك بن عمك....

..... اللى على طوول مشكك فى كل حاجة ....

....الصراحة .....بن عمك دى حاجه صعبة بجد.

رد عاصم بلهجة تدل على أصولة الصعيدية :-
معَلش يا(ممدوح) المشاغل مبتخلصش فى البلد....

.... وانت عارف كل حاچة على راسى.....

.....فببعت سليم بن عمى يشوف طلباتكم
.....تنحنح فى احراج مستطردا....أنى عارف ان التعامل معاه صعب حبتين...

..... بس لو ساچ فيها كلمنى ....وانا اشوف شغلى معاه.

-كان الله فى العون....على العموم...انا بعتلك علشان السلالات الجديده اللى طلبتها وصلت .....

.....وكمان وظفنا اكتر من بيطرى وعامل.....

..... لازم طبعا تعتمد اوراقهم بتوقيعك ...

.....بس ده طبعا بعد ما ترتاح من الطريق.....

..... ونتغدى مع بعض.....

- اعذرنى يا (ممدوح) مش هجدر..... يا دوب اشوف طلباتك .....وامضى الاوراج المتعطلة .....وارچع ....

....علشان انت عارف المصالح فى النجع كتيرة ...

.....ومجدرش اتأخر عنها ...وكمان المسافة... من هنا لجلب الصعيد مش جُليلة.

-طيب حيث كده .....يا الله بينا .....نعدى على المزرعة تعاين السلالات .....وتتعرف على الموظفين الجداد.

.....نهضا سويا ....يتفقدا أقسام المزرعة فى سرعة....

ويرحبا بالعاملين القدامى .....ويتعرف على الموظفين المستجدين ..حتى وقف عند أحد الأقسام .....

...التى تجتمع فيها السلالات الجديدة ....

...فأخذ يشرح (ممدوح) مميزاتها المختلفة.....والفائدة التى ستعود عليهم بالنفع .....لو تم تلقيح السلالات القديمة بالجديدة.....

.... وفى أثناء ذلك وقعت عينا (عاصم) ....على خيال أنثوى بالقرب منهم وتنبه لحجابها السماوى.....اليست هى من كانت تقود سيارتها بتهور قاتل وأجتازته برعونة عند بوابة

المزرعة...!؟؟.. وجدها تقوم بفحص بعض الأبقار فى مكان غير مؤهل لذلك.....وهناك على الجانب الأخر منها يقف احد العمال لا يراها

فى انحناءها اثناء الفحص.....يدفع الأبقار ناحية الجهة التى تقف فيها دون ان يدرك وجودها ...

...تنبه (عاصم) سريعا لما قد يحدث....واندفع اليها.. يجذبها بعيداً فى نفس اللحظة التى اندفعت فيها الأبقار حيث كانت تقف ....

ثوان فقط يمكن ان تفصل بين الواقع والحلم ..بين التحليق فى الفضاء الواسع.. او السقوط بلا سابق إنذار ..

.....وسألت نفسها لماذا لا تلامس قدميها الأرض .... !!!؟؟؟

وما هذا القيد الحديدى الذى يقبض على خصرها .....

....نظرت للأسفل الى قدميها المعلقتين.... و تباطأت.... وهى ترفع انظارها لأعلى ....لتقابل عينين حادتين .. عيون قاسية مخيفة أرعبتها

.....لكن تلك العينيان...كانت فى واد أخر... تتعلق بشئ ما تتابعه فى شغف ....

.....و لم تدرك ما هو.... حتى شعرت بتلك الخصلات المتمردة من شعرها ....وقد هربت من عقال حجابها تمرح فى سعادة ... وتتعلق بها عينا ذاك الغريب بوله....

....ثم فجأة ...فقدت عين الغريب شغفها....

....وأنحدرت فى بطئ...لتقابل عينيها الجوزيتين.....

.... يالقساوة عينيه...

..... خليط من الحزم....والصرامة....والقسوة..

.....معجون بلون عينيه الأسود الفحمى.....

..... خليط مهيب يجعلك تفكر ألف ألف مرة ....

.....قبل أن تحاول الأقتراب منه.....

لكنها الأن أكثر من قريبة...إنها بين ذراعيه..

.....والأفضل لها أن تبتعد .....والأن .....

...همست فى توتر.. بنبرات مرتجفة خجلاً:- ممكن تنزلنى؟؟!!!.....يبدو انه لم يسمعها ....فأعادت

طلبها من جديد بنبرة ازداد ارتجاف حروفها ...بعد اذنك.....انزل...ممكن؟؟؟!!

....ويبدو أنه لم يكن مستعداً للتنفيذ....

....فتدخل (ممدوح) مسرعاً....دى الدكتورة (زهرة) ...يا(عاصم).....أزعن أخيراً لمطلبها .... وأطلق سراحها.....والعجيب...أنه أنزلها فى رقة بالغة حتى لامست قدماها الأرض....فتنهدت براحة وهى تعدل من هندامها ..ووضع حجابها .....واستطرد ممدوح ليخرجها من شرودها:-

الدكتورة (زهرة)....من البيطريين الممتازين عندنا .....على الرغم من انها لسه جديدة معانا .....من شهرين بس .....لكن اثبتت جدارتها بسرعة كبيرة.

هز(عاصم) رأسه فى تثاقل ....وهو يقول :- بس اللى حُصل ما بيجلش كِده..... أى دكتور بيطرى مبتدئ ...عارف كيف يراعى قواعد السلامة وهو وسط البهايم .....ولا ايه يا باشمهندس ممدوح!!!؟؟.....سعل (ممدوح)بأحراج....

.....أما هى فكانت تستشيط غضبا وهو يتهمها بالإهمال وعدم معرفة أبسط قواعد مهنتها التى تعشقها .....

.....لا تعرف ما الذى عقد لسانها عن الرد عليه بما يليق .....وذلك ما جعلها تكاد تنفجر غيظا ...

...أيها المتعجرف عديم اللياقة.....سحقاااا لك.

...كانت تهم بالإنصراف.... إلا انها وجدت يده ممدودة بالتحية فى عجرفة مقيتة قائلا :- تشرفنا يا داكتورة ....

.....وخدى بالك المرة الچاية مش كل مرة هبجى موچود ..

...مدت يدها.... تستقبل يده الممدودة فى ضيق وعدم رغبة... .....وشعور جارف يتملكها ويطن فى رأسها بأن تجرى ..

...نعم تجرى وبأقصى سرعة ممكنة ....وتبتعد عن طريق ذاك الرجل للأبد ..

. ...انها بحق تشعر فى حضوره الطاغى...بعدم الأمان ...والرغبة الجارفة فى الاختباء عن عينيه الثاقبتين...

..... والتى تكاد تجزم ....انهما تدركا بسهولة....

.....ما يدور بخلدها الأن ....

.....لم يطلق سراح كفها ....فشعرت بالأسر فعلا.....

.....وهو يسأل :- الأسم مرة تانية ؟!! .....أجابت فى نفاذ صبر .....رغبة فى إطلاق كفها من يده بأسرع ما يمكن ...

...(زهره ناجى التهامى)....

.....ثم عضت على شفتيها فى ندم ....

...كيف ترتكب ذلك الخطأ الفادح...

.....كيف تنسى وصية والدها المعتاده لها..

..بأن لا تذكر اسم العائله مطلقا لأى كان .....

.....وها هى بكل حماقة وتهور.... كالعادة.....

... تلقى على مسامعه....هو.....وهو بالذات.....

... ما تم تحذيرها منه.... طوال سنوات عمرها الخمسة والعشرين

...كان يجب أن لا تخطئ أمامه فى شئ كهذا ..

...فلهجته تؤكد أنه صعيدى ...يا آلهى ماذا فعلت !!! ...

.....لولا تأثير حضوره على أعصابها ....ما اخطأت.....

.....وها قد تحققت كل شكوكها .....عندما بدأت عيناه تضيق ....لتصبح اشبه بعينى فهد ....يستعد للإنقضاض على فريسته ....وقال فى لهجة...تحمل الكثيرمن الجذل :- زهرة ناجى التهامى ....اسم ميتنسيش بسهولة أبداً.....تشرفنا يا داكتورة ....وفرصة سعيدة جداااا.....

.....ثم اطلق كفها كما تمنت..... وأستدار مغادراً دون أن يلتفت ولو لثانية واحدة.....وعلى الرغم من إطلاق سراح كفها... لكن شملها شعور تملكها..... بإنها لازالت أسيرته...

..وأن الهواء الذى تتنفسه .....لازال يحمل انفاسه ....

..وحضوره الطاغى .....لازال يعكر الأجواء فيما حولها ...

... لم يتأثر عندما ذكرت إسمها .....اليس كذلك؟؟!...

.. ..كانت تطمئن نفسها .....وتؤكد هذا....

... مراراً.... وتكراراً...

....فى غرفة الإدارة...

.....سأل (عاصم) فى إهتمام:- أنت تِعرف الداكتورة (زهرة).... دى زين...يا ممدوح!!؟؟؟...

-هى دكتورة شاطرة...كل مؤهلاتها بتقول كده....

والشغل في الشهرين اللى فاتوا ....أثبت ده....

.....اللى حصل دى كان مجرد.....قاطعه (عاصم) متسائلاً:- .....انا مجصدش مؤهلاتها العلمية.....ولا اللى حُصل فى العنابر..

.....أنا جصدى..تِعرف هى منين ....!!؟؟....

أهلها..بالأخص...منين!!!؟؟...

-أه... واحد قريبى اللى رشحهالى علشان تشتغل هنا...

.....يعرف والدها الدكتور ناجى...ده دكتور جامعى.

.....وأعتقد أصله من الصعيد....على العموم.....

..... اسمها موجود رباعى فى اوارق التعيين...

.... اللى ناقصها توقيعك .....

وقدم ممدوح الاوراق..... التى تناولها عاصم فى لهفة ...

.....ليقرأ فى بطء .....زهرة ناجى وصفى التهامى .....

.....وعند هذه النقطة...ابتسم (عاصم) فى جزل وهو يقول :-...كنت متأكد....

-أيه..!!؟؟...بتسأل بإهتمام.....شكله موضوع نسب....

.....استفسر ممدوح فى حبور...فأجاب عاصم فى شرود :- ...تجريباً...

****

...حان موعد عودتها لمنزلها .....فأستقلت عربتها..

.... وأخذت طريقها المعتادة....

.....وهى تتلو على نفسها....

.... ما سوف تخبر به أبيها عما حدث فى يومها

.....

.....مقررة تناسى ذكر ذاك الصعيدى الغريب الذى قابلته..... .....وكذلك الحادثة التى أنقذها منها .....

.....لن تعكر صفو مساءها ....

.....بذكر ذلك الرجل مرة اخرى على مائدة العشاء.....

.... وتثير قلق ومخاوف ابيها ....

.....والذى قد يمنعها مطلقاً من العودة ثانية للعمل بتلك المزرعة..... وقد تبدأ حياة الترحال التى كرهتها ...فقط لمجرد بضع مخاوف ...قد تثير حفيظة ابيها ....

...لقد رحل ...ولن تقابله ثانية قبل أشهر كعادته....

.... فهو نادراً.. ما يأتى المزرعة كما سمعت .....

.....لكن كل توقعاتها والتى منت بها نفسها .....

....خابت ....عندما توقفت سيارتها تزمجربلا حراك ...

.....ولم تجد على الطريق سوى سيارة سوداء....

..... لم تعرف صاحبها إلا عندما ترجل منها قاصداً مكانها...

وهو يدارى ابتسامة انتصار تحاول القفز على شفتيه فلقد توقفت العربة حيث توقع بالضبط ... بعد ان دفع احد عمال المزرعة

ليعبث فيها بطريقة محترفة تجعل العربة تتعطل بعد انطلاقها بفترة ويظهر الامر وكأنه عطل مفاجئ بها ... وها هو يسأل فى براءة.. :- خير يا داكتورة...العربية فيها حاچة!!!؟؟؟....

-الظاهر كده ....أجابت وهى متوترة ....لعدم رغبتها فى بقاءها معه وحيدة ...فتح مقدمة السيارة....نظر لحظات فيها ...متصنعاً الاهتمام باصلاح العطل المتعمد ..

.....ثم قال :- مفيش أمل إنها تتصلح.. ...تسمحيلى أوصلِك؟؟...

.... قالها فى لطف يتنافى تماما مع طبيعته الحادة .....

لكنها رفضت بذوق قائلة :- لا .. مفيش داعى أتعب حضرتك .. هتصل بوالدي .. وهو هايجى ياخدنى..

هتف فى دهشة مصطنعة :- وهاتجعدى لحالك فى المكان ده .. والعتمة داخلة .. ده يصح يا داكتورة ..؟!!..

لم ترد .. وهى تنظر لهاتفها .. تحاول ان تحقق اى اتصال بأبيها

ولسوء حظها .. لا وجود للتغطية فى هذا المكان المتطرف.. فهى دوما ما تطمئن أباها بانها على الطريق .. عندما تخرج من باب المزرعة مباشرة .. لعلمها بعدم وجود تغطية على طول الطريق للمزرعة .. الا فيما ندر .. لذا ...لم يكن لديها خيار أخر .....

.....فقالت فى إحراج :- طيب ..ممكن لو سمحت....ترجعنى للمزرعة.....انا مبعدتش كتير.. هم هيوصلونى باتوبيسات العاملين.

- متجلجيش يا داكتورة ...أكيد هوصلك للمكان المناسب ...

....قالها بلهجة لم تعجبها .....يكمن فيها الكثير من الغموض .....وكالمذنب الذى يساق لتنفيذ الحكم فيه .

...سارت بجواره حتى باب سيارته ودخلتها ....

.....وذلك الصوت الداخلى.....والذى طالما يحثها على الهروب لحظات الخطربات يصم اذنيها

....لكن إلىً اين تذهب ؟؟؟؟ ... ...وكيف ؟؟؟...

.....والليل بدأ يسدل ستائره ....

.....وهى وحيدة فى ذاك المكان الموحش مع ذاك الغريب... ...الذى تشعرناحيته.. بقلق مبهم يكتنفها...

.....وما ان أستقرت فى المقعد المجاور له ....

حتى سمعته يهمهم ببضع كلمات .. بنبرة حاقدة جمدتها ..

ورائحة غريبة .. تخترق انفاسها ..لتذهب بثباتها..

..... لتسقط فى بئر عميقة .....

.....من ظلام دامس غزا عقلها.....

.....وأحاط بعالمها.....

****

فى تثاقل .....بسبب دوار رأسها الذى يفتك بها.....

.... وبألم... حاولت أن تتحرك....لكن جسدها كان متيبس.... نظرت فى ذهول حولها .....لم تري سوى ضوء البدر يدخل من نافذة السيارة.....والتى كانت تتأرجح على طريق غير ممهدة ....أصابتها بالغثيان ....

سألت نفسها ....والدوار لا يزال يكتنف رأسها كغمامة بيضاء ....إين أنا !!؟؟ وماذا حدث ...!!؟؟ تفكيرها لا يزال مشوشا....

ولا تستطيع إسترجاع الأحداث الأخيرة .....ثم فجأة ...

أنقشعت الغمامة عن عقلها....لتذكر كل ما حدث دفعة واحدة ....فصرخت وحاولت الحركة.... لكنها وجدت نفسها مقيدة

وملقاة .....فى المقعد الخلفى لسيارة السيد المتعجرف ...

هل يختطفها ... هل جن ليفعل ذلك ....ولماذا ...؟؟!! ...

شعر بحركتها فى المقعد الخلفى ...

فنظر فى جزل اليها قائلا :- أخيراً فوجتى..

- أنت واخدنى على فين !!؟؟.....سألت فى نبرة لاتخلو من الرعب على الرغم من محاولاتها عدم اظهار ذلك ...

- دلوجتى تعرفى كل حاجة .....جربنا نوصلوا ...

- نوصل فين !!؟؟ ....انت واعى للى بتعمله ...هتفت برعب من جديد .. وجسدها ينتفض بذعر حقيقى...

- نوصلوا بلدنا ....وطبعا واعى جووى للى بعمله ...واللى كان نفسى فيه من زماااان.... وأخيراً.... جالى على طبج من فضة ..

ماذا يقول !!!؟؟ سألت نفسها ...هل يتعاطى شئ ما!!!؟؟ ..

لا تعتقد ...فلا يبدو من أولئك المغيبين...إنه واع تماما لكل ما يفعل....إذن لما يختطفها !!!؟؟؟...وإلى اين يذهب بها!!؟؟؟

...وهل من يريد ان يختطف...شخصا ما يذهب به الى بلده... !!!! ...ما هذا الجنون ...حاولت التحررمن قيودها لكن لا فائدة ...

أخذت تتشنج ....وتضرب بأقدامها المقيدة ظهر مقعده ...

لكنه لم يبالى ..ينظر الى الطريق فى ثبات شديد ...ولم يستدير مرة أخرى... لإلقاء نظرة الى الخلف ....حيث تكمن أسيرته ...

سمعت رنات هاتفها المحمول ...مراراً.. وتكراراً ...

بلا شك والدها الأن فى قمة قلقه وتوتره .....

...تراه ...ماذا سيفعل عندما يعلم ما حل بها ؟؟؟!!!..

تشفق عليه وعلى حاله ...فأبوها يعشقها ..لن يحتمل اذا ما اصابها خطب ما ...يا آلهى ...أعنه على ما سيكون فيه عندما يعلم ....وما سيكون حال امها.... هل ستحزن عليها بقدر حزن ابيها!؟....وأختها الصغرى (ندى) ...كيف ستبيت ليلتها وحيدة وهى التى تخاف ...من البقاء بمفردها فى غرفة منفصلة ....

على الرغم من انها ليست طفلة ....فهى شابة جميلة ...

.....فى عامها الجامعى الثالث .....

اللعنة على ذلات اللسان فهى ما اوقعها فى هذه الورطة فمنذ سمع بأسمها .....وهى تتوجس منه ....

وشعرت بفطرتها انه يضمر لها شئ ما .....

لم تعرف ما هو بالتحديد ... لكنها ادركته الأن ...

واقع ملموس....واقع يجعل الرعب يدب فى اوصالها...

كلما تخيلت ....ما قد يكون فى انتظارها مع هذا الكائن اللأدمى ....الذى يقود العربة لجهة مجهولة بالنسبة لها ....ولمصير ...قد يكون الموت أفضل منه ...

يا آلهى ...كيف أنت الأن يا أبى !!؟؟؟...

كم اشتقت إليك !!!!...فجأة ...

وجدته يمسك بحقيبتها الشخصية .....يفرغ محتوياتها على الكرسى المجاور له .....ويمسك بهاتفها....

-ماذا تفعل !!؟؟ ...لم يعير سؤالها.... أى أهتمام كالعادة...

وأستمر فى النقر على الشاشة .....

حتى انتهى وألقى بالهاتف على المقعد المجاور....

وماهى إلا لحظات .....حتى بدأ الهاتف فى الرنين الذى لم ينقطع ...كانت تعلم.... أن تلك الرنات المجنونة المتلاحقة .....مصدرها..... أبوها المسكين ....

...الذى لابد وأن التوتر يمزقه ....وقد بلغ به القلق...مبلغه

بدأت فى البكاء ....بصوت مكتوم ....

لا تريده ان يستشعر ضعفها .....

أمامه هو.. دون عن جميع البشر.....

لن تظهر ضعفها مهما حدث.....بل وستكون أقوى وأصلب من حقيقتها بمراحل..... فقط ..حتى لا يستشعر خوفها و خضوعها مهما فعل ....

وفجأة .....توقفت السيارة.....

وشعرت بأن قلبها توقف معها .....ثم بدأ فى الخفقان ....بشكل جنونى يصم أذنيها عن ما حولها .....

...لم تستوضح ما حولها فى ذاك الظلام الدامس....عندما اعتدلت فى جلستها محاولة مقاومته...

لكن يده الصلبة القاسية..... جذبتها من مكانها ....

....حملها عنوة بعد مقاومة شرسة منها.... لم تؤثر في عزمه... ولو للحظة ....ومن فوق ذراعيه....

شاهدت ذاك القصر المنيف .....الذى لم يدخل من بابه الرئيسى واستدار بها ليدخل من باب جانبى .....أدى بهما لردهة يكتنفها الهدوء المريب .....

سار بها حتى نهايتها ....ثم دفع الباب فى خشونة بضربة من قدمه .....فإذا بها غرفة للنوم ...جالت فيها بنظرها سريعاً.. لتجدها

تضم فراشاً ....وخزينة ملابس... وطاولة للزينة....

ونافذة محاطة بقضبان حديدية...

إنها الغرفة الأمثل لسَجن شخص ما ....

وتأهبت عندما أقترب من الفراش ...وأنتفضت كل خلاياها فى رعب .....وبدأت فى التمرد والزمجرة لتفلت من يده ....

....لكن قبضته ....كانت محكمة كقيد حديدى ....

ألقى بها على الفراش فى تأفف ...

فتأوهت متألمة لأن يديها لازالت موثوقة خلف ظهرها ....

أقترب منها .....فتحفزت من جديد .....

إلا أنه أدار جسدها فى عنف كجوال من القطن....

وبدأ فى فك وثاق يديها ...وما ان انتهى .. حتى انتفضت جالسة ..

وكالعادة لم يعير ردات فعلها اهتماماً... جلس أسفل قدميها.... ليفك وثاقهما.....

لكنها جذبتهما.... لتضمهما إلى صدرها....

فنظر إليها بنفاذ صبر ....ثم تعلقت عيناه بشئ ما ...

....أدركته على الفور...وهى تدلك معصميهما بألم....

كانت تلك الخصلات المتمردة اللعينة.....من جديد...

....والتى تسللت مرة أخرى خارجاً... بعد انحصار حجابهاعن رأسها بعض الشئ من جراء مقاومتها له .....فمدت يديها لتعيدها فى حنق وتقطع شروده وهى تقول :- انا هفك رجلى بنفسى .....

أستمتعت بمعارضته..... حتى على شئ لا يستحق...

وشعرت بالانتصار ...عندما نهض بلامبالاة ....

...وهو يقول بلهجة حازمة :- ها تفضلى هنا.... الأوضة فيها كل اللى هاتحتاجيه ....لحد ما ربنا يسهل ..

- أنا هنا ليه.... يا باشمهندس عاصم!!؟؟؟

- السؤال دى أجابته عمرها سنين ....أطول من عمرى وعمرك يا داكتورة .....بس اللى أنا متأكد منيه ....

إنك إنت ِ...اللى ها تدفعى تمن اللى ابوكى عيملُه ....

....اندفع فى عنف خارج الغرفة....

..وأغلق بابها بشكل عاصف خلفه .....

لتكون صوت الاقفال التى اغلقت باب زنزانتها ...

أخر الأصوات ....التى تسمعها فى تلك الليلة الدامية .

****

- كده كتير ....كتير قووى ...أكيد حصل لها حاجة...

... دى أول مرة تتأخر كده....هتف الدكتور ناجى التهامى بتلك الكلمات فى توتر بالغ أفقده وقاره وهدؤه المعتاد.....

-ما تقلقش يا ناجى .....المكان هناك شبكة الإتصال فيه معدومة .....وأكيد فى حالة مستعجلة فى المزرعة...

هى اللى أخرتها ...تعالى أهدا بس وهتلاقيها داخلة عليك دلوقتى .....

نظر ناجى لزوجته.... فى حنق بالغ لبرود أعصابها .....

كان يهم بأن يعلق على كلامها المثير للغضب ...

لكنه آثر الصمت.... فيكفيه ما به من توتر وقلق يفقده صوابه...يا ترى ماذا حدث لها ....؟؟!!!

لن يقف مكتوف الإيدى.....سيذهب للمزرعة ...

ربما تعطلت سيارتها فى الطريق ولسوء شبكة الإتصال لم تستطيع أن تستنجد به ....

أنتفض خارج من بيته..... يتخذ الطريق حيث المزرعة... التى تعمل بها ابنته .....

كان يدور فى رأسه مئات الأفكار السيئة.... التى كان يطردها بالإستعاذة والدعاء بأن يحفظ الله له ابنته ....انها أغلى ما يملك فى دنياه .... عالمه كله فى كفة ...وابنته فى كفة أخرى .... ودائما ما ترجح كفة ابنته الحبيبة .....

كان يقود سيارته بأقصى ما يستطيع ... حتى أقترب من المزرعة وأتخذ الطريق الذى يؤدى إليها .....وفجأة.... أبصر سيارتها...على جانب الطريق...

فتوقف واندفع خارجا .....يمنى نفسه... بأنها داخل السيارة....تنتظر العون ....

لكنه وجد سيارتها فارغة .....فتحها بالمفتاح الإحتياطى ....الذى تتركته زهرة فى حوزته ....

نظر فى المقعد الخلفى ...والأمامى ....لم يجد ما يريبه.....

أدار السيارة ....وأكتشف عطلها ...

إذن تعطلت بها فعلا .....لكن إين هى !!!... يا الله يكاد يجن

ربما وصلت الان البيت .. وهو لا يستطيع معرفة ذلك بسبب سوء التغطية .. عاد لسيارته من جديد يقودها .. عين على الطريق .. والأخرى على تغطية الهاتف .. التى ما ان لاحت على شاشته .. حتى اختطفه يحاول الاتصال بها مجدداً... ولكن ...فجأة....إنتفض على صوت وصول رسالة على جواله ... .فضها مسرعاً...

...لم يع شيئا مما هو مكتوب ....أوقف سيارته على جانب الطريق .. حتى يستطيع التركيز فى ذاك الجنون المرسل اليه.....بالتأكيد مستحيل ...

قرأ الرسالة مرة أخرى ....وهو يحاول تهدأه أعصابه الثائرة.....

(بابا ..سامحنى ....أنا مع اللى أختاره قلبى ...عملت كده علشان عارفة انك مش هتوافق على جوازنا ..)

....قرأ الرسالة عدة مرات .....وتأكد من الراسل ....

انها ابنته ...لا يمكن ...لا يصدق....زهرة لا تفعل ذلك ...حتى ولو كانت تحب شخص ما ...

كانت ستدفعه للحضور لمقابلته ...وستناقشه فى اسباب رفضه ...إذا كان يستحق الرفض فعلا.....

..لا ...لا يصدق ...فلقد رباها على الصراحة والوضوح معه فى كل الأمور ....

كيف لها أن تقدم على فعلة كهذه ...

هل حقا يمكن أن تقدم على خزلانه ...!!؟؟..

وأن تخون ثقته فيها ....بهذا الشكل القاسى..!؟..

....أن ابنته لا تفعل ذلك ...ليس زهرة...

قاد سيارته عائداً إلى بيته.....تتقاذفه الظنون...

وتلعب بعقله الأفكار ....

هتف مناديا زوجته .....منيرة ...عند وصوله منهاراً على أحد المقاعد....

فأندفعت حيث يجلس متسائلة فى لهفة :- ها.. فى جديد يا ناجى..!؟ ...طمنى....

فتح الرسالة وقدمها لها ...

فقرأتها ...لتشهق واضعة يدها على فمها ..... مأخوذة بما تقرأ ...

ثم تنتفض فجأة هاتفة فى حنق:- ياما قلت لك انت مدلعها يا ناجى .....ومديها حرية و ثقة كبيرة ...

وكنت ترد عليا ...انا مربيها وعارف بنتى كويس....

وثقتى فيها ملهاش حدود .....أتفضل قولى بقى هاتعمل أيه دلوقتى..!!؟؟ ....ونفعك دلعك فيها

....والله وحده أعلم هى هربت مع مين !!!!...

....أتفضحنا خلاص ...سمعتنا بقت فى الأرض

.....وأختها الغلبانة اللى جوه.....مين هيعبرها ويتقدم لها بعد الفضيحة دى ....!!!؟؟

انتفض الدكتور ناجى صارخا فى غضب عارم.... أودع فيه كل قلقه وتوتره :- كفاااية ...انتِ ايه ..!!؟..مش كفاية طووول عمرك بتفرقى بينها وبين اختها فى كل حاجة.... وأنا ساكت .....عمرها ما شافت منك حنية ولا عطف ولا كلمة عدلة...يا شيخة اتقى الله بقى ...أنا قلت هتعوضيها عن أمها...اللى ملحقتش تتمتع بحنانها وراحت بعد ما ولدتها بأيام ...هى عمرها ما عرفت لها أم غيرك ... غير دادة بخيتة اللى رعتها بعد موت أمها .....

واللى أصريتى برضة تبعديها وتمشيها بعد جوازنا ...لكن للأسف عمرك ما قدرتى تكونى الأم اللى هى كانت محتجاها .....ولما ربنا رزقنا ببنتنا (ندى) ...

قلت هيقربوا من بعض .....لكن برضة انتى بعدتى (ندى) عنها على قد ما قدرتى ....كان لازم ...أنا أحاول أكون جنبها أب وأم وكل اللى ليها فى الدنيا.....

وحتى ده أستكترتيه عليها ....

حرام عليكى حسى شوية ...
لو كانت ندى اللى عملت كده .....
كنتِ قلتِ الكلام ده كله ....وخاصة انى عارف ان زهرة متعملش كده ..واللى فى الرسالة ده كله كدب..
نهضت زوجته فى تثاقل وملل وهى تقول ..:-
خلصت محاضرتك يا دكتور...انا رايحة أنام ..أه ....وبالمناسبة..
أنا ندى بنتى متربية ومتعملش كده ...
لكن الظاهر..دى وراثة ..مجبتهوش من بره ...

عن إذنك....وأندفعت لغرفة نومهما....
وصفقت الباب خلفها فى عنف .... تاركة إياه فى ذهول من كلماتها الأخيرة ....

الفصل الثانى

خرج عاصم من الردهة ليصعد درج جانبى ...

وصل به للدور الثانى حيث غرف النوم ...

طرق باب احداها وأطل برأسه داخل الغرفة ...

فطالعه وجه ابيه المتغضن .....والذى رسمت عليه السنون أثارها بأحترافية شديدة ....وتركت عليه من علامات تجاربها وخبراتها الكثير ..

كان لايزال مستيقظاً ....تتابعت شهقات أنفاسه وسعاله...

كأثر واضح ....لمدخن قديم فعل النيكوتين أفاعيله...بصدره ورئتيه جعلته يلتقط انفاسه بصعوبة ...

و فى حبور ...

...أشار لولده البكرى بالدخول ....والذى أندفع للغرفة فى إجلال.... انحنى ....وقبل يد ابيه فى احترام بالغ ...

وهو يسأل:-...لساك صاحى يا حاچ..!!!

-....ما أنت خابر يا ولدى...صدرى مش بينيمنى..

...أجول ايه....من جار على شبابه ....جارت عليه شيخوخته....

...المهم جولى ...عملت ايه فى مصر النهاردة ..!!؟؟..

.وبنات مصر لساتهم حلوين .!؟!....وانفجر العجوز ضاحكاً...

ابتسم عاصم لمزحة ابيه وهو يقول :- اه ...لساتهم حلوين يا حاچ ...وأنا چايبلك هدية ....

ثم قال فى ترقب :-....واحدة منيهم....بس مش أى واحدة.. .....دى هى المطلب والمراد...

نظر الأب فى ريبة لولده قائلا :- چصدك ايه ...!!!؟؟

عملت ايه يا عاصم ... ؟؟؟!!!...

چيب العواجب سليمة يا رب ...

- بت الدكتور ناجى التهامى معايا.....يبقى ياجى يورينا هيخلصها من يدى كيف !!!؟؟؟...قالها عاصم فى تشفى...

سعل العجوز وهو ينتفض فى غضب صائحاً...:-
مفيش فايدة فيك ....سمعت كلام أمك برضك...
...الحديت ده جفلناه من سنين ....ليه بتعيده تانى يا ولدى ...

.....ليه بس !!! ...

-مفيش حاجة بتموت يا بووى .....انتفض عاصم فى هياج...

.....حرجة جلب جدى ....الله يرحمه وموته بجهرته .....

.....حرجة جلب أمى ...

....رجالة الهوارية ....

اللى مكنوش جادرين يرفعوا راسهم وسط الخلج.....

ولحد دلوجت بنتعيروا بالكادثة الجديمة .. ...

ولولاى.....وخوف الكل منى .....

مكنش فى هوارى واحد كان جِدر يرفع راسه ..

.....كان زمنا مسخرة الخلج كلاتها....صوح ولا لاه!!؟؟...

....صمت أبيه ...وتلاحقت انفاسه ...ورد فى ضعف...

ينهى الحوارالغير مُجدى :- اعمل ما بدالك يا ولدى .....بس انا بجولهالك .. بلاها السكة دى السكة دى....

أخرتها خَسارة ...وخَسارة كبيرة كمان....

.....وأنت ...أول الخسرانين ...

...الإنتجام مبيجيش من وراه إلا الخراب ...

....بلاش يا ولدى ...بلاش ...

....أندفع عاصم من غرفة ابيه ....

وكأن شياطين الدنيا كلها فى أعقابه.....

وكلمات أبيه تتردد فى أذنيه تصمها....

.....حتى انه لم يسمع نداء أمه ...

الذى لم يدركه إلا فى المرة الثالثة .....

فتوقف على الدرج.... ليعاود الصعود من جديد....

....متوجها إليها منحنيا ليقبل يدها .....

...فتربت على كتفه فى حبور متسألة :-اللى جلتهولى على المحمول ده صوح؟؟!!

....فأومأ برأسه موافقاً ..ثم قال :- أهى متلجحة فى الأوضة اللى تحت ....جنب أوضة الخزين ....

.....وأبوها ها يتجنن عليها .....مبطلش رن على محمولها طول الطريج.....

- خليه يدوج شوية من المر والحسرة اللى دُجناهم زمان بسببه...قالتها فى جزل وتشفى....ثم مستطردة قالت :- روح يا ولدى اتسبح...وارتاح ....على بال ما أحضر لك لُجمة .....تلاجى أم سعيد فى سابع نومة دلوجت ...هحضرلك الوكل بيدى.....تلاجيك على لحم بطنك من صباحية ربنا....

- لاه....مفيش داعى يا حاچة ...ماليش نفس تصبحى على خير .....

....واندفع هابطا الدرج متوجها للخارج ...

- على فين دلوجت...!؟؟ ...هتفت متعجبة

- هطمن على سلطان ...وعزيزة....

- واااااه....كان لازماً أعرف....هو أنت تجدر على بعدهم....

طيب.....خد حد معاك من الغفر...الليل غدار يا ولدى...

- حاااچة....قالها فى زمجرة مخيفة...

جعلت أمه تتراجع عن إقتراحها قائلة:-طب خد حتى زرزورمعاك....هوأه مبينطجش ولا كلمة.....لكن أها... يخدمك برضك...

- حاضر .....تصبحى على خير...

- وأنت من أهل الخير...يا رب

اندفع خارجا يهتف مناديا زرزور بصوت جهورى جعل الأخير ينتفض مسابقا الريح لتلبيه نداء سيده ...وفى أقل من ثوانى كان يقف مهللاً لقدوم عاصم من سفره...ويقوم بإشارات واضحة تدل على فرحته برجوعه سالما..كان زرزور ابكم... منذ قدومه للخدمة.. فى بيت مهران

الهوارى..وهو بن الثانيةعشرة...لم يسمعه أحد ينطق بحرف واحد.... مجرد أصوات يقوم بها وأشارات...يحاول التعبير من خلالها عما يريد..شب عاصم وهو يرى زرزور... بنفس الهيئة منذ كان طفلا... وها هو يناهز.. الرابعة والثلاثين... ولازال زرزور كما هو لم يتغير وكأن السنون لا تعيره أهتماماً...كما يفعل الجميع... وتتجاهله.. عمداً... كما كان يفعل عمه غسان الهوارى رحمه الله ... كلما جاء لزيارة أخيه..

أو لقضاء.. بعض المصالح. ...وكذلك..ابنه سليم...والذى

يتعمد مشاكسة زرزور بشكل لاأدمى يكاد يصل به حد البكاء...لولا تدخل عاصم بحزم لإنقاذه...

ربت عاصم على كتفه فى حبور .....

...فأشار زرزور للسيارة ....

...ليتنبه عاصم أن هناك جوال يرن بداخلها ....

.....وأن رنينه لم ينقطع منذ أن وصل ...

...تذكر عاصم أنه نسى جوال زهرة على المقعد الأمامى للسيارة مع محتويات حقيبتها المبعثرة .....فتح السيارة ...وتناول الجوال الذى ما أن لمسه....

...حتى بدأ فى الرنين من جديد....

وطالع شاشته التى أضاءت فعرف أن المتصل أبوها ....

لما لا يهديه مفاجأة أخرى ....

يختتم بها يومه بعد تلك الرسالة الصادمة ....

.....ابتسم فى تشفى وهو يرد:-أهلا يا داكتور ناجى ..أخيراً

شايفك عايش نفس الجلج.....

.....ووكلاك نفس النار....

....وراكبك نفس العار....

- أنت مين!!؟؟.....وبنتى فين !!؟؟؟...صرخ الدكتور ناجى

فى محدثه الذى يجهل هويته على الرغم من استنتاجه إياها

من لهجته الصعيدية...

...لو مسيت شعرة

منها...هقتلك....سامعنى...هقتلك.. مشكلتك معايا انا ...أعمل فيا اللى أنت عاوزه... لكن هى لأ ...سامعنى....هى لأ...تارك خده منى ...

.....هى ملهاش ذنب فى حاجة.....

....انفجر عاصم صارخا:- وهوجدى.....اللى مات مشلول من العار و الحسرة و هو مش جادرهو ورجالة العيلة يرفعوا راسهم وسط الخلج....كان ذنبهم أيه...!!؟..الانتقام عندينا بنورثوه يا داكتور ذى الورث ..

وبعدين احنا مبناخدوش تارنا من الحريم .....ولا عيشة مصر نستك عوايدنا...ثم انفجر ضاحكاً ضحكة خشنة أودعها كل حقده وقسوته ..وهو يستطرد .. انا بس هدوجك من نفس الكاس اللى داجه بسببك .. الهوارية كلاتهم ...

-أنت مين !!!..... سأله الدكتور ناجى فى هلع...

-أنا عريس بتك الداكتورة....وكتب كتابنا بكرة بإذن الله ....

- مستحيل ...مش هسمح لك تدمر مستقبل بنتى ....ومفيش مأذون ها يكتب الكتاب وهى رافضة...

.....أجاب عاصم فى جزل يقطر من كل حرف من حروف كلماته...:- لا موضوع الموافجة ده.... سيبه عليا انا يا داكتور ....

وانفجر ضاحكا فى تشفى ...

.....وهو يغلق الهاتف ليقطع أى تواصل بينهما....

****

أستيقظ عاصم من نومه قبيل الفجر .....

.....ليجد نفسه ممدداً على أحد الأرائك .....

.....فى المضيفة المخصصة لأسطبلات الخيل...

ويتمدد على الأرض اسفل الأريكة خادمه زرزور ...

نهض فى تكاسل ....

ونادى عليه .....فأنتفض زرزور فى سرعة ملبياً ...

....روح يا زرزور كمل نومك فى أوضة الاستراحة..

.... وأنا راجع السرايا.....

فقام زرزور ...فى تكاسل...

يفرك عينيه بظاهركفه...متثائباً...ويتجه حيث سيستلقى للصباح....

...سار عاصم وحيدا حتى السرايّ ....

يفكر فيما يمكن أن يحدث فى خلال الساعات القادمة ...

فقد علم التهامية أكيد... بأن ابنتهم فى قبضة يده ....

لابد وان يذهب إليها والأن ..سيجعلها تنفذ ما يمليه عليها..

ستكون طوع بنانه...سيجعل ابيها...والتهامية بأسرها...تشرب من نفس كأس العار التى تجرعتها الهوارية حد الثمالة...

أتجه للباب الخلفى للسرايّ.....

....وسار على طول الردهة حتى وصل لغرفة زهرة ..فتح قفل الباب ....وتنحنح قبل ان يدخل... مناديا مع التصفيق ....لكن لا مجيب ..نادى من جديد ولا مجيب ايضا .....

....فدخل للغرفة في حذر ....ووقع بصره على السرير الفارغ...

فأتجه ببصره حيث باب الحمام .....وما ان هم ... بأن يخطو باتجاهه .....حتى سمع صوت تكبيرة ...

فنظر باتجاه الصوت.... فوجدها تصلى فى خشوع ...

فأخذته المفاجأه .....توقف ينظر فى اجلال وإكبار ....

.....ثم سحب نفسه خارجا حتى تكمل صلاتها .....

وما ان سمع صوت تسليمها وانهاءها الصلاة...

حتى تنحنح .....ودخل من جديد .....

ما زال مأخوذاً بمظهرها الورع ...لكنه طرد أى خواطر من مخيلته....وقال مؤنباً نفسه أتيت فى مهمة محددة ولابد

من القيام بها ...وما تريده وسعيت اليه وانتظرته لسنوات أصبح فى متناول يدك...فلا تتقاعس..فهتف مخرجاً نفسه من خواطره :-صباح الخير يا دكتورة ....

....لم ترد إلا بإيماءه من رأسها ...وهى لا تنظر إليه...

- ابوكِ فى الطريج ...

كانت تلك الكلمات كفيلة لجذب انتباهها... فرفعت نظراتها إليه ... بالكاد عرفته ... لقد تغير بشكل كامل ... كان البارحة عندما رأته للمرة الأولى المشؤومة فى المزرعة ... يرتدى قميصاً وبنطالاً من الجينز وحذاءً رياضياً ونظارة شمسية تغطى نصف وجهه رفعها لسوء حظها فى العنابر حيث التقيا... اما الأن ... فإنه يرتدى جلباباً ... وعباءة يضعها على كتفيه وعمامة تغطى رأسه ويمسك بيديه عصى أبنوسية على قمتها مرسوم أحد رؤوس الحيوانات المفترسة لم تتبينه من مجلسها ..منحوت من الفضة الخالصة ... اخرجها من شرودها مستطرداً..لكن جبْل ما تشوفيهم ..فى

إتفاج وكلام لازم يخلص بيناتنا.. وجبل ما حد من اهلك ياچى على هنا

-اتفاق!!!!!.....سألت فى دهشة.....احنا مفيش بينا أى أتفاقات ...ولا هيكون بينا أى أتفاقات.... قالتها فى ثقة وثبات...لما بابا يجى هنشوف اللى ها يحصل ...

- مش بمزاچك يا داكتورة .....قالها فى نفاذ صبر ....انتِ ها تسمعى كلامى .....وهتنفيذيه بالحرف الواحد .....ومن غير اعتراض.... و إلا ....فى كلام تانى .. مش هايعچبك....

- قصدك ايه!!!؟؟؟.....سألت فى توجس

- قصدى أن أبوكِ لما هاياجى على هنا .....هاتطلعى تجوليله انك هنا بمزاچك ومحدش غصبك على حاچة..... وانك موافجة على چوازنا ...

- انت مصدق ان أنا ممكن أعمل كده ..!!؟؟....وأطلع اقول الكلام ده عادى كده !!؟.. هتفت بسخرية .....وكمان.... أواافق على جوازنا ....على أى أساس .....دى تخريف .....أنا معرفكش .....ومعرفش أنا ليه هنا

اصلا !!!!!...قالت تلك الكلمات فى ثقة على الرغم مما يعتريها من قلق ...

- بس أبوكِ يعرِف ...و أهو چاى چرى على هنا لما وصلته رسالتك....اللى بعتيهاله.....

....وبتجوليله فيها انك ها تتچوزينى ..

- بابا مش ممكن يصدق التخريف ده ...أزداد أنفعالها....وهو يفند خطته المحكمة وبدأت تشعر بالأختناق وهى ترى نفسها وقد أضحت أسيرته بالفعل...بل إنه...يجعلها تشد وثاق شِركه حول عنقها بيديها...و..أنتبهت وهو يقول:- بس انتى هتخليه يصدج لو كنتِ خايفة على حياته ..قالها فى صوت يشبه فحيح الأفاعى

-انت بتقول ايه!!؟؟ .....سألت فى جزع واضح ..

-لو طلعتى كدبتى كل الكلام اللى جولتهولك ...يبجى بتحكمى على أبوكِ بالموت ...ومش هو وبس..... لاه وكل شباب التهامية ....وأولهم ولاد عمك جَدرى ...

يا آلهى ....ماذا حدث قديماً ليصبح...ما بين العائلتين..لا يمكن
تسويته.....إلا.....بالثأروالدماء.....
حاولت أن تهادنه...وتستحث روح الإنسان العاقل المتعلم
بداخله...وهى تقول:- -يا باشمهندس ...
حضرتك انسان متعلم ... يعنى اكيد مهما كان سبب اللى حضرتك بتعمله ده .. فى طريقة للتفاهم...
أطلق ضحكه رجولية خشنة مليئة بالسخرية و التشفى....وهو يقول صارخا :- نتفاهموا !!؟؟؟...اللى ما بينا وبين ابوكى معدش ينفع فيه نتفاهموا.....
دى حكاية جديمة ذى ما جولتلك جبل سابج.....
ومعدش ينفع خلاص ...وهو ده اللى عِندى يا داكتورة .....
كلامك جَصاد أفعالى .....وافجتى جدامهم.....خلاص ..
...حججت مرادى ...ومفيش حد هيمسهم ....

- لكن ليه انا!!؟؟.....سألت فى جزع.....ليه تربط نفسك بواحدة مشفتهاش غير أمبارح .... و مفيش بنكم أى حاجة مشتركة ...وكمان بينك وبين ابوها تار قديم ...مش غريبة دى..!!؟؟؟.....

- .....لما هاتعرفى الحكاية الجديمة .....ها تعرفى ليه أنتِ بالذات ....يا داكتورة ...

- طيب ايه هى الحكاية القديمة دى.....انا عايزة أعرفها ...

ما أن هَم بأن ينطق .....حتى سمع هرج ومرج....

..... يأتى من خارج السرايّ.....

...فنظر اليها قائلا :-..أهلك وصلوا يا داكتورة ...اكيد التهامية كلاتهم بره....و يا ريت تفكرى زين فى اللى جولتهولك وأنتِ بتاخدى جرارك .....

.....وخرج وأغلق الباب خلفه فى عنف .....

....وتركها متضاربة الأفكار والمشاعر ...تتقاذفها أمواج الحيرة....وتعصف بها انواء اليأس.... مصيرها...ومصيرأبيها بل عائلة ابيها

بأكملها فى كفتىّ ميزان....بين يدى من لا يرحم ... فأى الكفتين....هى الراجحة....!!!؟؟؟؟

**********...

رن جرس الهاتف فى قلب الليل .....

فأنتفض الحاج قدرى التهامى من على مصلاته...ليجيب...

...وهو يتوجس شراً....متسائلا:- مين اللى هيكلمنا على الفجر كِده....استر يا رب....

واندفع يجيب فى لهفة:- ألو...مين!!!؟؟...

.....جاءه صوت أخيه الدكتور ناجى ملتاعاً :- ألحقنى يا قدرى ...الهوارية خطفوا زهرة بنتى....

...انتفض الحاج قدرى بعد هذا الإعلان قائلا:- أنت متأكد يا ناچى ....حُصل أمتى ده.!!...ووصلولها كيف!!!؟؟....أنت متأكد!!؟؟...سأله من جديد...

- أيوه متأكد ..كلمنى حد فيهم ..وقالى انه خطفها .....علشان يصفى الحساب القديم.....

ألحقنى يا قدرى البنت هتروح فى الرجلين ....

.....هى ملهاش ذنب ....

بص أنا بكلمك من المطار....

هاخد أول طيارة وجى على النجع....

.... أبعت عربية تستنانى....

- انت ها تيجى لحد هنا برچليك....هتسلملهم نفسك بعد السنين دى كلها....!!؟؟ ...سأل الحاج قدرى فى جزع

- أمال أسيب بنتى فى أيديهم !!؟؟....حسابهم معايا يخدوه...

.. لكن هى لأ يا قدرى ...زهرة لأ.....

كفاية أمها راحت منى ومقدرتش أعمل لها حاجة ...

.....لكن زهرة مش ممكن .....دى أنا مش هيكفينى الهوارية كلهم لو حد لمس شعرة منها ...

- يا رب سترك.....الدنيا باينها ها تولع.....

.....تعالى بالسلامة وأكيد ليها حل ...قالها الحاج قدرى مطمئناً... على الرغم من قلقه المتزايد...

.....دى عرضنا ومش ممكن نسبها فى يدهم ...

- أنا هقفل دلوقتى ومتنساش تبعت لى العربية على المطار ...أنا ساعتين بالكتير وهكون عندكم ...بنتى يا قدرى...مش ممكن نسبها بين ايديهم ...سلام عليكم....

- وعليكم السلام يا ناچى .....تچيلنا بالسلامة ...

....سأل حسام الابن البكرى لقدرى التهامى ...وهو يتثاءب فى تكاسل :- خير يا حاچ..ايه اللى حُصل ...مين كان على التليفون....وانت متكدر ليه كده....!!؟؟؟

- بت عمك ناچى ...الداكتورة زهرة ..عمك بيجول أن الهوارية خطفوها وهو...چاى على هنا ...ربنا يستر النار الجديمة ...باينها لساتها جايدة تحت الرماد...

انتفض حسام وكأنه استفاق دفعة واحدة عندما استوعب كلام أبيه...وهتف فى غضب :- أنت بتجول أيه يا بووى!!؟؟.....بت عمى فى بيت الهوارية واحنا هنا بنتسايروا..!!؟....مفيش غيره هو اللى عملها ... عاصم الهوارى ...منبجاش رجالة صوح لو سبنا بت عمى دجيجة واحدة فى بيت الراجل ده .....

.....واندفع إلى غرفة نومه يغير ملابسه .....
....وتناول سلاحه...فأنتفض أبوه فى لوعة
.....
.....لاه....أصبر يا حسام يا ولدى.....الأمور
ما تتحلش كده...أصبر لما عمك ياچى ونشوفوا
هنعمل أيه ...أحنا مش كد...عاصم الهوارى
...دى جبار يا ولدى...محدش عنديه...ليه
دية...لو جرالك حاجة أنا أروح فيها..أخوك
نبيل واخده العَلاَم...وأمك الله يرحمها ..وأنت
اللى باجيلى ....بتعكز عليك فى شيبتى.....
علشان خاطرى يا ولدى ...أهدا.....
.....وسيب السلاح ده من يدك .....
.....لحد ما عمك ياچى ونحكم العَجل...
- عَجل !؟....هى دى فيها عَجل !؟...بت عمى
فى يده ...وتجولى عَجل...أنا هجمع التهامية
كلاتهم ورايح له...واللى يكون يكون ...مش
هجهد كيه الحريم حاطط يدى على خدى
ومستنى عمى .....
والله..... دى أنا مبجاش راجل من التهامية...
لو استنيت لحظة تانية...

...وأندفع خارج الدار ...يجمع التهامية ..ليتوجهوا حيث يأسر...عاصم الهوارى ابنة عمه..

وما هى إلا ساعة من زمن حتى كان ذاك القصر المنيف محاط بالمئات من أبناءالتهامية .....

...الذين جاؤا لأنتزاع إبنتهم من بين أنياب ذاك الغول .....المسمى عاصم الهوارى.....

كانت الشمس لازالت ترقد فى نعاسها...لم تستيقظ بعد لكن مشاعل التهامية .....حول قصر الهوارى... صنعت شمسا من نوع خاص .....

.....شمس تسطع بنيران الحقد والكراهية الموروثة بين العائلتين منذ زمن بعيد ...

ظهر عاصم التهامى من داخل القصر ....

يشرف على تلك الجموع المحتشدة من أعلى الدرج.....ثم هتف فى صوت جهورى ساخر:-

خبر أيه..!!؟؟..خير يا حسام ...جامع التهامية كلاتهم ماشاء الله ....

- بت عمى ناجى .....فين يا عاصم !!!؟؟؟؟

- موجودة فى الحفظ والصون .....ليه!!؟؟

- ليه .!!!؟؟...جايبها لبيتك غصب وتجولى ليه.!!!؟...

قالها حسام ... وهو يجز على أسنانه غيظا ..

- يا واد الحاج جَدرى ... خلى بالك على كلامك

.....هتف عاصم بغضب هادر....ثم مستطردا أكمل فى جزل متحولاً فى لهجته للنقيض ....مش عايز مشاكل فى ليلة فرحى...

-فرحك!!؟؟؟ ...سأل حسام ..وأزدادت الهمهمات...بين الحشود المجتمعة....انتفض حسام:- -فرحك على مين ان شاء الله...!!؟؟

- على بت عمك اللى انت جاى تاخدها ...هى اللى جتنى بنفسها علشان نتچوز علشان عارفة أن ابوها مش هيوافج.....أضطربت الجموع المحتشدة بعد هذا التصريح الاخير....

...و انتفض حسام بدوره فى غضب هاتفا:- بت عمى الداكتورة زهرة مش ممكن تعمل كده...ده تارك الجديم وانت بدفعها تمنه ...

-لما ياچى أبوها هايسمعها بنفسه وهو اللى هايحكم...

.....قالها عاصم فى لامبالاة....

- ومين اللى ها يستنى لما عمى ياچى ...

.....سلمنى بت عمى حالا.....

.....واشهر حسام سلاحه ....

...وبدأ الهرج والمرج بين رجال التهامية...

..... ورجال عاصم المحيطين بالسرايّ.....

.....وفجأه .....

.....أعلنت أحدى الطلقات النارية عن نفسها

.... ..بصوت مدوى....وساد الصمت ....

****

كانت الحشود أمام سرايّ الهوارى.....تبحث فى تعجب....من أطلق تلك الرصاصةالمدوية..

صوت عاصم الهوارى كان هو أول من قطع الصمت...عندماهلل فجأة قائلاً :-

أهلا...أهلا...ياحضرة الظابط نورتنا

..اتفضل...ومتشكرين..على التحية الغالية

دى...العيار الميرى...له هيبته برضك...حالا الحَكومة دريت بخبر چوازى..!!؟؟..

- لا يا عاصم بيه .. قالها الضابط ممتعضاً...الحكومة مدريتش إلا ببلاغ الدكتور

ناجى التهامى ضدك بيتهمك فيه بخطف بنته.....الدكتورة زهرة التهامى.

- واااااه....قالها عاصم متعجبا...وهو ينظر فى غل وحقد واضحين للدكتور ناجى .....والذى كانت المرة الأولى

التى يراه فيها..يقف يشتعل توتراً وهو يطالع خاطف ابنته ...على حد زعمه..

هتف عاصم فى سخرية..:- كده برضك يا داكتور ناچى...ولا أجولك يا عمى...دى احنا خلاص بجينا أهل

ونسايب...

- بنتى فين يا بن مهران ...!!؟؟...بنتى فين ...!!؟؟...سأل الدكتور ناجى فى غضب عارم...قابله..عاصم برد بارد

بنتك فى الحفظ والصون يا عمى ...

- يا حضرة الظابط ان بتهم عاصم الهوارى بخطف بنتى .. هتف الدكتور ناجى بنفس اللهجة الغاضبة ..

- ليه كده يا عمى...!!!؟؟...سأل عاصم ساخراً...متهئ لى

دى أمور شخصية ...وأحنا مش عايزين نتعبوا حضرة الظابط معانا...

- -مفيش تعب يا عاصم بيه ..أكد الضابط بلهجة رسمية ...لازم أحقق فى البلاغ بتاع الدكتور....

- يا حضرة الظابط بته ريدانى ...وعارفة ان أبوها مش هيوافج على چوازنا....دلوجت بيتهمنى بخطفها...قالها عاصم فى نبرة ناعمة ... بها الكثير من التشفى ...

طب خليه يوريك الرسالة اللى بته بعتتهاله..تجوله فيها انها جتنى بخطرها...علشان رفضه.....ثم توجه بالكلام إلى الدكتور ناجى قائلا فى شماتة :- فرچ الرسالة لحضرة الظابط يا عمى ....

صمت الدكتور ناجى ولم يعقب .. وعيناه تتقد غضبا يكاد يحرق عاصم حياً.....فتنحنح الضابط..

فى إحراج :- الظاهر ...دى فعلا مشكلةعائلية...وأنا ماليش مكان فيها.....ثم استطرد الضابط متوجها بالحديث للدكتور ناجى

...ولا تحب تستكمل التحقيق يا دكتور ...

...رد الدكتور ناجى فى غضب مكبوت ..

-لا ...مفيش داعى ...بس أهم حاجة يتعهد قدامك

بأنى أشوف بنتى...وأطمن عليها...

-طبعا ... هتف عاصم ...و دى عايزة كلام...هو كتب الكتاب ينفع من غيرك برضك يا عمى.....قالها عاصم فى مجاملة مصطنعة...

- حيث كده يبقى تمام...وألف مبروك..يا عاصم بيه...وهم الضابط وقوته الشرطية بالإنصراف...ولحقه عاصم هاتفا..:- مبروك كده متنفعش يا باشا لازماً تشرفنا.....فى الفرح بكرة بإذن الله...

- باذن الله...قالها الضابط.....وهو يرحل..تاركا النار تستعر من جديد ... بعد ان كانت خامدة لسنوات طويلة خلت ..

وما أن أعلنت القوة الشرطية أبتعادها حتى اندفع حسام من بين الحشود تجاه عمه هاتفاً فى ثورة.. كيف يا عمى صدجته... وهو بيجول الكلام ده على بتك.. !!؟؟..

-الظابط مالوش الا الدليل... والرسالة فعلا على تليفونى.. ومبعوتة من تليفون زهرة.. وأنا متأكد ان هو اللى بعتها..قال كلامه وهو يوجه نظرات سامة لعاصم ..

- نجوم نسيبه يعمل ما بداله... والله ما نبجاش رچالة وأحنا عارفين أن بتنا فى داره.. غصب عنها وعنا...

وصرخ حسام فى هدير كالرعد... فى رجالة التهامية

المرابطين حول السرايّ فى انتظار إشارة من كبيرهم..

لتعلو الهمهمات .. ويندفع الحشد كله لداخل السرايّ .. فى

ثورة..ويستعد رجال عاصم الهوارى للزود عن سرايّ كبيرهم ... بكل ما اوتوا من بأس...

صرخ الحاج قدرى ليوقف التطاحن .. لكن لا مستمع..

ولا مستجيب .. فى وسط تلك المعمعة...

ضاع صوته وسط تصادم العصى..

والنبابيت...

وفجأة... ظهرخيال أنثوى على الدرج بجوار عاصم

الهوارى .. جعله يطلق أحد الأعيرة النارية من سلاحه..

ليتوقف الهرج والمرج فى لحظة.. وتشرأب أعناق الجميع

هوارية وتهامية.. لمصدر العيار النارى...

ليروا .. فتاة مجهولة .. تقف بجوار عاصم .. الذى أنتفخت

أوداجه .. فى ثقة وغطرسة مقيتة...

هتف فى صوت هادر...:- بت الدكتور ناجى .. أهى بنفسها..

أسألوها...

شعرت زهرة بأنها تكاد تذوب أمام نظرات ذاك الحشد الذى

ينتظر كلمة فاصلة منها... اندفع أبوها ليطوقها بذراعيه فى لهفة وهو يحثها على الحديث.. :-

قوليلهم يا زهرة

انه خطفك وجابك هنا غصب عنك ...

قوليلهم...

صمتت لفترة ليست بالقصيرة تتنازعها الرغبات .. بين الإفصاح عن الحقيقة الكاملة... وما قد يعقبها من تداعيات

رأت بعضها منذ لحظات ... من خلال نافذة المضيفة التى اصطحبها إليها عاصم عندما بدأ الهرج... ليريها بأم عينها

ما قد يحدث اذا خرجت وأخبرت أهلها الحقيقة.. مؤكدا بصوت كفحيح أفعى ... انا بس مانع رجالتى عن أهلك..

و اللى أنتِ شيفاه ده .. يا دوب عاركة صغيرة.. مشفتيش

كيف ممكن تكون العاركة الكبيرة .. لو أستخدمنا السلاح..

....وما بين ذاك الخزى والعار الذى سيكلل التهامية وخاصة أبيها اذا ما وقفت بكل صفاقة .. أمام رجال عائلتها لتخبرهم انها هربت مع عاصم لتتزوجه مخالفةً لرغبة أبيها

... انها تشعر بأنها تموت .. روحها تنسحب من جسدها..

وأطرافها ... تتجمد .. عيونها زائغة... ولسانها ألتصق بقمة

حلقها الجافة تماماً...

شعر عاصم بحيرتها .. وقرر إنهاء الموقف فى سرعة..

وبراعة خبيثة.. فسألها:- مش أنتِ يا بت الناس اللى جيتى

لحد عيندى.. علشان نتچوز.. من غير خطف .. ولا يحزنون

أطرقت برأسها فى خزى ... ولم تستطع ان تنطق بحرف واحد .. حاولت.. ولكن كان الهواء الذى يدخل رئتيها الان ..

هواء ملئ برائحة بارود الحقد .. والرغبة فى الانتقام الدموى

هواء غير قادر على إنعاش رئتيها.. لتتنفس من اجل حياة بلون الدم ...شعرت بان الارض تميد بها .. وفجأة سقطت فى

دوامة سوداء .. لا نهاية لها .. من الصرخات والهتافات..

والمزيد من رائحة الانتقام الاسود.

****

فتحت زهرة عينيها اخيرا...لتطالعها عينىّ ابيها الملتاعة خوفا عليها ... لم تصدق نفسها

.. انها تخلصت من ذلك الموقف العصيب هناك .. امام رجال التهامية الذين لا تعرفهم .. وقد انقذت ابيها حتى الان من عار ..قد يكلل مفرقه طول العمر.. اندفعت لاحضانه باكية فى حرقة .. ليربت هو على ظهرها بحنان .. مشفقاً عليها مما هى فيه .. واخيرا ترفع هامتها بكبرياء تحسد عليه هاتفة :- متخفش يا بابا انا بخير ..

بس الموقف كان صعب عليا .. انا أسفة انى ورطتك كده..

مكنش قصدى ..

هتف الدكتور ناجى بتعجب متسائلا :- انتِ قصدك ايه يا زهرة ..!!؟.. كلامكِ فيه حاجة مش مفهومة ..!؟...

تطلعت زهرة حولها .. لتجد بن عمها حسام يتطلع اليها فى غل وقد بدأ يستشف ما تقصده .. بينما عمها قدرى ينتظر فى ترقب مثل ابيها الإفصاح عما تعنيه بشكل اوضح .. اما عاصم الهوارى .. والذى كان يقف فى طرف الغرفة .. يتطلع اليها بابتسامة مشجعة .. تستحثها على المضى فى طريق اعترافها .. فهتفت تحاول

التخلص من حملها الأثقل على الإطلاق :- اللى قاله عاصم صح ..اتسعت ابتسامة عاصم وزادت وحشية .. وهى تستطرد .. انا جيت برضايا صحيح.... بس انا مكنتش اعرف .. ان كل ده ممكن يحصل .. انا معرفش ايه التاريخ القديم اللى كلكم بتتكلموا عنه ده.. سامحنى يا بابا ..

صرخ الدكتور ناجى غاضبا :- انتِ فاكرة انى مصدق حرف واحد من اللى بتقوليه ده ..!؟..

ردت فى ثقة :- طب أخليك أزاى تصدق ..!؟..

هتف حسام بن عمها فى غضب هادر :- يا فاچرة .. بتجوليها عادى كده .. انك جيتى لحديه عشان يتچوزك .. ده انتِ تستاهلى الجتل .. واخرج سلاحه بالفعل .. لولا ان انتفض عاصم فى سرعة .. يدفع سلاح حسام بعيدا عنها .. وهو يزمجر:- أياك حتى تفكر فى كده .. دى فى حكم مرتى دلوجت.. سامعنى..!؟؟. .. وقذف بالسلاح بعيدا..

وقد انكمشت هى على نفسها مما يحدث أمامها .. تكاد تفقد وعيها من جديد من جراء ذاك الجو المحموم حولها .. لكنها تماسكت حتى

تنهى هذه المهزلة .. وما ان همت بالكلام .. حتى قاطعها حسام صارخا من جديد :- هنجول ايه للتهامية اللى منتظرين بره إشارة منينا..!!؟.. هنجولهم أيوه بتنا هى اللى چت له .. هى اللى طاتت راسكم وخلتها فى الطين .. والله ده انتِ جتلك أهون ..

امسك الحاج قدرى بولده الثائر .. يدفعه بعيدا عن ابنة عمه ..

قبل ان يعترضه عاصم من جديد.. والذى ابتعد لمكانه السابق

فى طرف الغرفة .. يراقب المشهد فى جزل .. اندفع الدكتور ناجى فى تلك اللحظة موجها حديثه لعاصم :- لو سمحت .. انا عايز اقعد مع بنتى لوحدى ..

رفع عاصم كتفيه بلامبالاة وهو يرد :- وماله يا داكتور .. حجك طبعا ..... وخرج من الغرفة

فى خطوات متثاقلة.. يلقى بنظراته المحذرة تجاه زهرة .. والتى كانت تحمل رسالة واحدة .. "نفذى ما اتفقنا عليه .. وإلا ..!!!.."

وصلتها الرسالة كاملة .. وترجمت كل حرف فيها ..

...يا الله كيف لها أن تتجاهل تلك الرغبة العارمة التى تجتاحها الأن بأن تلقى بنفسها فى أحضان أبيها وتخبره بكل ما حدث لها منذ قابلها ذاك العاصم ...لكن كيف لها أن تفعل !!؟.....من أجل سلامته ...من أجل عمها و أولاده الذين لم تلتقيهم حتى من قبل ..من أجل شباب عائلتها ...ستتجلد...ستغلق على قلبها ألف باب وباب...من أجلك يا أبى ...سامحنى أرجوك ...هتفت هامسة قبل أن تواجه نظراته المتفرسة ...كانت تعلم انه يقرأها الأن ...لكنه وقف فى صلابة وهو يقول فى حزم :- أيه اللى بيحصل بالظبط يا زهرة..!!؟؟ ...ممكن تفهمينى ..أنا عارف أن عاصم الهوارى خاطفك ومهددك..أتكلمى ومتخفيش من أى حاجة ولا على أى حد ...فاهمة يا زهرة....صارحينى بكل حاجة...صارحى بابا اللى عمرك ماخبيتى عليه حاجة يا حبيبتى...

كان يضغط على مشاعرها بقوة ...وكادت ان تستسلم...لكنها هتفت فى سرعة حتى لا تتراجع...:- اللى قالهولك عاصم كله صح يا بابا...عاصم يبقى صاحب المزرعة اللى أنا بشتغل فيها ...هو عايز يتجوزنى ...ومصارحنى بان فى مشكلة قديمة بين

العيلتين ....وأحنا ملناش ذنب فيها يا بابا ...فقررنا ننتجوز لأن حضرتك كنت ها ترفض أكيد...

- انتِ متوقعة ان انا أصدق الكلام ده ..!!؟؟..وبفرض أنى صدقتك....ده برضه يخلينى أقولك انه عايز يتجوزك مش عشان بيحبك ..لا عشان ينتقم منى بسبب القصة القديمة اللى انا متأكد انك متعرفيهاش ..ولا هو جتله الجرأة انه يحكيهالك

- هو جاب سيرتها كذا مرة بس فعلا معرفش حاجة عن القصة دى ومش عايزة أعرف يا بابا...مش هتغير من رأيي فى عاصم....هو فعلا بيحنى وعايزنى ..وأنا موافقة على جوازنا ..وانا قولتها قدام عمى قدرى وابنه ...

- يا بنتى أسمعينى متعمليش فى نفسك كده...أنتِ مش عارفة حاجة ...أنتِ بترمى بنفسك فى النار ...انت متعرفيش انتى هتعيشى فين ومع مين ...النار دى أبوكى هرب منها من أكثر من ٣٠سنة ...ومش هسمح انك ترمى نفسك فيها ولو كان التمن حياتى نفسها ...هم مشكلتهم معايا ..متحطيش نفسك بينى وبينهم... قوليها

فى وشه دلوقت إنك رفضتاه ورافضة الأرتباط بيه..وأنا والتهامية كلها ...متكفلين بحمايتك...
همست فى نفسها ...ومن يحميك انت والتهامية يا أبى من ذاك االوحش الكاسر والذى يضع الانتقام فى مقدمة أولويات حياته ..!؟.مهما دفع من ثمن حتى ولو كان ذاك الثمن ....أرواح ودماء...

تنهدت فى نفاذ صبر رغبة فى إنهاء ذاك الحوار الذى يمزقها أشلاءاً...:- بابا ...عشان خاطرى...مفيش داعى لكل ده...أنا عايزة عاصم ..ذى ما هو عايزنى..وواثقة فيه وفى حبه ليا ...أرجوك يا بابا ..مفيش داعى للمشاكل...

أنا عارفة إن أنا غلطت فى اللى عملته...بس معلش ...سامحنى ...أنا بحبه...

....حاولت قدر الإمكان ...أن تقنعه..

بتلك الكلمات الأخيرة ...وعدم استدعاء وجة عاصم فى مخيلتها...انها تشعر ناحيته بكل كراهية ومقت بعد كل ما يحدث لها بسببه...اللعنة عليه ..و على الانتقام الأعمى ...و على ذاك النجع الذى لا يتفاهم إلا بلغة

الدم.....و على تلك العائلة والتقاليد البالية...التى تجعلها الأن تقف فى وجة أبيها رغماً عنها...لتخبره بحبها لأكثر شخص تمقته فى دنياها...ضاربة بموافقة أبيها عرض الحائط...من أجل سلامته....

فجأه ...وجدت أبيها يجذبها من يدها فى عنف متوجها بها صوب الباب ...ليخرج بها من سرايّ الهوارية بلا

رجعة...لكنها جذبت يدها من يده بأعجوبة قائلة:-

..لا ..يا بابا ..مش ماشية معاك....أرجوك يا بابا ...أطمن ..

أنا كويسة ومبسوطة...أخرج لعمى وابنه وطمنهم...علشان كتب الكتاب ميعاده قرب...

- ده أخر كلام عندك ...أعقلى يا زهرة...قالها وهو يهزها من كتفيها فى عنف ....

- أيوة يا بابا ....أخر كلام ...قولى مبروك.

- مبروك...!!! من هنا ورايح لا أنتِ بنتى ولا أعرفك...عندك لحد كتب الكتاب لو رفضتى ها تبقى بنتى اللى ربيتها...ولو فضلتى على حالك يبقى متستنيش إنى أحط ايدى فى أيد حد..

بعدك عن حضنى غصب عنى وعنك. ...وأنا انسينى يا زهرة...أنا أبوكى... اللى حبك أكتر من نفسه...كانت كلماته الاخيرة ..تقتلها .. همت ان تناديه لتخبره بالحقيقة وليحدث ما يحدث بعدها ... لكن نفس تلك الكلمات هى التى استوقفتها .. نعم هو يحبها اكثر من نفسه ...وهى بالمقابل تحبه اكثر من نفسها .. ولن تدعه يقف والعائلة اما ذاك الغول معدوم الرحمة... ستكون هى كبش المحرقة .. ولن تبال.. يكفيها ان ابيها بخير .. من أجل أمها .. وأختها ندى ..

أندفع أبيها فى عنف .. بعد كلماته الاخيرة التى لم تلق رد الفعل المطلوب الذى كان يتوقعه لخارج المضيفة....ثم خارج سراىّ الهوارية....وكأن الشياطين تلاحقه....وقد رأه رجال التهامية المتجمهرين حول السراىّ .. ليدركوا بفطنتهم

ان الامر قد حُسم لصالح عاصم الهوارى .. ليرحلوا وقد أزداد حقدهم على ابنهم .. الذى لم يحسّن تربية ابنته القاهرية .. التى لم تعرف تقاليدهم ... ولم تراعيها.. ليتجرعوا على يديها

كؤوس الخزى والعار...ومنهم من أدرك بفطرته .. ان الفتاة لا ذنب لها .. وانها مجرد ضحية.. تسدد دين ابيها القديم للهوارية ..وان عاصم الهوارى .. اخيرا .. حقق مراده و نال انتقامه للهوارية بأثرهم...كما كان يتمنى وأدرك الحج قدرى وابنه نتيجة مقابلة الدكتور ناجى مع ابنته...فأستأذنوا فى هدوء.....مودعاً عاصم لهم فى جزل وحبور..مؤكدا عليهم...موعد كتب الكتاب فى الثامنة من مساء اليوم.. ..

أتجه عاصم ...حيث قابلت زهرة أبيها...فوجدها تجلس فى هدوء مريب على أحد الأرائك...تنظر إلى اللافراغ...تتنازعها المشاعر والصراعات التى تحيط بها ...تنحنح..عاصم .. وهو يدخل المضيفة..وما ان هم بأن يتكلم ...حتى قاطعته هى فى هدوء قاتل.....وهى تقسم داخلها أن لا يرى دموعها...أو يتنبه لضعفها :-.نفذت اللى أنت عاوزة بالحرف....لو حد فى عيلتى جراله حاجة ساعتها أنا اللى هاخد بتاره بأيدى منك ومن عيلتك كلها...

ابتسم فى تشفى .. لتهتف هى مستكملة بنبرة حاقدة ... أنا بكرهك ...وعمرى ما كرهت حد كده...وعمرى ما توقعت أنى ممكن أكره حد كده ...

واندفعت من المضيفة تجرى بطول الردهة حتى عادت لغرفتها....وأغلقت بابها خلفها فى عنف ...وانفجرت فى بكاء عاصف....طال كتمانه...

الفصل الثالث

اجتمع التهامية فى بيت كبيرهم الحاج قدرى .. يجلس بحسرة وسطهم الدكتور ناجى .. والذى هتف فيهم غاضباً محولاً حديثه للهجته الصعيدية التى فرض على نفسه عدم التحدث بها من زمن حتى لا يفطن احد الى اصوله :-

هو انتوا هتسيبوا بنتى فى ايد اللى اسمه عاصم ده ..!؟؟..

هتف احدهم فى سخرية :- بتك اللى ريداه وحطت راسك وراسنا فى الطين .. انا معرفش انت مجتلتهاش ليه لما سمعتها بتجولك كده ..!!؟..والله لو كانت جالت كده جدامنا وهى واجفة جبل ما توجع من طولها لكنت جتلتها بيدى..

ليسخر اخر بدوره :- تلاجى الداكتور نسى عوايدنا ..!!؟... تلاتين سنة بعيد عن الصعيد مش جليلين برضك ..

ليصرخ فيهم الدكتور ناجى :- هو ده اللى انتوا فاكرينه عنى وعن بنتى ..!!؟.. انا بنتى متعملش كده .. ده خطفها وأجبرها تجول ما بداله .. وهى خوفها علينا خلاها تصدجه وتعمل اللى طلبه منيها ..

صمت الجميع ولم يعقب .. وحسام يجلس فى خزى لا ينطق حرفاً يتلقى سخرية رجال التهامية اللاذعة كخناجر فى صدره ولا يستطيع التفوه بحرف امام نظرات أبيه المحذرة..

ليهتف اخر :- طب عايزنا نعملوا ايه يا داكتور ناچى.. نجلبوها دم من تانى عشان خاطر بتك واللى لو جت الحكومة تسألها هتجولهم انا جيت له بخطرى.. او جه مأذون يسألها هتجوله انها موافجة على الچواز منيه ..!!؟..

نظر الحاج قدرى لاخيه فى حسرة يهز رأسه فى ضيق ولم يتفوه بحرف ليستشيط الدكتور ناجى غضباً وهو يهتف فى الجمع المحيط به :- خلاص .. خليكم انتوا .. وانا مش هجعد احط يدى على خدى زى الولايا .. واسيب بتى ترمى بنفسها فى النار عشانى وعشانكم..

واندفع يجذب سلاح احدهم مندفعاً للخارج ليلحق به الحاج قدرى هاتفاً :- استنى بس يا ناچى رايح فين ..!!؟.. ده رجالة عاصم يطوخك جبل ما تجرب من سُوَر السرايا وملكش عنديه دية..

صرخ الدكتور ناجى :- رايح اجيب بنتى بنفسى واللى يحصل يحصل ..

أمسك به الحاج قدرى اخيرا وهو يلهث هاتفاً :- اصبر بس يا خوى .. انا هروح لبتك واكلمها تانى ويمكن أجدر أغير لها رأيها جبل

كتب الكتاب .. محدش عارف يمكن يجد فى الامور أمور مع انك عارف بتك راسها ناشفة... زى الحجر الصوان...وروحها ما تعرفش الخوف.....طالعة لأمها.. الله يرحمها....والله يا خوي....أول لما أطلعتلها.....وكنى شايف فاطنة جدامي...

ألقى الدكتور ناجى السلاح من يده و هتف في انتفاضة لازم يعرفوا .....جعلت أخيه ينتفض بدوره متسائلا:-..خبر ايه يا ناجي....!!؟؟

هتف ناجي التهامي مكرراً :- لازم يعرفوا .. قبل كتب الكتاب..!؟

- يعرفوا أيه؟؟!!....و هم مين دووول اللي يعرفوا...!!

هتف الحاج قدرى.. متسائلا وهو يرى أخيه يهرع خارجا ..

وهو لا يعرف من يقصدهم أخيه بكلماته المتعجلة

..وقف الدكتور ناجي التهامي.....علي باب سرايا الهواري..يطلب مقابلة الحاجة فضيلة فخرج له.. عاصم...والذي تعجب من وجوده ....

ورغبته الغير منطقية..في مقابلة أمه...

- أتفضل يا داكتور...هتف عاصم مرحباً...

- متشكر..بس أنا عايز أقابل..الحاجة فضيلة....

. ....قالها وهو يجلس متوترا.....فوق أحدي الأرائك الممتدة تحت أشجار المانجو الوارفة في الركن الغربي من الحديقة المحيطة بالسراي ....ينتظر مقابلتها...بفارغ الصبر..

- عايزها فى ايه يا داكتور...!!؟؟...سأل عاصم.. في تعجب وحيرة..

- معلش...أمر ضروري...لازم أقابل الحاجة فضيلة...قالها الدكتور ناجي مهادناً عاصم...حتي يحقق مطلبه...

- الحاجة مبتجابلش...رجالة غُرب..وكمان هى مشغولة دلوجت ..بتحضر لكتب الكتاب ..لو في حاجة مهمة...جولهالي..وأنا أبلغهالها...

- بلغ الحاجة بس...وشوف رأيها...

- الحاچة مبتجابلش حد يا داكتور....وورانا حاجات كتير وتجهيزات ياما ..

- بس انا لازم أقابلها .. دى مسألة حياة أو موت .. لازم قبل كتب الكتاب ..

رد عاصم ساخرا :- من الاخر يا داكتور .. هى مش طايجة تجابلك .. ولا عايزة تسمع سيرتك من أساسه.. هغصبها يعنى ..!!؟..

شعر الدكتور ناجي أن الحوار أنتهي عند تلك النقطة..

فنهض في تثاقل...وهو يجر ازيال الخيبة...

لابد وأن يقابل الحاجة فضيلة... فهي وحدها...التي

ستصدقه...وربما يغير ما سيقوله كافة الميزان لصالح ابنته...

****

هبطت الحاجة فضيلة الدرج فى تؤدة .. تحمل مفتاح غرفة أبنة ناجى التهامى فى جزل .. فأخيرا .. حققت مرادها الذى انتظرته طوال ثلاثين سنة خلت .. حتى تنتقم من ذاك الذى فرقها عن أختها التى كانت الاقرب لقلبها.. وجعلها تتبعه فى غوايته .. لترحل معه تاركة كم من الخزى والعار .. ذاقوا مرارته طويلا ..

لتموت فى النهاية وتدفن بعيداً .. ويذهب هو ليتزوج غيرها وينجب ابنتين .. الكبرى .. هى من يحتجزوها فى تلك الغرفة التى تمسك بمفتاحها الان .. لتذهب وتلقى نظرة على أبنة تلك المرأة التى أخذت مكان أختها .. وابنه ذاك الرجل الذى كان السبب فى موت أختها بعيدا عن أهلها ..

حاولت ان تعرف .. كيف شكلها ..!؟؟.. وهل هى جميلة .. ام قبيحة ..!!؟.. ففى النهاية .. هى أم .. وتريد أن تطمئن .. كيف هى من سيرتبط بها ولدها ..!؟؟.. حتى ولو لفترة مؤقتة .. لكن فضولها يغلبها .. لتراها رؤى العين .. فحتى الخدم .. لم يراها احدهم .. ولا حتى ام سعيد .. مكمن اسرار العائلة .. ولم يدع عاصم اى منهم يدخل لها .. حتى ولو لتقديم الطعام .. كان يقدمه بنفسه لها ..

عندما سألت عنها عاصم بفضول :- هى زينة يا عاصم..!!؟.

لم تتلقى الجواب الذى يرضى فضولها .. بل أجاب فى نزق:- أه .. زينة .. مجبولة يعنى.. بس ده يفرج فى ايه .. !!؟..

وبالطبع .. كان على حق .. فسيتزوجها أى كانت ..

وصلت لباب الغرفة .. وما أن همت بوضع المفتاح فى قفل الباب .. حتى جاءتها ام سعيد راكضة فى هلع .. :- ألجى يا حاجة .. الحاچ مهران تعبان جووى .. وطالبك ضرورى..

سحبت الحاجة فضيلة المفتاح من القفل .. واندفعت خلف ام سعيد .. تلحق بالحاچ تحاول إيقاف نوبة أخرى من السعال الذى يداهمه بكثرة الفترة الاخيرة .. ولا يعاود ألتقاط انفاسه من جديد الا بدواء خاص كتبه الطبيب مؤخرا .

****

لا تعلم كم مضي من وقت وهي تبكي.... لكن عندما رفعت رأسها ...من فوق الوسادة المبللة بدموعها ....

وجدت الشمس قد غربت منذ وقت قصير..

... وسمعت من علي البعد صوت مزامير وطبول تقترب... وكأنها بوم ينعق ...سدت اذنيها بكلتا يديها.....

.....لا تصدق انها بعد ساعات قليلة ستصبح
زوجة...
لذاك الوحش...معدوم الرحمة...
.....رغما عنها.....
يا آلهي.... هتفت في سرها....
..... كيف ستتعامل معه.. ومع قوته ...
...وسطوته....وكيف ستقابل ذاك
الجبروت.....
....انها تعترف....
.....نظراته وحدها... كفيلة
...بأن تجعلها تشعر برغبة في الهرب من
أمامه
...لتحتمي من حضوره الطاغي..
...والذي يعضده تلك القامة الفارهة الطول....
....والتي تجعلها... تتراجع بضع خطوات ....
...حتي تستطيع أن ترفع رأسها.. لتحدثه...
...لابد وأن تنسي اللباقة..في التعامل مع ذلك
الغول...
...لابد وأن يقيم لها حسابا....
وأن تضع حدود في تعاملها .....معه....
لن تدعه يري دموعها.....لن تدعه يكسرها...

...إن كان هو صعيدي...ويتميز بصلابة الرأي ...

.....والعقلية المتحجرة.....

فهي ايضا.... تحمل نفس الجينات ..

وستكون هي القوة الداعمة لها....

.....والسلاح..الذي ستستخدمه.....

.....في حربهما... الغير معلنة...

نهضت تغسل وجهها...وتنعش روحها....

....بعد ذاك الإتفاق الذاتي...لن تدعه يعتبرها...

حطب المحرقة لأنتقامه وكراهيته المتوارثة.

سيندم علي اللحظة التي زج بها في لعبته القذرة..

سمعت طرقات علي الباب... لم تجب...

.... فتكررت الطرقات...وهي علي تجاهلها...ففُتح الباب..

...وأطل برأسه متنحنحاً...

.....وتعجب عندما رأها جالسة...ولم تسمح له بالدخول..

-أنا خبطت علي الباب.. كنك مسمعتيش....
قال بتعجب وهو يراها جالسة تسمع الطرق ومعللاً دخوله دون أذنها..
-لا سمعت...أجابت في تحدي...بس ده ها يفرق معاك...
سواء سمحت لك بالدخول ولا رفضت.!!؟؟.....معتقدش...
نظر لها نظرات نارية ... ليبعث لها برسالة مفادها..
ليس ذاك وقت الحساب ... فالحساب قادم لا محالة.. مما
جعلها تزدرت ريقها فى صعوبة..وهو يقول ..
-المأذون وصل..وعمك جَدري بره..
يا ريت تجهزي... علشان بعد كتب الكتاب...
...عمك..هياخدك..وياه...علشان الفرح بكرة....
..يطلع من داركم...ده كان شرط عمك..
قالت في سخرية:-..مش من باب أولي.. .كان كتب الكتاب يبقي في بيت عمي..!!؟..... لن تصمت بعد الان ونظراته النارية لن تردعها ... هكذا قررت وهى ترد فى ثقة... وتحدى

- ده علشان سلامتك..... أجاب في حزم..

- سلامتي..!!!... وضحكت ساخرة.....هي فين سلامتي دي..!!!... لتستطرد بنفس النبرة الساخرة...

.....لا.. وشوفوا مين اللي بيتكلم عن سلامتي...!!!..

تغيرت تعبيرات وجهه.. وأصبحت تشبه ليلة عاصفة..

مطيرة....تنذر بالكوارث....

- لو روحتي لأهلك جبل كتب الكتاب...ممكن يجتلوكي.....قالها محاولاً التفسير ..

- أه....وانت بقي خايف عليا من القتل..ولا.. قلت لنفسك

لما تكتب الكتاب ...تضمن ان انتقامك كمل ...؟!!..

...وبقيت مراتك خلاص....

نظر اليها ملياً.....نظرات جعلتها تلتهب....لكن كانت تعضد مقاومتها أمام عينيه...بمحادثة داخلية بينها بين ارادتها...اثبتي ... لا تضعفي..لا تخفضي رأسك مطلقا..

في حضرته....ليعلم منذ اللحظة... انه لا سلطان له عليكِ..

وأنك .. لن تخضعى له مطلقا...

واذا كان استطاع استغلال نقطة ضعفك المتمثلة...

في حبك..وخوفك علي ابيكِ...

فليعلم الأن.....انه لم يعد لديكِ من تخافى عليه...

او ما تخافى علي فقده...فأبيك..وعائلتك...تم ابعادهما....

عن ميدان المعركة....والأن...

ما سيحدث... سيكون ...بينك...وبينه...

تعجب من نظراتها...الواثقة...وروحها المتمردة...

منذ متي... أصبحت تمتلك تلك النظرات...المتنمرة..

وتلك اللهجة الواثقة...وكأنها أُستبدلت في ساعات..

من تلك الرقيقة التي أنقذها في المزرعة...والتي..

كانت تنتفض..بين ذراعيه كالعصفور..
خجلا..واضطرابا
إلي... أخري...لا يعلم..حتي هذه اللحظة.. من تكون...
نفض تلك الخواطر عن رأسه.....
...وهو يهتف في حنق:-أجهزي...عمك جاي ياخد رأيك...
وخرج بشكل عاصف من الغرفة...وما هي إلا دقائق..
حتي دلف عمها...ليأخذها بين ذراعيه...وهو يهمس.. في أذنيها...:- والله يا بتى...لو جلتيلي..
أنا مش موافجة يا عمي.. وان كل الكلام اللى جلتيه لأبوكِ ده ... مش على هواكِ ..
ما هيكفيني روحه..هو وعيلته كلاتها...محناش جليلين
يا بتي...أحنا أهلك وعزوتك...جولي لاه...وهتشوفي..
عمك العچوزده..ممكن يعمل أيه..علشان يحميكي...
أبتسمت في راحة...فللمرة الأولي.. منذ وطأت قدماها..

تلك الأرض....تشعربالراحة...والطمأنينة.. في أحضان
عمها... التي ذكرتها...بدفء.....ذرراعيّ أبيها..
-أطمن يا عمي.... أنا بخير.. بس بابا..
كويس...!!؟؟..
-هكدب عليكي يا بتي...سبته في الدار....بيغلي...حاسس
بالعجز..كيف ما يجدرش...ينجى بته....واعرة جووى دي
علي أي راجل دمه حامي..الله يكون في عونه..وعونا..
التهامية كلاتهم ...في حِزن كبير...ولدي حسام ...
...لحجته مرتين خارج ومعاه سلاحه...وحالف يجتل ..
عاصم الهواري.. بعد ما فهمته انتِ عملتى كده ليه...احنا كلنا عارفين انك بتعملى كده عشان خايفة على الكل .. وخايفة من الدم اللى ممكن يبدأ من چديد.. بين العيلتين ...

-عمي أنا موافقة...وموافقة جدا كمان....هتفت في نفاذ صبر...بعد ما سمعت تلك الأحداث الدامية....

...و... التي يمكن ان تشتعل اكثر ..
كلما تأخر عقد القران ..فلننهي الأمر
إذن....وليكن ما يكون..

- ده أخر كلام عِندك...!!؟؟... سأل عمها فى تمنى ..رغبة فى تغييرها لقرارها...

أومأت برأسها موافقة....فربت علي كتفها في حنان....

وغادر الغرفة...

تركها...تنهبها...الأفكار..والمشاعر...
وتعصف بها..الخواطر...حتي انتفضت كل خلاياها...

عندما سمعت أصوات الزغاريد...تشق الجدران...

تعلن انها...
أصبحت زوجة للغول...

****

وصلت لبيت عمها...مع عمها وبن عمها حسام...كانت المرة

الأولي التي تراه فيها عن قرب.. وهو هادئ بلا اندفاع .. كما رأته منذ ساعات .. راغب فى قتلها ..

...

انه شاب قوي البنية...مريح القسمات...

تشعر عندما تراه...بأنك في يد أمينة...

...يمكنك الأعتماد عليها.....دائما...ولن تخزلك أبداً.....

.....كانت قسمات وجهه...تزدحم بالكثير...

من مشاعر...الغضب ...و.. الحنق ....والعجز..مما يحدث..

...دخلت الغرفة التي خصصت لها...عرفت انها..غرفة نبيل..

....الإبن الأصغر.....لعمها قدري...انه أستاذ في الجامعة...

نظرت إلي براويز الصور..... علي الحائط والمكتب....

....انه لا يشبه....أخيه حسام....

....فهو أقصر.. ملامحه لطيفة...يرتدي نظارة طبية..

تضيف علي مظهره...بعض من وقار...

....علي الرغم من علمها...

.....أنه لا يصغر حسام الا ببضع سنوات ..

.....توجهت إلي الفراش...مددت جسدها المرهق...

...انها...بحق مرهقة...

....لا تريد أن تفكر في أي شئ....

...فقط تريد أن تنام.....

....لتنسي ذاك الكابوس الذي تعيش تفاصيله..

تعرف أن أبيها يرقد في أحدي الغرف المجاورة..

....لا تريد أن تراه....

....نعم..لا تريد.....

.....فليس لديها القدرة.... علي مواجهته من جديد....

.....فقد تضعف في أي لحظة....أمام نظراته المعاتبة..

.....يكفيها...ما ينتظرها..غداً...

....عندما تصبح...مع ذاك الوحش...تحت سقف واحد...

أغمضت عينيها وجسدها كله ينتفض... سالت دموعها حارة..

..وهي تقول لنفسها...تلك الدموع...هي الاخيرة...

.....التي ستزرفها عيناكِ....

منذ تلك اللحظة.. أنسي أمر الدموع.....و.. تذكري أمراً واحداً فقط....

.....أنه لازال هناك الكثيرالذي ينتظر صلابتك...وصمودك...

....فتتجلدي....

.....جففت دموعها.....في عزم.....

.....وراحت في سبات عميق...

.....تحاول أن تطرد صورة...عاصم الهواري...من مخيلتها..

.....حتي لا يطاردها...

....في أحلامها.....أيضا...

****

أستمر الطرق على الباب لفترة طويلة ... طرقات متتابعة متلاحقة

مع أصوات لصخب وضحكات ... فأندفع حسام يفتح الباب فى عنف صارخا ... :- أيه.... خبر أيه ... الحرب جامت ..!!!؟؟؟

تفاجئ بمجموعة من الفتيات تقف على باب دارهم .. يحملون الكثير من الأغراض ... تتقدمهم فتاة .. لم تغب ابتسامتها.. حتى مع غضبه .. وعبوسه الذى لم تنفك عقدته .. عند رؤيتها....

قالت الفتاة المرحة فى ثقة :- أحنا جايين للعروسة..

- عروسة أيه !!؟؟ ...قالها فى حنق ... مع ارتفاع ضحكات الفتيات ... وتذكر ابنة عمه الموجودة فى دارهم

من الليلة السابقة...فأستطرد فى إحراج:- أه ...زهرة بت عمى .

أتفضلوا ... وأفسح لهم الطريق .. وأشار لهم على غرفة نبيل التى باتت زهرة فيها ليلتها...

أندفعت الفتاة المشرقة الابتسامة تطرق باب الغرفة مؤكدة انها ستدخل بمفردها أولا ... وتذمرت باقى الفتيات .. لكنها دخلت وأغلقت باب الغرفة خلفها .. وهى تخرج لهم لسانها فى طفولية

ولم تكن تعلم ان هناك من يراقب المشهد .. ويبتسم .. على الرغم من ندرة حدوث ذلك ... وهو يترك الدار .. للعروس وصويحباتها...

- كل ده نوم يا عروسة ... !!؟؟ ... سألت سهام فى مرح

وهى توقظ زهرة .. والتى تعجبت لأفعال الفتاة

التى لا تعرفها...

- أكيد مستغربة.. أنتِ متعرفنيش.. أنا سهام .. أخت عاصم جوزك..

كانت كلمة زوجك تلك والتى نطقتها الفتاة المرحة فى براءة

كفيلة بإعادة زهرة لأرض الواقع فى قسوة جعلتها تنتفض..

فاليوم .. يوم زفافها على ذاك اللأدامى .. عديم الرحمة

يا الله .. لما أشرق الصبح ...!!؟؟.. لما لم تقوم القيامة..!!؟؟...هكذا فكرت...

عندما أيقنت انها سويعات قليلة .. وتصبح معه وحيدة

تحت سقف واحد ..أخرجتها كلمات كانت تنطقها سهام من شرودها ...لم تسمعها كلها .. ولكنها ألتقطت بعض منها..

وهى تشير لبعض الأغراض والتى أتت بها .. ووضعتها جانبا .. عندما دخلت الغرفة لتوقظها... أومأت لها زهرة

بالإيجاب .. فتنهدت سهام فى فرحة.. وهى تقبل زهرة فى

ود حقيقى .. هاتفة :- ألف مبرووك ...

وأطلقت زغرودة مجلجلة .. جفلت لها زهرة ....ثم قبلتها من جديد

وهى تستأذنها ... لان هناك الكثير من الامور لم تُنجز بعد

فى السرايّ... والتى تزّينت لاستقبالها...
نهضت زهرة من فراشها بعد مغادرة سهام ...
والتى شعرت بميل فطرى لصداقتها.. فهى
مرحة .. بريئة.. وأستعجبت
كيف يكون لمثل تلك الفتاة مثل ذاك الاخ ...
والذى كان قدرها ان ترتبط به زوجا دونا عن
باقى البشر ..كان تهم بمغادرة الغرفة ..
فأستوقفها شئ ما فى غطاء مخملى
موضوع بحرص على الجانب الاخر من
فراشها ...
أقتربت منه فى حذّر ووجيب قلبها تزداد
وتيرته ...
لامست أناملها ... ذاك الغطاء وتجرأت لتفتح
السحاب الطويل... ليطالعها قماش
حريرى..اكملت أخراج الرداء
من غطاءه ... وهى مشدوهة... تتطلع لثوب
زفاف..
من المخمل والحرير ... لم ترى فى روعته من
قبل

مررت أناملها على القماش الراقى .. وطفرت الدموع من عينها .. على الرغم من الوعد الذى قطعته على نفسها ..

بألا تذرفها أبداً ... لكن مرأى ثوب الزفاف الرائع ذاك ...

حطم دفاعاتها الصلبة كليا.. لما يفعل بها ذلك!!؟؟ ... لما أشترى لها ذاك الثوب الرائع ...!!!؟؟.. ذاك الثوب الذى تتطلع كل فتاة لأرتداءه لمن خفق له قلبها .. ذاك الرداء الذى ُيكمل الحلم الوردي بالعش الهانئ .. والاحلام التى أضحت واقع ملموس فى أحضان من تحب .. ..يا الله .. هتفت فى حشرجة بكاء ...لم تستطع كتمانه كثيرا ... ودموع فاضت .. حتى أفرغت كل مشاعرها.. فشعرت فجأه بخواء داخلى .. وألم فى مكان ما داخلها .. وكأنه جرح ينزف .. بلا توقف ..ثم أستدارت لتفتح باقى العلب ... يا له من وقح ..!!! ...صرخت فى استنكار .. انها الكثير من قمصان حريرية ومنامات ... ... واااهم ...هكذا صرخت ..

لن ترتدى مثل تلك الأردية أمامه ... حتى ولو توسل راكعاً

.....على الرغم.... من انها تتطلع لذاك اليوم

... بل يكاد يكون .. هدف حياتها الأن .. لكن لن يكون ثمن ذلك ..

أن تختال ...أمام تلك العيون المتفرسة... بواحد من أحد هذه الأثواب ..

والتى تفضح اكثر مما تستر ...واااهم صرخت من جديد ..

حمدت الله ... أن أبيها قد أحضر لها بعض من مناماتها.. عندما كان قادماً لإنقاذها من يد ذاك المتوحش... حمد لله

أن لديها البديل ... تنفست فى راحة ..

وأبتسمت فى تشفى.. وقدأستعادت صلابتها...

و قررت ان تتناسى جرحها النازف

وقامت لتستعد.. .. وهى .. تهتف فى داخلها بعزم ...

أحضرت ثوباً .....وحريرا.... وتريد زفافاً...

فلتجرب ... ولتقترب...أيها الغول ...

****

فلتستمتع بتلك اللحظة الخاطفة من السعادة ... التى لا تعرف متى تدق بابها من جديد .. دارت حول نفسها .. تتمايل فى رشاقة .. وهو تضحك لصورتها فى المرأه .. و ترسل لها قبلة فى الهواء..

كم أنا جميلة فى ذاك الثوب .. الجميلة والوحش .. هتفت ضاحكة

عليها ان تعترف .. لم يهمل شيئاً .. ولو بسيط .. فقد أحضر الثوب بكل ما يلزمه .. حتى غطاء الرأس والتاج .. المُطعم بالورود .. وباقة الزهر .. وحذاء يشبه حذاء سندريلا.. أه .. لو ينفك السحر وتعود عند الساعة الثانية عشرة لحجرتها فى بيت شأبيها ... وتكتشف ان كل ذلك كان مجرد حلم سخيف ..

... وتترك له الحذاء بفردتيه... وليس فردة واحدة .. فهى لا تريده أن يعثر عليها ....من جديد ...

طرقات على باب غرفتها ..أيقظتها من أحلامها...

دخل أبوها.. وما أن وقعت عيناه عليها ... حتى تطلع إليها فى حنان طاغى .. وأندفع يشملها .. بذراعيه ... رأت الدموع تتلألأ

فى مقلتيه .. لكنه حبسها فى براعة ... وقال فى هدوءه المعتاد

- بيستعجلونا .. خلصتى .. يا زهرة..

- أه .. خلاص يا بابا ... بس ماما وندى أتأخروا ليه...!!؟؟

- مش عارف يا بنتى ... الغايب حجته معاه .. هتلاقيهم هنا فى أى لحظة ... وسط الفرح ...لانهم ملقيوش طيارة غير اللى هتوصلهم متأخر دى ..

كان يكلمها بعيون زائغة مضطربة .. فهو لا يريد أن يزيد حزنها

حزنا ... ويخبرها برفض زوجته منيرة الحضور وإحضار ندى معها .. قالت له بالحرف الواحد ..:- أنا مش ممكن أجى وسط الهمج دوول اللى أنت وبنتك منهم .. ما يمكن عامل مصيبة تانية

تدفع ندى بنتى تمنها المرة دى ..

- يا الله يا بنتى ... العربية جهزت .. قالها لإنهاء أسئلتها عن أمها

وأختها ..وأخذ بيدها .. وما أن ظهرا خارج الغرفة حتى تعالت ..

الزغاريد من نسوة التهامية ...والذى أمتلاء بهن بيت عمها ..

شد أبيها على يدها .. وسار بها .. حتى سيارة عريسها .. والذى رغم عن خمارها الذى كان يغطى وجهها ... إلا انها أستطاعت

تمييزه بسهولة فمن يملك ذاك الطول الفاره.. والحضور الطاغى

حتى فى وسط كل ذاك الضجيج كان حضوره له صخباً يعلو على كل صخب.. ..تناول يدها من يد أبيها ...والذى نظر اليه نظرات ملؤها الغضب ... فرد عليه عاصم بأبتسامة لا ملامح لها

ودخل السيارة .. بعد أن ساعدها فى دخولها .. وبدأت الزغاريد تصدح من جديد ... وتصاحب موكب العروسين بالطبول والمزامير... والطلقات النارية .. التى لم تهدأ .. والتى كانت كافية

لإنهاء حرب ضروس .. بنصر ساحق.....

وتعالت الزغاريد من جديد عندما وصلت العروس لسرايّ الهوارى ..واستقبلتها سهام والحاجة فضيلة.. عند الدرج .. ليتركوا عاصم

ليذهب لمرافقة الرجال حيث المكان المخصص لهم ...ويدخلن

برفقة زهرة حيث تجتمع النسوة للإحتفال ...

رفعت الحاجة فضيلة ...الخمار من على وجه زهرة.. لتقف

مشدوهة لا تحرك ساكناً... تعجبت زهرة وكذلك سهام ... من ردة فعلها ... ولكن الحاجة فضيلة .. تمالكت أعصابها .. كالمعتاد من أمرأة فولاذية مثلها ... وأمسكت بيد زهرة لتجلسها... حيث المكان المخصص للعروس وسط النسوة المحتفلات.. لتجلس فى توتر .. تحاول ان تخفيه ... قدر استطاعتها... وتبتسم فى وجوه

مدعويها ابتسامات لا حياة فيها ... حتى انها انسحبت لفترة من الوقت ..وبحث عنها الجميع .. لتعود بعيون زائغة .. تنظر لزهرة فى صدمة .. وكأنها ترى شبحاً... وتبتسم ابتسامات بلاستيكية فى وجوة النسوة .. حتى لا تشعر إحداهن .. بذاك الصراع الدامى من المشاعر المتقلبة .. التى تجتاحها الان .. وخاصة عند النظر لوجة زهرة الصبوح ..

أستمر ذاك الطبل والزمر والنسوة اللاتي تبارين فى مهارات الرقص ... لفترة لم تعلمها زهرة .. فعلى الرغم من الصخب المحيط بها .. إلا أن صخب روحها كان الأعلى صوتاً... والأكثر تأثيراً....

تعالت الطلقات النارية من جديد ... وفجأة تعالت زغاريد النسوة

المجتمعات حولها .. وكأن هناك أتفاق ما .. ولم تدرك ذلك إلا عندما أخذت الحاجة فضيلة بيدها .. تستحثها على النهوض..

فنهضت بقدم متيبسة كأنها ثُبتت للأرض بألف مسمار ...تسير بخطوات آلية... لتصعد معها حيث الغرفة ... التى خُصصت

لهما..هى وعريسها....والتى هى فى الأصل غرفة عاصم

كانت فى الجانب الأخر من السراىّ ..بعيداً عن الصخب الدائر بالأسفل ... وصلت أخيراً...

وتعجبت عندما...قبلتها الحاجة فضيلة على جبينها... وتمنت لها السعادة..والذرية الصالحة..فلقد توقعت

منها هى بالذات ... معاملة مخالفة تماماً... لما تراه الأن ..

فتحت باب الغرفة .. وأدخلتها .. بعد أن قرأت بعض آيات من القرآن الكريم .. لدفع العين الحاسدة .. وجلب الفرحة والهناء..

وخرجت وتركتها أخيراً وحيدة... بعد كل ذاك الصخب الذى لازال

يدور بالأسفل .. والذى يصلها منه النذر القليل حتى غرفتها.. أغلقت نور المصباح .. فغرقت الغرفة فى الظلام ..

.... إلا من شعاع نور يتسلل برقة.. ..من نافذة الشرفة ...

أتجهت للنافذة تتلمس بعض من الهواء النقى

لعله يخفف من ألم الرأس الذى داهمها.. منذ وطأت قدماها..

أرض السرايّ....

... كان البدر مكتملا فى السماء...

تتخلله .. بعض السحب التى تغطى ضوءه فى بعض الأحيان .. فهمست تقول ... القمر مخنوق ذيي...

فقد سمعت أن هناك حكاية شعبية ما تتحدث عن القمر المخنوق عندما تحيط به السحب بهذه الطريقة

وهذا يعتبر نذير سوء... فيطلب سكان القرية من البنات العذراوات

الخروج من أجل الغناء للقمر لعل السحب تنقشع .. ويشع القمر نوره من جديد .. ويذهب طالع السوء ...

همست لنفسها ....وهل هناك طالع سوء .....أكثر مما أنا فيه الأن فى غرفة نوم ... أكثر شخص أمقته فى العالم ..

والليلة .. ليلة زفافنا ....

فُتح الباب فى بطء... فتشنجت مكانها ولم تتحرك ..

أغلق الباب .. ووقف مشدوهاً... مما يرى ...

تقف فى ضوء القمر .. والذى يلقى علي محياها .. شلالات من فضة .. تجعلها أشبه بالحوريات بذاك الثوب الناصع البياض...

والذى تتلألأ حباته .. كأنها تسبح فى بحرمن نور ...

هو يعرف انها جميلة ... بشرة مخملية بلون الحنطة .. وعيون واسعة بلون الجوز .. وقامة متوسطة الطول .. على الرغم من أنها

بالكاد تناهز قمة رأسها كتفه .. يستمتع دائما عندما يراها .. تتراجع

بضع خطوات حتى تستطيع أن تكون فى مجال أوسع للرؤية ..

عندما تحادثه ... جسم رشيق .. لا تخفى رشاقته .. ملابسها الفضفاضة فى غير مغالاة... أما شعرها ... فلم يراه بعد .. لكن يكفيه .. تلك الخصلات التى تتمرد من تحت حجابها .. تلقى التحية... والتى كانت كافية لتذهب بثباته ... ورجاحة عقله ...

أضاء الغرفة ... قائلا فى صوت أجش من بقايا تأثر :- السلام عليكم ...

- وعليكم السلام .. ردت وهى لم تتزحزح .. من مكانها..

أقترب منها فى هدوء ... بعد أن خلع عنه عباءته .. ووضع عصاه الابنوسية جانبا ... فتنبهت ... وزاد وجيب قلبها ...

وشعرت بأن الأرض تميد تحت أقدامها ... لكن .. لا .. لن تضعف الأن .. ستواجهه .. فهى لا تهابه ..

وضع يده على كتفها .. يحاول أن يديرها ...ليرى عينيها..

لكنه فؤجى بها .. تدفع بيده بعيداً...

همست بصوت خفيض غاضب يقطر مقتاً..

...:- أياك .. تفكر حتى.... أنك تلمسنى...

انكمشت على نفسها .. عندما وجدت أن لون عينيه قد

استحال للون عاصفة سوداء حالكة... فى عرض بحر يمور بالغضب ... وزمجر بصوت مكتوم يخرج من بين اسنانه ..مقتربا منها .. ناظرا لعمق عينيها ..

... وهو يقول :- عاصم الهوارى ... مبياخدش حاجة غصب

عاصم الهوارى ... لما يعوز حاجة ... بتاچى طايعة تحت رچليه ... وفى يوم .. عن جريب جووى .... هيكون ده مكانك ... يا بت الداكتورر... ناجى التهامي ...

لا تعرف من أين أتت بالقوة .. فى تلك اللحظة الدامية..

لتنطق ...قائلة فى تحدى :- يبقى خليك واثق ... أن اليوم ده مش هاييجى أبداً....

فترة من الصمت اعقبت صدى كلماتها الاخيرة...

وبالنظر لعينيه مجددا ....

أدركت ...أنها .. أيقظت الوحش...

.....من ثباته..

الفصل الرابع

وقف طويلا أمامها ...يرمقها بنظرات تصهرها... كانت عيناه .. مزيج عجيبا من المشاعر والأحاسيس المختلطة ... انها تعترف .... الأن ... انها بحق تشعر بالرعب ....وفجأة ...

وجدته يجذبها من ذراعها فى قسوة .. لتجد نفسها فى أحضانه

انها المرة الأولى .. التى تكون فيها قريبة بذلك الشكل الحميمى

من اى من كان ... انها تستشعر حرارة انفاسه اللاهثة التى تدل

على اضطرابه ... وثورة غضبه ... ان انفاسه تلامس وجهها..

وتلفح بشرته الندية ... كحرارة شمس حارقة .. فى يوم قيظ ..

وتلاقت عيناهما للحظات.. كانت نظرات مضطربة حائرة ..

تحمل الكثير من التساؤلات .. التى لم تجد من يجيب عنها ...

وأخيرا تكلم .. بصوت متحشرج ..على الرغم من الحزم الذى حاول ان يبطنه به :- أنا مبحبش اللى يراجعنى فى كلامى.. ..

ويرد على حديتى .. كلمة ..بكلمة ... سمعانى ...!!؟؟.. ثم استطرد ... فى جزل ... بصوت خفيض قريب من مسامعها...

وإلا .. صدجينى .. ساعتها ردى مش هايعچبك... لانه هايبجى.. واعر عليكى جووووى ... يا بت الناس ...

لم تستطع ان ترد بكلمة واحدة تستعرض بها شجاعتها.. وتحديها

لأوامره... فهى ليست من الحماقة... حتى تتحدى أسد فى عرينه

مدعية شجاعة زائفة ...ليس من الحكمة الأن أن تجذب أحدى شعرات الغول .. فهو لم ينم بعد ... لازال فى كامل يقظته... والأفضل ان تنحى الشجاعة جانبا .. حتى تمر تلك الليلة... على خير ...

وفجأة .. أطلق سراحها.. ودفع بها بعيدا عن ذراعيه..وهو يلهث.. بشكل ملحوظ..

وكأنه يقاوم حرب ضروس تستعر بداخله.. ويحاول فرض الهدنة .. بين طرفيها . ... زفر فى نفاذ صبر وهو يشير لحمام الغرفة الخاص قائلاً:- خشى .. غيرى هدومك.. وتعالى نامى ..

خلينا نُخلص من الليلة اللى مابينلهاش أخر دى ..

أخيرا أستعادت صوتها ... بعد أن عادت من الجحيم الدامى بين ذراعيه.. وهى تقول فى صوت خرج كأنه ليس بصوتها:- ممكن

تدخل الأول ... لو حابب .. يعنى .. ولم تكمل جملتها.. فقد سمعت زمجرته .. التى تعلن أن رصيدها من صبره قد أوشك على النفاذ .. فجذبت منامتها.. من حقيبتها واندفعت مهرولة..

إلى الحمام ...أغلقت بابه خلفها.. وظلت دقائق تسند عليه ظهرها.. غير قادرة على الأتيان بأى فعل .. يا آلهى...

انه بحق غول ... أغمضت عينيها فطالعتها صورة عينيه وهو ينظر اليها .. ففتحتهما على عجل ... ستكون تلك النظرات ..

سبب لكوابيسها... فى الأيام القادمة... العون يا آلهى.... هكذا هتفت لنفسها وهى تحاول التخلص من ثوب الزفاف الثقيل ..

وهى تنظر لنفسها .. فى المرأة .. لتطبع صورتها به فى مخيلتها

فهى لن ترتديه ... مرة اخرى ... هكذا فكرت .. فى حزن مزقها... كانت ستكون أسعد الفتيات حظاً لو أرتدت ذاك الثوب

الرائع ... لأجل من تحب ... ودمعت عيناها ... وهى تنزع الثوب عنها...وتضع نفسها تحت رزاز الماء الدافئ .. لعله يخفف بعض من آلام روحها العليلة ..و.. التى عاود جرحها

نزفه من جديد .. وعلى الرغم من رغبتها فى البقاء تحت الماء والهرب فى الحمام لأطول فترة ممكنة بعيد عن ذاك الوحش

المرابط فى الغرفة ... إلا انها فضلت الأسراع والخروج... فمن المؤكد انه ينتظر خروجها لينال دوره ...فهى لا تستبعد أن يحطم.. باب الحمام فى أى لحظة... لإخراجها.. إذا ما تطلب الامر ... خرجت وهى ترتدى منامتها...المحببة إليها.. وتضع

غطاء رأسها.. وما أن سمع باب الحمام يُفتح حتى تعلقت عيناه..

بمحياها...وهى تخط خارجه... توقع ان يراها ترتدى أحد الأردية الحريرية التى أشتراها لأجلها

... ولكن يا لأحباطه .. عندما وجدها تخرج بتلك المنامة العجيبة التى ترتديها..

نظرت هى إليه .. وشعرت بفرحة غامرة وهى ترى نظرات الأحباط تطل صريحة من عينيه ... وهى يراها لا ترتدى أثوابه الخليعة ... واااااهم ..... ولم تتهنى بأنتصارها المؤقت طويلا فقد وجدته يهتف فجأة ضاحكاً:- أدى اللى كان ناجص ... علشان الليلة العجيبة دى تكمل ...بجامة!!!... و عليها .....جط وفار..كمااان.!!!... كان يضرب كفا بكف .. وهو ينهض مستمراً فى ضحكاته التى زادت وتيرتها .. حتى أغلق .. باب الحمام خلفه...

خلع ملابسه واستدار ليضعها على المشجب فطالعه ثوب الزفاف

فأبتسم ساخرا... وهو يهمس قائلا:- هى جوازة... ولا أكتر..

خرج من الحمام ...ليجدها..وقد تدثرت بأحد الشراشف.. حتى عنقها.. ممددة...على أحد الأرائك.....

جيد انها عرفت أين موضعها بالظبط ... هكذا حدث نفسه ..ليكمل فى غيظ ...بت ناجى التهامي ..

.. وجد الصينية الزاخرة بأطايب الطعام والتى صنعتها أمه خصيصا..... من أجل تلك الليلة الميمونة.. ونمت على جانبى فمه إبتسامة ساخرة ....

رفع الغطاء عن الصينية ... وجلس شارعاً فى تناول عشاءه

بشهية كبيرة ... وأخيرا تذكر ... ان له عروساً.. وجب ان تشاركه الطعام.. فقال فى لهجة آمرة..وهو ينظر لتلك المتكفنة

بغطاءها..:- تعالى كليلك لجمة..

لم ترد عليه .. وكأنها لم تسمعه... فقال فى لهجة تنذر بثورة

عارمة:- انا ع كلمك... ولما ..أكلمك تردى علىّ... سمعانى.. قال الكلمة الأخيرة بلهجة تهديدية من الطراز الأول...

فأومأت برأسها .. وهى تقول بصوت متحشرج:-
مش جعانة..

...شكراً...

-مش بمزاچكِ.. انا لما اجولك كلى تاكلى... تعاااااالى...

انتفضت مع صرخته .. وهو يهتف بكلمته الاخيرة.. وقامت

لتجلس أمام صينية الطعام ...لتمسك.. بالملعقة بيد مرتعشة

ومعدة منقبضة... وأمعاء متقلصة حد الألم لكنها أكلت..

تحت تهديد نظراته المركزة عليها.. وكلما أدرك انها تتصنع تناول الطعام .. ينظر اليها زَاغراً فى حنق.. فتأكل على غير رغبتها ...حتى كادت تختنق ..

وأطلقت الشهادة ... وهو يقوم أخيراً من أمام طاولة الطعام

ليغسل يديه.. فتتبعه فى هدوء.. فتغسل يدها وتندفع لأريكتها

تتدثر بغطاءها ... وتحتمى من نظراته.. التى تحاصرها..

وأخيراً ... أغلق الأنوار .. ارهفت السمع لبعض الوقت

حتى غط فى نوم عميق... فبدأ النعاس يداعب جفونها

ويرسلها لدنيا الأحلام ... أو ربما الكوابيس ...

فهى تنام فى عرين الغول .. كيف لها ان تنسى ذلك !!؟

و ...مع تباشير الصباح الأولى ...

... دوت صرخة... جعلته.. ينتفض من مكانه....

ليهتف..فى جزع:- ايه... جرى ايه!!؟؟..

وتعالت الصرخات ... حتى شقت أرجاء السراىّ العتيقة..

لتوقظ كل قاطنيها...

لم يعرف ما يحدث ... كل ما استطاع ان يستوعبه بإدراكه المشوش ... من جراء الأستيقاظ فزعا ... هو تلك الصرخات

..وما ان انتفض من فراشه .. مهرولا لخارج الغرفة .. حتى

توقف فجأة... ليدرك أخيراً... أن تلك الصرخات .. مصدرها

عروسه التى وجدها متكومة... على أرض الغرفة تتلوى ألماً

اندفع اليها.. فى جذع.. يسألها فى تعجب:- فى ايه... !!؟؟..ايه

اللى جرى..!!؟؟

ردت وهى تتمزق..:- مش عارفة ..بطنى بتتقطع..

حملها بين ذراعيه... ليضعها على الفراش ..

ويدثرها ... ثم يندفع فى سرعة.. لخارج الغرفة..

ليكاد يصطدم بأمه وأخته سهام واللتان جذبتهما الصرخات

فتجاهلهما فى توتر هاتفاً:- يا أم سعيد ... فلبت المرأه النداء

سريعا... فهتف بها... :- شوفى ولدك فين وابعتيه يجيب

الداكتور بسرعة...

-ليه .. خبر ايه يا عاصم بيه!!؟؟ .. سألت المرأة فى جذع

- أنتِ هتحكى معاى.. همى وخلصى...أجابها فى حنق

-حاضر .. أها.. جوام..وركضت المرأه تبحث عن ولدها

عاد للغرفة التى دخلتها امه وأخته... مستفسرتان... عما

يحدث... ولازالت زهرة.. تتلوى ألماً...

كانت تحاول كتم صرخاتها .. خجلا .. لكن شدة الالم ..

كانت تدفعها .. لأن تعلو صرخاتها رغما عنها...

حاولت سهام تهدأتها .. بينما ظلت الحاجة فضيلة ..

عند رأسها .. تقرأ لها بعض آيات القرآن الكريم ..

مؤكدة .. انه الحسد .. وأعين النساء .. قد طالتها

أما هو فقد وقف ...متعجباً من حنان أمه .. تجاه زهرة

والتى توقع ان تكون اكثر المتعاملين معها شراسة وقسوة... أليست هى بنت ناجى التهامي ... والذى طالما

أزكت أمه ... الرغبة فى نفسه للأنتقام منه ...

كانت ملامح وجهه جامدة كالصخر .. لا تعابيرفيها

... دخل الطبيب مستأذناً...فتنحت النساء جانباً

وهتف عاصم فى ترحاب:- أتفضل يا داكتور.. اتفضل

تقدم الطبيب حيث ترقد زهرة .. منكمشة على نفسها..

وبدأ الطبيب فى فحصها ..

فتنحى جانبا .. يطل بوجهه على شرفة الغرفة.....

... حتى يستطيع الطبيب إنهاء فحصه ..

وأخيراً...قال الطبيب فى هدوء .. وهو يخط أسماء لأدوية .. يجب أن يتم جلبها فى الحال .. وهو يقول :-

الظاهر .. المدام .. كلت أكل تقيل عليها شوية .. واضح

انها مش واخدة على أكل الصعيد .... قالها الطبيب فى مرح

برئ .. وهو ينظر لزهرة.. .. أنا أديتها حقنة هتهديها شوية

.. لحد لما تجيبوا الادوية اللى كتبتها دى ... وألف سلامة عليها ..

- متشكرين يا دكتور .... ألف شكر .. هتف عاصم

- العفو يا عاصم بيه .. تحت أمرك فى أى وقت ..

- يا واد يا سعيد .. نادى عاصم على غفيره.. الذى ظهر

فى لمح البصر.. فقال له.. وصل الداكتور .. هم يا واد..

وألف شكر مرة تانية يا داكتور...وخد الروشتة من الداكتور

وهاتها وأرجع طوالى ...

- أوامرك .. يا عاصم بيه ..

اندفع عاصم عائدا لغرفته.. فوجد زهرة وقد استكانت...بين

ذراعىّ أمه ... وسهام تتطلع اليه... فى حزن ...

-ما تجلجش يا خوى هاتبجى بخير ...همست سهام

- إن شاء الله .. قالها فى لامبالاة...

جاءت ام سعيد مهرولة بالدواء ولتبلغ الحاجة فضيلة ...

أن نساء الهوارية جميعهم.. بالأسفل.. قد جاؤوا... لمباركة العروس..فى صبحيتها...

.....زفرت الحاجة فضيلة فى حنق:- وده وجته.. مكنوش

جادرين يتأخروا شوية... البنية تعبانة.. هاتنزل لهم كيف دلوجت.!!؟؟.....

نظر عاصم لها فى تعجب ...هل هذه هى الحاجة فضيلة التى يعرفها ...!!؟..

....استكملت حديثها محاولة تجاهل نظرات عاصم المتعجبة... روحى يا سهام .. استجبليهم... على بال ما أجهز وأنزلهم... وانتِ

يا أم سعيد جدميلهم الشاى والحلو على بال ما أحصلكم...

ثم هتفت فى ولدها :-....عاصم ... تعالى مكانى يا ولدى.... قالتها وهى تشير له ليجلس مكانها .... حيث كانت تحتضن زهرة....بين ذراعيها..

سار فى بطء .. لا يستطيع أن يتحجج بأى حجة... حتى لا يقترب منها ....يتعجب من حال أمه .. ولا يستطيع التفوة

بكلمة ... لوجود أم سعيد ...

كتم أنفاسه .... حتى غادرت أمه وخلفها أم سعيد ...

بصينية الطعام الكارثة ...

.. نظر اليها .. ببعض من شعور بالذنب يكتنفه.. فهو من ضغط عليها .. لتأكل على الرغم من عدم رغبتها فى ذلك...

نهض فى بطء... وحذر .....واضعاً رأسها .... على الوسادة..

نائياً بنفسه عنها.. جاذباً على جسدها المسجى الغطاء...

إلا انه سمعها تهمهم من بين أحلامها... بضع كلمات..

لم يكن يحتاج لأن يركز.. أو يرهف السمع ... حتى يتأكد

أنها ..تتمتم بكلمة..... أكرهك ...

أبعد ناظريه عن محياها ...تناول عصاه الابنوسية..

... وعباءته..... ليخرج من الغرفة لا يلوى على شئ ...

سوى أن يكون بعيداً.... عنها....

.....بعيدا بما يكفى ...

****

تجمعت نسوة الهوارية فى المضيفة الكبيرة التى ترتبط

بصحن الدار بردهة واسعة يقبع على جانبيها... غرف مختلفة أحداها كانت تلك التى قضت فيها زهرة ... أول ليلتين لها فى

سرايّ الهوارية ... هكذا تذكرت ... عندما مرت بتلك الردهة .

وتذكرت تلك اللحظات الرهيبة التى قضتها فى تلك الغرفة..

وصلت إلى حيث أجتمعت النسوة ..بعد ان أيقظتها سهام

معتذرة.... من أجل النسوة اللائي أتين لمباركة زفافها...

بعد ان تأكدت انها على ما يرام .... وما أن دخلت القاعة حتى أُطلقت الزغاريد.. ترحيباً بقدوم العروس ...أشارت لها الحاجة فضيلة حماتها... لتأتى وتجلس بجوارها.. فأطاعت فى خجل وأعين الجميع .. تتفرسها... ربتت الحاجة فضيلة على كتفها فى حبورتحاول أن تزيح عنها شعورها بالخجل والإحراج الذى سيطرعليها...

وبدأت فى تعريفها بنساء العائلة واحدة تلو الاخرى..

لكنها شعرت بشكل خاص بجو من العداء والغيرة الغير مبررة

تنضح من سمية أبنة عّم زوجها وأمها الحاجة رتيبة منذ وصلت للمضيفة وكلتاهما تتغامزان وتتلامزان ... وهى على يقين من انها الموضوع الأساسى لنميمتهما....

- والله ما حلوة .. ولا فيها ريحة الحلاوة...

همست سمية

لأمها تقصد زهرة...

- أه مهياش فى حلاوتك... لكن جدرت تميل عجل عاصم

واد عمك ... اللى عجله يوزن بلد ... وبجت مرته.. يا

خايبة... وانتِ اللى كنتِ جدامه من سنين ...ولا حتى

فكر يفاتح أبوكى او أخوكى .. بأنه رايدك ...

- ما تجلجيش ياما ... عاصم واد عمى محدش فهمه كدى..

ديتها كام يوم ... ويزهج منيها... وساعتها.. مش هيكون لحد غيرى..

-لما نشوف يا مخبلة... هايسيب المصراوية دى اللى لفت عجله

ويبصلك كيف!!!؟؟...

-هتشوفى ياما ... بتك هاتعمل أيه..!!؟؟ ...

قطعت استرسال نميمتهما... الحاجة فضيلة والتى لم يكن يخفى عليها ... فيما تتهامسان... فهى تعلم علم اليقين..

أن رتيبة زوجة غسان رحمه الله كانت منية فؤادها أن تزوج ابنته لعاصم ولدها ... لكن هذا من رابع المستحيلات ...

فهى تدرك بشكل قاطع .. انها ترغب فى ذلك طمعاً فى

المال والجاة وليس حباً فى عاصم أو تقديراً له ...

فهتفت الحاجة فضيلة بحزم :- أيه .. خبر أيه... يا حاجة

رتيبة .!؟؟.. ايه اللى واخدك عنينا ... وعن عروستنا الحلوة!؟؟...

أنتفضت رتيبة فى أضطراب قائلة:- لاه .. أها .. أنا أها..

وايه اللى ممكن يشغلني عن عروستنا الزينة دى ... وكمان

أدى نجوط العروسة... مرت الغالى ... ولد الغاليين...

ونهضت تضع حول جيد زهرة عِقد من عدة أدوار من الذهب الخالص..كادت زهرة أن ترده فى إحراج .. لكن

منعتها الحاجة فضيلة فى إشارة منها .. لأن ذلك غير جائز

وان رد الهدية يعتبر إهانة ... وردت الحاجة فضيلة ..

فى ثقة وحزم ..:- تعيشى يا حاجة رتيبة.. تتردلك فى صباحية سمية بتك .. بإذن الله... عن جريب ..

-تعيشى يا حاجة فضيلة ... وتفرحى بعوضهم... يا رب..

وأنهت دعوتها بأبتسامة صفراء... فمن تلك التى تستطيع

أن تضع نفسها فى موضع منافسة او ندية مع الحاجة فضيلة

أم عاصم الهوارى .. الذى يسوس البلد بأكملها ... بأشارة

من إبهامه...

تناوبت النساء واحدة تلو الاخرى فى تقديم هدايا الزفاف

لعروس عاصم الهوارى سيد شباب الهوارية ونجع الصالح

بأكمله...

عندما غادرت النسوة..كانت زهرة لا تستطيع السير من ثقل

الهدايا الذهبية التى ترتديها حول جيدها ومعصمها... ومازحت سهام قائلة:- هفتح محل دهب.... باللى أنا لبساه ده كله ...

انفجرت سهام ضاحكة .. وهى تقول :-عوايدنا بجى... تجولى أيه.. كل حاجة عندينا بزيادة...

-صدقتى يا سهام ... قالتها فى شرود.. كل حاجة عندكم بزيادة... بالذات الكره والإنتقام ... دووول بالذات ....

بزيادة قووووى....

لم تكن تدرك ... أن عاصم دخل المضيفة من بابها الخلفى

وسمع ما قالته...و...انتفضت هى عندما تنحنح فى قوة...

قائلا فى برود:- كيف حالك دلوجت !!! ... أحسن...!!!

-أحسن الحمد لله... تعبتكم معايا ...

هز رأسه فى نفى دون أن ينطق بكلمة.. بينما ردت سهام

فى لوم وعتاب محبب:- كيف تجولى كده .. دى أنتِ مرت

أخوى الغالية.. يعلم ربنا بعتبرك أختى ...

أبتسمت زهرة ممتنة للود الحقيقى الذى تظهره سهام.. بينما

قال عاصم فى هدوء :- تعالى يا داكتورة.. أبوى عايز يصبح

عليكى... وسار صاعداً الدرج وهى خلفه.. حتى وصل لغرفة أبيه... طرق الباب ودخل وخلفه زهرة... كان أبيه

... جالساً على فراشه الذى لا يغادره .....

أنهى صلاته فى خشوع .. ورفع رأسه ليطالع ولده.. فأنفرجت أساريره... مازحا.. :- يا مرحب بالعريس

وكاد أن يطلق مزاح خارج .. إلا أن زهرة خرجت

من خلفه .. لتتغير ملامح العجوز من المرح إلى الدهشة والتعجب... وهو يهتف فى ذهول:- فاطنة..!!!!؟؟؟

كان الحاج مهران الهوارى ... مشدوهاً عندما وقعت عيناه على زهرة... لكنه استدرك الأمر عندما تحدث عاصم فى هدوء :-

دى الداكتورة زهرة يا بوى ... بت الداكتور ناجى التهامي ..

رد العجوز فى تدارك ... :- أيوه ... أمال ايه .. ما أنا عارف

دى مرتك يا عاصم ..امال فاكرنى كبرت وخرفت يااااك...

-العفو يا حاج ..... أنا .. وقاطعه والده فى حزم قائلا:-

-انت تخرج بره دلوجت ... وتسبنى مع عروستك ...

تردد عاصم .. ولم يكن ينظر اليها .. هكذا لاحظت زهرة

إلا انه لم يستطع الا تنفيذ الأمر ... لم ترى جبروت ذاك

الرجل ينحنى... إلا أمام شخصين فقط ... أبوه وأمه..

خرج عاصم .. وترك زهرة .. تشعر بخجل وأضطراب

مع ذاك العجوز .. كان عاصم يشبهه فى بعض تفاصيل

الوجه.. وبعض اللمحات .. خاصة العيون السوداء.. الحالكة

إلا أن نظرات العجوز كانت تحمل الكثير من الحنو والرأفة

عكس نظرات ابنه القاسية التى دائما ما يوجهها إليها.. حاملة

سهام البغض والكراهية ... التى تغذى روحه ... تبسم العجوز

عندما ادرك بنظرته الثاقبة ما تعانيه من اضطراب ... فأشار

إليها .. لتجلس على طرف فراشه... فأقتربت فى آلية....

وجلست حيث أشار ...تفرك يدها دلالة على مزيد من التوتر

الذى يعتريها... تطلع اليها العجوز فى حنو .. ثم ربت على كفيها

المتشابكين .. لتهدأتها...

-كيفك يا بتى ... مليحة..!!؟؟..

هزت زهرة رأسها علامة الأيجاب ... ثم همست بصوت مضطرب:- الحمد لله...

-عارف انك هنا مش بخطرك..... وعارف انك بتدفعى تمن ذنب

أنتِ مرتكبتيهوش ... بس نجول ايه فى عوايد وتجاليد .. قتلانا

وحكمانا.. ذى الرحايا ... دايرة ومحدش بيجدر يهرب منيها...

إلا ابو جلب عاشج... عاشج بجد ... وابتسم العجوز فى حبور وهو

يتطلع إلى نقطة بعيدة خلفها وكأنه يرى من خلالها ماض ولى .. حين استطرد... أبوكى كان العاشج ده ...

-بابا ... !!؟؟ سألت زهرة فى تعجب

أومأ العجوز بالإيجاب ... وأكمل قائلا :- أنا بترجاكى يا بتى ... متزعليش من اللى حُصل ... وسامحى... عاصم ولدى يبان جاسى

وحش ذى ما بيجولوا عليه ... لكن مع عيلته.. وحباييه... جلبه رهيف... وأبيض من اللبن

الحليب... ولو حُصل منه حاجة أو زعلك فى حاجة.. تعاليلى.. أنا ذى ما أنتِ شايفة ... جاعد على

سريرى مبتحركش... اشكيلى .. وأنا أخد لك حجكِ منيه...

ابتسمت زهرة .. وشعرت تجاه ذاك الرجل الرائع بالأمتنان

فقد أحدثت كلماته الحانية فارقاً كبيراً... فى تخفيف بعض ما تعانيه من جراء تلك الأحداث المتلاحقة التى عاشتها منذ أن رأها عاصم للمرة الأولى....

أشار الحاج مهران لأحد ادراج الخزينة التى تتوسط غرفته

قائلا:- هتعبك يا بتى .. أفتحى الدرچ ده .. وهاتيلى ..

الصندوج الأبنوس اللى فيه..

أطاعت زهرة الأمر ..وأحضرت له الصندوق والذى عالجه

بمفتاح كان يعلقه فى صدره ... فتح الصندوق.. ليخرج منه

شئ ما ... ثم أغلقه ثانية.. ووضعه جانبا.. ثم قال لزهرة...

-جَربى...

أقتربت زهرة مطيعة أمره فأنحنى ليضع.... قلادة من الذهب

لم ترى أروع منها... نظرت متسائلة...فرد العجوز فى فرحة

وقد برقت عيناه...وهو يتطلع للقلادة فى جيد زهرة... دى

هديتى ليكِ... يا مرت ولدى الغالى ... حافظى عليها...

دى غالية علىّ جووووى ... دى بتاعت أمى الله يرحمها...

لكن الغالى ... للغالى ... قالها فى عاطفة فياضة وهو يربت

على خدها فى حنو بالغ .. جعل الدموع تترقرق فى مقلتيها..

لكم تفتقد أبيها وحنانه.. لكن الله عوضها بذاك الرجل الرائع..

لما ابنه ... لا يمتلك بعض من حنان ورقة قلب ذلك الرجل ..!!

سألت نفسها متعجبة.. وكيف يكون لرجل قاسى متحجر القلب مثل

عاصم لا يضع للمشاعر وزنا ... ولا يفكر الا فى الانتقام ... من أجل العائلة...وأسمها.. وسمعتها... أب بتلك العقلية.. المتفتحة..

والتى تلعن الانتقام .. وتبغض الدم ...

أخرجها العجوز من شرودها..وهو يقول:- جومى يا بتى لجوزك

وأسمعيها نصيحة من أب لبته...يمكن الوشوش ما تتجابلش تانى

أوعاكى تسلمى ... أوعاكى...

... خليكى نجمة عالية... تبجى للأبد غالية...لحد ما يأمر سلطان الجلوب... سمعانى .... لحد ما يأمر سلطان الجلوب... ساعتها

بس ... هاجولك ... انك بت أمك صحيح ...

تطلعت زهرة للعجوز الحنون فى حيرة .. وتعجب من كلماته التى تشبه الاحاجى... وهمت أن تسأله.. لولا إشارته لها بالأنصراف

دخلت فى تلك اللحظة الحاجة فضيلة .. وكانت زهرة على وشك الخروج... تنبهت للقلادة التى تزين جيدها ... فتبسمت وأغلقت

الباب خلف زهرة.. وتوجهت للحاج مهران متسائلة...:-

-عطيتهالها.. يا حاچ...

- أه ... أجاب فى وهن ...

جلست بجواره على الفراش .. تتطلع اليه .. فى دموع حبيسة قلما تراها تترقرق فى عيون الحاجة فضيلة الحازمة..

فتطلع اليها فى حنان وحب ...وسألت تدارى تأثرها...

-هى يا حاچ بت فاطنة .....صوح..!؟..هز العجوز رأسه إيجاباً...

فأستطردت.... أمال أبوها ليه كدب علىّ...

وجالى انها ماتت يوم ما تولدت... وأختى حصلتها.. بعديها بكام

يوم .. بحمى النفاس..

-أعذريه.... تلاجيه ساعتها كان خايف على بته بعد ما راحت أمها..الخوف يعمل أكتر من كِده...

-طب وبخيتة راخرة ها تكدب علىّ... ده إلا دى... ده معروفى

معاها لساته مطوج رجبتها... لا.. مش ممكن يا حاچ... صمتت بضع لحظات ثم قالت فى تأكيد ..: بخيتة.....هى اللى لازماً أدور عليها دلوجت ... علشان جلبى يرتاح..

-ريحى جلبك يا حاجة وأسألي بخيتة ... مع انها مش لازم لها سؤالات

زهرة كأنها فاطنة أختك... أول لما أطلعتلها... وكأن فاطنة الله يرحمها... جدامى....

أومأت الحاجة فضيلة... برأسها بالإيجاب على كلام زوجها...

فهى تذكر رد فعلها ... عندما رأتها للمرة الأولى.... وهى ترفع لها خمارها ... وكيف

انتفضت ... عندما أيقنت الشبه الصارخ... بينها .. وبين أختها الحبيبة... والتى رحلت عنها ...

لكنها تريد أن تقطع شكها باليقين .. والبحث عن بخيتة .. او بالأدق... الإرسال فى طلبها... وهى تعلم تماما .. من يمكنه

أن يدلها ...

****

خرجت زهرة من حجرة الحاج مهران الهوارى .. تتملكها الحيرة

وخاصة لتلك الكلمات التى أوصاها بها فى أخر كلماته...تتحسس

القلادة التى تزين جيدها... وهى تفكر فى مغزى تلك الكلمات ...

التى كانت كالأحجية بالنسبة لها ... كانت تتوجه لتبحث عن سهام

كانت تهرول .. وهى تهبط الدرج فى سرور ... عندما أصدمت

بحائط من الفولاذ .. لولا صلابته لكانا الأن ... كلاهما متكوم أسفل

الدرج...

هو ايضا كان يندفع صاعدا... لا تعرف لماذا !!؟؟ فهذا ..ليس من طبعه... كان دائما .... واثق الخطوة يمشى ملكا... فما ذاك الخطب

الجلل الذى .. جعله يخرج عن طوره... !!؟؟

لازالت بين أحضانه...تحاول الثبات بأقدامها على احدى الدرجات

لتبتعد عن تلك الذراعين واللتان تحيطانها كأحاطة السوار

بالمعصم... بدأت أنفاسها تضطرب وهى ترفع عينيها لترى

تعابير وجهه الجامدة ... والتى لم تكن تُنبأ... بأى تأثر ... نتيجة

قربه منها بهذا الشكل ... تنبهت ان عصاه الأبنوسية قد سقطت

من أعلى الدرج وأستقرت عند أخره.... بدوى مسموع

اما عباءته التى دائما ما يضعها على كتفيه.. فقد سقطت الأن متكومة.. بعد حوالى درجتان ...من

موضع كفاحهما للبقاء .. تنبهت لذاك الوريد الذى ينبض قرب صدغه...

والذى كان ينتفض فى ثورة ...وتمرد واضحين ...

أخيرا ... انتهت معركة البقاء ... وأبعدها عنه .. يلتقط انفاسه

فى تقطع .. تتابعه هى مذهولة... وهو يتمالك نفسه فى شموخ ..

كشجرة باثقة أحنت رأسها فى مواجهة العاصفة... لترتفع هامته

فى صلابة وثقة .. وكأن شيئا لم يكن .. مر بجوارها.. صاعدا

الدرج .. فى هرولة غير معتادة جعلتها تتيقن ان هناك خطب ما

تناولت ... عباءته ... ثم عصاه الأبنوسية ... وانتظرت لتعطيهم

له عند خروجه ... إلا انها وجدت سهام أخيرا... والتى كانت

ساهمة على غير عادتها ..

-سهام ... فى أيه ... أخوكى طالع يجرى .. وأنتِ مسهمة..

هو فى أيه بيحصل !!؟؟ ...

-عزيزة بتولد...أجابت سهام ... والولادة متعسرة...

-ربنا يقومها بالسلامة... ودى تقربلكم أيه!!؟؟...

أنفجرت سهام ضاحكة وهى تقول :- لا ... يا دوب جرابة من بعيد

..دى تبجى الفرسة بتاعت عاصم ... مجلكيش بيحبها كد أيه...

وعاصم كان طالع يغير خلجاته... علشان يجيب لها داكتور مخصوص من المركز ..الداكتور صفوت ... مساعد الدكتور عونى ..مجدرش يعملها حاجة... والدكتور عونى مسافر...

أحتاجوه ضرورى فى المزرعة فى مصر ..

ما ان همت بالكلام حتى سمعت أصوات أقدامه وهو ينزل الدرج مهرولا... تناول منها العباءة والعصا فى تعجل .. لم ينظر اليها

حتى ... وأسرع مغادرا من قبل ان تفتح فمها ..

نظرت لسهام فى حسرة ... وهى تقول :- يا ريتنى أقدر أساعد

-تساعدى كيف ...!؟ ... واضح ان الحالة واعرة بچد...

-انتى نسيتى انى دكتورة بيطرية ولا أيه !!!... يمكن أقدر أعمل حاجة... بس الخوف من أخوكى لو فكرنا نروح هناك ...

ظلت سهام ساهمة تفكر ثم فجأة هتفت بطريقة أجفلت زهرة ...

-طيب هساعدك تروحى هناك .. يمكن صوح تجدرى تعملى

حاچة تساعدى بيها لحد ما الداكتور اللى راح يجيبه عاصم ياچى

وربنا يستر..... هو فى عروسة تخرج يوم صباحيتها... ده ها يجتلنى... قالت الكلمة الاخيرة فى رعب حقيقى ...بچد ذنبى ها يبجى فى رجبتك.. يا صغيرة على الجتل يا سهام...

-وانا ذنبى ها يبقى فى رقبة مين !!!؟؟؟...سألت زهرة مازحة...

-هاروح اجيب لك عباية سودا من بتوعى تلبيسها ... وربنا يسترها

بجد ... قالتها سهام دون ان ترد على مزحة زهرة ... وتسرع الخطى .. حتى لا تغير رأيها...

سارت سهام جاذبة زهرة من يدها .. فى الاتجاه الغربى للنجع.. تتلمس الطرق الخالية من المارة ... وعلى الرغم من قرب إسطبلات الخيل من السرايّ... إلا انها ... باتت بعيدة فى أعينهما

نتيجة لخوفهما من ان يراهما شخص ما ... وما يمكن أن يحدث

بسبب تجرأهما على المجئ ... دون مشورة من أحد ...

وصلا أخيرا ... وقد بلغ بهما القلق مبلغه.. يلتقطان انفاسهما فى

تلاحق ..... وصلت الأثارة بزهرة أن سحبت سهام خلفها فى تلهف

حتى وصلا لمكان الفرسة عزيزة والتى كانت فى حالة يرثى لها ..

ما أن رأتها زهرة حتى غلبها شوقها... لمهتتها التى تعشقها بجنون... أقتربت من الفرسة فى هدوء محسوب .. رفعت الفرسة

رأسها كأنما تستطلع من القادم لأنقاذها... جلست زهرة بجوارها

تربت على رأسها وتمسد عنقها فى حنان .. أستطابته الفرسة ...

والتى أخذت تأن وكأنها تشكو لزهرة وجعها...تنبه الدكتور صفوت... والذى كان شاب لا يكبر زهرة بكثير ... جاء به الدكتور عونى... ليكون مساعد له...تنبه لتلك ... المتلهفة..

الغريبة التى أقتحمت المكان .. ونظر إلى سهام .. التى ظهرت خلفها بعدة خطوات لاهثة... نظرة استفهام عن كونه تلك الغريبة.. فردت سهام فى فخر:- دى الداكتورة زهرة مرت أخوى

عاصم .. يا داكتور ...

توجه الدكتور صفوت ..بالترحاب لزهرة... :- أهلا .. أهلا يا داكتورة .. شرفتينا... وألف مبرووك..

تنبهت زهرة لكلماته ... فخرجت من شرودها.. وتأثرها ..

-أهلا بحضرتك .. أجابت فى خجل ... ثم غلبتها طبيعة مهنتها

فسألت فى استفسار ... أيه حالة الفرسة بالظبط يا دكتور..!!؟؟

أخذ يشرح لها بعض الأمور الطبية التى لم تعى سهام كلمة واحدة

منها فأنزوت فى ركن جانبى .. تنعى نفسها.. على ما قد يحدث لها

من جراء تشجيع زهرة على المجئ إلى هنا ... أما زهرة فقد

تحمست بشدة وهى تقول للدكتور صفوت :- الأمر خير بإذن الله...

أنا أدربت كتير على الحالة دى ...وممكن أساعد .. علشان معتقدش

نقدر نستنى أكتر من كدة .. فى خطر على حياة الفرسة واللى فى بطنها.. وأكيد هحتاج مساعدتك يا دكتور...

-طبعا ده يشرفنى ... أنا تحت امرك.. ده حضرتك طلعتى زميلة

وشاطرة كمان ... قالها فى ود محبب... قابلته زهرة بأبتسامة مجاملة ... وبدأت عملها .. مرت حوالى الساعة أو يزيد... حتى أطلقت سهام زغرودة مدوية... حين أنتفض المهر الوليد ... يقف مترنحا... وصهلت عزيزة فى ضعف فرحة لأستقبال مولودها

الأول ..

أما زهرة فقد تنفست الصعداء... غير مصدقة إنجازها للمهمة

الشاقة والتى صفق الدكتور صفوت فى انبهار عند إتمامها

بتلك البراعة...

لمعت الدموع فى عينى زهرة هى ترى حنو الفرسة عزيزة على وليدها ..لطالما تمنت حنانا مشابها من أمها .. والتى لم تسأل عنها أو حتى تأتى لتحضر زفافها ... لا تعرف لما ذاك الجفاء!!؟؟

.. فلقد سامحها أبوها... فلما لم تسامح امها بالمثل .. لما حتى لم تسأل عنها ... فهاتفها المحمول فى حوزتها من بعد ما تأكد عاصم انها له بعد أن تم عقد قرانهما . ..فما حاجته

فقد ضمن أنه كبلها بالخوف على أبيها..

والولاء لعائلتها...

أستفاقت من شرودها ... على صيحات سهام وهى تحتضنها فى فرحة ... وانبهار حقيقى ..قائلة:- جدعة يا زهرة ... مكنتش أعرف انك داكتورة شاطرة كده... والله .. لما ياجى أخوى...

ها تبجى فرحته كبيرة..

وفجأة...هدر صوت كالرعد ..أثار الفزع فى نفوس الجميع...

الفصل الخامس

انتفض ثلاثتهم ... صفوت وسهام وزهرة ...التى وقفت فى شموخ

تدارى فزعها بكبرياء مثيرة للإعجاب.. عندما سمعوا صوته

الهادر يسأل فى غضب ... وهو يوجه حديثه لسهام أخته

التى انكمشت من الفزع .. ولزهرة .. التى منعها كبرياءها من ان تحذو حذوها... :- انتوا بتعملوا ايه هِنا... وايه اللى جبكم من الأساس!!؟؟... لم ترد أحداهن... فقط ضاعت الحروف وتاهت ..

وسط الثورة العاصفة المطلة من عينيه السوداوين ...

-يا عاصم بيه ... أ.. .. هم دكتور صفوت بالحديث إنقاذا للموقف

لكن عاصم لم يمهله.. فأسكته بإشارة من يده.. جعلته يبتلع كلماته

فى اضطراب ... واستدار اليه فى تجهم قائلا :-
متشكرين على مجهودك يا داكتور... مكافأتك محفوظة حلاوة جيام عزيزة بالسلامة... حاول ان يقاطعه صفوت ثانية موضحا ان المجهود

والفضل يعود لزهرة ... لكنه استطرد فى حزم ... تجدرتتفضل

يا داكتور ... ألف شكر .. وَيَا ريت تضايف الداكتور اللى جبته

معايا من المركز لحد اما أجيبه يعاين عزيزة وولدها...

لم يستطع صفوت الحديث من جديد ... فأستدار مغادرا... وهو ينظر باشفاق لكل من زهرة وسهام ...

ما أن غادر صفوت ... حتى انفجر بركان الغضب من جديد.. وكانت اول كلماته التى نطقها بصوت خفيض يقطر غضبا...:- مين اللى جابكم هنا ومن غير علم حد ولا بمشورة حد ..انطجواااا....صرخ بالكلمة الاخيرة فى ثورة عارمة

جعلت كل من زهرة وسهام تنتفض فى مكانها مذعورة...

توجه بحديثه لسهام التى كانت ترتجف رعبا ... وهو يقول .. أكيد دى شورتك ... مين ها يعرف يجبها هنا غيرك ... وكاد ان يتهور

ويرفع يده ليضربها .. إلا ان ذراعه توقفت فى منتصف الطريق إلى وجه سهام .. فقد وقفت زهرة فى المسافة الفاصلة بينه وبين أخته تحاول الزود عنها .. وهتفت فى حدة:- سهام ملهاش ذنب ...

أنا اللى غصبتها تجبنى هنا... هى مكنتش موافقة .. وأنا اللى أصريت...

كانت يده لازالت فى علوها ... نظراته المشتعلة تقابل نظراتها المتحدية والتى تلقى بشرارت مستهجنة فى اتجاه يده المرتفعة فى وجهها.... وما ان طالعته تلك النظرات المستنكرة..... حتى بدأت يده فى الانخفاض تدريجيا وهو يجز على اسنانه غيظا

هتف فى سهام أخته أن تنتظره بالخارج ..وألا تدع أحد يدخل دون أذن منه... فأندفعت فى رعب حقيقى مهرولة خارجاً... بينما ظلت هى معه

وحيدة.. يا ويلها لما فعل ذلك ..!؟.. تحرك فى خطى بطيئة أشبه بفهد جائع ... نظرات عينيه القاتمة تحاصرها.. وتجعلها تتراجع بشكل لا أرادى خطوات للخلف فى ذعر حقيقى تحاول مداراته بلا طائل .. أنقض فجأة على كتفيها .. يرجها فى عنف وهو يقول بصوت يغلى غضباً.. :- أنا مش حذرتك جبل سابج متراجعنيش فى الحديت .. مهما حُصل .. شكلك مبتتعلميش يا بت ناجى التهامي .. كرريها .. علشان يبجى فيها نهايتك.. ودفعها بعيدا عنه فى عنف..

و نادى على خفيره سعيد الذى ظهر من العدم كعادته ...:- حضر العربية يا سعيد... وخد الهوانم على السرايا...واتجه اليها فى حديثه وهو يقول :- هموا ... يااالله... ولينا فى السرايا كلام تانى... اندفعت كلتاهما فى سرعة تختفى من أمامه اتقاءاً لموجة الغضب الهادرة...

أما هو فوجه انتباهه كليا لعزيزة ووليدتها... وأرسل فى طلب

الطبيب الذى جلبه لفحصهما...ولإزالت تلك النظرات المتحدية...

قابعة امام عينيه.. لا تفارقها....

كيف استطاعت تحديه بتلك الجرأة..؟!... كيف استطاعت ان تقف

فى وجهه تتحدى غضبه...ومن أين لها...بتلك القوة..!!؟؟.. انها فى كل مرة تتحداه... تكشف له سراً جديداً من اسرار شخصيتها...

والتى .. لم يكن هناك من فرصة .. ليكشف أغوارها...

ويتوقع ردات فعلها...

... هدأت نفسه بعد أن أطمن على حال عزيزة ومهرتها الرائعة

و التى احتار ماذا يسميها... !!؟؟...

دخل السرايّ ... فبادرته أمه منادية أياه... فأستجاب مسرعاً

وتوجه حيث تجلس فى صحن الدار ..أنحنى مقبلاً رأسها..

وجلس صامتا...فنظرت اليه تثبر أغوار نفسه... فهو ولدها

قرة عينها.. أصطنعته على عينها.. تفهم كل شاردة وواردة

تصدر منه.... سألت فى خبث محبب:- مبرووك .. على المهرة

الجديدة... وعلى سلامة الغالية ... عزيزة.. وابتسمت فى حبور

عندما نظر اليها مبتسما... وهو يجيب :- الله يسلمك يا حاجة..

جابت مهرة... سبحان الخلاج..

-طاب.. ومش أجَل واجب تعمله... تشكر صاحب الفضل..

- انتى تقصدى مين !!؟؟.. الداكتور صفوت .. والله طلع

شاطر ... مكنتش مصدج... ده مكافأته كبيرة عِندى..

-داكتور صفوت مين!!؟؟.. أنا بكلمك على مرتك...

أنتفض عندما قالت كلماتها الاخيرة... فسأل فى تعجب:-

وهى أيه دخلها فى الموضوع .. وايه اللى يوديها هى وسهام

هناك لوحديهم... والمكان كله غفر ورجالة رايحة جاية..!!؟

-لولا مرتك وشطارتها... كان زمان عزيزة واللى فى بطنها

راحوا.. بعيد الشر.. سهام اختك حكيتلى اللى حُصل كله...

وكيف الداكتور صفوت مكنش عارف يتصرف لحاله.. ومرتك

بشطارتها هى اللى نجدت عزيزة... وبدل ما تشكرها ..

جيت عليها وعلى أختك... اللى مجطعة نفسيها بكا من ساعة

ما رجعوا من عِندَك ...

اتضحت الصورة أمامه كاملة.. تلك الصورة التى أعماه

عن أدراكها غضبه الهادر عندما وصل ليجد زهرة تقف

تضحك فى مرح مع ذاك الطبيب .. الذى يماثلها سناً تقريبا

وتتفافز كالأطفال وهى تحتضن سهام أمام ذاك الغريب

.....هى دائما جادة ومتحفزة تطل من عينيها نظرات التحدى تلك ... وكأنها شرارات نارية... قابلة للاشتعال فى أى لحظة وقد تعجب حقا عندما رأى منها ذاك الجانب الطفولى المرح..وقد كان احتجاجه فى الاساس على إظهاره امام ذاك الغريب .. الذى ضاحكته.. فى عفوية وبراءة.. ذاك جانب أخر ... يكتشفه ... فى زوجته... التى لم يعد يعرف كم من الجوانب ... تحمل شخصيتها..

ولا نريد أن نعرف .. هكذا سمع عقله .. ينطق فى إصرار..

كانت أمه .. تعرف ما يعتمل فى نفسه.. فلم تقاطع تلك الخواطر

أو تزاحم تلك الأفكار ...

لكنه قال فى هدوء... يقطع استرسال أفكاره عند هذا الحد :- أنا طالع .. أطيب خاطر سهام ...بس

ده ميمنعش انى مرضيش عن عملتها..... بس النية كانت خير ...

-ومرتك...!!؟؟... تسألت أمه فى خبث محبب ... وهى تدارى ابتسامة طلت رغما عنها على جانب فمها....

-خبر ايه يا حاجة .. مالك .. بتحاميلها ليه كده..!!؟... مش دى بت ناجى التهامي برضك .. اللى جبتها لحدك علشان تشفى غليلك منيه.... خبر ايه بجى!!..ايه الحنية .. اللى ع تعامليها بيها دى..

وخوفك عليها .. وعلى زعلها... ما تتفلج...

لم تجد أمه .. ما تسطيع ان ترد به .. انه محق .. لكنه لا يفهم

لما تفعل ذلك .. لما تغيرت فى مشاعرها تجاه زهرة بهذا الشكل المتناقض ... لو انها تأكدت ان زوجة ولدها هى حقا ابنة اختها العزيزة ... لو انها فقط تسمع كلمة من بخيتة خادمتها وحلقة الوصل التى كانت بينها وبين اختها الراحلة .. كلمة فقط تؤكد بها شكوكها التى تصل لحد اليقين ...لكنها لا تعرف كيف يمكنها ان تخبره بكل تلك الشكوك والظنون .. وكيف ستكون ردة فعله عندما يعلم ان

من حثته طوال سنوات للأنتقام من ابيها .. هى ابنة خالته..

وآخر ما تركته من ذكراها ... ولابد من تكريمها .. لا أهانتها والانتقام من ابيها عن طريقها ...

لم يجد رداً يشفى فضوله.. وطال صمت الحاجة فضيلة..

فنهض مسرعا متوجها لأعلى حيث غرفة سهام...

لكنه أخذ يفكر ... فى شخصا أخر ... شخصا مدينا له..

بفرحة كبيرة ...

خرج من غرفة سهام بعد أن طيب خاطرها.. عيناه معلقتان

بباب حجرته... جذبهما بعيدا .. وهو يهبط الدرج .. ويتوجه للخارج... مع تطلع أمه إليه .. دون ان تعقب بأى كلمة...

لم يعد إلا متأخرا... كان كل من فى السرايّ قد خلدوا للنوم..

دخل حجرته... أشعل الضوء .. كان يعرف انها لازالت مستيقظة

انتفضت مكانها .. عند دخوله.. تجمع أطراف غطاءها حول جسدها...خلع عباءته ... ووضع عصاه الابنوسية جانباً..

جلس على طرف الفراش .. يخلع حذاءه ذى الرقبة العالية..

وقال بصوت أجفلها كالعادة.. :- هاتى المداس.. وهو يشير لنقطة

ما أسفل خزانة الملابس... حيث يقبع خفه المنزلى...

أتقدت عيناها غضباً وحنقاً...وهى تنظر حيث أشار ...ولم تحرك ساكنا ... وتجاهلت ما أمرها به للتو ... فنظر من جديد فى نفاذ صبر .. وهو يهتف حانقا:- .. بجولك هاتِ المداس ... اتحركى..

لم تحتمل اكثر من ذلك ... فأنتفضت وخرجت من تحت دثارها الذى ألقت به بعيدا فى ثورة ... وهو تقول :- أنا مش جاريتك

اللى أشترتها.. أنا الدكتورة زهرة ناجى التهامي ... قالتها فى تفاخر

وعزة حقيقية .. وَيَا ليتها لم تفعل ...

فقد نهض فى تثاقل مريب ...يسيرباتجاهها ..
نظرت حولها .. تتلمس العون .. لكن إلى أين يمكنها الهرب .!؟.. وهو فى خطوة

واحدة .. كان ممسكاً بها .. جذبها فى عنف ليلتصق ظهرها

بخزانة الملابس ويشل حركتها تماماً وهو يحاصرها بجسده

الرجولى .. وطوله الفارع.... كان يقيد حركة ذراعيها .. الذى قبض عليهما بكفين من فولاذ ... نظر فى عيونها مباشرة وهو يقول .. أنتِ هنا أجَل من جارية.. الجارية.. بيندفع تمنها.. لكن

أنتِ هنا ببلاش .. تخليص حج.... وأقترب من أذنها.. هامساً:-

أنا نبهتك .. متراجعنيش فى الحديت .. ولا لاه..؟؟؟!!..

...ودى المرة التالتة...

والتالتة .. أيه .!!؟؟.. تابتة.. يبچى متلوميش إلا نفسك ...

أقترب منها ... انفاسه الكارقة تلفح وجهها .. ونظراته
تشتعل ببريق عجيب ... مزيج من الغضب والرغبة فى
السيطرة على جموح روحها ... كانت تنتفض داخليا بحق
لكنها لم تشأ ان تشعره بسيطرته وتأثيره عليها .. لذا التزمت
أقصى درجات ظبط النفس .. وهى ترفع هامتها .. لتنظر لعينيه بجرأة ورغبة عارمة فى تحديه .. هى نفسها لا تعلم من أين واتتها.. لكنها كانت ممتنة لها .. قابلت نظراته العابثة والتى تشير لإدراكه .. لما يعتمل فى نفسها من مشاعر ..بنظرات حادة قاطعة ..
لسان حالها يقول .. الا روحى .. لن تستطيع أسرها ولو بعد مليون عام ...
إياك ان تفكر حتى .. فى ان تلك الروح الوثابة .. يمكن ان
تهابك لأى سبب من الأسباب ... لقد نلت ما أردت ..

وجاءك إنتقامك على طبق من ذهب .. لكن روحى .. انت واهم .. بل حالم .. لو اعتقدت لحظة انك قادر على كبح جماحها وترويضها .. كفرسك المحببة.. واهم بحق ..

ما ان تصادمت نظراتها المتحدية.. بنظراته النارية .. التى

كان لايزال يرمقها بها .. حتى عقد حاجبيه .. يحاول مداراة دهشته التى طلت من عينيه تزاحم التحدى ..ظل لحظات يرمقها بتلك النظرات المندهشة .. وأخيرا .. وعلى حين غرة

أطلق سراحها .. ليبتعد فى صمت عجيب .. ويتناول عصاه وعباءته... ويخرج من الغرفة .. ويغلق الباب خلفه فى عنف جعلها تجفل ...

****

اندفع للحجرة فى ضيق وتوتر و هو يفتح خزانة ملابسه ... ويتناول بعض الملابس منها ويضعها فى حقيبة سفر أنيقة..

... وهو يتحرك ذهابا وايابا.. فى الغرفة يضع متعلقاته ... اتجه للحمام ليأخذ حماما ويرتدى

ملابسه .. بحثت عن جوالها ..تريد ان تطمئن أبيها على حالها .. وربما استطاعت محادثة أمها وندى ..انها تفتقدهما بحق...ها هو.. وقد وجدته قابع على المنضدة بجوار الأريكة حيث تتركه دائما ..

لكن ما تلك العلبة من القطيفة القرمزية .. ومن تركها هنا !؟؟

تناولت العلبة فى فضول ... وهى تتطلع لباب الحمام .. مخافة ان يُفتح فجأة.. لكنها لازالت تسمع صوت انسياب المياه ..

فأطمأنت .. وفتحت العلبة فى حذّر ... وأخيراً طالعتها...

حلى ذهبية ... قمة فى الروعة والجمال ..

والأروع ... انها منحوتة ببراعة على هيئة زهرة تلمع فى فروعها ماسات صغيرة ... تتألق فى فخامة...

أُخذت من جمال الحلى الذهبية.. لكن لم يكن ذلك ما جعل وجيب قلبها يرتفع .. وإنما تلك البطاقة الرقيقة الموضوعة بعناية أسفل الزهرة الذهبية...
أمسكتها... بأنامل مرتعشة

وفضتها فى سرعة ... لم تع شيئا منها لشدة توترها ...

فأعادت القراءة من جديد محاولة التركيز ..

"أهديتنى زهرة ... فأهديتك مثلها ... شكرًا .."

ماذا يقصد !!؟؟... سألت نفسها ... ما تلك الزهرة التى أهديته

إياها .. انا لم اهديه اى زهور ... !!؟؟..لم يمهلها عقلها .. للأستطراد .. بل هتف بها فى. ضيق ... لا يهم ذلك كله .. الأهم الان هل ستقبلى هديته!!؟؟.. انتفضت كالمذعورة.. وهى تجيب ... فى صوت عال.. لا طبعا ... وأخفضت

صوتها عندما لاحظت علوه المفاجئ .. وتناولت العلبة القرمزية ... وألقتها فى الحقيبة المعدة لسفره...

هى لا تحتاج لهدايا ذهبية ...وخاصة منه ... يشكرها .!!! ولما يشكرها !!؟!؟.. كان الاولى به ان يعتذر ... عن الطريقة التى عاملها بها ...لكن طبعا ... الغول .. لا يعتذر .. الغول يهين كرامتى ... ويذل كبريائى ... لكن لا يعتذر ..

لا اريد هديته مهما كانت روعتها .. كلمة اعتذار من ذاك الوحش .. ستكون اكثر قيمة بالتأكيد ... بل انها لا تقدر بثمن ...

خرج أخيراً... من الحمام ... ورأها جالسة فى هدوء مريب

لم يعلق ... وشعرت هى بنظراته القاتمة التى تنصب عليها

وتحاصرها ... انه قادر عن سبر أغوار نفسها وقراءة ما تفكر فيه بشكل تعجز عن فهمه وادراك كيفيته...رفعت نظراتها بشكل لا أرادى ... لتجده وقد بدل جلده من جديد ...

فها هو يرتدى ملابسه التى رأته بها للمرة الاولى ...

بعيدا عن جلبابه وعمامته وعصاه الابنوسية ... انه يثير تعجبها ...

... فها هى تراه شخصاً أخر لا يمت للوحش الذى يمثله ... ذاك الرجل ... الذى يرهبه الجميع .. ويضعوا لكلمته .. ألف أعتبار ... ولا يستطيع أحد معاداته ... والوقوف فى صفوف منافسيه ... قالت

لنفسها ...جاذبة خواطرها ... بعيداً عنه ... لابد من الهرب ...

اندفعت للحمام هاربة .. ولم تكن تعى انه .. ألقى نظرة سريعة .. على الطاولة حيث وضع الهدية .. لكنه لم يجد

العلبة القرمزية .. فأدرك انها .. قد رأتها .. ولكن أين هى يا ترى..!!؟؟..

فتح الحقيبة للمرة الأخيرة ... ليضع فيها .. أحد الأغراض

الإضافية ... فوجد العلبة فى احد أركان الحقيبة .. ملقاة بأهمال...والعجيب .. انه لم يغضب لفعلتها.. والتى لا تعنى

الا شيئا واحداً ... رفضها لهديته...لكن على العكس ابتسم فى

شقاوة ... وحمل العلبة مرة أخرى ... ليلقيها.. فى حقيبتها هى ... والتى لازالت تحمل ملابسها التى رفضت ان تضعها

فى خزانة الملابس ... حيث تم إفراغ جزء خاص لها .. قبل الزفاف ... لتضع فيه ملابسها...

همس وبريق عابث يلمع فى عينيه ... وهو يشعر بانه يلعب

لعبة القِط والفأر معها... ولما لا ..!!؟؟...

واندفع خارج الغرفة فى اللحظة التى خرجت فيها من الحمام

..حتى انه لم يلق السلام مودعاً....لم تعرف كم سيغيب لكن محتويات حقيبته تدل على انه سيتغيب على الأقل ....

من أربعة أيام ... لأسبوع كامل ...

اندفعت للفراش ...الذى اشتاقت له ... أخيرا ستنام على فراش وثير بعيد عن تلك الأريكة التى أرهقتها..

اندفعت تحتضن الوسائد فى فرحة طفولية ...

ستكون تلك الغرفة لها .. ولأسبوع كامل .. ستعيش حريتها

المفقودة ... ستنام فى أرديتها الحريرية... وتخلع حجابها ..

وتعيش فى هذة الحجرة ... كل ما أفتقدته .. فى الايام القليلة

الماضية ... ستتحرر من كل قيوده... ومن حضوره الطاغى

وأنفاسه.. التى تؤرق نومها ... فى كل ليلة ..

وانتفاضاتها وفزعها.. كلما شعرت بحركة ما فى الغرفة

... أخيراً ... ستتحرر .. من كل هذا ...

وتهنأ .. ولو لبضع أيام ... فى حرية ... وإنطلاق ...

.....بعيدا عن قيود الوحش ...

اندفعت ... لحقيبتها... تنتقى منها ما تشاء ... من منامتها واردیتها الحريرية التى اشتاقت لها... وفجأة .. أصدمت كفها

بشئ ما ... مخملى الملمس.. لم يكن الا العلبة القرمزية .. التى تحمل هديته اليها ...

امتعضت ... لكنها لم تستطع ان تقاوم ... بريق الزهرة اللامع ... فأخذت تتحسسها بأنامل ... رقيقة...

...لم تكن تعلم ... ان له ذاك الذوق الراقى ... انه ادهشها

صراحة ... لكن ... الذى لا زال يدهشها ... ويثير تعجبها

هو تلك الكلمات المرافقة لهديته ... لازالت لغزا... بالنسبة

لها ...

تنهدت ... ووضعت الهدية على الطاولة بجوار الفراش...

وتدثرت...وراحت فى نوم عميق ...

تحاول ان تبتعد عن كل ما يخصه... ويحمل اسمه...

لكن ... هيهات ...

فها هو ... قد سبقها... ليحتل أحلامها ...

ليقبع هناك ... ماثلاً... يأبى الرحيل ...

حتى فى أحلامها ... لا تستطيع الخلاص منه ...

ولكن منذ متى ... يمكن الهرب ... من الغول ...!!؟؟

****

اندفعت سهام ... فى شقاوة .. كعادتها .. لحجرة زهرة..

والتى مازالت مستغرقة فى نومها العميق...لتهتف ..

-ايه ... يا خلج.. كل ده نوم ..!!؟... لو كان عاصم اخوى هنا...

... لم تُكمل سهام كلمتها .. فلقد استفاقت زهرة دفعة واحدة

عند ذكراسم عصام ... ثم هدأت .. عندما وجدت نفسها

على الفراش وتذكرت سفره منذ عدة ساعات للمزرعة..

اسبوع كامل ... قبل سفره... كان يشبه هدنة الحروب ... لم يكن يتواجد فى السرايّ لوقت طويل ... ولا يأتى إلى غرفتهما إلا متأخرا

يتسلل فى هدوء ليلاً ... لينهض مبكراً... ويغادر فى هدوء .. وتساءلت ... عندما ذكرت سهام اسمه فى عفوية ..

.. ألهذا الحد مجرد ذكر اسمه يرعبها ..!؟.. او ربما ..

ذلك تأثير تلك الأحلام ... التى راودتها... والتى كان هو

بطلها الأوحد بلا منازع ... يا آلهى .. ألا يمكن .. أن يتركنى لحالى أهنأ فى وحدتى حتى فى احلامى

حدثت نفسها فى ضيق اخرجها منه .. صوت سهام .. وهى تهتف .. ايه .. هو احنا هنجضى اليوم نوم ولا ايه ..!!؟؟..

-وانتِ عيزانا نعمل ايه يعنى !!؟؟.. سألت زهرة .. فى تعجب ...

- جومى... فوجى كده .. وانا هفرجك على ارضنا.. يا الله

هجوم بدور المرشدة السياحية ..وامرى لله ...

قفزت زهرة فى فرحة ... يعنى ممكن نخرج.. !؟؟

-أمال أنا بجول أيه ... أنا استأذنت من عاصم جبل ما يسافر

يا الله ... جومى بجى ...

-طيب ..طيب..... واندفعت زهرة من فراشها .. ولم تع .. انها ترتدى رداءها الحريرى .. الا بعد ان شهقت سهام فى إعجاب ....:- ايه الچمال ده ... !؟؟... يا عينى عليك يا عاصم ... مسافر .. وسايب الچمال ده كله ...

أحمرت وجنتا زهرة خجلا ... وهى تبتسم لسهام فى محبة

وهى تقول ... فى نفسها .. معذورة .. فهى لا تعلم .. ان أخيها... لم يرى .. أى من مفاتنها ... فهى زوجة مع وقف التنفيذ ... فلولا كبرياءه ليلة زفافهما والذى تدين له

بالكثير .. لكانت أصبحت منذ ليلتها زوجة بالفعل رغما عنها... كما كان كل شئ رغماً عنها ...

إن كان لعاصم الهوارى حسنات ... فتلك هى الحسنة

الوحيدة التى قام بها لأجلها ...

أنه لم يفرض نفسه عليها كزوج ... له حقوق ..

بل انه .. عاملها كأسيرة حرب ... حتى إشعار أخر ...

خرجت مع سهام ... حتى الجانب الشرقي من النجع... حيث تقبع أراضى الهوارية ... الشاسعة ... والتى تمتد حتى حدود الجبل الشرقي ... والذى يظهر قابع بقمته السامقة... لماذا ..

ذكرها ذاك الجبل .. بشخص ما !!؟.... شخص .. قادر على القفز .. بدون أى احترام .. او استأذان لأفكارها وخواطرها ... هتفت له فى نفسها ... أيها المتطفل ... لما لاتبقى بعيداً.. عن خواطرى وأحلامى ... مثلما انت بعيداً... عن واقعى .. ولو لبضع ايام ... بضع ايام فقط .. أخذ فيها هدنة منك..

هدنة رجاءاً ... من محيا عاصم الهوارى .. الذى لا يفارقها... والذى بدأت تضيق به ... فى صحوها .. ومنامها...

أيقظها صوت سهام من شرودها ... وهى تهتف ..

مشيرة للجانب الأخر ... بصى يا زهرة ... والجانب ده

فيه أرض عمك جَدرى وأبوكى...

كانت المرة الاولى طبعا ... التى ترى ارضهم فيها فهى فقط على علم بأن لهم أرض يتولى حسام بن عمها قدرى

الأشراف عليها ...

مدت نظرها ... إلى حيث تشير سهام ... فتنبهت من بعيد

لخيال يقترب منهما ... وعندما اقترب ذاك الشخص تبينته...

انه حسام بن عمها ...

وقف أمامهما يلقى التحية .. فى جدية تامة كعادته ...

لا يخلو وجهه من عبوسه المعتاد ...

-مرحب يا داكتورة... ..قالها متجاهلاً.. إلقاء التحية على

سهام ..

-أزيك يا حسام .. أخبارك ايه .. وأخبار عمى.. يا رب

يكون بخير ...

-بخير الحمد لله... رد ولازال تجاهله لوجود سهام مستمرا

مما جعلها تتململ فى وقفتها...

-دى سهام ... أخت عاصم .. قالتها زهرة .. حتى تخفف من

الاحراج الذى شعرت به من جراء تجاهله لسهام ..

-أه .. .. رد فى عدم أهتمام..

-أتجابلنا جبل سابج... يا زهرة... قالتها سهام فى حنق

-مفتكرش إنى شفتك جبل سابج... قالها بلا مبالاة... كاذبا...

فقد عرفها منذ طالع محياها من بعيد وهى تقف مع زهرة

تلك الفتاة المرحة ...التى كانت تشاكس الفتيات .. عندما أتت

لدارهم ... يوم زفاف عاصم وزهرة...يذكر كيف انتزعت ابتسامته...بشقاوتها ... وكيف تعلق بتلك الابتسامة الطفولية

التى لم تختفى عندما فتح باب دارهم ناقماً على الطارق

فطالعته ابتسامتها.. التى كانت أول ما أشرق على وجهه العابس ...

-لاه اتجابلنا.. يوم ما جيت داركم .. وفتحت لنا الباب انا والبنات ... أزاى أنسى ... هو فى حد يكشر كده ويتنسى...

نظر اليها فى غضب ... اشتعلت به عيناه الصارمتان...

فأدركت زهرة أن سهام قد أشعلت الفتيل .. فجذبتها..

من يدها فى قوة مبتعدتان وهى تقول لحسام :- سلم لى على عمى .. وقوله انى باذن الله هزوركم قريب ...

هز رأسه فى تفهم ... واستدار مغادراً هو الاخر ... موجها

نظرات نارية حيث سهام ...التى بادلته إياها فى حنق تام ..

وتمنت ان يحترق بها ...

..... ذاك العابس .. والذى لم تزور الابتسامة شفتيه أبداً ...

ولم تكن تعلم ... انها هى ..

... كانت ذات مرة ... سبباً... فى تلك الزيارات النادرة..

****

اندفعت أم سعيد لتنادى زرزور... فى حماس ... فهو يظل

قابعا .. فى الطرف النائى من الحديقة المحيطة بالسرايّ ..

حيث تم بناء حجرته ... والتى أمرت ببناءها... الحاجة فضيلة... عندما قررت بقاءه فى السرايّ .. لخدمة ابنها

عاصم منذ كان طفلاً ... عندما جاء زرزور للسرايّ

للمرة الأولى كان عمره الثانية عشرة تقريباً .. فاقد للنطق ..منبوذاً من الجميع ...و لا يعلم أحد ....

من أين أتى ..!!؟؟... وكيف ظهر فجأة.. فى قلب النجع..!!؟؟

ومن أبويه ..!!؟؟...حتى اسمه الحقيقى ... لا يعلم به احد ..

يعرفه الجميع بأسم زرزور...ولا يعرفون له اسماً أخر ..

حاد الذكاء ... يدرك ما يدور حوله ... لكنه بلا حول

ولا قوة ... يعشق خدمه سيده عاصم ... الذى كان يحسّن

معاملته... ويفضله على جميع خدمه ... ويستثنيه بمجالسته ... وأحيانا ببعض أسراره.. وهل سيجد أفضل

من خادم أخرس ... لحفظ أسراره ... وكتمانها... !!!؟؟

اندفع زرزور من غرفته ... عندما سمع نداء أم سعيد..

كان يعتقد ان سيده عاصم .. قد عاد من سفره ... فقد

مرت ثلاث ليال على غيابه .. لكنه كان مخطئ ..

فقد أشارت أم سعيد للسرايّ .. وهى تقول :- الحاجة فضيلة

طلباك فى السرايا ... روحلها على المُندرة .. حالاً.

هز رأسه مؤكداً على فهمه للمطلوب واندفاعه لتنفيذه

فى ثوانى معدودة ...

فما هى الا لحظات حتى كان يقف على باب المضيفة..

ينتظر الأذن بالدخول ..

فأشارت له الحاجة فضيلة ... فدخل فى تردد مطأطأ الرأس .

-أنت لِسَّه بتجابل أمك ..!!؟؟.. سألت الحاجة فضيلة

سؤالها بشكل مباغت جعله ينتفض ..ويجيب

فى تردد بإيماءة من رأسه ... أن نعم ... ثم أشار بيده

فيما معناه... أن ذلك .. على فترات متفرقة و طويلة...

-أنا عايزة النمرة بتاعت المحمول بتاعها لو كان عنديها... أو أى نمرة أعرف أوصل لها بيها ... وأكلمها...

أشار زرزور .. مستفهماً...

-واااه... أنت هتحجج معاى ولا أيه...!؟؟؟....سألته بغضب جعله ينتفض ...

أشار زرزور رابتاً على صدره.. طالباً السماح ... فأشارت له بالأنصراف حتى يحضر الرقم الخاص بأمه مسرعاً... ثم يعود من غرفته وهو فى حيرة .. لما يا ترى تريد الحاجة فضيلة التواصل مع أمه بعد كل تلك السنوات..!؟؟ .. هل قررت كشف المستور

... أم لماذا ... يا ترى !!؟؟؟...

سلمها الرقم لاهثاً .. فأشارت له بالخروج ...

و اندفعت هى تسرع الخطى صاعدة الدرج..

حتى وصلت غرفتها ... تلهث من فرط الأثارة..

أخيرا ستعرف ما كان يؤرقها .. منذ اللحظة

التى رأت فيها زهرة ... للمرة الأولى ...

جلست تلتقط انفاسها ... تمسك بجوالها ... وبقصاصة

الورق ... التى تحمل رقم الهاتف ... ترتعش أناملها

وهى تضغط الازرار ... وتخطئ .. فتعيد الكرة

من جديد ... وأخيرا ... سمعت الرنين فأخذت تلتقط انفاسها

بصعوبة تنتظر الأجابة التى جاءت اخيرا...بعد ثوان مرت كدهر كامل ... ألتقطت انفاسها وهى تجيب :- كيفك يا بخيتة... لساكى فكرانى ... !؟!.

الصمت على الطرف الاخر كان هو السائد لعدة لحظات

حتى أجابت بخيتة فى صوت متهدج:- كيفك يا حاجة

فضيلة... أنتِ اللى لِسَّه فكرانى .!؟... وفاكره واعدك

ليا.!؟ .. ولا خلاص ... معدش هيرچع الحج لصحابه...

-بلاش تفتحى بالجديم يا بخيتة ... لِسَّه مأنش الأوان

- أُمال... ليه كلمتينى .!؟؟... خير .!؟؟.. أصل مكالماتك عزيزة ولازماً فى حاجة صعيبة جووووى اللى تخليكى تفتكرى بخيتة الغلبانة .. بعد السنين دى كلتها...

أزدرت الحاجة فضيلة ريقها بصعوبة... وهى تقول :-

أختى فاطنة... وبتها... ماتوا صوح ... ريحينى ..

محدش هيجولى الحجيجة غيرك ... يوم لما فاطنة ولدت

جولتولى ... إنها جابت بت ... وبعديها بيومين... ماتت

فاطنة بالحمى .. وجولتيلى أن بتها كانت ضعفانة ..

وماتت هى كمان ... الكلام ده صوح !!؟؟... جولى يا بخيتة

ريحينى ... آلهى يريح جلبك...

-ها يرتاح كيف ..يا حاجة وانتِ كاتمة الحج... وبيدك

تريحينى ... أنا جلبى عمره ما هايرتاح إلا لما .. أخد حجى

-جلتلك... ها يحُصل ..بس فى الوجت المظبوط... مش دلوجت.. ودى أمانة فى رجبتى... بس ريحينى..

-ما تسألى الداكتور ناچى... مش بجى نسيبكم.. وخدتوا بته

لولدك عاصم ... أساليه وهو يجولك الحجيجة...

-أنا عاسألك أنتِ ... وأنا عارفة إنك مش هاتكدبى علىّ..

-الداكتور ناچى هنا جنبى ... وسامع حديتنا كلاته...

أها .. هو عايز يكلمك ...

أنتفضت الحاجة فضيلة كالمصعوقة ... وكادت أن تلقى بالهاتف من يدها ... لولا تمالكها لأعصابها ... وسمعت

صوت الدكتور ناجى من الطرف الأخر يردد عدة مرات..

طالباً لأجابتها عليه... فأجابت بصوت متحشرج... تكسوه

الدموع ... فلقد تذكرت أختها الحبيبة ... فاطمة ...

وكم كانت تحب ذلك الرجل المخادع ... الذى غرر بها ..

وجعلها تهرب معه.. لتموت وحيدة وبعيدة ... عن أحضان

أهلها ... وتدفن فى أرض غريبة ... عن أرضها...

لن أسامحك يا ناجى التهامي..لن أسامحك أبداً...

هكذا هتفت فى أعماقها وهى تتمالك نفسها ... لتعود فضيلة

التى يعرفها الجميع ...

-أيوة يا ناچى... ولا أجولك يا داكتور ناچى.. ذى الكل ما بيجولوا...

-قولى اللى يريحك يا فضيلة ... أنتِ بالذات .. ليكِ معزة خاصة عندى ... ومهما عملتى مش هزعل .. لأنك حبيبة

المرحومة فاطمة... ومكنتش بتحب حد قدك...

-لساتك فاكر فاطنة يا ناچى .. اللى خدتها من حضننا... وراحت فى عز شبابها ... بعيد عن أهلها .. وعزوتها..

- ولا عمرى نستها... ولا لحظة... قالها فى صوت متحشرج

تهزه الدموع ... فاطمة دى حب حياتى .. عمرى ما حبيت ولا هحب حد بعدها... وبعدين أزاى ممكن أنساها وحتة منها

كانت قصاد عينى ليل نهار ... روح منها .. ربنا وهبهالى

لما أختار فاطمة جنبه... كأنه سبحانه عالم بحالى كان

هايبقى ايه من غيرها ... فعوضنى بنسخة منها

فى كل حاجة... بنتى زهرة ... بنت فاطمة يا فضيلة

أنتفضت الحاجة فضيلة ... ووقفت مذعورة يرتجف جسدها ... من قمة رأسها حتى أخمص قدميها..

ثم أنفجرت باكية ... بكاءاً متشنجاً ... لم تستطع كتم أهاته.. التى وصلت لناجى على الطرف الأخر .. والذى أحترم حزنها فى إجلال ...فصمت ...لفترة..

... وما أن استشعر هدوءها ..

حتى استطرد فى هدوء مماثل :- أنا عارف أن أنا غلطان

علشان خبيت عليكِ أنتِ بالذات أن بنت فاطمة ممتتش..

بس أنا ساعتها كنت خايف عليها وعليا ... كنت مصدوم بموت فاطمة ... وخايف على زهرة من الكرة والأنتقام

... وفضلت مداريها عن الدنيا كلها ... لكن ابنك وصلها..

واستخدمها علشان ينتقم منى ... استخدم أقرب واحدة ليه..

علشان ينتقم من واحد كل ذنبه انه حب .. حاولت أقابلك

يوم كتب الكتاب ... لكن ابنك رفض نهائى... حاولت أعرفك

الحقيقة.. يمكن ده يخليكى ترقى .. وتبعدى أَذًى أبنك عنها.. دى مهما كانت بنت الغالية ... لكن مأمكنش أبداً... فقلت أجى

لبخيتة هى الوحيدة اللى ممكن تقنعك.. لأنها الشاهد الوحيد على صدق اللى بقوله... وانا اللى طلبت منها .. متقلش ..

أنتِ بعتيها تخدم أختك وتبقى حلقة الوصل بينك وبينها..

لكن بعد موت أختك .. مسألتيش فيها .. ولما أنا اتجوزت

علشان بنتى ألاقى حد يربيها معايا ... مراتى رفضت

وجود بخيتة معانا ... فأجرت لها الشقة دى .. اللى هى

فيها دلوقتى ... وبدفع لها مبلغ يعيشها مستورة... كفاية

اللى عملته مع بنتى بعد موت أمها .. لولا وقفتها معايا

ومعاها .. كانت راحت منى هى كمان ... أنا كان حزنى

واخدنى ... وكنت هايم فى ملكوت تانى ... لولا أهتمامها

بزهرة .. كانت راحت منى فاطمة للمرة التانية...

فضيلة ... بنتى زهرة ... مشفتش يوم حلو مع مراتى

اللى هى فاكرة انها امها ... عمرها ما كانت حنينة عليها

عمرها ما كانت الام اللى كنت بتمناها لبنتى ... ولولا

بنتى التانية ندى كنت سبتها من زمن ... زهرة .. عمرها

ما حست بحنان أمها ...وجه ابنك وعمل عملته .. علشان

يدفعها تمن ذنب هى مرتكبتهوش ... زهرة ملهاش ذنب

فى ماضى خلاص مش هايرجع ...

تنهد وهو يلتقط انفاسه ... بعد أنتهاءه من سرد قصته..

قصة الماضى والحقائق المبتورة والمشوهة...

الأن فقط ... وُضعت النقاط على الأحرف ...

الأن فقط ظهرت الحقيقة التى كانت ماثلة نصب عينيها ... كشمس ساطعة ....

...وكانت تستشعرها... بحدسها وتنكرها...

استطرد ناجى متنهدا : -زهرة أمانة فى رقبتك يا فضيلة... هتسألك عليها فاطمة...يوم الدين ... خلى بالك منها..

وأبعدى عنها...نار الأنتقام اللى ذرعتيها فى قلب ابنك ..وزهرة اللى هاتتحرق بيها لوحدها..

.....اللهم بلغت ... اللهم فأشهد

أغلق الهاتف... دون أن ينتظر منها ... الرد ..

وتهاوت هى على أريكتها.. تنظر للفراغ ..

فى شرود تام ... وقد أفلت من يدها ... هاتفها..

ليسقط مستقراً ... أسفل قدميها ...

الفصل السادس

تململت زهرة فى جلستها ... كانت تشعر بالملل والضيق...

فالايام فى تلك السراىّ شبيهة ببعضها ... لا تحمل أى جديد

البارحة تشبه اليوم ... لا شئ يثير فضولها .. هى لم تعتد

على تلك الحياة الراكدة ... بلا عمل .. ولا إنجاز يذكر ..

انها تفتقد عملها ..بشدة ...

تفتقد ان يكون لها هدف تسعى اليه ... وعمل تحبه ..

وتتقنه ... تمضى فيه وقتها .. وتكتسب فيه خبرات تنمى

قدراتها ....

... اندفعت وهى تنادى على سهام .. ودعتها للخروج للأرض لانها تشعر بالملل لكن سهام رفضت قائلة :-

-لاه ... مش عايزة أروح وأجابل واد عمك الكشر

ده ... أحتمال نمسكوا فى خناج بعض تانى ... وساعتها

مش هاتعرفى ... تنجيه من يدىّ...

ضحكت زهرة فى مرح ..وهى تتذكر شجارهما السابق..

-لا خلاص .. هحاول .. ما تتقابلوش ... مش طالبة الحرب

تقوم تانى ... ما صدقنا هديت ... أو ... على الأقل فى وقف

إطلاق نار ... بس علشان خاطرى تعالى معايا ... أنا زهقانة

قووووى ... ومش قادرة أروح لأسطبلات الخيل ... أنتِ عارفة ... أخوكى محرج علينا ... تعالى معايا علشان خاطرى... قالتها فى صوت متوسل لم تستطع معه سهام..

الرفض ... فأحتضنتها زهرة فى فرحة ممتنة...

كانوا عند شجر المانجو ... الذى تفوح روائحه الذكية..

لتملاء الأجواء ... وتفتح الشهية... جلسا تحت ظلال احد الأشجار وجمعوا الثمار الناضجة .....

وبدأوا فى تناولها...فى شهية واضحة ... كانت أيديهما ...

ووجهيهما ... متخضبة بأثار المانجو الطازجة ... ولم تكن أحداهما ... تتوقع أى زيارة من غريب ما يقطع عليهما ..

استمتاعهما بأكل المانجو بحرية ... إلا أنهما .. سمعا صوتاً

مرحباً... غصت له سهام .. وأخذت تسعل ...فى إحراج..

نظرت زهرة للقادم والذى لم يكن سوى حسام ... بن عمها قدرى

-أزيك يا حسام ... أتفضل كل معانا مانجا ... دى حلوة قووى...

جلس حسام على الجانب المقابل منهما ... وهو يقول ..

-ما دجتيش المانجا من أرضنا ... سكر ... مش ذى دى ..

-ومالها دى !!؟؟... سألت سهام فى حنق...

-ملهاش .... ذى السكر ... أجابت زهرة فى سرعة محاولة تجنب الصراع المتوقع ... بين سهام وحسام ...

تجاهلها حسام كالعادة موجهاً حديثه لزهرة ...

-فى حالة فى الزريبة يا داكتورة ..لو فيها تعب .. ممكن تشوفيها...

قفزت زهرة فى حماسة منقطعة النظير ...وهى تقول ...

أه .. طبعا ... يا ريت فين ..!!؟؟

-فى زرايب التهامية أكيد ... وأنا مينفعش أروح معاكِ هناك

هكذا قالت سهام فى تحدى سافر لحسام ...كان مظهرها..

الطفولى الملطخ بأثار المانجو التى تحيط بفمها وذقنها..

تفرض على من يراها ... أن يقع غارق فى الضحك ...

وخاصة .. انها لم تدرك .. ان هناك بعض .. الأثار

المانجاوية... قد تسللت لأعلى خدها... وفوق أحدى

عينيها التى بلون العسل المذاب ...

لم يتمكن من رفع عينيه عنها ..... لم يظهر على ملامحه

الجافة أى تعبير يوحى ولو بالابتسام ... إلا انه عانى داخليا

حتى يستطيع أن يكبح جماح ضحكاته... فلا تظهر على

شفتيه ... معلنة عن نفسها ...

لا يعرف لما فعل ذلك ... فلقد وجد نفسه .. لا أرادياً..

يمد يده.. بمنديله..ليمسح تلك البقع المضحكة التى ..

خضبت وجهها... تسمرت .. ولم تنطق لثوانى من أثر الصدمة ...إلا انها .. تمالكت نفسها..

وانتزعت منه المنديل ... ليستفيق بدوره..

على فعلته اللأرادية تلك ... فيقف فى سرعة ..

قاطعاً حرج الموقف مخرجاً زهرة من شردوها بسبب ما قام به منذ لحظات ...

-ها هاتيجى يا داكتورة... ولا عاصم بيه .. هايمنعك

عن أهلك ...

لم ترد سهام هذه المرة على تلميحاته بخصوص أخيها و

عائلتها .. فهى مازالت مأخوذة بما فعل منذ لحظات ...

-أه .. طبعا .. هاجى معاك .. وعاصم عمره ما منعنى

عنكم على فكرة ...

لماذا تدافعين عنه!!؟؟... سأل عقلها فى حنق ...

بينما أكتفى قلبها ... بأبتسامة رضا ..

كانت تفحص ذاك الفرس المريض ... كانت مأخوذة

تماما .. بعملها .. منفصلة عن العالم كلياً...

وكانت سهام تراقبها ... تنتظر انتهاءها بفارغ الصبر ..

فماذا سيحدث ان رأها أحد الهوارية ... هنا !!؟؟.. أرتعدت

وهى تتخيل رد فعل عاصم أخيها ...

-أنتِ كويسة !!!... سأل حسام فى أهتمام عندما لاحظ أرتعاشتها

أومأت برأسها .. ولم تستطع الأجابة تتحاشى تلاقى عينونهما ...إنه يراقبها ... وإلا .. كيف لاحظ أرتجافها .. !!!

لم تشاء أن تبدو ضعيفة ...فنظرت فى وجهه بثقة... ذاك الوجه العابس دوماً... لما لا تتبسم ... !!!..

-أسمك حسام .. يعنى على وزن ابتسام ...ليه مبتضحكش

انت عليك ندر لا سمح الله وبتوفيه...وحالف ما تضحك..

قالتها بأستهزاء ساخرة متوقعة منه أن يثور ويغضب كعادته ويزداد عبوساً وقتامة ...

لكن ولدهشتها... قال وبنبرة صوت تحمل الكثير

من الاستمتاع وبريق شقى يرقص فى عينيه

- ...أه صوح اسمى على وزن ابتسام ..لكن الاجمل انه على وزن اسمك ... سهام ...

تسمرت سهام فى مكانها ... فالدهشة كانت من نصيبها هى

... لم تعلق بحرف واحد ... وقد أزداد وجيب قلبها...

ماذا دهاه... هل هو مريض ... !!؟؟

لابد وانه كذلك ...

أما هى فقد تخضب وجهها بحمرة خجل غير طبيعية ...

جعلته يشبه الفراولة الطازجة .. وألتصق لسانها الذى لا يتعطل ابدا عن الرد المناسب بسقف حلقها ..

وما ان استطاعت استجماع شتات نفسها ... حتى اندفعت

هاربة من أمام نظراته المتفحصة التى أربكتها...

تستحث زهرة على الرحيل متعللة بتأخرهم عن موعد العودة ...

أنتهت زهرة أخيرا وكتبت العلاج المناسب للحالة

وأعطته لحسام شارحة له كيفية استخدامه...

وفى نفاذ صبر سحبت سهام زهرة ... خارج أرض التهامية

مندفعة هرباً من أخر شخص كانت تتوقع ان تهرب منه

بدلاً من مواجهته ...

ألقت بنظرة خلف ظهرها... لتجده يودعها ...

والعجيب ....

ان هناك نصف ابتسامة تخيلتها ....

....مرسومة على شفتيه..

****

أندفعت كل من سهام وزهرة لصحن السرايّ...ضاحكتان

تتسابقان لصعود الدرج... إلا أنهما توقفتا فجأة ... عندما لاحظا وجود الحاجة فضيلة فى مجلسها فى قلب الدار

... توجها إليها لإلقاء التحية.. لكنها كانت فى شرودها ..

تحاول استجماع شتات نفسها ... بعد تلك المحادثة المطولة

مع ناجى التهامي.... والتى أيقظت ذكريات كثيرة ... ومبعثرة من زمن مضى ... ظنت انه ولى بلا

رجعة ... لكنه .. عاد وبقوة ... عاد ليخبرها.. ان شجرة

الأنتقام والثأر ... لا تطرح ... إلا ثمار من علقم ...

مجبرة هى الأن على تذوقها.. بلا قدرة على الرفض

أو التمنع... لأنها هى من وضعتها فى فمها بيدها.. هى من أشعل النار ... وهى من أزكتها طوال سنوات ... فى قلب

أبنها ... وها هى تنتقم .. لكن فى أعز ما تملكه.. تنتقم..

من الذكرى الوحيدة التى تركتها أختها ... وغادرت ..

بلا رجعة...

تطلعت فى شرود لزهرة... فلاحظت سهام حال أمها... فهمست لزهرة فى حذّر ... يا الله على فوج يا مرت أخوى

وسيبى الحاچة... مبتحبش حد معاها لما تكون فى الحالة

دى ... أمى وحفظاها...

رفضت زهرة :- روحى أنتِ يا سهام ... أنا مش هاسيبها كده... شكلها غريب ... لحسن تتعب .. أكون جنبها... ولو

قالت لى أمشى ... همشى .. بس مش هسيبها...

كانت تسمع الحاجة فضيلة همساتهما ... وترقرقت الدموع

فى عينيها ... حتى فى طيبة قلبها تشبه أمها ... أختها

الحبيبة الوحيدة التى كانت تعرفها وتدرك حزنها وفرحها ... قبل ان تنطق بهما ... حتى لو كانت تداريهما

فى قلبها خلف الف سرداب ... انها فاطمة ... روحاً

وجسداً...ان فاطمة لم تمت ... انها قابعة .. هنا ..

على بعد خطوات منها ...

أشارت لزهرة ... التى أقتربت منها... فى هدوء حذّر ..

وجلست بجوارها ... حيث أشارت...

ربتت الحاجة فضيلة بحنان على كتفها ..

وضمت فجأة رأسها ...إلى أحضانها...

لم تشعر زهرة يوما ما بحنان كذاك الذى استشعرته فى احضان الحاجة فضيلة ... كان احساس صعب وصفه..

أحساس بالأمان والراحة... أحساس بالرغبة فى البقاء

للأبد فى أحضانها تتلمس الدفء والحنان الذى أفتقدته دوماً .. فى علاقتها ... مع أمها منيرة...

لم تذكر يوما ان أمها .. طوقتها بذراعيها .. وأستقرت

بين أحضانها ... تتمتع بالمحبة .. كما هى الأن ...

كانت تشعر ان الحاجة فضيلة .. تصارع مشاعر ما ... لكن لم تجرؤ ان تسألها... رفعت رأسها.. ببطء حذّر .. لتتنبه الحاجة وتشيح بوجهها عنها.. تدارى تضارب من مشاعر.. لا تريد الإفصاح عنه...

أشارت لزهرة بالرحيل مشيرة للدرج..والذى صعدته

زهرة فى شرود .. كانت لا تريد الرحيل وتركها

فى تلك الحالة ... وفى نفس الوقت ... لا تتجرأ على البقاء ... مخالفة أمرها..

انها المرة الاولى التى ترى فيها الحاجة فضيلة رمز الحزم ... والشدة ... فى تلك الحالة ..

تذكرانها ... اضطربت عندما رأتها للمرة الأولى يوم زفافها ... لكن ابدا...

لم تكن فى تلك الحالة التى هى عليها الأن ...

دلفت زهرة لحجرتها...وقعت عينها على العلبة المخملية.. التى تركتها على المنضدة بجوار السرير

أشاحت بوجهها عنها واندفعت للحمام .. تستمتع برزاز الماء الدافئ لعله يساعدها على النوم السريع هربا من صراع قلبها وعقلها الذى اصبح مقرراً .. يومياً ... منذ رحيل عاصم .. فما أن تغمض عينيها ... استعداد للنوم .. حتى يبدأ التطاحن.. وتشتعل الحرب

بين الخصمين المتصارعين ..

أرتدت ... أحد أرديتها الحريرية .. التى تماثل لون

عينيها الجوزيتين .. ووقفت أمام طاولة الزينة ..

تمشط شعرها الحريرى ... وتضع بعض من قطرات

العطر التى حرمتها على نفسها منذ دخلت تلك الغرفة

لأول مرة ...

لا مانع من بعض القطرات هنا وهناك طالما أن

الوحش الذى تخشينه ... ليس هنا .. والغرفة ملك لكِ ...

فعيشى الحرية ... ولو قليلاً... هكذا حدثت نفسها..

دلفت للفراش تمنى نفسها ببعض ساعات من النوم

الهانئ ... وبعد الصراع المعتاد ... راحت فى نوم

عميق .. تاركة قلبها وعقلها ... يتناحران...

بلا توقف..

تسلل ذاك الشبح فى ظلام الغرفة فى بطء حذّر

وانتظر لحظات حتى اعتادت عينيه على الظلام

وأدار بصره .. فى جنبات الغرفة...لتسقط على

على الأريكة الفارغة...لتتجه فى سرعة ... للفراش ليرى .. جسدها يحتله .. تقدم ببطء ليقف بالقرب منها ... يتطلع اليها بإحساس لم يستشعره من قبل ....

كان يفكر فيها دوماً... لم تكن تبرح خواطره وأفكاره ... حتى أحلامه ... لم تخلو منها مطلقاً كان من المقرر عودته غدا ... او بعد غد .. على أقصى تقدير إلا... انه انهى ما كان مطلوب منه ... بعد تلك المشكلة فى المزرعة...

و .. لم يستطع البقاء بعيدا.. أكثر من ذلك.. كان يكابر .... ويعاند نفسه كثيرا ... لكن أخيرا تحطمت مقاومته... وطفق عائداً..

يدفعه احساس عجيب .. لحجرته .. كى يراها... فقط .. يراها .. وليته لم يفعل ... كيف له ان يقاوم ذاك السحر القابع ها هنا ... على فراشه وعلى شعاع الضوء المتسلل من الحمام .. الذى اعتادت على تركه مضاءاً.....منذ أن رحل ..

أخذ يتطلع لذاك الرداء المخملى .. الذى يجعلها كتلة مجسمة من الفتنة ... وشعرها الحريرى الذى يضاهى الليل سواداً.. منثوراً حولها .. فى غجرية... تبعثر روحه ... وتنثر قلبه.. شظايا.. نجوم ... على صفحة .. ذاك الليل

ماذا .. لو لمست الليل .. لو تدثرت به...!!!..

ماذا .. لو غرقت فى ذاك الشلال ..وجمعت اللؤلؤ من على شطأن ..ذاك الثغر .. المقدس المحفوف بالأخطار....

يا آلهى ... انك تهزى يا عاصم ... ماذا فعلت بك ... أنت عاصم الهوارى ... الوحش .. الغول .. الذى لا يملك قلباً...

...تطير مسابقاً الريح..

فقط لتراها... لقد اصابك الجنون حتماً...

أو أصابتك لعنة .. ما .. جعلتك ... تفقد صوابك بهذا الشكل الخطر .. الذى ينبأ بما هو أخطر ... اندفع مقتلعاً نفسه ... أقتلاعاً... من أمام فتنتها..

وتأثيرها الطاغى.. وسار ببطء حتى لا يوقظها..

ودلف للحمام ... يهدأ من ثورة نفسه.. وينثر

خواطره وأفكاره .. التى دوما هى محورها... مع رذاذ

الماء الدافئ المنساب على جسده.. وفجأة فتح عينيه

ليكتشف إنقطاع التيار الكهربائى...

لا ينقصه... غير هذا الأن .. أغلق شلال المياه..

ليخرج من المغطس ... وما أن أنتهى من أرتداء

جلبابه فى صعوبة تامة .. نظراً لإنعدام الرؤية..

إلا .....وسمع صرخات مدوية...

جعلته ينتفض خارجا من الحمام ... فى حذّر

لا يرى طريقه...

توتره ... تلك الصرخات ...

ويعيقه الظلام ... من الوصول .. لمصدرها..

خرج عاصم يتحسس طريقه فى الظلام .. وتلك الصرخات المدوية.... تحولت لأنات خافتة ...

جعلته يرهف السمع حتى

يستطيع الوصول لمصدرها... وأخيرا ... وصل اليها.. هتف

فى ذعروقلق:- زهرة ... زهرة ..

كان يتلمس الطريق اليها .. حتى وضع يده أخيرا على شعرها المنساب على ظهرها... ومنه وضع كفه على

رأسها .. كانت تضم ركبتيها لصدرها ... جسدها متشنج

تأن بصوت خفيض يمزق نياط القلب.. رفع رأسها المتكومة

بين ركبتيها... ليجد جبينها يتصبب عرقا ... وهى شبه غائبة

عن الوعى .. تهمهم بكلمات غير مفهومة ... يفهم منها ..

رفضها لشئ ما بقوة...

جلس بجوارها ... يربت على كتفها ورأسها ... محاولاً تهدأتها حتى يفك ذاك التشنج ... والتصلب فى أطرافها

متخافيش... أنا جنبك ... متخافيش ... أنا هنا....

هدأت قليلاً... فأستطاع حملها.. فأنكمشت مرة أخرى

فى أحضانه .. يعتريها الخوف الشديد ... وتتوالى

انتفاضات جسدها ... وارتعاشات تتوالى من حين لأخر

لا يعرف لها سببا ...

وضعها على الفراش فى حنو بالغ .. وانحنى يزيح غرتها

... يمسح بأنامله قطرات العرق التى تفصدت على جبينها

أخذت تردد فى خوف:- لا ... متسبنيش ياماما منيرة... أنا

بخاف من الضلمة... متسبنيش ..

ألمه توسلاتها ... انها امها من تناديها.. كيف تفعل بها ذلك..!!؟... لابد وأنها كانت طفلة حين ذاك ... لما تلك القسوة..!!؟؟ .. مد كفه .. يربت على رأسها فى حزن

مغلف بحنان جارف ... لا يعرف مصدره... لا يظهر

إلا فى وجودها فقط ... هى فقط .. لا غيرها ...

لماذا !؟؟...

فجأة تشبست بيده التى كانت تجذب عليها الغطاء..

وتدثرها فى حرص ... حاول أن يفلت كفه برقة من يدها المتشبثة به ... لكنها غرست أظافرها فى ساعده .. وأبت ان تتركه .. كانت ارتعاشات جسدها

تزداد .. فأشفق على حالها.. فترك كفه تستكين بين كفيها قابعة فى أحضانها...

كان الأن يتكئ على حافة الفراش نصف جسده يكاد يلتصق بها ... والنصف الاخر يتدلى من الفراش وقدمه تسند جسده الشبه متهاوى ..

لم يعرف كيف ظل على هذه الحالة ... كل ما يعرفه

انها اخيرا استكانت .. والأدهى ... من كل هذا كفه القابعة فى أحضانها التى تعلو وتهبط بأنتظام رتيب مع أنفاسها...وعطرها .. الذى تسلل إلى أنفاسه ..

يفقده صوابه... وشعرها المتناثر فى كل اتجاه كأشاعات شمس ليلية .. تشرق متناقضة مع بياض شرشيف الفراش ...

تنهداتها المتقطعة الرقيقة ... ودموعها الساخنة التى سالت فى صمت من عيون مغمضة بشدة مخافة أن تفتحها ... لتجد أمامها أحد وحوش الظلام الذى تهابه

يا آلهى ... انها تستدير لتقابله بجسدها..

انها الأن حرفيا بين أحضانه... الصبر من عندك يا رب ... هكذا همس متضرعاً... يزداد وجيب قلبه .. وتضطرب انفاسه التى اصبحت تقريبا .. تلحف بشرة خدها المقابل لوجهه..

زفر فى قوة ... بأنفاس حارقة تجسد ما يعتمل فى صدره من مشاعر .. وأحاسيس عاصفة ...

عاااصم... !!!...هكذا سألت من وسط غيبوبتها ودموعها.. عندما فتحت جفونها .. بأعياء .. متطلعة إليه... ثم غابت من جديد ...

لا ... هذا كثير .. هكذا همس وجسده ينتفض

انها المرة الاولى التى يسمع اسمه من بين شفتيها

وفى تلك اللحظة الدامية بالذات ... .. انه يحتاج

إلى .. الآلاف من أطنان الصبر ... حتى يتحمل تلك

المشاعر والأحاسيس المدمرة التى تعصف بكيانه فى

تلك اللحظة وهو بالقرب من تلك الفتنة المتجسدة..

انه يشعر بمشاعر متضاربة ومتناقضة حد الغباء ..

انها بحاجة اليه ... لحنانه .. لقربه.. انها بحاجة لتكون

آمنة بين أحضانه ... وهى لا يريد اكثر من ذلك ..

أن يمنحها ذاك الحنان .. الذى تحتاجه.. لكن ...

هو لا يستطيع ان يقترب ... قسمه لها .. فى ليلة

زفافهما .. بأن لا يقربها .. إلا اذا اتته راضية..

وخوفه أن يكون مستغلا .. لحالتها .. وخوفها..

ولجوءها إليه ... انه لا يستبعد ابدا.. انها

تحلم .. لانها حتى ليست على علم بقدومه من سفره...

الصبر من عندك يا رب ... هكذا ظل يهمس و.. يبتهل متضرعاً...

حتى جاءته النجدة ... وزار النوم جفونه أخيرا.. وهولا يعرف .. متى زاره..!!؟..

ومع تباشير الصباح الاولى ... فتحت عيونها..

ترفرف أهدابها .. لا تتذكر .. إلا حلم غريب

زارها بالأمس .. حاولت ان تتحرك.. لكنها مقيدة لشئ ما .. وجسدها مكبل بطريقة غريبة..

انها حتى لا تستطيع تحريك رقبتها للجهة الأخرى

فشعرها .. مثبت لشئ ما .. حاولت جذبه ببطئ ..لكنها لم تستطع .. كل ما كان بامكانها لحظتها هو إلقاء نظرة بنص عين لهذا الشئ الجاثم على جدائلها .. يمنعها الحركة.. وما ان فعلت .. حتى شهقت فى قوة ..وبذعر حقيقى...

شهقة .. أيقظت رفيقها الذى كان يصنع من شعرها

وسادة حريرية لرأسه بأنتفاضة .. وهنا التقت أعينهما

كان لا يزال يأسر شعرها أسفل جزء من جسده... ذراعه

تحيط بخصرها.. وغطاء الفراش يلتف بعبثية حول أقدامهما

معا .. ظل كل منهما ... يحدق فى الأخر .. لا يدرك ما الذى حدث ... وكأن معركة ما قامت هنا ...

وكبلت كل منهما للأخر بهذا الشكل العبثى ...

تذكر دفعة واحدة كل ما حدث بالأمس .. بعد أن طرد

سحابات النوم التى كانت تكتنف فكره ... وكان أول من

استفاق .. لينتفض فى سرعة كالمصعوق... ليكون خارج

الفراش فى أقل من ثانية ... ويندفع ... للحمام .. ويغلق

بابه خلفه فى عنف ... جعلها تجفل ... وقد أيقنت ...

أن حلم البارحة ... لم يكن حلماً...

..... بل كان عين الحقيقة...

****

قامت من الفراش تمشى على أطراف أصابعها كى تصل

لحقيبتها وترتدى أحدى مناماتها قبل ان يخرج من الحمام..

ولكن وهى فى منتصف الطريق للحقيبة فتح عاصم باب الحمام فجأة ..

لتتسمر هى فى مكانها للحظات .. تطلع اليها ... لازالت

تحمل ذاك السحر الذى كاد ان يفقده عقله البارحة..

ملامحها تحمل أثر النوم وشعرها الحريرى تناثر بشكل

همجى على ذراعيها وجانبى وجهها .. رداءها المخملى ..

الذى خلب لبه...يحيط بقدها المياس...

لازالت تلك الحورية .. التى كانت تتشبث

به البارحة .. هرباً من الظلام .. وانكمشت فى صدره ..

كقطة .. فى ليلة عاصفة .. شديدة البرودة ..

اندفعت هى للفراش مرة أخرى .. عندما طالعت محياه..

تجذب الشرشيف... تتدثر به من قمة رأسها حتى أخمص

قدميها ..

تجاهلها تماماً .. وهو يعدل من عمامته امام المرآة.. وتناول

عباءته وعصاه الأبنوسية ذات الرأس الفضى...

وخرج من الغرفة ... تاركاً أياها تزفر فى راحة...

لتأخذ دورها .. فى حمام دافىء سريع .. وتلحق بهم على

طاولة الافطار ..

لم تراه طوال النهار ... وها هى قد تخطت الساعة منتصف الليل .. يبدو انه لن يأتى .. وربما سيبيت ليلته فى الاسطبلات .. لكنها كانت مخطئة فى ظنها فقد أنتفضت..

فى مكانها.. عندما فتح الباب فى عنف .. غير عابئ .. بأنها

قد تكون خلدت للنوم .. فيفزعها..

انكمشت فى أريكتها.. حاولت على قدر إمكانها ألا تكون

مرئية...حبست انفاسها وتدثرت حتى عنقها... وأخذت تتابعه

بعين شبه مغلقة .. ووجيب قلب قد يفضحها لصخبه..

أما هو فقد كان يجول فى الغرفة أشبه بفهد جريح.. يتعامل مع كل ما يقابله بعنف مفرط .. ألقى عباءته أرضاً.. وألقى عصاه.. جانبا فى عنف.. اندفع للحمام .. وأغلق الباب فى عصبية كادت تكسر زجاجه .. تنفست الصعداء لدقائق معدودة حتى خروجه من الحمام .. أطفأ أنوار الغرفة

واندفع على الفراش ... وأخيرا سكن ..

وما أن بدأت فى ألتقاط انفاسها .. حتى شعرت به.. يتقلب

على الفراش كمن يتقلب على الجمر .. لا يهدأ بضع ثوان..

تقلباته يصدر لها الفراش صوتاً كالانين .. من شدتها.. وتكرارها المبالغ فيه..

ماذا دهاه..!!؟؟...

انتفضت ... مع انتفاضته .. فتح الأنوار من جديد .. وارتدى

عباءته.. وتناول عصاه .. من مكان ما ألقاها.. وثبت عمامته

على رأسه فى عنف.. وتوجه ليغادر الغرفة.. ولكنه توجه للفراش اولاً.. فجذب الشرشيف من عليه فى عنف .. وكذلك

الغطاء.. وألقى بهما فى حنق على أرض الغرفة ...

وأستدار فجأة لها.. فحاولت ان تتصنع النوم .. لكنه كان يعلم

من اضطراب أنفاسها .. انها لازالت مستيقظة..

تكلم من بين اسنانه فى غضب مكبوت لو انفجر .. الله وحده أعلم ..بما قد يحدث ساعتها..:-الصبح خلى أم سعيد تغير فرش السرير كلاته... والفرش اللى على الارض ده تحرجه... فهمانى..

واندفع .. خارج الغرفة.. ليتركها.. فى حيرة ... من مطلبه

العجيب...

تنفس بعمق .. يستنشق أكبر قدر من هواء الليل العليل .. يملء به صدره ... لعله يخفف عنه بعض من حرارة تلك النيران التى تستعر فى جوانبه ... يزفر فى ضيق .. لا يعلم

ماذا دهاه... !!؟؟...

منذ دخلت حياته... وحياته.. قد أصبحت رأساً على عقب..

كلما ابتعد عنها ... يشعر ان ألف خيط يجذبه اليها من جديد

انها كشِرك... لا يستطيع منه الفكاك ... كرمال متحركة.. كلما حاول الإفلات منها ... يجد نفسه .. متورطاً فيها.. حد الغرق...

حتى فراشه ... أحتلته رائحة عطرها التى تأسره وتخلب

لبه.. حاول تجاهل عطرها الذى يغزو انفاسه .. والنوم فى سلام ... لكن كيف..!!؟..

انها لا تأسر أنفاسه فقط .... بل تصل حيث منابع روحه .. تغزوها فى رقة .. وتنبه عقله .. وخواطره.. لتعرض بثاً حياً .. لتلك الليلة... التى قضتها مرعوبة تتلمس الأمن فى أحضانه... وهو يتلمس العون من الله ...

الحمد لله انها عادت سيرتها الأولى ... وأرتدت غطاء رأسها

ومنامتها الطفولية برسوماتها المضحكة... وفجأة وجد نفسه متلبساً بأبتسامة غزت شفتيه عندما تذكرها .. وهى منكمشة ومذعورة... لديها القدرة على أن تبدو قوية بشكل لا يصدق ... وفى لحظات أخرى تتبدل .. لتبدو كطفلة تتلمس الاهتمام ..

والمساعدة ... حتى التفكير بها .. يدفع الضحكات لشفتيه.. او يدفعه للغضب حد الجنون ...

أاااااااه يا عاصم ... ستقودك تلك الزهرة إلى الجنون حتماً..

قال محدثاً نفسه .. وهو يتمدد على أريكة الاستراحة .. فى اسطبل الخيل ..

تقلب على الأريكة من جديد ... يحاول أن يغفو ... لكن لا فائدة...

حقاً ... أن ذلك لجنون مطبق....لازال الأرق .. يتملكه..

والنوم لا يزور جفونه المرهقة ... لأن .. عطرها لازال ... يحتل روحه...

الفصل السابع

سمع صهيل فرسيه المفضلين ... فشعر بفرحة تدب فى أعماقه .. فاندفع إليهما يحييهم بقطع السكر التى يعشقونها ... والتى زادت من صهيلهما فرحا ...مما جعله يضحك على افعالهما المحببة لقلبه .. أسرج سلطان .. وأمتطاه فى مهارة فارس لا يشق

له غبار .. واندفع به خارجا يسابق الريح .. لعله يخمد تلك الثورة التى تستعر داخله ..

نظراتها التى دوماً تطالعته بها .. لم تكن نظرات عادية .. نظرات تحمل قدر من التحدى والصمود.. قدر لا يستهان به

ان نظراتها .. تنبع من روحها المتقدة .. تلك الروح التى لم يكن يعرف مقدار جموحها .. الا عندما طالع تلك النظرات النارية التى تتحداه بها دوما .. انها فرسة غير قابلة للترويض .. لكن ليس مع عاصم الهوارى.. والذى لم يستعصى عليه ترويض فرسة جامحة من قبل ...هتف فى نفسه بعزم :- سأروض غرورها .. وجموح روحها .. سأجعلها طائعة لإشارة من إبهامى..

سأجعلها تتمنى ان اكون راضيا .. فقط راضيا .. ستأتى إلىّ

يوما ما .. ستكون اكثر من شاكرة على ما أمنحها إياه ..

يا بنت التهامي ...سيكون رضايا هو أقصى أمنياتكِ ..

ساعتها ... وساعتها فقط .. سأشعر انى حققت انتقامى..

كان غارق فى أفكاره وخواطره .. ينهب الارض نهبا بحوافر فرسه سلطان غير عابىء .. بما يعترضه من حواجز.. يثق بسلطان ومهارته .. فيطلق له العنان .. ليزيد من سرعته ... ويزداد اصطدام الريح بوجهه وعباءته التى اخدت ترفرف خلفه مانحة إياه ... مظهر البطل الأسطورى

الذى لا يقهر .. خواطره وافكاره وصلت لذروتها بالفعل ..

والتى كانت تتمحور كلها حول شخص واحد .. منذ دخل حياته .. وهو لا يعرف للراحة سبيل ... زهرة ناجى التهامي ..هتف للريح فى تحدى .. وكأنه يحدث طيفها الذى يتمثل له الان فى الأفق البعيد أمامه .. فى تلك البقعة الصحراوية.. قرب الجبل.. فى اخر الكفر .. والتى دوما .. هى ملاذه.. عندما يريد ان يطلق العنان لفرسه.. هربا من كل ما يؤرقه ..صبراً.. الايام بيننا ... لنرى من سُيخضع تلك النظرات النارية الحارقة التى تلقيها بوجهى فى

تحدى .. ليجعلها تنقلب لنظرات خضوع وطاعة .. لتعرفى مع من تتعاملين..

وتعرفى .. من هو عاصم الهوارى ...

صهل سلطان بشكل فجائى.. وقفز واقفاً على قوائمه الخلفية

فتمسك عاصم بلجامه جيداً ... حتى لا يسقط بشكل مفاجئ من على صهوته.. لا يعرف ما الذى أجفل سلطان بهذا الشكل ..

لكنه حاول التمسك على قدر الإمكان .. حتى لا ينزلق من على ظهره.. لكن مع تكرار قفزات الفرس الملتاع .. كان لامفر من السقوط أرضاً... لكن لحسن الحظ .. كان خلف الفرس... شجرة قصيرة نسبياً .. ارتطم احد كتفيه بها .. مما

خفف قليلا .. من شدة ارتطامه بالأرض ...

ظل لحظات على حاله .. مفترشا العشب .. يلتقط انفاسه المتلاحقة .. نهض فى تثاقل يشعر بالم حارق بأحدى كتفيه ... ذاك الكتف الذى ارتطم بالشجرة لحظة سقوطه ..

اطمأن على فرسه الذى سكن تماما بعد نوبة الفزع الغريبة تلك .. والتى اعترته منذ لحظات والتى قد يكون سببها احد الهوام ..كان يأكل بعض الأعشاب التى تطالها رقبته .. وينظر فى بعض الأحيان حيث سقط عاصم يطمئن عليه ...

تحامل عاصم على نفسه .. حتى امتطى فرسه من جديد

وآلام كتفه تزداد وجعا ... سار سلطان فى اتجاه السرايّ

يحفظ طريقه عن ظهر قلب .. يمشى الهوينى وكأنما يشعر

بألام صديقه ... التى أصبحت تزداد مع كل حركة ...

وصل حتى أبواب السرايّ فاستقبله الخفير سعيد ملتاعاً .. فأشار اليه بالصمت وان يرسل سلطان للأسطبل ..

وصعد هو فى بطئ .. حتى وصل غرفته ... دفع بابها فى عنف .. أجفل زهرة .. كان يترنح متألماً..

لكنها لم تجرؤ ان تتقدم خطوة باتجاهه .. وجدته يتحامل على نفسه .. ويتجه

للحمام فى خطوات يحاول ان يجعلها ثابته قدر استطاعته...

ويغلق الباب خلفه فى عنف ايضا...

تكورت على نفسها فى خوف وقلق ..تنتظر فى اضطراب

خروجه من الحمام والذى طال بقاءه بداخله .. ترى هل حدث بالداخل ما يسوء .. ربما فقد وعيه .. او .. لم تستكمل

تخيلاتها المضطربة.. فلقد قطعها بخروجه .. وَيَا ليته ما خرج..!!

شهقت بصوت مكتوم ... وانكمشت فى اريكتها .. تكاد تزوى عندما طالعها عارياً... إلا من منشفة.. زهرية اللون ... تناقض بشرته البرونزية لوناً... يلفها حول خصره ... ويسير فى بطء .. يتمختر كأسد مغتر فى وسط غابته.. استدار تجاهها ... فتوقفت نبضات قلبها ... و

صرخ فيها .. أجفلها كالعادة .. وانتزعها انتزاعاً .. من خواطرها .. تجاه مظهره الغير متوقع بالمرة ..

-جومى .. شوفى حصل ايه فى كتفى .. !!؟؟

-كتفك !؟؟ .. سألت كالبلهاء .. لا تعرف ما المطلوب منها بالضبط ... فأشار بنفاذ صبر .. إلى كتفه ...

فنهضت من أريكتها ... تتقدم نحوه فى بطء .. كأنما تسير فى حقل ألغام .. تتحسس خطواتها .. مع كل خطوة فى اتجاهه... زفر فى ضيق .. فأسرعت قليلا.. لتقف خلف ظهره البرونزى... المفتول العضلات .. ليطالعها جرح..

وخدوش أعلى الكتف .. وتمتد .. لتشمل حتى أسفل الكتف بقليل ...

قالت بصوت متحشرج..:- فى خدوش وجروح على كتفك ..

ولازم تتعالج ..

ابتسم ساخرا :- طب كتر خيرك .. مكنتش عارف من غيرك هعمل ايه ... ثم هتف حانقا .. طب ما تعالجيها ..

عِندك الصيدلية فى الحمام شوفى ايه اللى ينفع من الأدوية والمراهم اللى جوه ... وعالجي الجرح ..

وبعدين دراعى مش عارف ليه .. فى ألم لما بحركها ..

أقتربت .. أكثر ..لتفحص ذراعه .. وجفلت عندما لامست

بشرته .. وارتفعت نبضات قلبها للضعف .. وهى تتحسس موضع الألم .. كانت تستشعر معاناته التى يخفيها ببراعة..

لكن تشنج جسده .. كان يشى بها .. ويفضحها ..

أبعدت يدها .. لتقول فى صوت متهدج .. دراعك لازم تترد .. واضح انك اتعرضت لصدمة جامدة ..

أجاب فى هدوء بنبرة يخفى الالم بها .. وكأنه يطلب منها كوبا من الشاى ...

طيب .. ما ترديها... مستنية ايه .. !؟؟

أنا !!؟؟ .. قالت وهى تفغر فاها .. وعيونها تنظر اليه على اتساعها ..

-انتِ مش داكتورة .. نفذى..

-أنا دكتورة بهايم حضرتك ... عادت لطبيعتها المتحفزة .. وهى ترد فى سخرية .. جعلته .. ينظر اليها نظرات نارية..

وفجأة جذبها من ذراعها القريبة منه ..لتنحنى عنوة حتى اصبحت عيونها فى مقابل عينيه القاتمة ... يجز على اسنانه .. وأنفاسه الحارقة تخرج فى غضب .. يحاول السيطرة عليه مؤقتا وهو يهمس:- ... كلمة زيادة .. وهتشوفى منى اللى عمرك ما كنتِ تتخيليه ... نفذى اللى بجولك عليه من سكات .. مع اخر حروف كلماته .. دفعها عنه ... ورفع ذراعه متألما فى صمت ... ظهر بوضوح على معالم وجهه الذى أربد ...

فتناولت ذراعه فى رهبة .. دقات قلبها تكاد تصم أذنيها ..

قالت تنبهه :-... لما أعد لثلاثة هشد دراعك .. بقوة ..

خليك مستعد .. أومأ برأسه فى هدوء ..وجبينه يتفصد عرقا .. ثم حانت اللحظة الحاسمة .. لتجذب ذراعه .. وينتفض هو فى ألم .. يجز على اسنانه ... تتلاحق انفاسه ... وتصدر عنه أهه ألم .. حاول كبتها ... لكنها فلتت من بين شفتيه ... غصبا عنه ... هدأ قليلاً .. وبدأ فى فتح عيونه .. وألتقاط انفاسه بأنتظام ...

دخلت هى للحمام فى سرعة تبحث عن دواء ما ..لتضعه على جروح كتفه ... لكنها لم تجد ما هو مناسب ..

خرجت وأخبرته ... فقال لها .. ان هناك صيدليه أخرى فى المطبخ ... بالدور السفلى .. يمكن ان تبحث فيها .... ربما تجد ما يلائم ...

اندفعت خارج الغرفة .. تنزل على عجل .. تبحث فى تلك الصيدلية .. بين أدوية مختلفة الاشكال والأحجام ... وفجأة

أظلمت الدنيا .. امام ناظريها ...

لا .. أرجوك يا ألهى ... ليس ثانية .. بدأت ترتجف .. وتنكمش على نفسها ... تنتفض فى مكانها .. لا تستطيع حتى الصراخ ...

كان هو ممدد على جانبه الأيسر ينتظرها حتى تحضر دواء ما قد يساعد على اخماد تلك النيران التى يشعر بها تجتاح كتفه المصاب ..ولكن فجأة انقطع التيار الكهربائى .. فتذكر رعبها من الظلام ... فتحامل على نفسه ناهضاً فى تثاقل ... ليخرج متوجها اليها ... بأقصى سرعة استطاعها... وصل للمطبخ اخيرا هاتفاً بأسمها .. فوجدها منكمشة

.. بجوار أحد المقاعد .. انحنى اليها .. يربت على كتفها ..هامساً:- متخافيش .. أنا هنا .. معاكِ..

ما ان سمعت كلماته المشجعة .. حتى رفعت رأسها .. والدموع تغطى وجهها .. ولإزال جسدها متشنجاً..

-تعالى ... متخافيش.. قالها .. ماداً كفه اليها .. فتشبثت به

كغريق .. يتشبث بقشة.. وما أن نهضت من موضعها .. حتى اندفعت لأحضانه ترتجف فى شدة.. وتنتفض كعصفور

فى ليلة مطيرة...

ربت على رأسها التى كانت قابعة الأن بين أحضانه ..

وهو يقول فى صوت حاول ان يغلّفه بالسيطرة .. على الرغم من ان هناك شئ ما لم يستطع أخفاءه قد ظهر جليا فى نبراته

شئ قد يشبه الحنان .. هل هذا هوحقاً الحنان الذى يغلف نبرات صوته التى يبثها لمسامعها الان .. محاولا طمأنتها.!؟؟

..أهدى...وكله هايبجى تمام .. جسده متصلبا ومتشنجا مثلها تماما لكن لسبب اخر مخالفا لخوفها....

لم يحاول ان يلفها بذراعيه كان يقف كحائط صلب يتلقى

خوفها ومعاناتها على أضلعه ..أحد ذراعيه يأن ألما .. والأخر يأن أسفا لانه لا يستطيع أن يلتف حولها ليشملها بعنايته كما يجب.....حاول ان يتحرك ليحضر أحد الكشافات التى يعلم موضعها ... لكنها تشبثت به .. فلم يستطع ان يتحرك قيد أنملة..

كان قلقه كله يتمركز حول استيقاظ احد ما ..لينزل ويراهما فى هذا الوضع الغريب ...هى ترتجف فى احضانه ..وهو يقف فى مطبخ السرايّ.. لا يستره.. إلا منشفة الحمام ...

وأخيراً... جاء الفرج .. ليسطع التيار الكهربائى من جديد ...

فيبعدها عنه فى بطء حذّر ... قائلا :- خلاص .. افتحى عيونك .. يا زهرة ..تعالى... وأخذ بكفها .. يصعدا لحجرتهما وهى خلفه كالمنومة مغناطيسيا... يمسك بأحد كفيها كطفلة تائهة وبالكف الاخر تتشبث هى بأنبوب أحد المراهم .. التى وجدتها تصلح لعلاج جروحه.. قبل ان ينقطع التيار الكهربائى ...

تنهد فى إرهاق وهو يجلسها على حافة الفراش متسائلا فى

هدوء:- أنتِ كويسة دلوجت...

-الحمد لله... أومأت فى بطء... نظر لأنبوب الدهان الذى تحمله .. فأبتسم فى وهن :- هو ده الدوا...سألها فأومأت

فى صمت ... هاتِ .. هحاول أدهن لنفسى ..

قالت فى هدوء .. ولازال رأسها مشوشاً -أنا بقيت كويسة ... وانت مش ها تعرف توصل لمكان الجرح بنفسك ...

أمسكت بكفه تصطحبه حتى جلس على طرف الفراش لتصعده هى .. تستدير لتجلس خلفه .. وتأخذ جزء من الدهان .. لتنشرها على الجرح فى رقة ... جعلته يجفل... وتتشنج عضلات جسده .. ويبدأ ذاك الشريان فى صدغه ينبض من جديد فى قوة ... فتساءلت عندما لاحظت تشنج عضلاته .. هو بيوجع !!؟؟...

-شوية.. قالها كاذبا ... بس عادى كملى ..

-خلصت ... قالتها وهى تغلق أنبوب الدهان ...ليقف فى تثاقل يلتقط جلبابه من على المشجب القريب ليرتديه... وبعد محاولة فاشلة لم يستطيع فيها تطويع الجلباب ليرتديه بلا ألم ... اندفعت زهرة إليه .. لتتناول الجلباب منه .. لتمرره من خلال رأسه .. وخلال ذراعه المصابه .. ببطء.. حتى لا يحركها .. ويشعر بالآلام ..كان يتحاشى نظراتها ... وهى تجذب الجلباب على جسده .. لا يعرف لما ... انها المرة الأولى ...التى يجد نفسه

فيها ... ينأى بنظراته عن شخص ما ..أى من كان ... ليس عاصم الهوارى من يدارى نظراته .. ويخبأها... بل كانت دوما نظراته جريئة.. قاسية ... متحدية .. نافذة ... لما الأن..!!؟؟..

وأمامها هى بالذات ... يحدث دائما ما لايتوقعه ... يحدث دائما ...للمرة الاولى ... والاولى تماما .. دون سابقة تذكر ..

تركته للحظات ... ثم عادت .. تحمل أحد الحبوب الدوائية وكوب من الماء .. تقدمهما له ..

-ده مسكّن .. علشان ألم دراعك والجروح ..هيخليك تعرف تنام ...

تناولهم فى صمت ... وتمدد على الفراش على الجانب السليم من جسده .. يتابعها بنظراته... حتى أطفأت الأنوار ... وشعر بها تتمدد على اريكتها ثم قالت :- لو عوزت حاجة ... نادينى.. أنا نومى خفيف ...

كان يهم بكلمة شكر ... لكن لا يعرف لم أطبق فمه عليها ..

ولم ينطقها .. وأخيرا .. راح فى نوم عميق .. متألما ومرهقاً

حتى هى راحت فى نوم عميق على غير العادة ولكن اثناء تقلبها على اريكتها سمعت همساً جعلها تستفيق ...نتفضت جالسة فى مكانها عندما سمعت صوته يناديها ... التقطت انفاسها ... وأرهفت السمع لعله يناديها من جديد ..

لكنها لم تسمع سوى همهمات بسيطة ... فقررت أن تستطلع الامر.... قامت من مكانها ... تسير على أطراف أصابعها تتلمس طريقها فى الظلام الذى يعم الغرفة... حتى وصلت قرب فراشه .. ولم تسمع الا صوت انفاسه .. قررت العودة لأريكتها ... فيبدو انها كانت تحلم ... وهى فى منتصف الطريق .. سمعته يهمهم من جديد ... ففتحت تلك الاباجورة التى توجد على الجانب الاخر من الفراش ... واقتربت منه فى بطء لتجده غارق فى بحر من العرق ... اقتربت اكثر وانحنت تضع كفها على جبينه .. لقد كانت حرارته مرتفعة للغاية ... استدارت ... تتجه للباب .. فإذا به يهزى من جديد

ينطق اسمها ... بأسلوب عجيب ... لم تسمعه منه من قبل ...

انها نادرا ما تسمع اسمها من بين شفتيه ... فهو دوما يناديها

يا دكتورة ... او بنت ناجى التهامي خاصة ساعات الغضب .

وكأنه سبة... لم تسمعه ينطق اسمها ... الا فى المرتين اللتان كانت خائفة ومرتعبة فيهما ... المرة الاخيرة .. كانت منذ ساعات قليلة عندما نزلت لتبحث له عن دواء لجروحه ... واحمرت وجنتاها عندما تذكرت كيف اندفعت فى احضانه ... تحتمى من رعبها ... بين ذراعيه العاريتان.. نفضت عن ذهنها تلك الأفكار ... ونظرت اليه ... ها هو يهزى من جديد...ماذا تفعل الان ... وهو فى تلك الحالة... اتوقظ من بالدار !!؟؟... انها لم تتعد الخامسة صباحا ... فلتذهب

وتجعل سعيد الخفيريستدعى الطبيب ...

اندفعت تنفذ ... نزلت فى هدوء للأسفل وخرجت فى خفة ..

تنادى على سعيد الذى ظهر لها كعادته من العدم .. كانت تعتقد ان تلك الخاصية .. ليست الا لعاصم الهوارى ..

عندما يناديه .. لكنه اثبت العكس .. عندما ظهر يفرك بقايا نوم عن عينيه ... ويضبط عمامته على رأسه ... وهو يقول:- خير يا هانم ... تحت امرك ..

-عايزة الدكتور حالاً... روح هاته... من سكات .. مش عايزين نقلق حد ..

-خير يا هانم ... عاصم بيه بعافية ..!؟؟.. كان شكله تعبان وهو راجع امبارح بسلطان ...

-اه ... صح ... يا الله مضيعش وقت .. هات الدكتور من تحت الارض .. بسرعة ..

واندفعت داخل السرايّ من جديد .. دخلت حجرتها .. وهى فى يدها .. منشفة نظيفة .. ووعاء به بعض الماء والخل ..

وجلست بقربه .. تقوم بعمل بعض الكمادات الباردة .. لعلها تخفض ولو قليلا من حرارته المرتفعة.. كان بلا حول ولا قوة .. ملامحة هادئة مستكينة...

انها المرة الاولى التى تتفرس فيه .. وتنتبه لذاك الأنف الشامخ .. وتلك الجبهة العريضة ... والفم الصارم .. والشارب المهذب... والشعر الغزير الحالك السواد...

ملامحه رجولية خشنة ... لا تصلح الا لشخص واحد ..

عاصم مهران الهوارى..

...تلك الملامح حتى مع استكانتها .. تنبئ بالخوف .. والرهبة.. انها تتعجب انه مرض كبنى البشر .. وها هو يتألم ويعانى ...تسألت فى تعجب ..وهل يمرض الغول .!!؟؟.. ظنت ان حتى المرض يهابه .. لكنها كانت مخطئة .. فها هو يرقد .. بلا حراك.. انه حتى يهزى .. وينطق باسمها .. مرارا وتكرارا .. انها تسمعه الان .. ينطقه .. كأنها لم تسمع اسمها يُنطق من قبل ...

-متخافيش .. انا جنبك .. متخافيش ... بدأ يزداد هزيانه.. وها هو يتذكر .. ما حدث بالأمس عندما لحق بها .. وهى تبحث عن دواءه... لماذا تأخر الطبيب ... لمعت الدموع فى عيونها ...وهى تتنبه.... كيف لحق بها رغم ألمه .. هل تذكر

ساعتها مدى خوفها من الظلام .. لقد تحامل على نفسه .. رغم معاناته ليلحق بها ولا يتركها وحيدة .. تعانى ازمتها مع العتمة التى ترهبها ... هل يمكن ان يكون للغول قلب!!؟؟...

سمعت طرقات على الباب .. ليستأذن الطبيب ويدخل ... وينتظر سعيد الخفير على باب الغرفة ...

ألقى الطبيب التحية على زهرة واندفع ليفحص عاصم فى هدوء .. قالت زهرة .. بعد فترة صمت .. رجع امبارح تعبان وعلى كتفه جروح وخدوش ... ودراعه مخلوع .. عملت اللى قدرت عليه .. ورديت دراعه... واخد مسكّن ونام

ومرضيش يبعت لحضرتك .. هز الطبيب رأسه تفهماً... وطلب مقص ... فأحضرته زهرة على الفور ... فبدأ يقص جلباب عصام من الجانب المصاب فى جسده .... واستطاع

ان يدير جسد عاصم بمساعدتها ... حتى يتفحص الجرح والخدوش الموجودة على كتفه الأيمن ... وفحص ذراعه المردودة... وقام باللازم ... وعندما انتهى كتب الدواء ..

مع التأكيد على الراحة .. والغذاء .. وعدم تحريك ذراعه المصابة لبضع ايام .. ووضع لتلك الذراع حمالة لتظل محمولة بها بواسطة الرقبة ...

-لو فى اى حاجة .. ابعتيلى يا مدام زهرة .. فى اى وقت .. تحت امركم ... وانا هزوره اطمن عليه .. كمان يومين ..

-متشكرين جدا .. يا دكتور تعبينك معانا .. وتشرفنا فى اى وقت ... مع الدكتور يا سعيد .. قالتها للخفير المرابط على الباب .. وخد هات الدوا ده معاك من اى صيدلية تلاقيها فاتحة ..وأنت راجع ...

اغلقت باب الغرفة ... ونظرت من جديد لذاك المسجى بلا حراك ... بدأت حرارته فى العودة لطبيعتها .. وبدأت انفاسه فى الانتظام من جديد ... حتى الهلاوس اختفت اخيرا ... وتوقف عن النداء بأسمها .. بتلك الطريقة التى كانت توترها...لا تعرف لماذا ...!!؟؟..لابد من ان تبدل له جلبابه الممزق ذاك ... وتستبدله بقميص يسهل عليها مهمة وضع الدهانات على الجروح فى كتفه... وتبديل الشراشف ايضا ..

ليس الان بالطبع .. عندما يستفيق قليلا .. يمكنها فعل ذلك .. الان عليها اعداد بعض الحساء لأجله .. حتى يستطيع تناول تلك الأدوية التى نصح بها الطبيب مع تغذية كاملة..

نزلت للمطبخ بعد ما تأكدت من انه افضل قليلا ..

بدأت فى اعداد بعض الحساء .. لتفاجأ بأم سعيد تدخل متعجبة ... خير يا زهرة هانم .. البيه بخير دلوجت ..!!؟

لم تكن زهرة فى حاجة للسؤال كيف عرفت ذلك .. فمن المؤكد ان سعيد اخبرها وهو فى طريقه لجلب الدواء

-الحمد لله .. حاجة بسيطة وها يبقى كويس بأذن الله .. بصى

انا خلصت شوربة الخضار ... علشان تبدأى انتِ فى الفطار للجماعة .. متخضيهمش محدش يعرف حاجة .. تمام

-تمام يا هانم ..

حملت زهرة صحن الحساء وتوجهت للغرفة .. فتحت الباب .. لتفاجأ به ينهض بتثاقل من فراشه ..

فاندفعت تضع الحساء على اقرب طاولة .. لتستدير اليه ... فى اللحظة الحاسمة .. لتتلقفه بين ذراعيها ... كان يترنح كالمخمور .. ويعافر ليقف فى ثبات .. يستند بذراعه الأيسر على خزانة الملابس .. التى كان جسد زهرة ينحشر بينها وبين جسده الذى يلقى بثقله عليها ...

-رايح فين ؟!!!..سألت بصوت مكتوم لحملها لثقل جسده ..انت تعبان .. الدكتور قال لازم الراحة.....قالتها وهى تضغط على أسنانها .. تتحمل ثقل وزنه على كتفيها ...

رفع رأسه التى كانت ملقاه على كتفيها فى تثاقل .. وهو ينظر الى عيونها الان .. قائلاً بلهجة حاول ان يودعها ما يستطيع من قوة :- أنا مش تعبان .. أنا شديد .. شديد جووووى ... مع كلمته الاخيرة التى أودعها ما تبقى من قوة.. ترنح بشدة ليسقط على الفراش من خلفه .. ويسحبها معه.. لتسقط فوقه تقريبا ... بين ذراعه اليسرى وصدره ..

لابد انه بدأ يهزى .. انه ينادى باسمها بتلك الطريقة التى توترها .. وتشنجت أعصابها .. لانها ادركت ان حرارته عادية .. وهو لا يهزى كما

اعتقدت .. لانه ضمها اكثر لصدره بيسراه.... لماذا تشعر الان بتهديد خطر يدب فى أوصالها.!؟ .. حاولت النهوض .. لكن يده أعادتها بقوة .. لترتطم من جديد بصدره .. وتقابل عيون قاتمة يغشاها الإرهاق ...هو الداكتور كان هنا!!؟؟... سأل فى ريبة ...

هزت رأسها بنعم... غير قادرة على الرد .. وفجأة انقلب الوضع.. فقد نهض بشكل مفاجئ رغم ألمه متحاملا على ذراعه اليسرى.. لتصبح هى على الفراش ويطل هو عليها من علياءه... ينظر لها بحنق بالغ ... متطلعاً لعباءتها الحريرية ذات اللون الوردي الناعم ... ثم يعود مركزاً نظراته عليها وهو يهمس جازا على اسنانه فى غضب لا يستطيع إظهاره فى نبرات صوته .. بسبب تعبه لكنه طل جلياً من نظرات عينيه :- وجابلتيه بالعباية دى!؟؟.ووجفتى تخدى وتدى معاه فى الكلام طبعاا.. وانا مدريانش بحاچة...

حاولت ان تنطق بحرف واحد لكن نظراته النارية القاتمة وفحيح كلماته جعلها تتلعثم وهى تقول .. لا.. ما .. أصل..

واخيرا نطقت مبررة:- هى فيها ايه العباية !!؟.. ما هى محتشمة اهى....!!؟؟..

-اللون ده .. متجبليش بيه الرجالة.. قالها فى غضب .. هو الأسود والكحلى والبنى المسموح بيهم.. للخروج برا باب السرايا ... غير كده لاه...

-ليه ..!!... هو .. وبدأت فى الاعتراض .. والتذمر الا ان نظراته أخرستها... وبدأت تنسحب تدريجيا .. حتى تنهض من الفراش مبتعدة... وتؤجل الحديث عن الألوان المسموحة .. حتى يتعافى ... لانه بدأ مرة اخرى فى الترنح .. ليعود ليتسلقى من جديد على ظهره .. وكأنه استنفز قواه جميعها فى محادثتهما...

-أنت كويس !!؟؟..قالتها وهى تقترب وتطل عليه ...ليومئ برأسه ويسحب جسده ببطء... ليعود لموضعه الاول مستندا برأسه على وسادة صغيرة.. خلف ظهره..

-لازم تاكل ...الدكتور قال التغذية مهمة... وأحضرت له الحساء ... لتضعه على الطاولة بجوار الفراش ... وتعدل من الوسادة خلف ظهره...

-ماليش نفس .. قالها فى عدم اهتمام ...

-لا لازم تاكل علشان الدوا...انت هاتعمل ذى العيال الصغيرة ولا ايه ... نطقت كلماتها الاخيرة بعفوية شديدة..

لكنه هتف فى عدم تصديق :- ...عيال صغيرة... !!؟؟... تنبهت لفداحة كلماتها ... فحاولت تصليح خطأها بسرعة.. -اقصد يعنى ... لازم تاكل علشان الدوا محتاج تغذية دى كلام الدكتور .. ووضعت صينية الطعام فى حجره... وجلست على حافة الفراش تكاد تقع أرضاً ... وهو لا يريد ان يتزحزح قيد انملة للداخل .. ليفسح لها مكانا مناسبا للجلوس

همت برفع الملعقة لفمه . حين هتف ساخراً:-... هتأكلينى زى العيال الصغيرة!!؟؟.. اضطربت .. وكادت ان تسقط الملعقة بما فيها من حساء ... لكنها أجابت مقنعة أياه :-أيدك اليمين مش لازم تحركها ... الدكتور قال كده ...

هتاكل ازاى !!؟؟..

استلم منها الملعقة مترفعاً وهو يقول :-.. هاكل بيدى الشمال ..مش جصة يعنى ...

قامت من مكانها ... وتركته يحاول تناول طعامه ... راقبته وهى تبتعد ... يأكل ملعقة بالكاد ويسقط عشرة .... انفجرت ضاحكة ... لم تستطع ان تكتم ضحكاتها ... ها هو الأن يشبه الاطفال وهم يحاولون الامساك بالملعقة وإطعام أنفسهم للمرة الاولى ... نظر لضحكاتها الصافية ... انها المرة الاولى التى يسمع فيها ضحكاتها ... لم يراها الا متحفزة متنمرة ..

طال تطلعه اليها وهى تبتسم فى عفوية .. حتى شعرت بأحراج من نظراته المتفحصة... فاستدارت تنأى بوجهها بعيدا عنه ... فناداها ... بنفس الطريقة التى توترها ... فاستدارت اليه فى هدوء ... تطلعت تستفهم ما يريد ..

فمد الملعقة ... ولم يتكلم ... فهمت انه يريدها ان تكمل اداء المهمة التى لم يشأ ان تكملها ... عادت لمكانها بجواره.. وهذه المرة حولت ان تسحب كرسى لتجلس عليه ... لكنه ابعد قدميه قليلا.. وأشار لها أين يجب ان تجلس ...

جلست فى هدوء وتناولت الملعقة فقال :- مكنتش حاسس انى جعان .. بس الشوربة طعمها وريحتها

يفتح النفس .. اول مرة ام سعيد تعمل شوربة عدلة كده ... ابتسمت ولم تعقب ... ورفعت الملعقة الاولى لفمه ... فتلاقت أعينهما ..

تماسكت على قدر استطاعتها حتى لا يظهر إضطرابها على ارتعاش يديها التى تحمل الملعقة .. ومع الملعقة الثالثة.. بدأت تنهار أعصابها .. من جراء تفحص تلك النظرات الفحمية ... واخيرا جاءتها النجدة.. على هيئة طرقات متتابعة على الباب .. استأذن صاحبها للدخول .. فإذا بها الحاجة فضيلة .. تدخل مهرولة .. مذعورة على ولدها .. ما ان رأت زهرة تطعمه .. حتى ابتسمت فى خبث .. وهى تقول :- ده انت الحمد لله بجيت كويس اهو .. دى انا اتخلعت عليك يا ولدى ... بس طالما زهرة جمبك ... أنا مطمنة... اكتسى وجه زهرة بالحمرة خجلا .. وتطلع هو لأمه متعجبا كالعادة كلما رأها تمدح فيها...

اقتربت الحاجة فضيلة تربت على كتف زهرة .. وتقول فى مودة :- ربنا يبارك لك يا بتى .. شكلك منمتيش طوول الليل .. ام سعيد جالتلى انها دخلت عَلَيْكِ المطبخ لجيتك بتعملى شوربة لعاصم ... تسلم

يدك ويسلم تعبك .. نظر لها من جديد ...فوجدها تدارى عينيها عنه خجلا ...

اسيبك تكمل أكلك .. توجهت بكلامها لعاصم ... واروح اوصيلك على غدا محترم ترم بيه عضمك..

وانصرفت وأغلقت الباب خلفها .. فى هدوء وهى تتطلع لهما فى حبور ... وعادت النظرات تتلاقى من جديد ..

خرجت من الغرفة بعد ان اطمأنت على تناوله دواءه وانه راح فى نوم عميق ... على الرغم من عدم نومها الليلة الماضية الا سويعات قليلة لا تتعدى أصابع اليد الواحدة الا انها لاتشعر بالنعاس ... فاخذت رواية كانت قد استعارتها من سهام ... التى بدأت تختفى فترات طويلة فى غرفتها .. وتميل للعزلة لا تعرف لما ... نزلت للحديقة ... تجلس فى ظل أشجار المانجو الوارفة على الأرائك المريحة .. لتبدأ فى القراءة ... لكن لا تركيز لديها ... فتركيزها بأكمله .. يتجه لوجهة واحدة ... تجاه ذاك الذى يقبع مريضا .. فى غرفته بالأعلى ... لا تعرف كيف تفسر ما يحدث لهما .. وبينهما ... هناك شرارات ما تتولد من قربهما ..

لماذا تنتفض عندما ينظر اليها تلك النظرات المتقدة المتفحصة .. ولما تتوتر .. وتتشنج أعصابها .. عندما يناديها بأسمها بطريقة ... تجعلها ترتجف داخليا .. متمنية بان ينطقه دوما ولا يتوقف ... ان ما بينهما أشبه بحبل مطاطى مشدود احيانا ومرتخ احيانا اخرى ... وما بين جذب وشد تمضى علاقتهما العجيبة ... هى تكرهه ..أكدت لنفسها .. ولكن هل تلك الأحاسيس العجيبة التى تعتريها فى غيابه قبل حضوره .. هى مشاعر كراهية..!!؟؟..

بجانب ذلك الحاجة فضيلة وعلاقتها العجيبة بها .. والتى تثير دهشتها ... هى تعرف مدى كرهها لأبيها ورغبتها فى الانتقام منه .. من خلالها .. فكيف تعاملها بذلك الشكل الرائع..!!؟؟ وذاك الثناء الذى لا ينقطع !!؟؟.... وحنيتها التى لم تجدها من امها نفسها ..!!؟؟.. قامت تتمشى قليلا لعلها تهدأ من ذاك السيل من الافكار والخواطر الذى يداهم عقلها ... كانت تقف الان امام بستان من الريحان .. قطفت بعضه .. تستنشقه لعله يعيد لها هدوء روحها وصفاء نفسها ... وعادت لتجلس من جديد تفتح كتابها لعلها تنسى افكارها وخواطرها قليلا بين صفحاته .. لم تكن تدرك ان هناك اعين قاتمة

تراقبها من علیائها.. تطل علیها من شرفة حجرتهما ... تداهمه نفس الافكار وتقض مضجعه نفس الخواطر .. وقف يتابعها بنظراته .. ويتذكر ما قامت به لأجله .. واخيرا قرر النزول اليها .. لا يعرف لما بدأ يستطيب البقاء بقربها ..!!؟؟ ويشعر برغبة ملحة فى استفزازها... والشعور بمتعة عجيبة .. عندما تناطحه .. وترفض وصايته .. وتتمرد على اوامره ..كانت قد بدأت فى المطالعة حين وجدت ظل شخص ما يحجب عنها ضوء الشمس الذى كان يصلها عبر الأغصان .. فرفعت رأسها .. لتفاجأ بسليم .. بن عّم زوجها .. وأخو سمية .. تلك العقربة التى لا تستسيغ صحبتها... كانت لا تستشعر الراحة فى وجود سليم .. دائما ما كانت نظراته فاسقة .. لا تحمل اى قدر من الاحترام لكونها زوجة بن عمه.. انها لا ترتاح لذاك الرجل .. همت بالنهوض ..

ليهتف فى سماجة...:- واااااه يا داكتورة.. اذا حضرت الشياطين ولا ايه ... !!؟؟..

-لا ابدا ... دى انا افتكرت حاجة مهمة نسيت أعملها .. اتفضل ده بيتك ... قالت كلماتها بنبرة رسمية ..

فى تلك اللحظة ظهر عاصم على الدرج متوجها ناحيتها .. وقد فوجئ برؤية سليم يقف معها يتسامر .. اندفع بعنف

ناحيتهما .. حتى وصل إليهما فى اقل من خطوتين واسعتين ..ليهتف فى كل الحنق والضيق .. الذى يحمله فى صدره ..

موجها حديثه لزهرة ... انتِ ايه اللى منزلك هِنا.. ومجعدك فى مجعد الرجالة... اتفضلى على جوة... نظرت فى ضيق له .. ارادت ان ترد .. لكن نظراته النارية حذرتها من مجرد

المحاولة .. فأندفعت فى غضب لداخل السراىّ... ليهتف سليم فى فخر مصطنع :- طول عمرك حمش يا واد عمى...

-خير يا سليم ... ايه جابك بدرى كيده.!!؟؟...سأل عاصم بنفاذ صبر..

-ابدا .. سمعت انك تعبان .. جلت اجى أطمن .. واشوفكم يمكن محتاجين حاجة ..

-تسلم. .. شيلينك لعوزة كبيرة .. انا بجيت تمام .. هى دراعى بس محتاجة راحة .. وها تبجى بخير بأذن الله ...

-طب تمام ... قالها سليم بنبرة محبطة وهو يكمل .. المهم اننا اطمنا عليك ... اسيبك ترتاح ...

-متشكرين على سؤالك وسلامى لمرت عمى وسمية...

-يوصل بأذن الله ...

وخرج من السراىّ... وهو يزفر فى ضيق .. فقد توقع ان يجده بلا حراك .. لكنه قط بتسع ارواح... هكذا هتف سليم فى داخله حقدا...

الفصل الثامن

دخل الحجرة ... يتطلع الى أريكتها .. لكنه لم يجدها..كانت فى الحمام ترتدى منامتها ... خرجت لتجده فى مقابلتها... اخفضت نظراتها .. تحاول المرور حيث اريكتها لكنه كان يسد الطريق عليها ... وقفت بلا حراك.. تنتظر ان يفسح لها الطريق ... بلا جدوى....انتظرت .. وانتظرت ... وكان كالجبل لا يتزحزح... انتظر ان تتطلع اليه تلك النظرات المتحدية التى تتقنها .. وتذهب بعقله وتثير جنونه .. لكنها حتى لم ترفع رأسها تتطلع اليه ...كان يعرف انها غاضبة لما حدث امام سليم .. لكن منذ متى يهمه غضبها .. ويحاول استرضاءها..!!؟.. حاولت المرور .. على حين غرة ... فوقف فى طريقها .. يسده عليها فارتطمت بذراعه المصابة .. فتأوه فى ألم ... جعلها تجفل وتندفع عائدة اليه .. تتأسف فى ندم ...

-انت كويس .. معلش مكنش قصدى ..

-خلاص ... قالها وهو يمسك ذراعه .. وقد غام وجهه ألما ... محصلش حاجة .. وتوجه لفراشه فى صمت ... شعرت

بندم يعتريها ... وتذكرت انه قد حان دهانه على جرحه...كما انه لا زال يرتدى ذاك الجلباب الممزق من ذراعه المصابه .. ولم يبدله بالطبع ..

توجهت لخزانة ملابسه فتحتها .. وتطلعت بها.. انها المرة الاولى التى ترى فيها محتوياتها ... بنظرة سريعة .. أمتدت يدها .. لقسم القمصان ... فتناولت احداها .. وقسم أخر للسراويل المنزلية .. فتناولت واحد منهم ...

ثم فتحت احدى الأدراج التى رأت ام سعيد تضع فيها بعض الشراشف ..فأخذتها ... كان يراقبها صامتا فى استمتاع ... نظرت اليه اخيرا :-... بعد إذنك بس أغير فرش السرير ... تحرك فى هدوء .. للجانب الاخر للحجرة حيث اريكتها .. ليجلس عليها .. فى صمت ولازالت عينيه تتبعها كظلها ... تراقب كل سكناتها... حتى انتهت من تبديل أغطية الفراش ... ثم استدارت له .. وتناولت ملابسه ... واضطربت وهى تقلبهم بين يديها ... فأدرك حيرتها

... فتناول السروال يحاول ارتداءه وهو جالس .. واخيرا جذبه .. الى وسطه ليرتديه كاملا ... وهى تدير رأسها حرجا .. تتصنع البحث عن شئ ما .. اخيرا وجدته عند انتهاءه...

أمسكت بالمقص... لتشق جلبابه وتنزعه بعيدا عن جسده ...

ليظل عارى الصدر .. يشرف عليها بقامته المديدة .. التى تشعرها بضاءلتها ... امتدت يدها لتأخذ منه القميص لتساعده على ارتداءه وهى ترسل نظراتها فى كل أتجاه الا اتجاهين صدره العارى وعينيه القاتمة... لكنه رفض اعطاءه لها مشاكسا فى مرح .. رفعت نظراتها مستفهمة .. ليشير اليها

وابتسامة على شفتيه .. يذكرها بأنها لم تضع دهانه على جرحه بعد ... ادركت ذلك.. فلقد نسيت من اضطرابها ..

انه يشوشها .. ويفقدها تركيزها كليا .. وهو يحاصرها بهذا الشكل الغير عادل .. بنظراته الآسرة .. وصدره العارى..

تناولت الدهان .. واستدارت خلفه .. لتبدأ فى وضع الدهان .. ونشره على مواطن الجرح التى بدأت فى

الاندمال الى حد ما ..كان صامت تماما .. لم يتفوه بكلمة ... الا انها شعرت بتصلب عضلات كتفيه .. انتهت اخيرا .. فتناولت منه القميص ... ادخل يده السليمة اولا ..

ثم وضعت الطرف الاخير من القميص على كتفه المصاب.. وهى تشب على أطراف أصابع قدميها .. لتلاحظ ذاك الشريان .. الممتد بطول رقبته .. ينبض فى عنف .. هل يشكو من شئ ما ..!!؟؟ ..تساءلت فى نفسها .. ورفعت نظراتها .. لتصدم بنظرات عينيه التى ارتجفت عندما طالعتها ... كانت تحمل مزيج غريب من المشاعر .. لم تستطيع تحديدها بالضبط .. مزيج لم تراه من قبل .. يختلف عن تلك النظرات التى لا تحمل فى طياتها سوى الرغبة فى الانتقام .. والتشفى..

وفجأة .. جفل كل منهما .. مع طرقات مسرعة على باب الغرفة .. ودخول أعصارى.. لسمية .. دون حتى الإذن لها بالدخول .. تطلعت إليهما .. لثوانى حاقدة ... ثم اندفعت ..

لعاصم فى هلع مصطنع تتحسس ذراعه وصدره بوقاحة..:-

أنت بخير يا واد عمى ... هتفت فى فجاجة...
خلعت جلبى عليك... دى انا من ساعة ما سليم جالى .. وانا ولا على حامى.. ولا على بارد ... تعال.. استريح فى سريرك .. وجذبته من ذراعه ... استريح .. انت ملكش الا الراحة دلوجت ..

وقفت زهرة فى صمت تتطلع لذلك المشهد الممجوج.. تحاول

على قدر استطاعتها كبح جماح رغبتها فى الامساك بسمية تلك والإلقاء بها خارج الغرفة ... لا تعرف لما سمية بالذات تثير فيها ذاك القدر من الكراهية .. والرغبة الحقيقية .. فى قتل احدهم .. لما هى بالذات يا ترى !!؟؟.. ربما لانها مدعية

وتحاول إظهار ما لا تستشعره حقا و بشكل فج ..!!؟. ربما ..همست فى نفسها .. هى شخصيا ليس لديها تفسير منطقى يريحها ..

اندفعت فى تلك اللحظة الحاجة فضيلة .. تنظر لذلك المشهد بعينى صقر ... لتهتف فى صرامة :-
خلاص يا سمية .. اطمنتى على واد عمك اهو.. بخير والحمد لله .. سيبيه يستريح .. هو ومرته ... وضغطت الحاجة فضيلة على تلك الكلمة الاخيرة ..

وهى تكمل فى حنو .. المسكينة منامتش طوول الليل جنب عاصم من حجها تستريح ..

-طيب...قالتها سمية بحقد سام .. انا تحت على العموم يا واد عمى لو احتجت لأى حاجة...

ونهضت فى تثاقل .. ورشقت زهرة بنظرات مميتة.. وخاصة عندما رد عاصم وهو يتطلع لزهرة التى كانت تقف على الطرف الاخر من الأحداث صامتة .. لم تنبس بكلمة.. ويتعجب لشعوره بإدراك ثورتها الداخلية على الرغم من هدوء ملامحها... فقال وهو يتطلع لزهرة قائلا:-

متشكرين يا سمية .. بس مظنيش هحتاجلك...

ومرتى چنبى...

كانت القشة التى قسمت ظهر البعير .. والتى جعلت سمية تندفع من الغرفة كسهم انطلق من قوسه.. .. وتمتد يد الحاجة فضيلة لتغلق خلفهما الباب وهى ترمى ولدها بابتسامة واسعة ..اما زهرة .. فكانت أشد الموجودين .. تعجبا .. ليس لما قاله .. ولكن لما شعرت به ... ما تلك الفرحة البلهاء التى تشعر بها !!؟؟... وما تلك السعادة التى غمرتها فجأة ...؟؟!!..

لما ينبض قلبها بذاك الشكل المجنون ..!!؟؟... ولما تغالب ابتسامة تحاول القفز عنوة على شفتيها ..!؟؟...

من المؤكد انه قد اصابها الجنون .. لابد وانه كذلك ..

لتفعل بها مجرد كلمات عادية .. كل تلك الافاعيل ..

وتجلب لها ذاك الكم الهائل من الحبور .. وشعور طاغى بالفرحة .. لم تستشعره منذ أمد بعيد ...

كان يتطلع اليها ... والى اضطرابها الذى تحاول مداراته ..كان يعتذر منها بطريقته على شدته معاها امام سليم ..

كانت لاتزال واقفة يعتريها الخجل والتساؤل..

لكنه أدرك كل ذلك بمهارة .. وشعر به فى سهولة عجيبة .. جعلته يتعجب من نفسه .. وقدرته على قراءة مشاعرها واحاسيسها بتلك الشفافية .. متى استطاع ذلك ..!!؟؟.. وكيف !!؟؟...

تمدد على الفراش ... يحاول قطع ذاك التواصل اللاشعوري بينهما ...فاندفعت هى فى عفوية تسحب

الغطاء على جسده المسجى... التقت العيون لثوانى خاطفة...

واندفعت هى تحتمى باريكتها... لعل النوم يزورها ... ويخلصها من تلك المشاعر الغامضة التى تتلاعب بها ..

****

******. تحسنت ذراعه كثيرا ... وعادت لطبيعتها ... والفضل لها ..فالحق يقال لم تكن تغفل عن موعد دواء .. او دهان لجراح كتفه.. او حتى غذاءه ... كانت تهتم بكل كبيرة وصغيرة ..

لا تغفل اى ما يخصه ... فترة بقاءه الطويلة نسبيا داخل السرايّ جعلته .. يحتك بها ويتعامل معها عن قرب .. ليكتشف عنها الكثير الذى يجهله .. والعجيب ان كل ما اكتشفه أسعده كثيرا ..بقدر ما اقلقه .. لان ما اكتشفه جعلها تقترب اكثر وأكثر من قلبه بشكل اثار حيرته ..

رأها ودودة مع الجميع .. ام سعيد والتى دوما ما تمازحها... امه التى تعاملها كابنة لها .. مما يثير تعجبه.. سهام التى تحبها كشقيقة... ودوما ملتصقة بها... ابيه .. الذى ما يفتأ يذكرها بالخير .. وينادى

عليها لتجالسه .. ويأنس لها .. وكم وجده .. يضحك مغتبطاً على نوادرها.. والمواقف التى تعرضت لها .. من جراء مخالطتها للحيوانات....

كانت تتنازعه مشاعره ... ما بين امتنان لها .. وحقدا عليها

هل هذه ابنة الرجل الذى أراد الانتقام منه ...التى أراد

إذلالها وأخضاعها له وجعلها تركع طالبة العفو والرحمة...!!؟؟... يكاد يجن ... من فى السراىّ بأسرها .. لا يحبها .. ويأنس لوجودها .. !!؟؟..حتى انت ... !!؟؟ قال مخاطبا نفسه ... لا .. هتف فجأة .. انا فقط ممتن لما فعلته من أجلى .. أثناء فترة مرضى .. هذا مجرد شعور بالامتنان ليس أكثر ..نعم ... أمتن لها .. وأشكر لها اهتمامها بى.. واعتناءها بأحوالى فى ساعات مرضى .. انا لا احمل لها من مشاعر سوى ذلك ...

انتفض .. ونفض عنه تلك الخواطر بسرعة .. عندما دخلت امه الى المضيفة حيث يجلس .. يتطلع من نوافذها الطويلة ..

التى تكاد تصل للأرض .. الى جانب من الحديقة التى تحيط بالسرايّ... ابتسمت فى محبة خالصة له .. وجلست بقربه ..

تربت على كتفه فى حنان .. وكأنها تنفض عنه .. ما يعتريه من فكر يؤرقه...

-اختك ومرتك .. استأذنونى يخرجوا لأرضنا .. وانا وافجت .. انتبه بكليته لها ... فتابعت...بجالهم فترة مخرجوش بره السرايّ.. ومرتك الصراحة مش متعودة على الحبسة دى ..

وتعبت معاك فى رجدتك.. جلت تغير جو .. أنا بعتهم مع حسان بالكارتة... لغيط الموالح ...

-وماله يا حاجة.. ميضرش ... اهم فى الأمان فى أرضنا مرحوش حتة غريبة... بس تعالِ جوليلى ... أنتِ ايه حكايتك

بالظبط...

-حكاية أيه !!؟..بدأ الاضطراب يعترى الحاجة فضيلة... ولاحظ عاصم عليها ذلك... فهذه من المرات النادرة التى يرى شعور أخر غير الحزم والشدة يرتسم على وجه أمه...

-حكايتك مع بت ناجى التهامي ... ده انتِ بتعامليها أحسن من بتك سهام ... جرى ايه بجى...!؟؟!..كتير كنت عايز استفسر عن المعاملة الملوكى اللى بتعامليها بيها دى كأنك انتِ اللى نجتيها على الفرازة .. علشان تجوزيهالى ...

-صدجت ... كأنى انا اللى اخترتها .. قالتها بنبرات غلب عليها الحزن الدفين .. واللوعة..

-ايه الفوازير دى يا حاجة .. !!؟؟....لأول مرة مفهمكيش .. ولا أبجى عارف جصدك أيه ..!!؟؟...

-تعال فوج على أوضتى... الحيطان ليها ودان .. قالت كلماتها وهى تنتفض من مكانها .. لتتوجه لأعلى الدرج حيث حجرتها....و نهض فى همة يتبعها .. تتنازعه الحيرة من تصرف امه العجيب .. لكنه كان على يقين ان ما ستطلعه عليه ... هو احد اهم اسرارها.. وان لديها ما يبرر تصرفاتها

اغلقت خلفها باب الحجرة فى احكام .. وتركته يجلس على احد الآرائك فى جانب الغرفة وتوجهت لخزانة ملابسها.. فتحت احد الأدراج بواحد من تلك المفاتيح التى لا تفارق رقبتها ... وأخرجت أحد الصناديق المعدنية .. وتوجهت حيث يجلس فلذة

كبدها وجلست فى صمت .. لتوانى .. وزفرت بقوة تحاول تخفيف توترها .. قبل ان تفتح ذاك الصندوق .. لتلتقط منه أحد الصور الفوتوغرافية .. تتطلع اليها فى شوق عجيب .. لم يره عاصم مرسوم على محيا هذه السيدة الجبارة من قبل .. واخيرا .. أطلقت سراح الصورة من بين يديها .. لتمررها اليه .. ببطء..

تناول منها الصورة وهو يتطلع لوجهها الذى تتصارع على قسماته مشاعر شتى ... ثم حول ناظريه للصورة .. ليدقق فيها لثوانى مبهوتا.. ثم يقف من هول صدمته.. مأخوذاً بما يرى ... ينظر للصورة لحظة .. وفى اللحظة الثانية يوجه نظره لأمه ... وهكذا عدة مرات .. حتى استعاد أخيراً رباطة جأشه .. وقال بصوت حاول جعله طبيعيا..

:- دى كنها زهرة مرتى .. بس الصورة جديمة .. وكمان متصورة جمبك... كيف ده!!؟؟...

_دى مش زهرة مرتك يا عاصم ... قررت إلقاء الحقيقة دفعة واحدة .. دى فاطنة أختى ... مرت ناجى التهامي اللى هربت معاه .. واللى انت عارف جصتهم زين ... وتبجى..

وازدردت لعابها .. تحاول الا تتوقع رده فعله المدمرة..

تبجى أم زهرة ...

جلس فجاة .. بعد ان سمع اعترافها كاملاً..و الذى كان بمثابة انفجار هزه ..وأصاب ثباته فى الصميم ....

ظل يتطلع للصورة الفوتغرافية كالمشدوه.. لم ينطق بحرف واحد ... انها زهرة .. كأنها هى ... سبحان الله ... نسخة أخرى منها .. وكأنهما توأمتان...

وفجأة .. لمعت فى رأسه

تداعيات الحقيقة ... بكل تفاصيلها ...

-يعنى انت عايزة تجولى ياما .. ان زهرة تبجى بت أختك فاطنة.. يعنى زهرة بت خالتى ..

!!؟؟..أومأت برأسها ايجابا

وهو لا يزال غير مصدق ما يسمع ويرى ... لكنه انتفض فى عنف وهو يتساءل صارخا :- عايزة تجوليلى انك مكنتيش تعرفى .. ده يُعجل !!؟؟.. متعرفيش ان اختك خلفت بت .. وسمتها زهرة !!؟.... كيف يا حاچة .. كيف !!؟؟..

-ناجى أبوها خبى علىّ... قالتها امه صارخة وعيونها تترقرق فيها الدموع .. انا لو كنت اعرف .. مكنتش سبت بت أختى تربيها ست غريبة عنها .. عمرها ما داجت الا الجسوة على يدها ... ابوها كان خايف انى أخد بته منيه .. بت اختى ..اللى ماتت بعد الولادة... فجالى ان البت كمان ماتت بعد امها ...كنت فاكرة لما كلمتنى وانت جايبها على هنا .. ان دى بته من مرته التانية ... مكنتش أعرف .. انى خليتك تنتقم منيه فى أعز حاجة عندى .... وهنا شهقت الحاجة فضيلة شهقة مكبوتة .. واندفعت الدموع من عينيها اندفاعا..

وكأن سد قد تحطم من جدار روحها ...لم يرى عاصم امه ..

بذاك الضعف .. وتلك الاستكانة .. لم يرى ابدا دموعها تغرق وجهها .. لم يحدث ذلك ابدا .. على الاقل أمامه .. لطالما تساءل .. هل تبكى تلك المرأة .. مثل باقى النساء!؟؟ ..والأن .. فى تلك اللحظة .. يرى ذلك بعينيه ..

اندفع اليها .. متعاطفا مع ضعفها .. الذى لم يألفه ...

يربت على كتفها .. ويقبل رأسها المنحنى خجلا ..تحاول ان تدارى دموعها التى لم تستطع منع هطولها ..

-خلاص أهدى .. أهدى يا حاچة...

-عارف أخر حاجة جالتهالى فاطنة ايه فى جوابها الاخير ليا .. كانت ساعتها فى شهرها .. على ولادة .. جالتلى .. لو جت بت ... هجوزها لعاصم ولدك .. غصب عنه .. وابتسمت فى وهن من بين دموعها .. عرفت ليه جلتلك .. كنى انا اللى اخترتها .. وعرفت ليه .. انا بعاملها احسن من سهام بتى .... لانها بت الغالية .. اللى ظلمناها كلنا .. ومحدش حن عليها .. ابوها يوم ما خبى علىّ وجودها ..

ويوم ما جاب لها مرت أب ما عرفتش معاها طعم الحنية ..ودلوجت احنا ظلمناها .. يوم ما فكرنا ندفعها تمن غلطة ابوها بچوازها بيك غصب عنها ....لو مكانش كل ده اسمه ظلم يا ولدى ... اومال يبچى ايه الظلم !!؟؟..

تداعى اما ناظريّ عاصم كثيرٌ من المواقف التى جعلت الصورة واضحة أمامه بكل تفاصيلها ... معاملة امه لها ..

ابوه عندما رأها للمرة الاولى ... نادى عليها بأسم أمها ..

الدكتور ناجى ولهفته لمقابلة أمه ليلة كتب الكتاب ليعرفها حقيقة الامر .. واخيرا ... ذاك الخوف المرضى من الظلام ..والذى يعتريها .. وسماعه لها تهزى باسم زوجة ابيها ..

فى احدى تلك النوبات .. كانت دليل واضحا .. على سوء المعاملة .. التى كانت تتلقاها .. من تلك المرأة والتى لا تعرف حتى هذه اللحظة انها ليست امها ...

-زهرة متعرفش كل ده طبعا..!!؟؟..سأل وهو على يقين من الإجابة ... ولكن ليطمئن قلبه ...

-أبوها جالى انها متعرفش ....وعايز هو اللى يجولها بنفسه..

-ليه!!؟؟...سأل عاصم فى حيرة..

-معرفاش... هو جالى كده ..

-ومنجلهاش احنا ليه !!؟؟. وبعدين احنا مبنخدش أوامر منيه ناجى بيه ده ... قالها عاصم نزقا .. فى نفاذ صبر ..

-اصبر بس يا ولدى ... ناجى دى بحوره غويطة .. مش يمكن فى حاجات تانى منعرفهاش.. وممكن تضر زهرة ولا حاجة.. علشان كده عايز هو يجلها بنفسه ..!؟؟...

لم يقتنع عاصم بكلام امه على الرغم من إظهاره عكس ذلك ..لكنه قرر ان يطيعها .. ولا يخبر زهرة بحقيقتها .. حتى يرى ما ستنطوى عليه الامور ..

واستأذن من أمه ... بعد ان أعطاها وعدا .. بعدم اخبار زهرة بأى حرف مما دار بينهما .. مهما حدث .. حتى تعرف

متى ينوى ابيها ابلاغها...

لم يكن يدرك كلاهما ... عاصم وأمه .. أن هناك شخص آخركان يسترق السمع لحديثهما... و يدرك الأن سر زهرة ... وأصبح يعرف من تكون ...

****

اندفعت كالمجنونة تدخل دارهم فى عاصفة هوجاء كالعادة ... تنادى امها بأعلى صوتها وهى فى قمة الغضب ..لترد امها فى فزع:-ايه ... خبر ايه يا مخبلة ... داخلة واخدة فى وشك كده ..

كان ذلك رد الحاجة رتيبة ... على دخول ابنتها سمية الاعصارى..

-خلاااااص .. هموت من الغيظ ياما... البت اللى اتجوزها عاصم .. كل ما أجول هجلعها من هناك ... تتبت اكتر واكتر ...

دخل فى تلك اللحظة اخيها سليم .. وهو يطلق صفيرا.. ينم عن مزاجه الرائق ...وما ان رأى اخته تغلى من الغضب ... حتى توقف يسأل فى اهتمام :- ايه اللى حُصل تانى ... مخلى شكلك زى اللى غرج غيطه...

-طبعا جاى ورايج ولا على بالك ... ما انت متعرفش المصيبة اللى سمعت بيها فى دار عمك...

استطاعت ان تستحوذ الان على كل اهتمامه... بينما أمهما تنظر لهما فى ضيق ... وكأن الامر لا يعنيها.. فقالت فى حنق:- لساكى ورا عاصم .. خليكى... والله ما تلومى الا روحك.. وخليكى

عائمة ورا عوم اخوكى... ما هو لو ابوكى لساته عايش .. كنت خليته يلمك... لكن هجول ايه .. أمر ربنا ... هتموتنى ناجصة عمر .. يا ولاد غسان ..

قالت كلماتها الناقمة واندفعت مبتعدة الى المطبخ من حيث أتت..

بينما تحرك سليم ليجلس ملاصقا لأخته.. التى سألها فى لهفة:-

ايه اللى سمعتيه فى بيت عمك.. !!؟؟.. جولى.. انطجى..

-عارف بت الدكتور ناجى اللى اتجوزها عصام دى تبجى مين !؟؟

-تبجى الجمر ..البدر فى تمامه .. حظه دايما عالى ..جايب السما... حتى فى الحريم .. ... قالها فى غل وحقد ... يقطر من كل حرف

-جمر ايه ... وزفت ايه!!؟؟..انت جاصد تشلنى مش كده ..

-جولى طيب تبجى مين ... ومتزعليش...

-تبجى بت خالته.. عرفت يا خووى..

-مش بجولك مخبلة .. خالتة مين يا حزينة.. !!؟..

-خالته فاطنة مرت ناجى التهامى... وهو كان جايل للحاجة فضيلة انها ماتت ورا امها .. وعاصم لما جابها غصب واتجوزها علشان يذل ناجى التهامى كان فاكرها بته من مرته التانية ... فهمت..

-ايه الحدوتة دى ..ما تتصدجش...

-بجلك سمعتهم بودنى وعاصم وأمه بيتكلموا .. عاصم نفسه مكنش يعرف .. البت نفسها متعرفش لحد دلوجت... يعنى زنجت زنجة سودا .. كنت عايزة اخلص منها واخلعها من دار عمى .. تاريها متبتة بالجووى .. بت ...ناجى... قالتها وهى تزفر حانقة زفرة حارقة أودعتها كل حقدها ...

-دى شكلها اتغفلجت بجد ... وراح يفرك جبينه بسبابته .. وهو يفكر بعمق .. لاز بصمت شيطانى .. حتى تفتق ذهنه اخيرا .. عن فكرة جعلته يقفز فرحا ...

انحنى على اخته التى كانت تنتظر بفارغ صبر .. وفتحت عيونها وأذانها على مصراعيها وهو يقول فى جزل :-بصى انا لِسَّه شايف عاصم واد عمك رايح ناحية إسطبلات الخيل .. هتروحيله ..

وهتجوليله اللى هجلهولك ده بالحرف ...سمعانى

...

هزت رأسها عدة مرات .. موافقة فى حماس ..
وهى تتشرب كل حرف ينطق به اخوها....

****

كان يتجه لأسطبلات الخيل ..تتنازعه الافكار ..
وتعبث به الخيالات بعد ذاك السر الدفين .. الذى
قذفته امه بوجهه....

لقد قلب ذاك السر كل الموازين ... ما وضعها الان
.. وما وضعه هو .. هل سيظل يعاملها بنفس
الطريقة المتأرجحة تلك !!؟.. .. وكيف وهو يدرك
الان انها تستحق افضل معاملة .!؟.. هل من
المنطقى ان ينقلب فجأة بالمعاملة للنقيض .. كيف
يمكنه ذلك .. انه حتى لو أراد لن يستطيع .. انها
هى من تدفعه لتلك المعاملة الخشنة .. هى ..
بنظراتها النارية .. التى تحمل الكثير من الندية
والتحدى ..و..كذلك

.. كذلك ماذا.!؟ .. لا يعرف .. عندما يراها أمامه
.. يحدث له أمورا .. لم يعهدها من قبل .. تعتريه
مشاعر وأحاسيس .. لم يخبرها .. تجعله يريد

الانتقام منها .. لانها السبب فيها .. لانه لا يدرك حاجته لمشاعر كالاهتمام والحنان .. الا بوجودها .. انها تدق حصون قلبه المنيعة بمعول من حنان ورقة .. لم يسبق له ان تجرعهما.. ان قلبه القاسى .. قلب الغول .. يأن لنظراتها البريئة ..

ويأخذه الكبر عندما تنقلب تلك النظرات لنظرات تحدى وندية.. تجعله يفقد صوابه .. ليعود وحشا من جديد ...

انتفض من خيالاته .. عندما وجد شبح لأمرأة خلف احد الأشجار يشير له .. نهض فى حذّر .. وعندما اقترب أفصحت المرأة عن نفسها ...

-سمية ...؟؟!! ايه اللى جابك هنا .. مرحتيش ليه على السرايا !؟.. قالها حانقا .. من ظهورها المفاجئ فى مكان يعج بالرجال .. التى تأتى لمقابلته من كل صوب وجهة..

-عيزاك ضرورى فى أمر مهم ميتأجلش...

-استنينى فى السرايا .. روحى .. واستدار مغادرا ليقطع عليها استرسالها فى الحديث .. لكنها استطاعت ان تجذب انتباهه مرة أخرى عندما هتفت ... موضوع بخصوص مرتك..

استدار بكليته ليواجهها وقد ضاقت عيناه وهو يسأل فى حيرة :- موضوع ايه .. !!؟؟ .. صمتت فى دهاء .. لتثير فضوله .. الا انه هتف فى نفاذ صبر .. ما تنطجى .. موضوع ايه !!؟؟..

-مرتك .. بتتوالس مع واد عمها على اختك ..!؟؟..

-ايه اللى بتجوليه ده.!؟؟ .. شكلك اتجنيتى ...هتف بغضب مكتوم

-لاه .. متجنتش .. ولسه بعجلى يا واد عمى .. مش مصدجنى.. روح شوفهم عند غيط الفاكهة .. هتلاجيها واجفة مع واد عمها .. حسام .. وفى يدها سهام ..

كان يسمع كلماتها التى تشتعل كراهية وحقد .. وهو يغلى غضبا ..

وحنقاً .. ظهر فى كلماته وهو يقول :- عارفة لو اللى بتجوليه ده مطلعش صوح .. هعمل ايه ..!!؟؟..

نظرت اليه فى دلال .. وهى تقول فى غنج :- اعمل فيا اللى انت عاوزه انا جابلة... بس انا عمرى ما اكدب عليك ..انت بالذات يا واد عمى ... ولولا ما

انت تهمنى .. وشرف الهوارية اللى انت رافعة دايما لفوج راس الكل .. يهمنى ...مكنتش جيت وجلتلك علشان فى الاخر يبچى جزاتى تعاملنى كده ... قالت كلماتها الاخيرة وهى تقترب منه فى اغراء .. لم ينتبه له .. ورأسه تموج بالكثير من الافكار .. وقلبه يغلى على مرجل مشتعل ..

دفعها عنه ... وهب مسرعا .... ليقفز فى رشاقة ليعتلي صهوة جواده سلطان ويندفع حيث غيط الموالح ... تسرع فى أثره شياطين الدنيا ...

****

-مش يا الله بقى يا سهام .. الشمس حامية .. وأنا تعبت الصراحة..

يا الله نرجع السرايا ... بقالنا كتير هنا ..

-لا شوية كمان يا زهرة ... قالتها سهام متشبثة فى ذراعها كالأطفال... هو احنا ورانا ايه لما نرجع .. ولا اتوحشتى عاصم

..اعترفى..

على الرغم من ان زهرة تفاجأت بسؤال سهام الاخير ... الا انها حاولت التظاهر بثباتها على قدر

المتستطاع ...وهى تبتسم فى هدوء :- طيب خلاص .. هنقعد كمان شوية صغيرين.. علشان خاطرك ..

وفجأة سمعوا سلاما ...

- السلام عليكم .. نطقها حسام من خلفهما .. جعلهما يستديران فى سرعة ..لتكون سهام اول من أجاب بأشراقة على وجهها..

-وعليكم السلام يا استاذ حسام .. ثم أجابت زهرة ..

-أزيك يا حسام وازى عمى.!!؟ ...

-الله يسلمك يا داكتورة .. تمام ..بيسلم عَلَيْكِ

كان يحدثها لكن عيونه تنصب على سهام .. لا تغادرها.. وهى على غير العادة .. مستمتعة .. تقابل نظراته بابتسامة عذبة خجول .. ماذا يحدث هنا !!؟؟... سألت زهرة نفسها .. وهى تتعجب مما ترى .. وأين ذهب شجار القط والفأر .. والذى يبدأ .. عندما يجتمعا .. !!؟؟..

لا تعرف لما شعرت بالخطر .. فجذبت سهام من يدها وهى تقول ..-طيب احنا كنّا لِسَّه ماشيين يا حسام علشان اتأخرنا..

-لِسَّه بدرى يا زهرة .. جذبت سهام يدها .. مستعجلة ليه .. !!؟..

-ايوه صح يا بت عمى ..مستعجلة ليه .. !!؟؟..سأل حسام

-لا مش مستعجلة ولا حاجة .. بس اصل احنا أتأخرنا.. ولازم نرجع ... قالت زهرة بلهجة تحذيرية لسهام

-انا اللى اتأخرت .. قالها فى ابتسامة اعتذار وهو ينظر لسهام ..

فزاد شعورزهرة بخطر ما يحدق بهم جميعا ... ان إحساسها فى ذاك الصدد لا يكذب ابدا ... شعرت بان برودة ما تجتاح معدتها .. وهى تتذكر ان ذلك كان نفس الهاتف الملح عليها .. عندما اختطفها عاصم .. لابد وان يرحلوا .. الان .. وفورا ..

-ألحجينى يا داكتورة .. جاموستى بتموت ..

قالها احد الفلاحين .. والذى يبدو عليه الهلع .. والخوف من فقدان بهيمته الغالية .. والذى ظهر فجأة من العدم أمامهم جميعا ... وقد وجدت زهرة ظهوره نجدة بعثها الله فى الوقت المناسب .. لتحجم

ذاك الشعور المتناهى بالخطر والذى اعتراها منذ ظهور حسام ..

-فين يا حاج ... أهدى ودلنى على مكانها .. وانا تحت امرك ..

وسارت زهرة خلفه تجذب فى يدها سهام التى كانت تسير خلفها مغصوبة .. فى ضيق واضح .. كطفلة أنهوا رحلتها المحببة فجأة

رغما عنها ... لكن حسام تبعهم مصراً .. .. كان دار الرجل وزريبة ماشيته تقع فى الركن القريب من حقل الموالح ... فوصلت زهرة لتلتفت وتجد حسام مازال يسير خلفهم ..

-تقدر تمشى يا حسام .. انا هشوف جاموسة الراجل الطيب ده وهنروح على طووول .. قالتها وهى تنظر لسهام نظرة تحذيرية كى لا تعارض كلامها .. فصمتت .. متزمرة.. اما حسام فقال فى ثبات ..

-لا ميهمكيش يا بت عمى .. شوفى شغلك .. وانا هستناكم...مينفعش تفضلوا هنا من غير راجل معاكم...

لم تكن تملك الوقت لتجادله .. وذاك الرجل الفقير .. يتعجلها..

فدخلت زريبة ماشيته .. وهى تجذب سهام خلفها.. وتترك حسام خارجها... ولم تدرك وهى تندمج فى عملها .. بشغف كالعادة..

ان سهام غافلتها وخرجت متسللة .. لتقف مع حسام خارجا ..

-أتأخرت على فكرة وكنت همشى بجد ..قالتها سهام فى دلال

-معلش.. غصب عنى .. ده انا جيت جرى.. وسبت كل اللى فى يدى .. علشان اشوفك .. لما عرفت أنكم هنا ..

ابتسمت فى خجل .. وهى تتطلع اليه هائمة:- خلاص .. سماح المرة دى ..

-تفتكرى زهرة خدت بالها ..!!؟؟....سألها فى توجس

-هى حست اكيد بس مش متأكدة طبعا ... لأنى مجلتلهاش حاجة..

-ربنا يستر ... لأن .. وقطع أسترساله عندما وجد عيونها تجحظ فجأة وتنتفض فى هلع .. لتجرى مسرعة ناحية الزريبة التى تتواجد بها زهرة .. صارخة فى ذعر ..:- ألحجينى يا زهرة ... ألحجينى يا مرت اخوى .. اخوى جاى على هنا .. وشافنى مع حسام .. واد عمك ...

كان صراخها كفيل بان يفزع ليس زهرة وحدها .. بل تلك البهيمة ايضا والتى انتهت زهرة من علاجها اخيرا .. لتنتفض البهيمة فى ذعر متقهقرة لتصدم زهرة وتسقطها أرضا وتدهس على قدمها بحافرها الضخم ... لتتعالى صرخات زهرة هذه المرة ... ويندفع كلا الرجلين ..عاصم وحسام ... لداخل الزريبة ... بعد ان كان كل منهما يقف قبالة الاخر .. كليث فى سبيله للدفاع عن مملكته ..

صرخاتها فقط هى التى جذبت انتباههما بعيدا عن صراعهما..

اندفع عاصم فى جزع ناحية زهرة التى كانت ترقد بلا حول ولا قوة جبينها يتصبب عرقا ... وعيونها تغيم من دموع ألم .. تحاول كتمانها ... نظر لحظات لأخته فى حنق واضح وهتف بها ..روحى

نادى لحسان بالكارتة على هنا بسرعة .. واستنينا فيها

سمعانى .. ودقق على الكلمة الاخيرة التى قالها من بين اسنانه .. واندفعت هى تنفذ فى سرعة اقرب لسرعة الضوء .. المهم انها تختفى من امام نظراته الان بأى ثمن ..

وجه أنظاره لزهرة التى زاد عليها الالم .. اقترب ليضع يديه خلف ظهرها تمهيدا لحملها .. لكنها أبت فى اصرار .. فمد يده لتستند عليها ... وضعت كفها الرقيقة فى كفه الرجولية الضخمة .. فكانت كنجمة فى احضان السماء ... سرت فى جسدها أرتعاشة وهو يطبق على كفها حتى تستطيع تحميل جسدها علي كفه .. فأرجعتها لإحساسها المتزايد بالالم ليس اكثر ... صرخت للمرة الثانية ألما ..

عندما لامست قدمها الارض .. وتهاوت .. لثوانى ظنت انها عادت للأرض من جديد .. لكنها كانت بين ذراعيه ... لماذا دوما لا تحدث لها المصائب الا وهو قريب منها .. ويكون نتيجتها الحتمية هى الارتكان على تلك الذراعين .. والاحتماء بذاك الصدر ...

لماذا لا يدعها بمصائبها ....فى سلام ..

فجأة وجدت نفسها مرفوعة إجباريا لمستوى صدره ... ينظر اليها نظرات عجيبة .. مبهمة .. لا تعرف .. كأنها تحمل من البغض والكراهية بقدر ما تحمله من الإشفاق والخوف عليها ...

ما به!!؟؟..لماذا يبدو غريبا عنها ..!؟... على الرغم من انها بين ذراعيه يحملها ليتوجه بها خارجا حيث عربة حسان التى وصلت الأن ... الا انها تشعرانه بعيد عنها .. بعد المشرق عن المغرب..!؟؟..

ذراعاه متصلبتان حولها ... وعيونه زائغة لا تريد ان تقابل نظراتها .. كأنما تتهرب منها .. وجسده متشنج .. !!؟؟.. يكاد يكون عودا من صلب .. وضعها بسهولة فى العربة بجوار سهام التى كانت مطأطأة الرأس لا تريد مقابلة نظراته ... اما هى .. فكان يتحاشى نظراتها متعمداً بشكل عجيب .. تحركت العربة .. وتركت حسام خلفها .. يرمقه عاصم بنظرات متوعدة ...كادت ان تحرقه حيّا ... لم ينطق الا بكلمة واحدة ... كانت موجهة لحسان .. ليتوجه لعيادة الطبيب ... ليفحص قدم زهرة

المصابة .. والتى ألقى عليها نظرة سريعة ... قبل ان يبعد نظراته عنها متجاهلا إياها ..

كانت العربة تسير بهم متأرجحة على تلك الطرق الغير ممهدة .. فتزيد من الم ساقها الذى بدأ يطرد مع كل اهتزاز للعربة ..كانت تتطلع اليه خلسة .. فتجده صامت متجاهل .. على غير عادته ..

لماذا تتوجس خوفا .. وتشعر ان ذاك السكون الذى يسبق العاصفة

وان خلف ذاك الصمت المريب .. الكثير من الافكار والخواطر التى لا يعلم مدى خطورتها الا الله ...

هل رؤيته لحسام وسهام معا هى سبب تغيره المفاجئ هذا ..!!؟؟

نهرت نفسها فى عنف .. ناعتة نفسها بالغباء .. طبعا لها تأثيرها..

ده أكيد ... ألقت نظرة على سهام التى تجلس بجوارها ترتعش رعبا لا تجرؤ على رفع رأسها .. ومقابلة نظراته .. انها حقا تشفق عليها .. ماذا ينوى ان يفعل مع تلك المسكينة !؟؟...

لم تعرف انهم وصلوا للوحدة الا عندما بدأت العربة فى التباطئ ..

وطالعهم بناء ابيض من دور واحد ..يفصح عن نفسه ..

نزل عاصم فى هدوء ... ولم ينتظر ان تسمح له بحملها .. بل حملها فى سرعة ... ومهارة لتعود مرة اخرى لحصار ذراعيه المتشنجتين ... وقبل ان يدخل للوحدة الصحية استدار لسهام يأمرها بصوت كالفحيح .. متتحركيش من عيندك لحد ما نرجعوا...

لم تجرؤ على التفوه بكلمة .. بل هزت رأسها عدة مرات ايجابا..

دخل للوحدة فاستقبله الطبيب فى ترحاب متسائلا ...:- خير يا عاصم بيه ... المدام فيها حاجة...وهو ينظر لزهرة التى يحملها بين ذراعيه بوجه متجهم ...

-أه يا داكتور .. يا ريت تشوفها .. كانت بتكشف على بهيمة من البهايم .. وداست على رجلها .. هنا جريب منك .. فجلنا نعدى عليك أسرع .. بدل ما نروح السرايا .. ونتعبك تيجى...

-الف سلامة يا هانم ... قالها الطبيب وعاصم يضع زهرة على سرير الكشف الطبى ... واقترب من زهرة .. يسألها .. عن كيفية حدوث الإصابة من جديد ... فسردت له ما حدث دون التطرق .. للجزء الخاص بسهام .. وبأفزاعها لها وللبهيمة .. والتى كانت السبب الأساسى فيما حدث ...

- طيب نكشف على رجليك ونشوف ... وامتدت يد الطبيب تكشف عن قدمها غطاء الكشف الأبيض .. الا انها لاحظت وقوف عصام فى مكانه لا يتزحزح ... فوضعت يدها .. على الغطاء .. لا تريد ابعاده عن قدمها ... تسمر الطبيب فى مكانه .. شاعراً بالاحراج.. نظرات عاصم الموجهة لها .. كانت لامبالية بشكل كبير .. لكن على الرغم من ذلك ... قال بصوت هادئ .. ولم يحول نظراته عنها ... اكشف من فوج الغطا يا داكتور ..

امتثل الطبيب لأوامره ... وما ان امتدت يده لتلامس موضع الإصابة الذى بدأ يتورم .. حتى ندت عنها أهة عميقة .. جعلته ينتفض رغما عنه ... وكمحاولة للتستر على تلك الانتفاضة .. سأل

الطبيب فى اهتمام..:-خير يا داكتور .. فى حاجة چامدة ...!!؟؟..

-لا متقلقش حضرتك .. هى بس كدمة شديدة شوية .. لازم لها الراحة .. وانها مدسش على رجليها المصابة .. أوتحمل عليها بتقل جسمها .. على قدر الإمكان .. مع رباط ضاغط وشوية أدوية .. والراحة بكتيره اسبوع هاتبقى تمام .. ان شاء الله ..

-تمام .. قالها عاصم وهو يهز رأسه فى تفهم ... ثم يستدير اليها بكليته ... ليحملها من جديد ... يا ليتها تستطيع السير لتبتعد عن ذراعيه مئات الاميال .. قالت لنفسها ..وهى تكتم انفاسها قابعة فى ذاك التجويف المسمى صدره .. تتسلل اليها رائحة عطره

الرجولى .. وتنصت لتلك الدقات الصاخبة .. التى يصدرها ذاك القلب القاسى .. ..تلك النبضات التى يتردد صداها فى ذاك التجويف الذى تحتله بين ذراعيه ...وكأنها طبول تعلن الحرب ..

رفعت ناظريها فى حذّر ...لتطالع ذاك الذقن الغير حليق..

والذى أعطاه مظهراً... أشبه بالقراصنة .. وقطاع الطرق ..

ذقن متعجرف .. مثل صاحبه .. يرفعه فى ثقة من لا يهاب شيئا

..عند نهايته يقبع ذاك الشريان ... الذى ينتفض فى قوة ... تنذر بالخطر ..تعلقت عيناها بذاك الشريان ... بشكل لاأرادى... لا تحيد بعينيها عنه ... ولم تدرك انه تنبه لعينيها المعلقة به ..الا وهو يضعها على فراشها .. لقد وصلت السرايّ .. ولم تشعر..!!؟! .. لقد استغرقت الطريق كله فى تأمله .. ولم تستوعب ماذا يحدث .. الا عندما وجدت نفسها فوق الفراش فى غرفتهما ..انزلها .. فى بطء وحرص شديدين .. وكأنها مصنوعة من زجاج .. وما ان سحب ذراعيه من تحتها .. حتى استند بهما على الوسادة التى تريح ظهرها عليها .. لتصبح اسيرته من جديد .. لم يتفوه بكلمة .. لم لا يتكلم .. لم لا يثور .. ويتوعد كعادته... كل ما نالها منه ... هى تلك النظرات المختلطة التى تربكها بحق ... تلك السهام التى يرسلها بعينيه ... تحمل خليط من مشاعر لا تستطيع فصلها .. وتمييزها..

انها ترتعش الأن .. وهى لا تستطيع الهرب من تلك النظرات المحاصرة لها .. تكتم انفاسها .. التى لا تستطيع اخراجها من صدرها .. الذى بدأ يضج بتلك الدقات الصاخبة التى تمزقه..

واخيرا ... ابتعد فى بطء .. ليسير باتجاه الباب .. ويقول بنبرة

عميقة ....هبعت لك الدوا اللى كتبه الداكتور مع خال.. وصمت فجأة.... ليستدرك .. مع الحاجة..

وخرج واغلق الباب فى هدوء ...

الفصل العاشر

سار عبر الممر القصير الذى يفصل جناحه عن باقى غرف السراىّ ليمر بجوار غرفة سهام .. ليتوقف قليلا .. ويطرق الباب

ويدخل ليجدها .. تقبع متكومة فى احد جوانب فراشها .. وما ان رأته .. حتى انتفضت واقفة .. تتراجع للخلف .. كلما تقدم منها ..

تعلو وجهها علامات الرعب من مجرد التفكير فى ردة فعله .. والتى تتوقعها شرسة بالطبع ..

اصبحت الأن تلتصق بالحائط خلفها .. لا ملجأ اخر تأوى اليه ...

وقف يتطلع اليها ... لبرهة من الزمن ... مرت عليها .. دهراً.. قبل ان ينطق متسائلا بصوت هادر :- ايه اللى بينك .. وبين بن جدرى التهامى.. !!؟؟..

انتفضت وهى تجيب فى سرعة وبحروف مضطربة :- ها يكون ايه يعنى ... مفيش يا خووى ... دى انا مشفتوش غير مرتين ... فى الارض ....مع زهرة ... حتى أسألها .. دى انا حتى مكنتش أعرفه جبل سابج ... ولا عمرى شفته..

-يعنى فى المرتين شفتيه مع زهرة ... !!؟؟..سأل بلهجة عجيبة لم تفهمها .. لكنها أجابت بسرعة ... آه .. طبعاا .. كنت معاها .. أسألها حتى وهى تجولك ...

-ما أنا هسألها طبعا ... همس فى لهجة مسمومة ... وهو يشرد فى تخيلات شتى ... حتى انتبه مرة أخرى ليسلط نظراته القاتمة على أخته التى انتفضت من جديد .. وهو يقول .. مفيش خروج تانى ليكم بره السرايا ... الا معاى.. فاهمة ...!!؟؟

-أه .. طبعا فاهمة فاهمة ... أمرك يا خووى..
واستدار ليخرج من الغرفة كالعاصفة صافقا الباب خلفه فى عنف ...

****

تناولت دواءها .. الذى أحضرته لها الحاجة فضيلة وهى ملتاعة

بعد ان علمت بما حدث ... جالستها قليلا .. ثم تركتها لتستريح ..

لأن دواءها يسبب النعاس ... استلقت على الفراش .. وأغمضت عينيها .. لكن ذاك النعاس المزعوم .. لم يزور جفونها .. كانت تتمنى لو تستطيع ان تأخذ حماما دافئا يلقى عنها ذاك الأرق السخيف الغير مبرر ويدفعها للنوم .. وكالعادة دون تفكير مسبق .. نهضت فى بطء .. تتوجه للحمام .. وهى تقفز على قدم واحدة .. وحمدت الله ان ما من احد تنبه ان قدمها المصابة ..بدون ذاك الرباط الضاغط الذى أوصى به الطبيب .. فلا قدرة لها على الانحناء لتفكه .. او تربطه من جديد ... بدأت تلهث بسبب قفزاتها المتتالية .. ولازال باب الحمام بعيدا ... ستفقد وعيها حتى تصل هناك .. قالتها فى خيبة أمل

.. .. وأخيرا وبعد معاناة .. وصلت لأعتاب الحمام .. وكادت ان ترقص فرحا .. الا ان صوت باب الغرفة الذى فُتح فجأة ... أجفلها .. فكادت تسقط .. ولكن كالعادة ...تلك الذراعين تلقفاها .. من جديد .. لما تشعر أنهما أصبحا قدرها .. هما .. وصاحبهما ..

-جمتى ليه من سريرك ..!؟؟؟... سأل فى حنق ..منادتيش ليه على حد يساعدك .. !!؟؟..

-أكيد الكل نام دلوقت .. محبتش أذعج حد ... قالتها متوترة

-هناديلك سهام .. قالها وهو يحاول مساعدتها لتجلس على احد المقاعد المجاورة ..

-لا مفيش داعى ... قالتها فى سرعة .. دى أنا كنت هاخد حمام علشان اعرف انام ... اللعنة على تسرعها وزلات لسانها التى لاتنتهى ... لماذا ينزلق لسانها دوما ... ولا يكبح جماح عشقه لسرد التفاصيل .. له هو بالذات ...

فجأة لمعت عيناه ببريق عجيب ...جعل انفاسها تتوقف .. عندما قال ...:- بسيطة .. عايزة تاخدى حمام .. مفيش اسهل من كده ..

-ايه هو اللى بسيط دى ... ومفيش اسهل منه ..!!؟
..سألت بتوجس وبنبرات متوترة...

لم يجيبها .. بل حملها بذاك المقعد الذى تجلس عليه ...وتوجه للحمام ... قالت فى فزع حقيقى ... من فضلك نزلنى ... خلاص مش عايزة .. انا خلاص جالى نوم والله ... رجعنى على سريرى لو سمحت ...

- أولا ده مش سريرك .. ده سريرى أنا ... ثانيا ...انا مش سواج جنابك ..تجوليلى نزلنى هنا يا أسطى .. أجوم اسمع الكلام وانزلك .. ثالثا .. وده الأهم .. أنت عايزة حمام ... يبچى لازماً تخدى حمام .. انا مرتى متنامش ونفسها فى حاچة أبداً ... قالها بلهجة مازحة .. مشاكسا إياها ..

- طيب انا نفسى ارجع الاوضة ... قالتها وهى تعتقد انها نجحت فى إمساك نقطة عليه ..

- من عنايا ... هارجعك طبعا

- .. صحيح.. قالتها مقاطعة..

لكن بعد الحمام .. استدرك وشعرت هى بخيبة الامل .. وهى تراه يعدل من ضبط المياه

الساخنة والباردة .. من صنبور المغطس .. الذى أزاح ستائره جانبا ... وما ان وصل ضبط المياه .. لدرجة معقولة .. حتى حملها وكرسيها ليدخلهما المغطس ... شهقت هى فى عدم تصديق لما يحدث .. وزادت شهقاتها عمقا عندما مد يده .. لأسفل ذقنها .. ليفك رباط حجابها .. فأنتفضت متمسكة به ... وهى تهتف فى ذعر ..

أنت بتعمل ايه ..!!؟؟..

-حد هياخد دش بالحجاب...!!؟؟..رد لها سؤالها بسؤال.. متخابثاً ... ولازالت لهجته المرحة تبطن كلامه...

-يعنى هو فى حد بياخد دش بهدومه ...!!؟؟.. قالتها فى تهور

ثم لعنت نفسها الف مرة ... لما لاتصمت .. لما لاتخرس وتبتلع لسانها الذى سيوردها يوم ما موارد التهلكة.. ان لم يحدث ذلك اليوم... الأن .. وفى تلك اللحظة .. ابتعدت يديه عن عنقها .. لتبرق عيونه من جديد .. بنظرات عابثة.. وهو يقول.. تصدجى صوح ..!!؟؟..وهم بالاقتراب منها .. الا انها صرخت فى زعر...

جعلته يتراجع ضاحكا .. مؤكدا .. انه ما كان فاعلها .. وإنما هو تهديد .. ليفزعها ليس أكثر ..خرج من الغرفة لحظات ... ليعود بمقص فى يده ..

جعلها... تجفل وهى تتمسك بأطراف عباءتها.. امتدت يده ... لتقص عباءتها .. على احد جانبيها .. وهى لازالت تتمسك بها .. تضمها اليها .. حتى انتهى .. وقد غامت عيناه ... واختفى البريق العابث .. ليحل محله قتامة تحجب الرؤية تماما ... عن قراءة اى مشاعر تسكن تلك العينين ... وهمس بصوت متحشرج ...يحاول تغليفه بالمرح.. واحدة بواحدة ... فتذكرت ما فعلته بجلبابه عندما أُصيبت كتفه.. فكتمت ضحكة كادت تقفز على شفتيها .. وتنبهت وهو يقول .. خدى راحتك .. ولما تخلصى نادينى ... وتناول مِئْزَر من خلف الباب ووضعه على مقعد اخر بجوار المغطس قائلا .. ألبسى ده .. ها يبجى سهل عَلَيْكِ ... واستدار خارجاً... وتنفست الصعداء ... وهى تحاول تنفيذ ما

نصحها به ... وأعترفت أنها ما كانت لتستطيع خلع تلك العباءة بمفردها .. مع حال قدمها المتورم.. وداخل المغطس الذى قد يعرضها للأنزلاق .. وحدوث كارثة أخرى ...

انتهت من حمامها ... غير قادرة على مناداته .. لا تواتيها الشجاعة لتفعل ...ولم تكن فى حاجة لذلك ..فعندما سمع صوت خرير الماء وقد توقف منذ مدة .. وهى لم تنتهى .. فقلق .. وجاء يطمئن .. ببعض طرقات على الباب .. فسمحت له بالدخول ...

توجه لها ليحملها من جديد ... ولكن هذه المرة .. أنتقلت لها عدوى التشنج لتكون من نصيبها .. خاصة وهى تلملم أطراف مئزرها الحريرى .. عند نهاية عنقها تارة .. وأسفل ركبتيها تارة أخرى ... غير قادرة على تثبيت تلك المنشفة التى جمعت بها شعرها الندى بديل عن حجابها ... لتسقط غير مأسوف عليها وهو يضعها على الفراش ... ليتناثر شعرها الرطب ..على ذراعه التى كانت لاتزال تحيط بكتفيها .. وضعها ببطء .. وهو يحاول بمجهود جبار كتم شهقة ندت عنه وهو يزيح ذراعه .. لتتساقط

جدائله مارة بساعده... ليقف لحظات مبهورا .. ثم يتحرك .. فى هدوء .. يحسد عليه ... حيث موضع أدويتها .. على الجانب الأخر من الفراش ليتناول ذاك الدهان .. حانت منها ألتفاته له .. وهى تجمع شعرها .. وتضع علي رأسها تلك المنشفة التى ولحسن الحظ.. سقطت بالقرب من رأسها .. فوجدته يتناول بين يديه الرباط الضاغط .. اذن فهو لم ينساه .. عاد من جديد .. ليجلس أسفل قدميها .. ولا تستطيع هى ان تأتى بأى حركة ... مع ذاك المئزر الحريرى .. الذى يقيد حركتها .. مد كفه ليتناول قدمها ويرفعها ليضعها على فخذه.. فتندفع هى تلملم أطراف ذاك المئزر اللعين .. لتغطى ما تصل له يديها .. فلا تنكشف ساقيها... كانت يداه ماهرتين .. تعرفان موضع الألم بالضبط.. كيد خبير .. وضع الدهان وبدأ فى نشره ... بحركات دائرية حول موضع التورم ..

شعرت بالراحة ...وبدأ الأسترخاء يدب فى أوصالها .. حتى انتهى أخيرا ... فتناول الرباط الضاغط وبدأ فى لفه حول كاحلها .. وموضع

التورم ... لم يرفع رأسه عن قدمها .. طوال فترة عمله .. وما أن انتهى حتى أعاد قدمها لموضعها ونهض ساحبا غطاء الفراش على جسدها .. وأطفأ الأنوار ..

ليعم الصمت التام ... الذى لا يقطعه .. الا وجيب القلوب ..

وذاك الأرق الذى طرد النعاس بلا رجعة ...ولم يزورهما حتى خيوط الصباح الأولى ..

استيقظ متململا بسبب النوم على تلك الأريكة التى لا تناسب طوله الفارع ... تمطع يشعربتيبس ظهره ...وتطلع حوله لا يدرى كم الساعة الأن ... فالستائر تعتم الحجرة بالكامل فلا تدرك فى اى ساعة تكون ...من نهار او ليل ..

نظر لشاشة هاتفه ليفاجئ انها تخطت التاسعة .. نهض فى تثاقل ... عظامه تأن ..يسير متسللاً حتى لا يوقظ زهرة

وقد أرهف السمع .. فتناهى لمسامعه صوت تنفسها المنتظم

مما يؤكد انها لاتزل تغط فى نوم عميق ..

وقف يتأمل محياها .. وبداخله ألف تساؤل ..

تثير شكوكه مرة .. وتطمئنه مرة.. لا يعرف أيهما يصدق !!؟.. هل يمكن ان يكون ادعاء سمية صحيح ..!؟.. هل يمكن ان يصل انتقامها مما فعله بها .. حد توريط اخته سهام .. مع بن عمها ..!؟.. ام ان شكوكه تلك مجرد شكوك حمقاء .. لا أساس لها من الصحة !!؟.. كيف يكتشف ذلك !!؟..و كيف يتركها تمر بفعلتها تلك بدون عقاب..!؟.. وفى المقابل .. كيف له معاقبتها بعد ذاك السر الذى أفصحت عنه الحاجة فضيلة .. والذى يستوجب منه حسن معاملتها .. لا الاساءة لابنة خالته الراحلة .. !!؟؟...

الكثير من الظنون .. ومئات الأسئلة .. ولا أجابة واحدة .. ترضيه .. وتريح باله.. تنهد فى ضيق .. وخرج فى هدوء..

هبط الدرج ... لتقابله امه بابتسامة بشوشة .. حيث تجلس فى صدر الدار حيث جلستها المفضلة .. جلس صامتا ..

يبدو عليه الإجهاد .. وأثار الأرق بادية على ملامح وجهه..

ربتت أمه على كتفه ... وكأنها تدرك ما يعانيه من تخبط..

-زهرة زينة النهاردة..!!؟؟..سالت لتبادر بكسر حاجز صمته

هز رأسه أن نعم ....:-الحمد لله .. أحسن .. سبتها نايمة ..الداكتور جالى الأدوية اللى بتاخدها...عتخليها تنعس ولازماً ترتاح ..

-وانت !!؟..ميتا ها يرتاح بالك ..!!؟..

-أماااا...قالها متنهدا فى نفاذ صبر ... شا الله يخليكِ مطلباش هى حكاوى ملهاش عازة... أنا مفيجش..

-زهرة حلالك يا ولدى .. قالتها فى هدوء من يقرر حقيقة غائبة عن ذهنه.. جعلته ينتبه بكليته لها .. عاقدا جبينه فى

حيرة .. وهو يقول فى صوت متحشرج..

جصدك أيه..!!؟؟

-جصدى انك تجربها منك وتراضيها وتكسب جلبها بالحنية .. و...كان يرهف السمع لكلمات امه بكل مسامعه وقد لاقت صدى محبب فى قلبه وعقله ... عندما قاطعه الخفير سعيد

متنحنحا... عاصم بيه .. فى حد طالب يجابل الداكتورة

-حد مين ده..!!؟؟..تسأل فى تعجب .. وانتفض واقفا...ليندفع خارج السرايّ يقف على درجاتها الأمامية ينتظر دخول ذلك الشخص الذى كان يقترب .. وهو يلهث من فرط ثقل ما يحمل .. والذى وضعه أخيرا على الارض زافرا فى راحة.

كانت قد استفاقت من نومها ... تشعر بألم قدمها وقد تحسن قليلا ... لكنها تشعر بالوحدة .. والرغبة فى استنشاق الهواء النقى .. سقط نظرها على شئ ما يبرق فى ظلمة الحجرة .. تمعنت النظر قليلا لتكتشف انه الرأس الفضى لعصا عاصم الابنوسية ...إذن فهو لم يخرج بعد .. وإلا ما كانت عصاه هنا ....متى استيقظ يا ترى ...!!؟؟....تناولت العصا فى رهبة .. استندت عليها .. وبدأت تتوجه ناحية الشرفة ... وصلت أخيرا وفتحتها .. لتجلس على أحد المقاعد .. تتطلع لذلك النهار المبهر ... وتملأ رئتيها .. بذاك النسيم العليل .. شاهدت من

البعد .. سعيد الخفير يفتح باب السراىّ لشخص بحمل ما ... عندما أقترب لينزل ما يحمل كان تحت شرفتها تمام .. فتعرفت عليه .. أليس ذلك هو الفلاح الذى عالجت بهيمته بالأمس والتى تسببت فى أصابتها.!؟..ما الذى آتى به إلى هنا ...!!؟؟..

سمعت صوت عاصم .. والذى ميزته نبضات قلبها المتسارعة قبل أذنيها يسأل الرجل المسكين الذى يقف أمامه بلا حول ولا قوة :-خير ... أنت مين !!؟؟.. وتعرف الداكتورة منين ..!!..وعايزها فى أيه !!؟؟... أرتبك الرجل أمام ذاك الكم من الأسئلة وخاصة أنه يقف أمام عاصم الهوارى بجلال قدره .. تردد الرجل فى خوف .. وهو يقول :- أنا ....حامد أبو عامر يا عاصم بيه ... أنا اللى الست الداكتورة لحجت جاموستى أمبارح .. وكانت السبب فى اللى حصل لرجلها .. -وأيه اللى جايبة فى يدك ده..!!؟؟..سأل عاصم فى ريبة..

-ده سطل لبن ... جلت والله ما حد دايجه جبل ما أجيبه للداكتورة .. كفاية تعبها معايا .. واللى حصلها بسببى ..

-أاااه ... هدية يعنى ..!!!..سأل عاصم مبتسما....مما شجع الرجل على الابتسام قليلا .. بعد ان كان ينتفض رعبا ..

-حاجة على كدنا يا بيه .. مش كد مجام الداكتورة .. بس والله دى أنا حرمته على بيتى .. جبل ما هى تدوجه ...كفاية انها عالجت الجاموسة اللى حيلتى .. واللى فاتحه دارى .. ربنا يبارك لها فى صحتها يا رب ..

كانت زهرة تستمع إلى الحديث الدائر من الشرفة .. وقد همت بالاستدارة لتدخل للحجرة .. فهى لا تريد أن ترى ..

كيف سيتعامل الغول .. بغطرسته المعتادة ..مع ذلك الرجل المسكين ..لن تتحمل رؤية ذلك ...لكن للعجب .. سمعت قهقهاته .. وهو ينزل الدرجات الأمامية للسراىّ .. ويتوجه للرجل .. ويربت على كتفه فى ود .. كأنه صديق قديم ..

-هدية مجبولة يا حامد ... وبجولك أيه !!؟؟..

-أامرنى يا عاصم بيه !؟؟..قالها الرجل فى صدق.. ورغبة فى التنفيذ ..

-أنت السبوع دى كله .. لحد لما تجوم الداكتورة بالسلامة .. تجيب يومى لبن الجاموسة ... بس أيه .. هتاخد تمنه .. بتاع النهاردة بس .. هنجبلوه هدية .. مااشى ..!!؟؟..

-ربنا يجبر بخاطرك يا عاصم بيه .. هلل الرجل فرحا ..

فأشار له عاصم لباب جانبى يدخل إليه سطل اللبن .. يؤدى لداخل مطبخ السراىّ .. وأشار لسعيد خفيره .. فأقترب ملبياً

-جول لأمك يا سعيد .. تديله اللى فيه النصيب .. من طبيخ النهاردة ...

-يا بيه هو كان يطول .. ده كفاية اللى حُصل بسببه للداكتورة..

-سعيد ..نهره عاصم ..... روح أعمل اللى بجولك عليه من غير كتر حديت ..

أنت مسمعهوش بيجولك حرمه على بيته .. وده اكل عيشه من بيع اللبن ... يرجع لعياله بأيه يا حزين ...!!؟؟..

هز سعيد رأسه متفهما .. عندما ظهر الرجل من جديد .. يهم بالانصراف .. ألا ان سعيد أوقفه .. ليعود به من جديد لداخل المطبخ ..

ويسير عاصم الهوينا .. يبتسم فى حبور يشعر بسلام داخلى لم يعهده منذ زمن طويل .. شعور من الراحة النفسية يغمره ويحتل روحه .. شعور قد فارقه

ولم يعود اليه منذ أمد بعيد .. أبتسم لنفسه فى سعادة ..

ليجد الرجل قد عاد .. يحمل ما فيه النصيب .. مهللا بالدعاء:- ربنا يبارك لك يا عاصم بيه .. ربنا يحفظلك ست الداكتورة يا رب ..ويجعلها جوازة العمر .. والسعد والهنا ..

ويرزجكم بالذريه الصالحة .. يااارب ..

قهقه عاصم .. وهو يضع يده فى جيب صديريته .. وهو يقول :- وعلشان الدعوتين الحلوين دوول .. خد دوول لعيالك

مد الرجل يده يتناول ما جاد به عاصم وهو يهمس غير مصدق :- وكأن الليلة ... ليلة عيد ..

انفجر عاصم ضاحكا من جديد.. وهو يربت على كتف الرجل .. الذى استدار مغادرا .. وهو يقلب فى النقود غير مصدق ..واخيرا استدار فجأة لعاصم هاتفاً بلهجة تحمل صدق الدنيا كله فى كلمات صاغها بفطرته :- ربنا يريح بالك ..ويكفيك الفكر والخاطر.. ويمتعك بحلالك .. ياارب ..

.. نظر اليه عاصم فى امتنان ممزوج بالدهشة ولم يعقب الا بابتسامة على دعوة الرجل التى مست قلبه .. فللمرة الثانية وفى أقل من ساعة .. يستمع لتلك الكلمة .. حلالك .. هل هى صدفة..!!؟؟..ولكنه وجد نفسه يهتف من اعماق قلبه ..

-أمين .. ...وهو يرفع هامته حيث شرفة حجرة نومه .. حيث تقبع من كان يظنها نائمة... ليصطدم بنظراتها .. وهى تقف هناك فى علياءها ... وتساءل.. منذ متى وهى تقف هناك ...يا ترى !!؟...

أخفض رأسه ...وسار باتجاه السراىّ .. ودخلها .. وهى ايضا .

دخلت فى بطء تستند على عصاه .. حتى وصلت لأريكتها فجلست

فى بطء .. تتوقع دخوله .. بين لحظة وأخرى .. لا تعرف لما دقات قلبها تتسارع بهذا الشكل العنيف لمجرد التفكير فى رؤيته .. انها لازالت مشدوهة مما رأته يحدث أمامها مع ذاك الرجل .. المدعو حامد .. انها تكتشف جوانب خفية فى شخصية ذاك الرجل ..والملقب بالغول لقساوة قلبه .. لكن ما رأته .. لا يمت بصلة لقساوة القلب .. فلقد عامل الرجل اروع معاملة .. وأحسن إليه ..

بالفعل قبل الكلمة ..

دق الباب ليخرجها من شردوها.. فأعتدلت فى جلستها .. وأعتلت الحمرة محياها الرقيق .. وهى تسمح لمن بالباب بالدخول .. ظنت لوهلة .. بانه عاصم ... لكن كانت ام سعيد .. تحضر لها أفطارها

دخلت بصينية الافطار تلقى عليها تحية الصباح .. ثم تتركها أمامها

وتستأذن لبعض شؤونها ..لا تعرف لما شعرت ببعض الاحباط عندما ظهرت ام سعيد على الباب

.. بدلا منه...مما جعلها تفقد شهيتها فجأة ولا تشعر برغبة فى تناول الطعام .. فحاولت ازاحة الصينية بعيداً .. لكى تنهض متوكئة على عصاه ..لكن صوت وصول أشعارا برسالة على هاتفها أعادها لتجلس من جديد.. لتفتح هاتفها .. والذى لحسن الحظ .. كان بالقرب منها على الطاولة بجوار صينية الطعام ...فضت الرسالة فى بطء.. يخالف وجيب قلبها المتسارع ... "كلِ كويس .. علشان دواكِ .. واشربِ اللبن... ده هدية من الجاموسة اللى صابتك "

انفجرت ضاحكة .. عندما انتهت من قراءة رسالته القصيرة ..

وللعجب.. استعادت شهيتها فجأة لتتناول فطورها بأستمتاع

أثار دهشتها .. وشربت اللبن حتى أخر رشفة ...

نهضت بهدوء .. تتوجه للفراش حتى تتمدد قليلا .. فذاك الدواء

يدفعها بالفعل للنعاس ..

تمددت ..وفضت رسالته من جديد ..لتقرأها وتعلو وجهها الابتسامة .. واخيرا تغمض عينيها وتروح فى نوم عميق .. تخللته الكثير من الأحلام ...

****

لا تعرف كم مضى عليها ... وهى غائبة فى دنيا الحلم ..فقد تململت فى فراشها .. عندما تناهى الى مسامعها صوت وصول رسالة إلى هاتفها .. فتحت عينيها .. فى صعوبة .. لتتطلع الى

الرسالة .. قرأتها .. وفجأة تنبه عقلها .. لتستفيق كلية .. وهى تقرأها للمرة الثانية .. انه هو .. هو من أرسل الرسالة ..

إنه يذكرها بميعاد الدواء الثانى ... ويؤكد عليها تناوله ...

كم مضى من الوقت على نومها ... !!؟؟.. انها مشوشة ..

ورسالته زادت من تشوشها ...لقد مر اكثر من ساعتين على نومها ... اللعنة على ذلك الدواء .. نظرت مرة أخرى لشاشة هاتفها.. ..

متسائلة فى حيرة .. لماذا يهتم بها بذلك الشكل ..!؟؟.. لماذا تغيرت معاملته معها ..!؟؟... او بتعبير أدق ..

لماذا اصبحت علاقته بها عجيبة ومتقلبة ..!!؟...

فما بين صمته القاتل المثير للريبة والذى يصاحبه نظرات ترهبها أو...ثورته العاصفة التى يصل بها للذروة .. فهو اما صامت حد الخرس ..او ثائر حد البركان ..

حتى نظراته ... فهى ما بين نظرات غاضبة تموج بالرغبة فى قتلها ..أو نظرات تحمل الكثير من الرغبة فى أرضاءها..

ماذا دهاه ..!؟؟؟ ...

هى لا تدرى حقا ما يحدث !!؟... وما الذى يدفعه لذلك التذبذب .. فى التعامل معها .. !!؟؟..

تناولت دواءها ....وتمددت من جديد .. وهى تشعر بالملل ..

دق الباب .. فأعتدلت فى جلستها .. فدخلت سهام .. فى خجل

تطأطأ رأسها .. فأبتسمت زهرة عندما رأتها هاتفة فى مرح ترفع عنها الحرج :-أخيرا حد جه .. علشان يقعد معايا .. ده أنا هموت من الملل ....

-بصراحة يا زهرة ..أنا مكسوفة منيكى .. لولاي.. مكنش حُصل اللى حُصل فى رجلك .. أنا السبب سامحينى ...قالتها سهام بندم حقيقى ..

-أيه يا بنتى !!.. هتفت زهرة ساخرة ... حادثة عادية .. وجت بسيطة .. متكبريش الموضوع ....يعنى هو انا كنت هروح فين يعنى برجلى...!!؟.. وابتسمت زهرة ... أدينى قاعدة .. والاكل بيجيلى لحد عندى .. فى دلع أحسن من كده !!!...

قهقهت سهام .. وهى تقول .. لا مفيش الصراحة ..

-سهام ..!!؟؟... نادت زهرة لجلب انتباهها كلياً.. ثم استدركت .. انت ايه اللى بينك وبين حسام بن عمى ... !!؟؟..

أضطربت سهام .. وطأطأت رأسها من جديد .. وبدأت تفرك فى يديها .. دلالة التوتر .. وأخيرا أجابت فى تردد..:- أنا مش هخبى عَلَيْكِ يا زهرة .. أنتِ بالذات هتتمنى لنا الخير .. الصراحة ..

هو عايز يتجدملى..

شهقت زهرة .. وهى تضع كفها على فمها فى صدمة ..

-أنتِ بتتكلمى بجد .. !!؟؟.. انتوا بعقلكم .. أزاى هو يفكر فى كده أصلا .. وأزاى أنتِ تطاوعيه يا سهام .. أزاى..!!؟؟..

-وايه اللى فيها يا زهرة...!!؟؟ .. ده عايز يتجوزنى على سنة الله ورسوله .. يعنى لا عيب ولا حرام .. هتفت سهام بتعجب اثار زهرة لتهتف بدورها فى انفعال :-لا عيب .. وحرام .. عيب وحرام فى عُرف الهوارية .. لا يمكن أخوكِ يوافق .. ولا أبوكِ ولا أمكِ طبعاا .. أنتِ بتنبشى فى القديم تانى بعد ما صدقنا اتقفل بجوازى بأخوكِ ...

-بالعكس .. جوازك بأخويا .. هو اللى شجعنا .. خلاص الجديم اتجفل... ايه المشكلة لما واحد من التهامية يتجدم لواحدة من الهوارية ..طالما جصده شريف ..

-أنتِ متأكده إنه بيحبك .. يا سهام ..!!؟؟...استفهمت زهرة

-طبعا بيحبنى .. أمال عايز يتجوزنى ليه ..!!؟؟..هتفت سهام بثقة

-مش يمكن حسام عايز يكرر حكايتى مع أخوكى .. ويتجوزك برضة انتقام منه ..!!؟؟..

-لاه .. قالتها فى عنف .. حسام بيحبنى .. بيحبنى بجد .. قالتها فى تأكيد .....ومش ممكن يعمل معايا كده ..

-ربنا يستر .. تنهدت زهرة .. ربنا يسهلها لكم .. الموضوع مش سهل خاالص ..

-ما ده دورك أنتِ بچى ...

-أنا ..!!؟؟.....سألت زهرة فى دهشة .... وأيه اللى يدخلنى فى موضوع ذى ده ..!!؟؟..

-يعنى ..ممكن تفتحى عاصم .. وتمهديله الموضوع ..

-أنا ... !؟؟.. سألت زهرة مرة أخرى .. لكن هذه المرة فى سخرية ...أنا أخر حد يقدر يفيدك صدقينى ..

-بس ..جربى وشوفى .. مش هاتخسرى حاجة ...

كادت زهرة تنفجر ضاحكة .. حقا .. لن تخسر أى شئ .. ربما رقبتها .. شئ ليس بالأهمية على أى حال ..قررت مهادنة سهام ..

حتى تستطلع الحقيقة من حسام .. وترى على ماذا ينوى ..

-طيب يا سهام .. هشوف .. ربنا يسهل .. وفى الوقت المناسب ..

هقول لأخوكِ .. وربنا يستر ..

قفزت سهام .. من الفرحة .. وعانقت زهرة فى سعادة حقيقية ..

سعادة عاشقة .. تعتقد ان الحبيب قريب المنال ..غير عابئة..

بما تحمله الايام فى جعبتها ... من تقلبات ونوائب ..

اندفعت سهام لتخرج من غرفة زهرة ....عندما استوقفتها فجأة قائلة :- هاتيلى رواية حلوة من عندك .. أقراها .. علشان الملل ده -حاضر .. أحلى رواية لعيون أحلى زهرة ... وأرسلت لها قبلة فى

الهواء قبل ان تغلق الباب خلفها .. وتغادر .. فى سعادة ...

****

كانت مستغرقة فى قراءة الرواية التى جلبتها لاجلها سهام .. ولم تشعربقدومه الاوهو يفتح باب الغرفة ..فانتفضت .. وعدلت من جلستها على الفراش .. دخل فى هدوء ..وألقى السلام..بادلته التحية ...وعادت الى مطالعة روايتها ..وقد غاب عنها التركيز فى وجوده ... فأصبحت لا تعى للكلمات معنى ... كان يبدو مرهقا .. ترك عصاه .. وخلع عنه عباءته .. وتوجه للحمام ..الذى غاب فيه لفترة وكأنه ينفض عنه اثار ذاك الإرهاق الباد على محياه .. فعلا ..كان يغيب النهار بطوله .. لا ترى له اثرا ... يبدو ان هناك الكثير من العمل .. يستغرق منه النهار باكمله ... خرج اخيرا .. وهو لا يزال .. يجفف شعره بمنشفة تغيب وجهه كله بين طياتها .. واخيرا نفضها بعيدا ..ليطالعها بذاك الشكل الطفولى .. وهو غير مهندم الشعر .. لا تعرف لما زاد وجيب قلبها .. بشكل لا أرادى .. توجه لطاولة الزينة .. مشط شعره الحالك السواد ..

ونثر على جلبابه بعض من العطر .. وتوجه لاريكتها التى احتلها منذ حادثة قدمها ..

تمدد عليها .. وعيونه معلقة بسقف الغرفة .. ربما يزوره النوم ..ولو لحظات .. هم باغلاق نور الاباجورة المجاورة

عندما بادرته متأسفة:- انا آسفة .. اخدت السرير منك .. ونمت انت على ....لم يمهلها لتكمل أسفها ..

-لا أسف ولا حاچة ... المهم تطيبى .. وتبچى زينة ..

وأغلق الأنوار .. وكأنه يقطع استرسال الحديث بينهما .. تمددت على الفراش .. هى تعرف انها لن تنام .. لانها نامت بما فيه الكفاية ..بسبب تلك العقاقير .. التى تدفعها للنعاس دفعا .. فى أوقات لست مناسبة للنوم من الاساس ... تقلبت كثيرا على الفراش لعل النوم يزورها اكراما لها .. فهى لا تستطيع حتى الخروج من الغرفة لتقرأ قليلا .. ليس عليها الان .. الا الحملقة فى سقف الغرفة المنقوش .. لتقتل الوقت .. لكنها ارتجفت ..

عندما تنامى الى مسامعها صوته .. وهو يسألها :-
منمتيش ليه ..!!؟؟...هل يشعر بها .. ويشعر بأرقها ... وسهادها ..

-نمت كتير بسبب الدوا .. فمش جى لى نوم ..
أجابت بصوت مرتجف قليلا ..

-وانا كمان مش چى لى نوم ... اجاب فى صوت رخيم يغلفه الإرهاق .. فتعجبت .. كيف يخاصم النوم من كان فى إرهاقه!!؟؟....فتح النور المجاور لاريكته وهو يعتدل جالسا .. زَافرا فى ضيق .. ثم هب واقفا .. واندفع خارجا من الغرفة .. اعتدلت فى جلستها .. وهى لا تعرف الى أين ذهب!!؟؟.. .. بالتأكيد ليس خارج السراىّ .. لانه لم يأخذ عباءته وعمامته وعصاه كما تعود ...ربما يجلس قليلا فى الحديقة .. حتى يغلبه النعاس فيعود .. مدت يديها .. لتفتح الأنوار على الطاولة الملاصقة لفراشها .. وتتناول روايتها .. لتبدأ فى مطالعتها من جديد ..غابت فى احداثها .. لتفاجأ به .. يدخل الغرفة .. و هو يحمل بين يديه .. صينية طعام .. عليها كأسين من الحليب .. وبعض المقرمشات الخفيفة

التى تصنعها ام سعيد .. فى القرن الخلفى الملاصق للمطبخ ... تعجبت .. هل يحمل لها الطعام ..

... حتى فراشها ...!!.. دوما .. وأبداً .. سيظل يفاجأها..

اقترب من الجانب الاخر للفراش .. ليجلس وهو ممسكاً بالصينية المستديرة .. محاولا عدم سكب الحليب وهو يعتدل ليواجهها .. وضع الصينية على الفراش بينهما اخيرا دون أية خسائر .. ومد لها يده بكأسها .. فتناولته ..فى ثبات وهى فاغرة فاها .. مدهوشة مما يصنع ..

-اشربى اللبن .. هيساعدك تنامى .. وخدى كلى .. الفايش ده علشان الأدوية اللى بتخديها ..

تناولت المقرمشات التى قدمها لها .. وهى مسحورة تقريبا ..

اما هو فكان يتعامل بأريحية كبيرة اربكتها .. هل هذا هو عاصم مهران الهوارى ... الملقب بالغول .. قاسى القلب .. الذى لا يعرف ما تعنى كلمة رحمة ولم تُخط تلك الأحرف الأربعة فى قاموسه اليومى .. للتعامل مع البشر...!!؟؟...اربكها تماما .. فما عايشته صباحا .. ورأته يحدث مع ذاك المدعو

حامد .. الذى أتى بهدية الحليب الذى تتناوله .. وتعامله الرقيق معها الان ..!!؟.. يؤكد على خطأ ظنها .. ان ارتباكها من تصرفاته وصل ذروته بالفعل فهى تشعر بانه يدللها .. او شئ ما شبيه بالدلال .. ام تراها واهمة..!!؟؟ .. وهو مجرد مشفق عليها لمرضها ليس اكثر..!!؟.... او ربما يرد الجميل لها .. لاعتناءها به اثناء حادثة كتفه !!؟....لا تعلم اى الأسئلة السابقة هو الإجابة الصائبة لهذه الحالة العجيبة والرائعة التى يعاملها بها ...لكنها شعرت ان السبب الاخير ربما يكون هو الأقرب للصواب.. انه فعلا .. يرد جميل .. لا اكثر ...

أجفلها .. عندما لاحظ شردوها وهو يقول :- اشربى اللبن جبل ما يبرد .. وكلى .. يمكن تكونى جعانة وانتِ مش واخدة بالك ..

أطاعت دون ان ترفع رأسها لتواجه نظراته .. ارتشفت قليل من الحليب .. وتذوقت المقرمشات اللذيذة .. والتى أعجبت بها عندما تناولتها للمرة الاولى وأصبحت مفضلة لديها ...

-بتجرى ايه ..!!؟؟....سأل وهو يوجه نظراته متفحصاً غلاف الرواية التى تطالعها .. والتى وضعتها على الفراش مجاورة لها .. بالقرب من صينية الطعام ..

-دى رواية بتسلى فيها .. علشان ببقى زهقانة وانا لوحدى طول النهار .. وخاصة لما سهام بتكون مشغولة ومش فاضية تقعد معايا ..

-"كبرياء وتحامل "...قرأ اسم الرواية وقد اظهر اهتماما .. اثار تعجبها .... بتحكى عن ايه بچى ..!!؟؟.. هل ما سمعته صحيحاً ..!؟؟..هل يريدها ان تقص عليه احداث الرواية .!؟! حاولت التهرب وهى تقول .:- يعنى ... احداثها مش هاتعجبك .. كلها عشق .. ومسخرة .. قالت كلماتها الاخيرة ساخرة .. تذكره بكلمات سابقة له .. قالها عندما رأها منذ فترة ليست بالبعيدة تطالع نفس النوع من الروايات ...وعلى ما يبدو انه تذكر فانفجر ضاحكا ...:- وماله .. نشوف بتوع العشج والمسخرة دوول بيجولوا ايه ..!!؟.. اهو ناخد فكرة ..

ويبدو انه مُصر على موقفه وان أرقه عاقبته .. ستدفع هى ثمنها ...

-بس انا خلصت ربع الروايه .. قالت متحججة...

-احكيلى اللى فاتنى واتابع معاكى .. احنا مورناش حاچة.. وتمدد بأريحية .. وهو يعدل الوسائد خلف ظهره ..

ولمعت عينيه ببريق عابث وابتسامة شقية وهو يقول :- يا الله .. احكى يا زهرة زاد...

انفجرت ضاحكة بعد ما سمعت لقبها الجديد ...وتوقفت ضحكاتها فى خجل .. وهى تجده يتفرس فيها .. وفى ملامح وجهها الباسم .. والذى أشرق كشمس فى منتصف الليل .. تداركت خجلها بصعوبة ... وأخذت تحكى له ما فاته من احداث الرواية .. وهو يستمع بإنصات أبهرها .. كان لا يقاطعها الا للاستفسار عن حدث ما او اسم شخصية من الشخصيات ..حتى انتهت من سرد ما فاته .. وبدأت فى القراءة .. بصوت مرتعش قليلا يغلب عليه الخجل .. ثم استمدت الثقة قليلا .. بعد ان وجدته متابعاً معها .. يهز رأسه .. متفهما الأحداث .. ظلت تقرأ .. وتقرأ .. حتى رنت منها نظره جانبية له .. فوجدته يشبك ذراعيه لصدره ويغمض

عينيه .. ورأسه يرتاح على الوسائد خلف ظهره .. أعتقدته .. راح فى نوم عميق .. الا انه سألها فجأة

-ليه وجفتى .. انا متابع ..لو انتِ تعبتى .. خلاص ..

-لا ..لا متعبتش .. افتكرتك نمت ..

-لا .. انا منمتش ..عجبانى الجصة دى .. كملى ..

بدأت فى القراءة .. واذ فجأة تمتد كفه لتلتقط كفها فى عذوبة وتحتضنها لصدره وهو لا يزال مغمض العينين .. كأن ما فعله شئ معتاد يقوم به كل ليلة .. والغريب انها لا ترى اى اثر على ملامحه ينبأ بتأثره .. فقط استكانة عجيبة لملامح وجهه .. وهى التى تنتفض الان اضطراباً ولا تستطيع قراءة حرف واحد دون تلعثم ..

أهو يعذبها بطريقة جديدة ..!!؟؟..و كيف يريدها الاستمرار .. وهما على هذا الوضع ..!!؟....ستخبره بأنها تعبت .. وهاجمها النعاس لتسترد كفها الحبيسة بين احضانه ..

وما ان همت بان تفتح فمها معترضة.... حتى وجدته يستدير ..ليُوليها ظهره ساحبا كفها معه ..

لينجذب جسدها كله بالتبعية .. لتصبح فى وضع لا تحسد عليه .. حمدت الله انه حمل الكاسات الفارغة وصينية الطعام.. بعيدا على الطاولة المجاورة له .. وإلا كانت تنكفئ عليهم الان .. ظلت على وضعها المعلق ذاك .. كفها مشدود لاحضانه .. وجسدها فى الطرف الاخر من الفراش .. حاولت ان تسحب كفها منه ببطء .. لكنه تشبث به ...كتشبث طفل بلعبة تمنى الحصول عليها ونام وهو يحتضنها.. كانت على يقين انه غارق فى النوم .. من انتظام انفاسه الهادئ ..فكيف يتعلق بكفها هكذا ..!؟؟..وماذا هى فاعلة الان ..!!؟؟.. تمددت مرغمة تقاوم النعاس حتى باغتها .. لتذهب فى نوم مشوش ملئ بالاحلام .. عن كفها القابعة الان بين احضانه ..

همهمت فى نومها .. تتقلب بحرية اخيرا بعد ان كانت اسيره النوم على جانب واحد ..ولم تكن تع لما ..!؟؟. .. واخيرا بدأ عقلها فى العمل بكامل طاقته .. لتتذكركفها التى أسرها عاصم ..ولم تعرف متى أطلق سراحها ....أنتبهت تتطلع حولها .. لا تجد أثرا له .. ولا أثر لكؤوس الحليب .. هل كان

حلما .. من بنات أحلامها ...التى داهمت نومها .. !!؟؟..

طرقات على الباب اخرجتها من خواطرها .. فأعتدلت فى جلستها ...ونسقت شعرها وهندمت عباءتها الحريرية الزرقاء بلون البحر .. فإذا بها سهام .. دخلت بمرحها وصخبها المعتاد ... وهى تحمل صينية أفطارها ..وهو تقول :- كفياكِ نوم .. جربنا على الضهر..

-صحيح ..!!؟؟.. سالت مستفسرة ... متى استيقظ ومتى غادر يا ترى .. !؟؟.. سألت نفسها .. وجاءها الجواب من سهام .. وكأنها سمعت تسأل :- ده عاصم .. بره بجاله ياجى ساعتين وزيادة ... نزل فطر معانا .. بس ايه .. مجلكيش على الانبساط .. والزجططة اللى كان فيهم .. عملتى ايه فى اخويا.. يا زهرة .. أعترفى !!؟.. قالت جملتها الاخيرة بصوت احد المحققين .. مما دفع زهرة للانفجار ضاحكة ..

يا ترى ما هو سر تلك الفرحة والسعادة .. اللتان .. تصفهما سهام !!؟؟....رِن هاتفها .. معلنا وصول رسالة ما ..

انه هو .. لا تعرف لما شعرت بذلك قبل ان تطالع الهاتف ..

فضت الرسالة ليتأكد حدسها .. قرأتها بعينيها .. التى شعت بابتسامة فرحة .. " متنسيش دواكِ ... ومتجريش الرواية من غيرى.. "

-سهام .. عايزة رواية تانى .. أقراها ..

-لحجتى خلصتى اللى اديتهالك امبارح .. !!؟؟..

-لا .. مخلصتهاش..قالتها وهى تبحث عن حجة مناسبة .. بس أفتكرت انى قريتها قبل كده .. فعايزة غيرها ..

-طيب يا ستى وماله .. هجيب لك غيرها .. تأمرى .. هو انا أجدر أجول لاه.. ده كان عاصم يجتلنى ... ده موصى الكل عَلَيْكِ .. و توجهت للباب .. تحضر من غرفتها رواية أخرى .. لكنها توقفت عند عتبة الباب .. تسأل زهرة فى تردد..:-

- لمحتى لعاصم على موضوعى يا زهرة .. !!؟؟..

-الصراحة .. لا يا سهام .. أجابت زهرة فى صدق .. واستطردت عندما وجدت العبوس يكلل ملامحها .. استنى بس لما اقدر امشى على رجلى .. علشان

أكلمه واعرف اهرب من وشه .. قبل ما يقتلنى بسببك ..

زال العبوس عن ملامح سهام .. وانفجرت ضاحكة .. وهى تقول :- تصدجى صوح !؟؟.. عندك حج برضك .. لازماً تأمنى نفسك .. واندفعت خارج الغرفة تحضر الرواية .. وتترك زهرة تتناول أفطارها شاردة فى احداث الليلة الماضية .. وما يمكن ان يحدث هذه الليلة من ألف ليلة وليلة .. التى بدأها البارحة .. وتذكرت لقبها الجديدة.. "زهرة زاد"... فكررته ضاحكة فى سعادة ...

الفصل الحادى عشر

دخل عاصم من الخارج .. ينادى ام سعيد .. التى حضرت على عجل .. عندما وصلتها نداءه

-الداكتورة أتعشت ..!؟؟...سأل بأهتمام ..

-أه .. أمال أيه .. هو احنا نجدر نتأخروا عن عشاها وميعاد دواها كماان ... احضر لجنابك العشا ...؟!!.

-لاه .. حضرى كوبايتين لبن كبار .. وطبج فايش.. وطلعيهم للداكتورة فوج..

-حاضر من عنايا يا عاصم بيه .. واندفعت مسرعة تنفذ ما أمر به .. وهم هو بالصعود .. فتفاجئ بأمه تجلس على أريكة جانبية .. لم يكن باستطاعته

رؤيتها فور دخوله .. كانت تتابع المشهد السابق فى حبور .. ولم تتفوه او تتدخل .. حتى انتبه لوجودها .. فاندفع يقبل كفها ..

-كيفك يا حاچة .. !؟؟.. سأل فى أهتمام ..

-أنا زينة .. طول ما انت وأختك.. ومرتك .. زينين.. قالت كلماتها .. وشبح ابتسامة رضا يطل من عيونها ...

-الحمد لله .. قال فى سعادة ..

-جوم يا الله .. اطلع ارتاح .. ربتت على كتفه فى لطف ..

-الله...!!؟؟ انت مش عيزانى أجعد معاكِ ولا ايه يا حاچة..!!؟؟.. سأل مازحاً..

-لا متجعدش ... أكدت مازحة على الرغم من صرامة لهجتها .. جوم ارتاح يا الله .. انا كمان جايمة اطمن على ابوك .. وانعس .. جوم .. هم يالله ..

نهض فى تثاقل مبتعداً .. وما ان وصل لأولى درجات السلم حتى ظهرت ام سعيد بصنية الطعام ..

-واااه.. انتِ كل ده.. ولسه مطلعتيش اللبن ..!!؟؟..سأل ام سعيد فى حنق .. واستطرد أمراً وهو يتناول الصينية من يدها ... طب هاتى الصينية .. وروحى يا الله شوفى حالك .. تركت له الصينية ليصعد بها .. وهى فى قمة دهشتها .. تقف متحيرة فاغرة فاها مما يحدث .. ومن ذلك التغير الذى طرأ على عاصم الهوارى و الذى تحول فجأة لشخص اخر لا تعرفه ..

... لاحظت الحاجة فضيلة ما اعترى ام سعيد من دهشة ..مما جعل الابتسامة تقفز لشفتيها وهى تهتف فيها :- جرى ايه !!...واجفة ليه كده يا ولية ..!!؟؟..روحى نامى .. اچرى .. انتفضت ام سعيد من شرودها .. وقالت فى سرعة وهى تستدير مبتعدة .. حاضر .. اها.. رايحة اها يا حاچة..

وما ان ابتعدت ام سعيد .. حتى أطلقت الحاجة فضيلة العنان لضحكاتها .. ونظراتها تتبع ظل ولدها الذى غاب أعلى الدرج .. تتمتم ببعض الدعوات .. تتمنى من الله ان يقبلها ..

سمعت زهرة خطواته الواثقة على الدرج صاعداً .. فأرتعشت لا تعرف لما .. وصارت دقات قلبها

كالطبول .. تحركت .. وهى تسير ببطء على قدمها المصابة التى استطاعت فى الصباح ان تمشى عليها قليلا ... تمددت على اريكتها .. فقد كانت تريد ان تفسح له المجال ليعود لفراشه .. ويتركها حيث تقبع دائما .. بعيدا عن أنظاره .. فتحت الرواية تتصنع القراءة .. عندما وصل لباب الغرفة وفتحه فى هدوء وهو يحمل أكواب الحليب .. لم يجدها على الفراش كعادتها فى الايام الماضية عندما سقطت نظراته عليه.. فأدار وجهه لاريكتها.. فوجدها تزينها بمحياها .. زادها جمالا .. تلك العباءة الحريرية بلون العسل وشعرها الرائع الذى تصر على ربطه بشكل معقوص خلف رأسها .. محاولة ان تدارى من روعته قدر الإمكان .. استفاق من شروده ملقياً السلام..

-السلام عليكم .. كيفيكِ النهاردة !!؟؟..سألها بوجه باسم .. جعلها تزدرت ريقها .. لترطب حلقها الذى جف فجأة .. وترد فى هدوء مصطنع :- الحمد لله .. أحسن كتير ..

وضع الصينية على الطاولة المجاورة لها .. وخلع عنه عباءته وعمامته .. وتوجه للحمام .. غاب فيه بعض الوقت

ليخرج منتعشاً.... ليفاجأها كعادته فى الايام الماضية ...

فيتمدد على الأريكة التى انزلت عنها قدميها منذ دخوله الغرفة ... لتستقر رأسه على فخذها... وتنتفض هى فى ذهول من فعلته الغير متوقعة .. ترفع يديها بعيدا عن جسدها .. وكان رأسه الراقدة الان فى حجرها ...كتلة من جمر أُلقيت عليها بغتة .. ..كانت تحاول السيطرة على ارتعاشاتها حتى لا يدركها .... لكن كيف تدارى تلك الارتعاشة فى صوتها ..!!.... وهى تحاول الاعتراض على جلسته ممددا بهذا الشكل الحميمى .. الذى يفقدها هدوءها وثباتها ..

هتف بنبرة عادية ليخرجها من خواطرها :- ها .. مش هتكملى الرواية بتاعت امبارح .. !!؟؟..

-اه .. طبعا.. قالت بحروف مرتعشة .. فتحت روايتها عند موضع توقفهما بالامس .. وبدأت فى القراءة .. لا تستطيع التركيز فى الأحداث او

الشخوص .. وموضع رأسه كحريق مستعر .. جسدها كله متصلب .. وعنقها متشنج .. لا تقوى على الحراك .. لا ترى سوى شعره الحالك المتموج وبعض من جبهته العريضة .. وأنفه الشامخ .. قاومت رغبة ملحة .. بل هى رغبة مجنونة ..راودتها .. لتمد كفها لتعبث بلطف .. فى خصلات شعره...

حرك رأسه للخلف قليلا لتصعد نظراته لتقابل نظراتها .. فتضطرب ...معتقدة ببلاهة انه قرأ خواطرها ..فترتجف كفاها.. لتسقط الروايه مفتوحة الصفحات على وجهه..

وضعت كفها على فمها .. تكتم شهقة خجلى باغتتها. اما هو فرفع الرواية عن وجهه .. وهو يقول مازحاً :- ما تجولى تعبت من الجراية .. بدل ما ترمى الرواية فى وشى .. وقهقه ضاحكا .. اما هى فقد مدت يدها فى تردد

واستلمت الروايه تحاول التركيز فى احرف الكلمات .. .. وذهنها شارد يفكر فى طريقة تدفعه بها .. ليغير تلك الوضعية الحميمية التى يتخذها

الان ....لكن ما كان فوق احتمالها حقا .. هو ان يحول رغبتها المجنونة.. لحقيقة

و ان يمد يده ليمسك كفها المتشبثة بغلاف الرواية .. ليضعها على رأسه ..فتتغلل أناملها بين خصلات شعره .. لتترتجف دون قدرة على مجابهة تلك المشاعر التى غمرتها..مزيج من الحنان والفرحة والاضطراب والنشوة .. ممزوجة جميعها بقليل من رهبة ..

لا تعرف كيف استطاعت اخيراً... ان تختلق عذرا مقبولاً لإنهاء تلك المعاناة .. فقالت وهى تتصنع الالم :-.. انا رجلى بصراحة .. بدأت توجعني .. وعايزة امدها ..

لم يكذب خبر .. نهض فى حماسة ليحملها فورا دون ان يمهلها حتى فرصة للاعتراض .. لتكون هى وروايتها ..

بين ذراعيه ..ليضعها فى حنو بالغ .. على طرف الفراش الذى تفضله .. ويستدير بهدوء .. ليستقر متمدداً بشكل عفوى.. بنفس الوضع الذى اتخذه فى الليلة السابقة .. ينتظر ان تكمل سردها للقصة ...

ثم تذكر فجأة الحليب القابع على الطاولة الأخرى .. فنهض ليحضره بالقرب منهما .. ناولها كأسها... لتهتف لنفسها ..."لقد جاء فى وقته بالضبط ...فلقد جف حلقى من افعاله ." شربته فى استمتاع .. وكان هو يراقبها فى استمتاع اكبر ...وبدأت فى سرد احداث الرواية .. لتجد كفها ..فى لحظة خاطفة ..قابعة بين احضانه كما كانت فى الليلة السابقة .. وتنتهى الليلة .. بنعاس يخامرها كأثر للدواء.. لتسقط من جديد فى ثبات عميق .. وقد سقطت الرواية بين ذراعيها .. ورأسها يتوسد ظهره الماثل أمامها الان .. بعد ان أولاها أياه...وهو يأسر كفها ..

****

تثأبت فى حبور وهى لا تزال نصف نائمة .. ورفرفت أهدابها ..وفجأة فتحت عينيها على اتساعهما عندما اصطدمتا بزوج من العيون القاتمة.. تتفرس فيها بنظرات عابثة مرحة.

انتفضت هى .. تعدل من هندامها .. بعد ان فوجئت بذاك الاقتحام... اضطرابها وصل لذروته .. وعلى العكس تماما ..

استمتاعه .. كان فى قمته ..فهو يبدو مرتاحا .. صاف الذهن .. تشع من عينيه نظرات لاهية لا تعرف لها سببا .. دفعت الدماء الحارة لوجنتيها خجلا .

كان يجى ويذهب فى الغرفة .. لا يرفع نظراته عنها...

شعرت بالمعنى الحقيقى للأسر .. على الرغم من بعده الجسدي عنها ..

-كيفك النهاردة ..!!؟؟.... سأل والابتسامة لم تفارق وجهه ..تلجلج لسانها فى الإجابة ...انها غير معتادة على مثل تلك النظرات .. وتلك الابتسامة التى تذيب عظامها ..

-الحمد لله ..هتفت اخيرا متصنعة الثبات ... انا بقدر امشى على رجلى دلوقتى .. ووقفت فى تثاقل تبرهن له على ذلك .. وتقدمت خطوات حتى وصلت على مقربة منه ..

-حمدالله على السلامة .. قال فى حبور .. بس متجليش علي

رجلك اديها يومين كمان .. قال ناصحاً بصدق...

-حاضر ...أجابت بعفوية .. ظل ينظر اليها لبرهة ...لا تعرف ما سبب تلك النظرات التى يمطرها بها منذ فتحت عينيها .. انها تكاد تذوب تحت وطأة تلك النظرات .. التى تحمل قدر لا يستهان به من الدفء والحنان .. انها غير معتادة على تلك المعاملة منه .. وغير قادرة على تحمل ذاك القدر الوافر من الدلال والعطف اللذان يشملها بهما .. قطع افكارها ليسألها فى مودة وهو يضع ساعة اليد حول معصمه:-عايزة حاچة اچبهالك معايا وانا چاى..!!؟.....

-لا ..شكرًا .. عيزاك طيب .. أجابت بعفوية .. كما كانت تجيب ابيها .. عندما يسألها نفس السؤال .. لكم اشتاقت له ..

على الرغم من ان اتصالتهما لا تنقطع الا انها فى شوق حقيقى لرؤيته والتمتع بعطفه وحنانه .

..استرعت الإجابة انتباهه على الفور .. ليرفع رأسه اليها ..

أتريده حقا طيباً .. وبخير .. !!؟؟... ام لازالت تكرهه كما لم تكره احد من قبل ..!!؟.. سأل نفسه ..لكن لا أجابة .. لذا سحب نفسه من شروده وقطع

سيل نظراته اليها .. والقى التحية فى عجل وخرج مغادرا.

أسترعى تبدله فى اللحظات الاخيرة قبل مغادرته انتباهها

لكن لا تفسير لديها لتلك التقلبات التى بدأت تلاحظها مؤخرا .. على كل من تصرفاته معها .. أو نظراته اليها ..

****

مر اليومان التاليان بنفس الوتيرة التى تحبس انفاسها .. وبنفس النظرات التى باتت تألفها .. حتى انها .. ولتعجبها اصبحت تشتاقها فى احيان كثيرة .. تهيأت أخيراً للنزول فى صحن السراىّ بعد ان حُبست لعدة ايام داخل جدار حجرتها التى ضاقت بها ..

همت بفتح الباب .. فإذا برسالة ما تصلها على جوالها ..لم تكن لتسأل عن مرسلها .. فوجيب قلبها قد أجاب ..لتقرأها

عدة مرات كالعادة .. حتى تتفهم ما تحويه ..

" انزلى الجنينة .. ..ورا السرايا .. هتلجى هدية جومتك بخير .. حمدالله على السلامة " ...

قرأت الرسالة عدة مرات .. هل أحضرلها هدية بمناسبة شفاءها .. لما يعاملها بكل ذاك اللطف ..!!؟.. سألت من جديد

سؤالها الذى اصبح مقرراً ... و نزلت فى بطء لا تريد ان تزيد من الضغط على قدمها مر بعض الوقت .. حتى اصبحت اخيراً خلف السرايّ كما أكد فى رسالته .. خطوة اخرى .. وتوقفت مذهولة .. لا تستطيع حراكاً.. فاغرة فاها فى صدمة حقيقية .. حتى انها شعرت بالدموع رغما عنها .. تترقرق فى مقلتيها .. فى فرحة غامرة ...

كان يتجسد أمامها .. بناء صغير من حجرة واحدة واسعة

أشبه بأكواخ الافلام الخيالية .. بألوانها الزاهية .. والورود والأزهار والنباتات المتلسقة التى تغطي سطحها وجوانبها

تحركت كالمشدوهة لتصل لتلك الغرفة .. حتى انها نسيت آلام قدمها ... لتخطر الى غرفة الأحلام هذه لتجد كل ما يخطر على بالها .. آرائك ووسائد

ناعمة مخملية .. شاشة عرض تلفزيوني ..بساط خفيف ناعم يغطى الارض ..منضدة دائرية تتوسط المكان ... واخيرا .. مجموعة كبيرة من القصص والروايات المختلفة الاحجام والأنواع مرصوصة على رفوف جانبية بشكل منظم ..

جلست تستقبل هذه المفاجأة فى ذهول .. تتلفت حولها فى عدم تصديق .. وهى تجلس فى تلك الغرفة الحالمة .. وكأنها انتقلت .. الى فصول احد تلك الروايات التى تعشقها ..

هل فعل كل هذا لأجلها !!؟؟.. هل حقا تُكبد تلك المشقة من اجل اسعادها !!؟؟..

انتفضت فجأة .. عندما باغتتها سهام .. وهى تهتف فى مرح

حمدالله على السلامة .. ايه ده ؟؟!!.. لجيتى المفاچأة .. كان نفسى اوريهالك .. بس الظاهر عصام سبجنى وجلك عليها

ها ايه رأيك .. !!؟؟...

-حلوة قووووى .. بجد تسلم أيديكم ... قالت وهى لاتزل تحت تأثير المفاجأة ... وأثرها العميق فى نفسها ...

-ايديكم مين بس !!؟؟..هتفت سهام ساخرة .. جولى تسلم يده .. عاصم كان بيسبج الزمن علشان لما تجومى وتحبى تنزلى الجنينة .. متجعديش هناك فى مجاعد الرجالة .. فعمل للحريم مجعد لوحدهم ..علشان جال ايه..!!!.. هتفت سهام متصنعة الحقد .. انتِ بتحبى جراية الروايات فى الجنينة .. ماشى .. هنيالكِ .. وعجبالى يا رب .. صرخت سهام بدعاءها الاخير

بقوة متحمسة مما دفع الضحكات على شفتى زهرة ..لكن نظرات سهام انقلبت لنظرات ذات مغزى .. فهمتها زهرة .. فأومأت برأسها .. مجيبة إياها :- حاضر .. هكلمه يا سهام بأذن الله .. بس فى الوقت المناسب

اندفعت اليها سهام فى مرح تقبل وجنتيها .. وتندفع لتلبى نداء ام سعيد عليها ... لتساعدها فى بعض الشؤون ..

قضت معظم النهار فى خلوتها الجديدة .. تستمتع بالهواء المنعش والطبيعة الخلابة اللذان افتقدتها .. طوال اسبوع كامل من المكوث بغرفتها .. وامتدت يدها تتفحص الرفوف .. لتمسك بإحدى الروايات وتتصفحها .. غير مدركة لذاك الشبح الذى كان يقف بعيدا يراقبها فى مزيج من شوق وتردد .. يراقب سكناتها وحركاتها .. وهى لا تدرى بوجوده ..

حمد الله فى سره .. لانه أقام تلك الغرفة العجيبة .. بمنأى عن رواد السرايّ وحراسها .. وإلا كانوا شاهدوه الان وهو يتلصص على زوجته وأصبح أعجوبة تلوكها الافواة ساخرة .. اطال الوقوف فى مكانه خلف تلك الأشجار الوارفة .. مأخوذ بها .. لا يريد ان يتقدم فيكسر حاجز خلوتها البرئ .. الذى يلفها بهالة من الفرحة والحبور .. لا يراهما على وجهها .. الا فيما ندر ...

لكن .. لابد له من ذلك .. فقد تلحظ هى وجوده .. أو يلحظه احد خفراءه.. ظهر من خلف الأشجار متظاهرا بانه وصل لتوه .. فتنبهت زهرة لوجوده .. فعدلت من جلستها .. وقد بلغ بها الخجل مبلغه ..

ماذا يجب عيها ان تقول .. أتشكره ..!؟.. انها لا تقوى على ذلك .. تشعر بخجل رهيب يتملكها ويعقد لسانها على النطق بكلمة شكر واحدة على هديته ..

تقدم والابتسامة تكلل محياه متسائلا :- كيفك دلوجت ..!!؟..

.. تلعثمت وهى تحاول اخراج الكلمات من فمها .. :- انا .. الحمد لله .. وأشارت بكفيها للمكان وهى تقول باضطراب .. شكرًا .. بجد .. المكان .. يعنى حلو قووى ..

-عجبك ..!!؟؟.. سأل والفرحة تقفز من عينيه ..

-أه .. طبعا .. أجابت فى سرعة ... عجبنى جدا .. تعبت نفسك ..

-تعبك راحة .... قالها صادقا ... وهى تجلس صامتة .. لا تستطيع ان تزيد كلمة .. فقد تذكرت كيف كان يأتى يوميا .. طول فترة مرضها منهكا ولم تكن تعلم انه يحضر لتلك المفاجأة الرائعة لأجلها ...

شعر بحرجها .. فنظر بجوارها .. ليجد احد الروايات التى كانت تطالعها ...

-شايف انك بدأتى رواية جديدة من غيرى .. كان يقولها مازحا .. على العموم انا مسامح ...

ابتسمت فى ود ... وهى لاتستطيع ان ترفع رأسها لتقابل نظراته .. التى لا تقوى على مواجهتها ..

استأذنت لتساعد فى اعداد الطعام .. لتهرب من حصار عينيه

لكنه لم يسمح لها .. خوفا على قدمها المصابة .. ودخل وهو يؤكد لها .. انه عند انتهاءهن من اعداد المائدة سيرسل من يناديها ... رحل عنها..وتبعته بنظراتها حتى اختفى .. وأخذت هى تجيل بنظراتها فى الحجرة باستمتاع تام...وشعرت بنشوة عجيبة تغمرها ..

انه يتذكر .. كيف كانت تحب القراءة فى الحديقة خاصة بجانب احواض الريحان .. .. فأشرف بنفسه طول فترة مرضها على إقامة مكان خاص بها .. والعجيب ..انه لم ينسى ان يضع أصيص من الريحان .. فى كل جانب من جوانب الغرفة ...لم تستطع ان تترك نفسها لتلك الخواطر

والأفكار التى تذهب براحة بالها .. فقررت النهوض

لتذهب لتساعد ام سعيد وسهام بالمطبخ .. لعلها تتخلص

ولو لبعض الوقت من شتات نفسها ..

وقفت بالفعل رغم اعتراض كل من سهام وام سعيد على تواجدها بالمطبخ .. بدلا من راحتها لأجل قدمها التى لم تتعافى بشكل كامل .. لكنها اصرت على صحبتهما حتى ولو لم تقم بعمل حقيقى ..فقد اكتشفت ان عاصم اخبرهم بانه سيحضر عمال للبيت

ولابد من مساعدة ام سعيد فى تحضير الغداء لهذا العدد..

سألت زهرة سهام ... عمال لأيه يا ترى !!؟؟...

-انا عارفة ... قالتها سهام فى ضيق ...

انخرط النسوة جميعهم داخل ذاك المطبخ الواسع الذى على الرغم مما يحمله من بعض الأدوات القديمة التى تنبأ بعمر تلك السراىّ

إلا انه ايضا لا يخلو من بعض اجهزة حديثة تحمل عبق الحداثة والقليل من الرفاهية ...

وزعوا الاعمال ... وانخرطت كل منهن فى عملها مع بعض المزاح والضحكات التى كانت سببها .. عبث سهام ... وشقاوتها...

اضطربت زهرة فجأة ... عندما سمعت صوته يأتى من مكان ما داخل صحن السراىّ... حاولت الانكماش فى مكانها..

والاختباء من نظراته .. فى ركن بعيد .. لكن لا مفر ..

دخل ينادى أم سعيد ... يتأكد ان الطعام .. قد تم أعداده

كما أمر ..

حاولت ان تتجاهل حضوره الطاغى الذى يغمرها كموجات مد عاتية... على الرغم من أختباءها فى مكان ... بعيد عنه

نسبياً... لكن .. لا محالة ... صوته العميق ونظراته المتمهلة

وحضوره الأسر ... لا يتركوا لها فرصة الهرب أو الفكاك..

من شِركه...

سألته الحاجة فضيلة ... التى تبعته للمطبخ ..

-العمال .. والحاجات اللى معاهم دى .. ايه يا ولدى ؟؟!!..

-دى مولد كهربا... يا حاجة..

-ليه..!!؟..سألت فى تعجب ... من ميتا بيهمنا الكهربا جطعت

ولا لاه... عادى يعنى ...

-معلش ... أنا هرتاح كده...

لم تكن زهرة تسمع ذاك الحوار الجانبى... فهتفت سهام ..

تسأل أخيها من جديد ... بتجول ده ايه يا عاصم يا خوى..!؟؟...

-أقترب من زهرة وهو يرد على سؤال سهام ... ده مولد كهربا يا سهام ... علشان ينور البيت دايما أول لما النور

يجطع يشتغل ويرجع الكهربا .. واقترب فى همس من زهرة التى كانت توليه ظهرها ... تتحاشى نظراته...

ليستطرد فى جزل ... علشان خاطر الناس اللى بيخافوا...

قالها بهمس وهو يقترب من مسامعها ... مما جعلها تنتفض

بشكل جعل السكين التى تمسكها تضطرب فى يدها ..

وتأوهت لمرأى الجرح النازف فى يدها ..

فأندفع هو فى اضطراب ... محيطاً بها من الخلف .. يحيطها

بذراعيه .. ليضع كفها المصابة أسفل شلال المياة الجارية

من الصنبور الذى فتحه على عجل ... هاتفاً فى سهام بأحضار القطن ومطهر ..

كانت لا تستوعب ما يحدث ... حدث كل ذلك فى غفلة ...

بسبب قربه منها .. فقدت السيطرة تماماً... انها حتى لا تشعر

بأى ألم يذكر .. من جراء ذلك الجرح المزعوم .. منذ اللحظة

التى أحاطها فيها وهو يحتضن كفها المصاب بتلك الطريقة الملهوفة... لم تعد تشعر بشئ إلا بقربه الذى يدمر أعصابهاويفقدها هدؤها النفسى المعتاد ... كانت غائبة

فى خواطرها .. لا تركيز يذكر فيما يحدث من حولها .. لا تركيز فيما عاداه...

لم يخرجها من شرودها وخواطرها المتمركزة حول

كنه ذاك الرجل ... الذى يحاصرها بذراعيه الأن ..

إلا صوت أنثوى يقطر غيرة دخلت صاحبته فى غفلة من أصحاب الدار الذين التهوا بما حدث لزهرة

صوت ينبأ بقدوم رياح حقد .. وكراهية ... قد تعصف .. بالجميع ...

نظر جميعهم باتجاه ذاك الصوت الذى هتف فى تعجب :- واااااه.... لحجتوا تدخلوا العروسة المطبخ ..!؟؟... دى لساتها عروسة جديدة..... هتفت بذلك سمية أبنة عمهم غسان بصوت يملؤه الحقد .. واستطردت فى سخرية ...:-

وكمان جرحت نفسها... شكلها ملهاش فى الطبيخ وشغل الحريم دى ...

كان عاصم لازال مأخوذاً بجرح زهرة الذى كان يطيبه

الأن .. بوضع بعض الضمادات الطبية عليه .. ينظر اليها

قلقاً... لا ينتبه لكلام ابنة عمه الذى ينقط سماً فى كل حرف

من حروفه... كان مأخوذاً بها .. يديها الجريحة بين كفه..

نظراتها الخجلى... تتهرب من نظراته العطشى...

لم يوقظها من شرودهما... الا صوت سمية الحاد النافذ

الصبر وهى تهتف بشراسة :- متخفش .. يا واد عمى

دى جرح صغير... ميخلكش مخلوع عليها كده...

تنبه عاصم للمرة الاولى لمدى أقترابه واحتوائه لزهرة... فتنحنح فى ضيق وقال فى غضب مكبوت :- عاملة ايه يا سمية ..قالها وهو ينظر لزهرة .. ومرت عمى وسليم اخبارهم ايه!!؟؟

ابتسمت ابتسامة صفراء وهى تقول فى غنج متكلف :- كلاتهم بيسلموا عليك ... انت عارف بنعزك كيف ... وركزت على حروف كلمة نعزك وهى تنظر لزهرة نظرة

تمنت ان تقتلها خلالها... نظرة نارية مسمومة..

-سلامى ليهم .. وخلّينا نشوفهم ... عن اذنكم...قالها مستديرا للمغادرة .. عندما استطرد من باب الواجب... وانتى يا سمية .....اتغدى معانا ..

-تسلم لى يا واد عمى ... هو انا اجدر ارفض لك طلب .. قالت كلماتها الاخيرة فى ... دلال ممجوج لا يخفى على أحد

حتى ان سهام وأم سعيد تبادلتا النظرات فيما بينهما ...

مشفقتان على زهرة ... من تلك الغيور الحمقاء ..

لكن زهرة ...أستأذنت فى هدوء... لترتاح فى غرفتها حتى

موعد الغذاء...

تمددت على اريكتها قليلا رفعت كفها الجريحة... لتنظر

لتلك الضمادة التى تلفه... هو من وضعها حول كفها ... هل كان حقا ملتاعاً عندما رأها تنزف .. أم انها تتوهم....!!؟؟

لماذا كلما اقترب ضاعت منها سيطرتها على أعصابها..

وشعرت ان احرف الأبجدية قد اضطربت على لسانها فلا تستطيع النطق بحرف واحد ...

نهضت تنظر من نافذة الغرفة ... على ما يحدث من هرج ومرج بالأسفل ... هل يفعل كل ذلك من أجلها!!؟؟...

ما سر اهتمامه بها !!؟..منذ ليلة البارحة.. وهو يفاجأها...

بما يقوم به من اجل إرضاءها... وهى ايضا متفاجأة

من ردات فعلها تجاه أحواله المتغيرة تجاهها...

ظهر الأن فى مجال نظرها فى الأسفل .. يأمر وينهى..

حضوره الطاغى حتى وهو بعيد عنها لا يدرى وجودها جعلها ترتعش بشكل غريزى لاأرادى..

لكن من قال .. انه لا يدرى...!!؟؟

..... ففجأة.. نظر للأعلى حيث تقف فى شرفتها...

... وتلاقت عيونهما للحظات قبل ان تضطرب

وتبتعد للداخل متحاشيه نظراته ... وتتساءل..لماذا كلما اقترب ضاعت منها سيطرتها على أعصابها..وشعرت ان احرف الأبجدية قد اضطربت على لسانها فلا تستطيع النطق بحرف واحد ...

سمعت طرقات على الباب ... أذنت بالدخول للطارق..

توقعت انها سهام ... لكن لم تكن غير سمية ... التى دخلت

تتفرس فى الحجرة ... بشكل خالى من الذوق ..

وهى تقول متصنعة المودة.. :- جلت أجى أجعد معاكى..

لحد لما يحضرولنا الغدا...

-أتفضلى... قالتها زهرة فى هدوء مرحبة على مضض

-ها .. عامل ايه معاكى واد عمى عاصم .. هو واعر

وشديد ... وانتِ بندرية مش متعودة على طبعنا...

-الحمد لله ... ردت زهرة فى اقتضاب...

-أوضتكم حلوة... قالتها وهى تجول ببصرها فى ارجاء الغرفة... مستطردة... أنتِ عارفة ..دى أول مرة ادخلها..

أصل مش من عويدنا العروسة تدخل أوضتها جبل جوازها..

و تصنعت اضطراباً بعد ذلك التصريح المسموم ...وهى تكمل بث سمومها فى جو الغرفة .. والذى اصبح خانقا فجأة بعد هذا التصريح .. ولا تعرف زهرة لذلك سبباً..

-أنا مجصدش... اوعى تكونى زعلتى... دى كان كلام بس

يعنى .. أنتِ عارفة الأهل وهنا بالذات فى الصعيد البت ...

مكتوبة لواد عمها .. من وهى فى اللفة...

ونهضت فى تثاقل ... منتظرة أن ترى تأثير كلماتها الحاقدة على وجة غريمتها ... لكن وجة زهرة ظل مبهم بلا أى تعبيرات ... ولم تستطيع سمية ان تستشف من ملامحها ما يشفى غليلها...

دخلت سهام لتدعوهما للغداء...نهضت سمية تتوجه للخارج وهى تلقى بنظراتها النارية على الغرفة والتى حلمت فى يوم من الايام ان تكون عشها الهانئ...

همست سهام فى أذن زهرة وهما تهبطان الدرج..
متخليش كلامها يدايجك... دى غيرانة منكِ..
ابتسمت زهرة فى شرود

تطمئن سهام ... لكنها .. لا تعلم ما تلك المشاعر التى تكتنفها

منذ تصريح سمية .. لماذا تشعر ان هناك شئ ما يتحرك .. ها هنا فى صدرها .. شئ لا تعرف كنهه ... احساس لم تستشعره من قبل ...

أحساس جعل من سمية خصم لدود .. لا تعرف لماذا !؟؟ وضعتها فى خانة المنافسة ولكن على أى شئ نتنافس...!!؟؟ لم تعرف أجابة على أسئلتها ... ولم تجد الوقت الكافى لتجد إجابتها عندما وصلت للمائدة ... لتجد سمية تحتل كرسيها بجوار عاصم الذى كان يستمع لحكاويها .. وينفجر ضاحكاً...
جاءت لتجلس متوقعة انه سيحث سمية على الانتقال لمقعد أخرغير مقعدها.. لكنه كان مأخوذاً ..
بذكرياتهما الحمقاء التى كانت تسردها الحاقدة فى فرحة

غير موصوفة... جلست فى المقعد المجاور لسهام تختبئ ..

خلفها ... يتأكلها ذاك الشعور المتنامى الذى لا تعرف مصدره...

شعور مغلف بغضب مكبوت ينذر بالانفجار فى أية لحظة..

لم تتناول طعامها .. إنما أوهمت الجميع بأنها تأكل فقد كان فى حلقها غصة ما لو انها أكلت ملعقة واحدة من طعامها..

لأختنقت بها...

فى تلك اللحظة سمعت سمية تقول لعاصم .. فى نفس اللهجة

المتغنجة :- فاكر يا عاصم لما سليم وجعنى .. من على المهرة وانجرحت رجلى وفضلت شايلنى لحد الدار...

فى تلك اللحظة نظر عاصم لزهرة والتى أخيرا.. خرجت من مخبأها خلف سهام.. ليصطدم بعيون جوزية تشتعل

غضباً.. مما جعله يبتسم ويهمس فى نفسه... أخيراً..

أستيقظ الوحش...

وكان على حق تماماً فلقد هبت زهرة من مقعدها تستأذن

لأنها تشعر بالصداع... شعر بخيبة أمل عندما رأى رد فعلها... انها تهرب لا تدافع كما توقع من روحها الوثابة

المقاتلة والمندفعة دوماً...

-روحى يا بتى أرتاحى... قالت الحاجة فضيلة وهى تتوقع انها غضبت من حكايات سمية الغير بريئة المقصد ...

ففضلت لها الأبتعاد ..

اندفعت تتجه لصعود الدرج.. وفجأة .. ألتوت قدمها أسفل جسدها ..فصرخت فى ألم ...صرخة جعلت الجميع

ينتفض مهرولاً اليها وكان عاصم أول من وصل اليها..

انحنى يتطلع لقدمها...وما أن لمسها حتى صرخت متأوهة...فهتفت الحاجة فضيلة فى ضيق:- خبر ايه.. عين

مين اللى صابتك يا بتى...!!؟؟

ردت سهام مصدقة على كلام أمها تلقى بالكلام .. لتفهم

سمية انها المقصودة :- صدجتى يا حاجة... دخل علينا مين غريب النهاردة ..!!؟..

اشتعلت سمية غضباً ... وتقاذفت الغيرة شرارات مع نظراتها النارية ... ليس فقط من كلام الحاجة فضيلة وسهام

والتى كانت تدرك انها المقصودة به ...

ولكن غضبها وغيرتها وحقدها وصل ذروته بحق..

عندما وجدت عاصم يحمل زهرة بين ذراعيه ويصعد بها

لحجرتهما كانت تتشبث برقبته تستكين فى احضانه..

وهو متيم بها .. لا يهتم لما عاداها...

كان ذاك المشهد كفيل بقتلها ... الف مرة غيرة وحقداً..

فأندفعت خارج السرايّ دون ان تلقى التحية على سهام

والحاجة فضيلة والتى أطلقت كل منهما ضحكة مجلجلة... على تعبيرات وجهها الشرسة..

فتح عاصم الغرفة...ودخل بشكل جانبى.. حاملا زهرة بين

ذراعيه... أغلق الباب بأحدى قدميه...

وجلس على الفراش ... والغريب انه لم يضعها عليه .. كما توقعت .. بل ظل محتفظ بها فى أحضانه يميل بجذعه..

ليتفقد قدمها المصابة لكنها فاجأته وتملصت من بين ذراعيه لتقف فى شموخ بلا أى ألم أو وجع يذكر ..

ظل ينظر اليها فى حيرة.. وصدرها يهبط ويعلو اضطراباً...

حتى انجلت الصورة بوضوح فى عقله... لينفجر ضاحكاً...

حتى أرتمى على الفراش من شدة قهقهاته...

أعتدل أخيراً... محاولاً كبح جماح الانخراط فى نوبة أخرى من الضحكات الهستيرية ينظر اليها وهى لازالت على حالها تقف فى اعتداد وصمود

جندى على وشك الانخراط فى المعركة ... يزداد وجيب قلبها مع ارتفاع صوت ضحكاته... حتى انها حاولت منع نفسها قصراً.. من الانخراط فى نوبة ضحك مماثلة..

وقف ليشرّف عليها بقامته المديدة و التى تشعرها بالتهديد

وعدم الحماية وبدأت تتهرب بنظراتها بعيدا..

مد كفه فى حنو بالغ يضعها تحت ذقنها ليثبت نظراتها المشتتة لتقابل نظراته القاتمة والتى تراها الأن كنهرين من عقيق مذاب... سأل فى همس قاتل..

-أنتِ عتغيرى...علىّ...

لابد أن تبتعد الأن عن تأثيره وتخرج بعيداً عن مجاله حتى تستطيع أمتلاك زمام أمرها والرد بما يحفظ كبرياءها

صوت داخلى فى منطقة ما من وعيها حثها على ذلك ..

فتراجعت خطوات للخلف مبتعدة عن تأثير لمسته الحانية وأولت له ظهرها.. وهى تقول فى صوت حاولت تغليفه بالحزم .. على قدراستطاعتها:-

أه طبعا بغيير... تهللت أساريره لاعترافها الغير متوقع ...

فأستطردت... بغيير على كرامتى وكبريائى...

استدارت لتواجهه وقد تبدلت ملامحه للنقيض... وهى تكمل .. فى قسوة لم تعتدها فى نفسها .. الغيرة اللى حضرتك تقصدها دى ملح الحب يا باشمهندس .. وأعتقد الحب ده أخر حاجة ممكن تكون بينا...

لاحظت ملامح وجهه الرخامية التى لا تحمل اى تعبير يذكر ... اما عينيه فكانت قصة أخرى فقد تحولتا لأعصار ينذر بكارثة كان يضم كفيه فى قسوة وذاك الوريد فى رقبته ينبض فى غضب حد الانفجار...

وفجأة .. اندفع فى سرعة البرق للخارج صافقاً الباب

خلفه فى عنف أجفلها...

دخلت كذوبعة نارية تلقى حقيبتها على يمينها لتسقط أحد التماثيل الرخامية... محدثة دوياً صاخباً جعل امها الحاجة

رتيبة تجفل فى انتفاضة.... وتهتف فى استنكار:- حُصل

ايه .. يا حزينة... جاية ليه من عندهم زربينك طالعة..!!؟؟

-البت دى مش سهلة.. ياما.. مش هانعرفوا نخلص منها

بالساهل ... هموت من الغيظ ... هطج... قالتها سمية فى حقد وغيرة ...لا مثيل لهما..

-أنا جلت كده ... محدش صدجنى... أشربى ...

-لا ... أنا محدش ياخد من يدىّ... حاجة كانت بتاعتى..

وهتشوفى...

-يعنى هاتعملى أيه!!؟؟ ... كان التساؤل من نصيب أخوها..

سليم الذى ظهر فجأة أعلى الدرج .. لينزل ... ويقابلها..

ساخراً... كنتِ عملتى جبل سابق ... ما هو كان جدامك...

-لا .. هعمل .. وهعمل كتير كمان ... أنا سمية غسان الهوارى... تيجى واحدة من التهامية تاخد مكانى ..

وأجعد ساكتة... دى لو اخر يوم فى عمرى... ومتجعدش

السنيورة دى فى البلد ولا لحظة تانية...

-طيب واللى يساعدك... !!!!؟؟..سأل سليم فى شيطانية

- عنايا ليه...هتفت فى لهفة ..

-بس منجيش نجول .. لاه .. ومش هاجدر.. وكلام الحريم ده...

-لاه .. متخافش أى حاجة هتجولى عليها .. هعملها.. بس تغور البت دى ... من هنه..

-خليكم كده... أنتِ عايزة عاصم .. وهو عايز سهام .. علشان ثروة عمكم دى كلاتها تجى فى يدكم.. ماهو ابوكم

كان عنديه.. كدها وأزيد ... ضيعها على مزاجه.. وعلى الحريم... قالت ذلك الحاجة رتيبة فى تحسر مستطردة ..

... موجهة كلامها لولدها سليم ..ما أنت طلبت سهام كذا مرة .. وانت واد عمها.. وأولى بيها رفضوك ليه .. يا حزين .. ثم استدارت عائدة مرة اخرى لمخاطبة سمية ساخرة ..وانتِ ما كنتِ جصاد المحروس واد عمك من سنين .. مطلبكيش ليه .. ومستنياه وموجفة حالك عليه واهو راح اتجوز وهملك.. خليكم يا ولاد غسان... والله ما هتجبوها البر... وعاصم الهوارى.. غول

لو وجعتوا فى يده .. تبجى يالله السلامة ...

تركتهم فى نفاذ صبر .. وصعدت لغرفتها...

وانزوى كلاهما ... يتحدثان فى صوت خفيض.. هو يشرح

وهى تصدق على كلامه .. بإيماءة من رأسها
وأبتسامة جزلة

تحمل كل الحقد مرسومة على محياها...

****

الفصل الثانى عشر

لم تراه ... النهار بطوله.. بعد ان خرج حانقا ...

هل تراها... قد تمادت فى قسوة كلماتها... !!؟..هل حقا .. تلك الكلمات .. كانت موجهة له... أم كانت موجهة لها فى الاساس... كأنما تذكر نفسها.. بأن عاصم الهوارى ...

هو خاطفها... هو من جاء بها إلى هنا ... لينتقم من عائلتها..

ويذل أبيها.. وها قد حقق مراده.. وهى الان أسيرته...

حبيسة داره... لا يمكن أن يجمعهما .. سوى البغض والكراهية.. التى هى مراثهما الأذلى ...

هى تشعر انه .. يتغير فى طريقة معاملته لها.. يبحث عن ما

يرضيها.. أو يشعرها بالأمان .. ليفعله لأجلها... لكن عقلها

أكد عليها مراراً أن ذلك ... ليس له دافع .. غير دافع الإحساس بالذنب فقط لاغير... ولا يمكن أن يكون لأى دافع

أخر قد يومهما قلبها به... عاصم الهوارى غول بلا قلب...

لا تنسى ذلك ... تاكدى تماماً ... ان ما يفعله قد يحمل أغراضا أخرى .. عير رغبته المفاجئة فى ارضاءك... أنت بحق ساذجة.. هتف عقلها.. فى سخرية... أنتبهى لخطواتك..

فقد تجدين قدميك .. مغروستين .. فى أرض موحلة .. ولن

تستطيعى ساعتها الفكاك ...

كان قلبها منزوى يأن فى صمت ... يحاول الدفاع عن ما يجول بداخله ... من خواطر ومشاعر.. لكنه وقف عاجزا

أمام سطوة عقلها ... المسيطر تماماً...وفجأة جفلت وأخرجها عنوة من تخيلاتها وخواطرها طرق عنيف واندفاع لسهام داخل الغرفة ..وهى تهتف فى فزع :- ألحجينى يا زهرة .. ألحجينى.. حسام واد عمك راح يطلبنى من اخوى عاصم .. دلوجت .. وأخذت تولول بعد جلوسها تلتقط انفاسها على احد المقاعد وهى تضرب بكفيها على رأسها ..

-بجد ..!!.. حسام راح لعاصم يطلبك .. مش قلتيله استنى اما أكلمه انا ..!؟؟..

-مرضيش.. وجالى من ميتا بنوسطوا الحريم فى امور النسب .. دى تبجى عيبة فى حجه.. ولازماً هو اللى يكلمه كلام رجالة وراح له.. هانعمل ايه دلوجت ..!؟؟.. يا مُرك يا سهام .. يا مُرك ..

-اهدى يا سهام .. بأذن الله هاتيجى سليمة .. ومتهئ لى حسام أتصرف صح .. هو ادرى بالواجب والمفروض .. متخافيش ان شاء الله كله هايبقى تمام .. قالت هذه الكلمات .. وهى تربت على كتف سهام تطمئنها .. على الرغم من توجسها هى شخصيا بِمَا يمكن ان يحدث .. وخاصة ان اختيار حسام للتوقيت قاتل .. فعاصم بعد ما حدث بينهما بالامس .. لا تعتقد ابدا . انه يفضّل ان يراها او يرى اى شخص من طرفها .. او له صلة بها .

توقيت خاطئ تماما قد اخترته يا بن عمى للحديث فى موضوع شائك بهذا الشكل ..همست فى نفسها .. وهى ترجو ان يمر الامر على خير ..

وصل حسام لداخل حدود إسطبلات الهوارية .. متقدما نحو المقاعد المتراصة التى يجتمع فيها كل

رجال الهوارية .. وشبابها على فترات لتباحث امور العائلة

واستشارة كبيرها فيما يخص اعمالها او خصوماتها ..

ولحسن الحظ .. لم يكن هناك الا جمع قليل ..هموا بالانصراف فى نفس اللحظة التى ظهر فيها حسام يلقى السلام .. فألقوا السلام بدورهم ورحلوا ..

-اتفضل اجعد .. خير يا حسام .. مش بعادة .. قالها عاصم فى تعجب من وجود حسام فى مكان هو اقرب ما يكون من حرم مقدس للهوارية لا يتطفل عليه غريب ..ولا يطأه غيرهم ..

تنحنح حسام فى حرج .. وقال فى هدوء :- أنا جاى لك يا عاصم فى موضوع شخصى ..

-موضوع شخصى.. وعقد عاصم حاجبيه تعجبا .. خير

تحت امرك ..

-انا من غير مجدمات كتير .. جاى اطلب يد الانسة سهام أختك ..

ظل عاصم بلا اى ردة فعل للحظات .. ثم نهض فى تثاقل .. متسائلا فى سخرية:- سهام ..!؟؟... أختى أنى..!؟؟..

رد حسام فى هدوء متجاهلا نبرة السخرية فى تساؤل عاصم :- ويكون ليا الشرف طبعا .. يا عاصم ..

-وانت بجى ..وانت چاى تخطبها .. محدش جالك ان واد عمها متكلم عليها .. ولسه مديناهوش كلمة ..؟؟؟!!!

ولا انت متعرفش عويدنا ...!!؟؟؟ نطق كلماته الاخيرة بنبرة تقطر استهزاءاً.. مما دفع حسام لينتفض من مجلسه قائلا :- لاه .. محدش جال انها مخطوبة لواد عمها .. واللى نعرفه انه اتجدم لها واترفض والحديت ده جديم..

-لاه .. قالها عاصم مؤكداً .. طلبها تانى من كام يوم .. واحنا مردناش عليه .. وبعدين اذا كنّا رفضنا واد عمها اللى من توبها وأولى بيها .. هانجبل بيك إنتا ...

.. ليه !؟؟.. واستمرت نبرة الاستهزاء والتعالي فى كلمات عاصم ..

-أفهم من كده .. ان طلبى مرفوض .. !!؟... سأل حسام وهو يتمسك باقصى درجات ضبط النفس حتى لا ينفجر غاضبا فى وجه ذاك المتغطرس الذى يحدثه ..

-معلوم .. رد عاصم وهو ينظر لحسام نظرة احتقار من اعلى رأسه حتى اخمص قدميه.. مش عايزة ذكاوة دى.. ويكون فى معلومك اللى انت بتفكر فيه مش ها يحُصل ..فريح روحك احسن ..

-اللى بفكر فيه ..!!؟.. سأل حسام وقد بدأ يفقد رباطة جأشه .. جصدك ايه ..!؟.. انى طمعان فى اختك وعايزها لمالها .. ليه ..!؟؟ انت متعرفش بتكلم مين !؟.. انا حسام جدرى التهامى.. وعِندى اللى عِندك وبزيادة .. يعنى عمرى ما هطمع فى مال ولا أرض لانى عندى منهم ويفيض والحمد لله ..

انفجر عاصم ضاحكا باستهزاء.. وهو يقول :- طب اهدا على نفسك بس .. بلاها فشخرة كدابة .. وكون انك تفكر فى اختى من اساسه .. ده كده انت دماغك شطحت لبعيد جووى.. والأبعد ..انك تفكر انى بالساهل كده ممكن اجوزك اختى علشان تنتجم

منيها وترد لى اللى عملته مع بت عمك .. ده نچوم السما اجرب لك من مچرد التفكير فى ده..

-هو ده اللى چه فى بالك .. !!؟.. رد حسام بصوت هادر .. اذا كان كده يبجى انى اللى ميشرفنيش أحط يدى فى يد بنى ادم ذيك .. واندفع حسام خارجا من حرم الهوارية .. تتعقبه شياطين الدنيا .. والمزيد من ضحكات عاصم الساخرة ..

****

اندفع عاصم لداخل السراىّ .. كالثور الهائج .. ينادى بصوت جهورى على سهام .. التى قفزت من مكانها

منتفضة عندما سمعت صراخه تحتمى بزهرة وهى ترتعد .. والتى طمأنتها .. وخرجا سويا لمقابلته على

اعلى الدرج .. وما ان رأها .. حتى هتف صارخا فى اخته المذعورة:- تعالى هنا .. حالاااااا..

نزلت سهام الدرج فى بطء.. وكانما تساق الى قدرها ..

وهى متشبثة بذراع زهرة من خلفها .. تأبى التخلى عنها .. حتى وصلت لأسفل الدرج وهى تسأل فى براءة مصطنعة وبنبرة مهزوزة متوترة :- خير .. يا خوى .. !!؟..

-حضرى نفسك .. خطوبتك السبوع الجاى .. قالها فى هدوء مخيف ..

-صح يا خوى ..!!؟... هتفت فى سعادة ..

-أه .. أمال أيه..!!؟؟ .. واد عمك .. سليم مستعجل .. رد فى نبرة تحمل المثير من الغموض والترقب ..

-سليم ..!؟.. هتفت سهام فى صدمة .. سليم واد عمى.. سألت فى ذهول ..

-اه .. هو فى حد تانى .. !!؟... سأل ساخرا ..

فاندفعت سهام فى لوعة تنحنى قرب كفه الممسكة بعصاه الابنوسية .. تقبلها فى توسل ..:- لاه .. لاه ياخوى .. أحب على يدك .. سليم لاه .. الا سليم .. متجبلش حسام التهامى .. لكن .. مترمنيش لسليم .. اهون عليك تجوز.. لم تكمل جملتها .. فقد جذبها من شعرها لتصبح فى مواجهته .. وهو يقول جازا

على اسنانه ..:- وانتِ عرفتى كيف .. ان حسام التهامى .. اتجدم لكِ..!؟.. كان ينظر الى عيونها التى تحولت .. لعيون مذعورة .. وبدأ جسدها ينتفض .. و..

صرخت زهرة إنقاذا لها .. :- انا اللى قلت لها ..

كانت المرة الاولى .. التى يتنبه لوجودها .. فقد أعماه غضبه عن رؤيتها ...تقف على جانب الدرج .. مختبأة خلف احد الأعمدة .. تشاهد المشهد من بعيد دون تدخل .. والآن .. لا تعلم ما الذى جعلها تقف فى وجه المدفع .. بهذا الشكل السافر ...

دفع عاصم اخته بعيدا .. لتتعلق بأحد المقاعد .. قبل ان تسقط أرضا .. وبدأ فى التحرك صوب زهرة بعد تصريحها الاخير الذى اخرجه عن طوره ..

انقض على كتفيها بكفيه .. قابضا عليهما وهو يهزها

فى ثورة صارخا بصوت هادر كالرعد :- اذا كنتِ فاكرة انى هسمح ان أختى .. تبجى فى يوم مكانكِ .. تبجى بتحلمى با بت الداااكتور ناجى .. بتحلمى ..

اختى مش ها تدخل دار التهامية .. علشان يخلصوا منها

الجديم والجديد .. سمعانى ..جولى لواد عمك .. خطتكم انتِ وهو خطة خايبة متخيلش على عيل صغير ما بالك ب عاصم الهوارى .. واخذ يهزها بقوة ..

وهو يصرخ .. سمعاااانى .. هزات جعلتها تشعر بالغثيان الذى فاق الحد خاصة بعد سماعها كلماته المسمومة .. طاعنا فيها وفى بن عمها بتهمة كلاهما منها برئ ..

تركها دافعا إياها بعنف عائدا لأخته .. صارخا فيها :-

جومى .. هاتى المحمول بتاعك .. جووووومى ..

فاندفعت سهام مهرولة تصعد الدرج .. فى تخبط .. ناظرة لزهرة بامتنان لانقاذها ..

وفى نفس الوقت .. يقتلها إحساسها بالذنب تجاهها .. فلقد وضعت نفسها امام ثورة اخيها التى يتجنبها الجميع من اجل انقاذها من مصير مظلم .. لو علم مجرد علم انها على علاقة بحسام و تبادله الرسائل

والمكالمات الهاتفية .. على فترات ..لقتلها بلا رحمة ... وتذكرت ان عليها حذف كل الأرقام والرسائل قبل اعطاءه الهاتف ..

اما زهرة .. والتى لازال الغثيان يسيطر عليها لم تستطع الوقوف صامتة امام اتهاماته البشعة ..

فتقدمت مترنحة .. لتقف أمامه من جديد .. لا تعرف كيف واتتها القوة او الشجاعة للوقوف امام قطار بدون مكابح لتتحداه الان .. لكنها .. لن تصمت على إهانتها .. وأهانة بن عمها وعائلتها بالكامل ولو كلفها هذا حياتها

-عارف ..!؟؟.. سألت فى هدوء يسبق العاصفة .. جعله ينتفض متعجبا .. ناظرا لها بعيون يملاءها الغضب والثورة .. وبحواجب معقودة بنفاذ صبر ينذر بتجدد العاصفة .. لتكمل هى بنفس الهدوء ..انا بشفق عليك ..

انتفض متوجها لها بكليته .. يشرف عليها بقامته المديدة ..وبصدر يهبط ويرتفع ملتقطا الانفاس بعد ثورته

الهادرة .. ومنذرا باندلاع ثورة قد لا تقل اشتعالا عن سابقتها .. اكملت دون ان يرمش لها جفن .. بجد والله

انت صعبان عليا قووووى...معقول كل السواد والحقد والرغبة الغريبة دى فى الانتقام .. كل ده مخزون هنا!؟؟.. واشارت بسبابتها لقلبه .. لتسأل بصوت متحشرج ...انت ازاى عايش كده..!!؟..

و بدأت عيونها تدمع رغما عنها وهى تستطرد غير قادرة على التوقف وكبح جماح لسانها .. اول مرة اعرف ان الناس عندها حق لما سمتك الغول .. غول قلبه مات ودفنه من زمان ... ومبقاش غير الحقد والانتقام معششين فى صدره .. بجد ..

ربنا يعينك على نفسك .. قالت كلمتها الاخيرة .. وهى تندفع من أمامه . قبل ان تغلبها دموعها .. صاعدة الدرج ..

لتقابل سهام فى طريقها اليه .. وفى يدها هاتفها الذى تناوله فى غضب .. وبكل غل و انفعال .. وخاصة بعد كلماتها التى سمعها للتو قذف به للحائط ليسقط اجزاءاً .. مع صرخات سهام المذعورة

وهتاف الحاجة فضيلة .. وهى تدخل من باب السرايّ متسائلة عن الثورة الهادرة التى تسمعها بالخارج ..

وكذلك .. تلك العيون الدامعة التى كانت تراقب المشهد من بعيد .. من احد النوافذ .. وهى غير قادرة على الدفاع عن حبيبة لطالما تمناها .. ولا يستطيع ولا يجرؤ على البوح ..

****

اندفع زرزور مبتعدا عن النافذة التى كان يسترق النظر والسمع منها على ما كان يحدث داخل السرايّ .. ليعود ادراجه .. لحجرته المتواضعة فى أطراف الحديقة المحيطة بالسرايّ ... والتى كانت دوما ملاذه من الدنيا عندما تضيق به نفسه .. ويريد ان يبتعد عن البشر بكل آثامهم .. وضعائنهم .. وأحقادهم .. لا يؤنسه إلا صحبة ناى .. ينفس فيه .. لتتمثل انفاسه أنغاما .. لا يستطيع البوح بما تحمله من معانى .. كان نايه هو وسيلة حديثه وبوحه للعالم ..

جلس يحتضن ركبتيه لصدره .. وهو يتذكرها .. لقد دخل لهذه السرايّ وهى ابنة الثلاث سنوات ..

وشعر يوم أوكلت له الحاجة فضيلة حمايتها ..أن قدره أصبح مرهون بها .. رأها تترعرع كزهرة ندية امام عينيه ..

وتحت إشرافه وحمايته .. مثلما كان أخيها عاصم .. تحت حمايته .. على الرغم من انهما فى نفس السن تقريبا .. ربما هو يكبر عاصم بعامين او ثلاثة على الأكثر .. لكن هى كانت دوما موضع اهتمامه ورعايته .. لم يكن يغفل عنها ولو لحظة ..

كم عشق اسمه عندما نادته به للمرة الاولى .. انه يتذكر كل لحظة من لحظات حياتها مقترنة بحياته .. حتى أصبحت تلك الشابة فائقة الجمال .. بروح مرحة ..

وعيون نجلاء .. وقلب طاهر .. أه .. يا سهام ..

هتف زرزور فى لوعة .. وهو يحدث نفسه جاذبا

أياها من أتون الذكريات ... عرفتى تعشجى يا سهام .. عرف جلبك يدج لغير زرزور ... لو تعرفى انى اولى الناس بكِ وبحبكِ ...أه .. يا سهاااام ... والله .. ما فى حد بالدنيا دى كلها .. يعرفك كدى.. ولا هيحبك كدى..

وأحتضن نايه بين شفتيه...ليخبر العالم كله .. انه عاشقها... دون ان يستطيع البوح بابجديات عشقه لمخلوق...

****

-على ايه الغاغة اللى انت عاملها دى يا عاصم .. خبر ايه .. ايه اللى حُصل لكل ده ..!!؟..سألت الحاجة فضيلة .. فى حجرتها التى اصطحبت اليها ولدها البكرى .. لتستفهم عن سبب ثورته .. التى لم تشهد منها الا القليل ..عندما دلفت لداخل السرايّ بعد قضاء بعض المصالح الخاصة ببعض الاقارب ..و الذين تودهم كل فترة وتجود بما فيه النصيب لاعانتهم على مطالب الحياة والتزاماتها ..

هم بان يتكلم .. حتى قاطعه طرق على باب الغرفة .. أذن لمن بالباب بالدخول فى ضيق .. لتتقدم فتاة بصينية عليها أكواب عصير منعش.. طلبته الحاجة فضيلة قبل صعودها .. كانت فتاة فى السابعة عشرة من عمرها ..

لم ترفع وجهها عن الصينية التى تحملها .. هتف فيها عاصم بغضب :- انتِ مين يا بت .. !!؟.. اضطربت الفتاة حتى كادت تُسقط الصينية بما عليها

.. ورفعت رأسها باضطراب تستنجد بالحاجة فضيلة .. التى هتفت

فى عاصم :- سرعت البنية يا ولدى .. دى كسبانة.. بت رجب الكلاف الله يرحمه .. بتجرى على عيشها وعيش اخواتها .. وجصدتنى .. جلت تاجى تساعد ام سعيد ..

فى شغل السرايا .. ونكسبوا فيها ثواب ..

-طيب .. هدأ قليلا ....حطى اللى فى يدك وروحى.. ولو الحاچة شكت منيكِ.. ملكيش عيش هنه.. هتف فى الفتاة التى وضعت الصينية من يدها وهى تحرك رأسها موافقة عدة مرات .. حتى غابت من الغرفة .. وهى تغلق الباب خلفها....

-ها مجلتش .. كانت على ايه الخناجة اللى شفتها تحت دى .. !!؟.. أعادته الحاجة لواقع القصة بسؤالها .. فعادت لهجته تنضح بالثورة والشدة من جديد..

-على أيه ..!؟.. أجولك يا حاجة .. على أخر الزمن .. بن جدرى التهامى يتجرأ ويتجدم يطلب يد سهام تخيلى..

..انا اسلم اختى .. لولاد التهامى ..!!؟... وبيدى ..!؟!..

لمعت عيون الحاجة فضيلة ببريق عجيب .. عندما سمعت ما اخبرها به عاصم .. ورددت فى شرود

عجيب :- بتجول واد جدرى التهامى ..هو اللى طلب سهام ..!!؟..

-أه .. يا حاجة .. تصدجى .. !!؟.. هتف عاصم ساخراً

- طب وفيها ايه دى ..!؟.. سألت الحاجة فضيلة ببراءة جعلت ولدها ينتفض متعجبا وهو يتفرس فى أمه وكأنها شخصا غريبا لا يعرفه .. ليسأل باستغراب :-خبر ايه يا حاچة ...!؟.. انت واعية انا بجول ايه .. وعلى مين .. !!؟.. دوول التهامية اللى طول عمرك

ما بطجيش سيرتهم .. ها تديهم بتك .. !؟!..

-خابرة انهم التهامية ..قالت بهدوء مريب ..وبعدين انت شفتنى وافجت على جواز بتى من ولدهم .. انا بجول وفيها ايه .. ما يتجدم .. واحنا لينا نجبل او نرفض .. ولا أيه ..!؟..

نظر عاصم لامه بشك وريبة .. لا يعرف ما الذى تخفيه الحاجة فضيلة بجعبتها .. فهى أمه التى يدرك عقليتها جيدا .. ويدرك تماما ان ردها هذا .. يخفى ويبطن ..

الكثير والكثير...

****

اندفعت سهام لحجرة ابيها الحاج مهران باكية .. شاكية ظلم أخيها :-يرضيك يا حاچ ..!!؟؟..عاصم عايز يجوزنى لسليم .. انت ترضهالى دى .. !!؟... ترضى يرمينى لسليم واد عمى اللى مش عايزنى الا عشان مالى وورثى بعد العمر الطويل ليك .. تجبل يا حاچ.. .. قالت سهام كلماتها متشنجة .. وقد تورمت عيونها من البكاء والنحيب ..

أشار اليها ابوها وهو يسعل كعادته فدنت منه مطرقة الرأس جسدها يهتز انفعالا وتشنجا على ما أل اليه حالها .. أخذ ابوها يربت على كتفها فى إشفاق فهى مدللته بلا منازع وما كان يرفض لها طلبا ولا يقوى على حزنها يوما ..

-أهدى بس .. مين ده اللى يستجرى يزعل الجمر .. تلاجيكى ضايجتى عاصم فجال الكلمتين دوول ..

لكن عمر اخوكى ما يعمل كده .. وبعدين .. هو انا رحت فين ..!؟.. هو يجدر يعمل حاچة من غير شورتى .. جوليلى بجى .. عملتى ايه خلتيه عايز يجوزك المدعوج سليم ..!!؟..

-انا معملتش حاجة .. قالت سهام فى براءة .. واد جدرى التهامى هو اللى عمل .. وارتسم الخجل على محياها .. طلب يدى من عاصم ..

-واد جدرى التهامى .. مين فيهم .. !!؟؟.. ما هو عنده وادين ..

-الكبير يا حاج .. حسام .. قالت سهام باندفاع ..

فانفجر الحاج مهران ضاحكا :- ده انتِ تعرفيه بجى..!؟؟

طأطأت سهام رأسها من جديد .. لا تقوى على مواجهة عيون ابيها .. الذى قال فى ود :- طب ومالة .. لو بن حلال وراجل جدع .. ايه المانع .. ..؟؟!

-جول الكلام ده لولدك يا حاچ .. راجل محترم ومحاسب كد الدنيا ..ومنسبينهم .. وبتهم عندنا.. وأخلاجهم ذى الفل .. ده يتعيب ..!؟.. قالت سهام

فى حماس منقطع النظير .. دفع ابيها للانفجار فى الضحك مجددا مصحوبا بنوبة السعال المعتادة .. وهو يقول بعد ان هدأ سعاله قليلا :- يخيبك يا سهام .. انا لازماً اشوف الحليوة ده اللى وافجت عليه سهام الهوارى بجلالة جدرها ..

-انا مجلتش انه حليوة على فكرة .. .. قالت سهام مشاكسة ابوها فى مرح ..

-مش محتاجة تجولى يا جلب ابوكى.. الحاج مهران يفهمها وهى طايرة .. وربت على رأسها فى حنو .. وهو يقول .. متجلجيش .. اخوكى عيحبك ومش ممكن يضرك واصل ..

أنتفضت سهام عندما أستأذن عاصم فى الدخول .. وما ان رأها حتى قال فى ضيق :- حلاً .. جاية جرى تشكينى للحاچ ..

-واااه يا عاصم .. امال تشتكى لمين غير لابوها..!!؟؟.. هتف الحاج مهران فى نبرة مؤنبة جعلت عاصم يتراجع من فوره هاتفاً :- لاه .. طبعا يا حاچ .. ده انت الخير والبركة ده احنا عايشين بحسك ومن خيرك ..

فاندفعت سهام تستأذن للخروج من الغرفة .. لا تقوى على رفع رأسها.. لتقابل نظرات اخيها المتوهجة غضبا .. بينما نظر ابوه له.. وهو يقول فى صرامة غيرمعهودة عند حديثه لولده:- خبر ايه يا عاصم .. مش كنّا فضيناه موضوع سليم ده .. ايه اللى فتحه تانى .. وايه المشكلة فى ان واد جدرى التهامى يتجدم لأختك ..

ما احنا منسبينهم .. وبتهم اللى هى مرتك بالمناسبة عندينا .. ايه المشكلة لما نديهم بتنا .. وهم ناس محترمين .. وولدهم .. ميتعيبش ...!!؟..

-خبر ايه ..!!!؟.. انت كمان يا حاج ..!!؟.. .. انا مبجتش عارفلكم .. بجيت أنا دلوجت اللى غلط .. وانا اللى ضد التهامية على طوول الخط وكلكم معاهم ..

لاه ...وايه كمان ..هتف ساخراً.. بتشعروا فيهم .. وهتدوهم بتكم..ثم هتف من جديد حانقا .. وانا ايه درانى

يا حاج انه مش عايز اختى تخليص حج ذى ما خدنا بتهم ..!!؟.... مين يضمن لى انهم هايعملوها بما يرضى الله ....ويشيلوها فوج روسهم ..!؟؟؟..

انا بعمل كده .. عشان خايف على اختى .. يا حاج فهمتنى..!؟..

-فهمك .. فهمك جووى يا ولدى .. فهمك اكتر من روحك ..بس انت معذور .. فاكر ان التهامية كلاتهم جواهم نفس الغل والانتجام اللى امك سجتهولك ضدهم .. اللى چواك ده .. چواك لوحدك يا عاصم ... عامى عينك وجلبك عن حاجات كتير حواليك

حاجات لو نسيت غلك وانتجامك شوية .. مش هتشوف أجمل منها .. وهاتندم على كل لحظة من عمرك ضيعتها فى اوهام كدابة ملهاش عازة ..

اسمع من ابوك اللى ميهموش فى الدنيا كلها الا سعادتك .. وراحة بالك ..

نزلت كلمات الحاج مهران على قلب عاصم كالبلسم الشافى .. فقد كانت كلماته شبيهة لحد كبير بكلمات سمعها منذ ساعة ... وتذكر كلمة واحدة .. دوت ببراح روحه .. نطقتها صاحبة نظرات نارية ولهجة متحدية..

.....أنت أزاى عايش كده ....!؟؟...

كانت تحتمى دوما .. بحجرة الحديقة .. تقضى فيها جل وقتها ..تجلس فيها بالساعات .. تقلب اوراق رواياتها وكتبها .. هربا من واقع يحيط بها .. وواقع اخريفرض نفسه داخلها .. واقع من مشاعر وأحاسيس تفتك بها .. رغم رفض عقلها .. الا ان قلبها .. يضرب بكل تعقلها عرض الحائط ..لم تكن تعرف ان هذا ممكن ..

ان يتعارض قلب وعقل فى جسد واحد .. ان يتخذ العقل اتجاها.. ليأخذ القلب الاتجاه المضاد .. يا لها من معضلة ..!!

وهى التى تتمزق اشلاءاً .. ما بين بين .. لا هى قادرة على مطاوعة عقلها ... بسبب سطوة القلب .. ولا هى قادرة على مطاوعة قلبها ..عندما يفرض العقل قرارته المصيرية ..

كانت غارقة فى متابعة احداث حياتها ..متصنعة الغرق بين سطور احدى الروايات .. لكن تركيزها كان ينصب على ما يدور بمخيلتها .. ولم تنتبه لذاك الخيال الأنثوي الذى يقترب ..

-أزيك يا زهرة .. كيفك ..!!؟؟.. سألت سمية فى وداعة مصطنعة..

-أهلا يا سمية .. اتفضلى .. نطقتها زهرة بلا حماسة .. فلا داعى لتصنع المودة .. فكل واحدة منهما .. تعرف انها لا تتقبل الاخرى .. على اي حال ..

-مش عايزة اعطلك .. بس انا كنت معدية من جنب السرايا

جلت أجى أطل على مرت عمى .. وعليكم ..

-فيكى الخير يا سمية .. بيتك فى اى وقت ..

-أه طبعا بيتى .. امال ايه معلوم .. بيت عمى يبجى بيتى ..

قالتها وقد بدأ غلاف المودة المصطنع يذوب .. ويظهر الغل والحقد يقتر من الكلمات ..

-طب أقوم أجيبلك حاجة تشربيها .. نهضت زهرة .. رغبة فى تجنب ذاك الحوار العقيم مع تلك الحاقدة ..التى كانت

علي استعداد لفعل اى شئ فى سبيل الفوز بقلب عاصم .

ودت ان تهتف فى وجهها :- خذيه بكل سرور .. فلتأخذى قلبه القاسى .. فهو يناسبك تماما .. وصدقينى .. لن أغضب أو أحزن .. فهو يستحقك كما انك تستحقينه ...

رأت مِن موضعها .. خيال سهام يشير لها من نافذة علوية....فاستأذنت وغادرت المكان الموبوء بالحقد مبتعدة .. متعللة بجلب المشروب ..

اندفعت لداخل السرايا .. فبادرتها سهام .. لتلحق بها عند مهبط الدرج .. وهى تتلفت حولها قبل ان تتكلم :- زهرة ..

هو حسام مبعتلكيش حاچة ..!!؟..سألت سهام فى قلق وترقب

-بعتلى ..!!؟.. ها يبعت لى ايه ..!!.. سألت زهرة فى تعجب

-رسالة .. او اى حاجة نفهم منيها هو ناوى على ايه ..!!؟..

-ما هو اللى كان ناوى عليه عمله .. وطلبك وأخوكى رفض .. انتِ مستنية يعمل ايه تانى .. !!؟..سألت زهرة بتعجب

-مش عارفة ،.!؟.. بس اهو بسأل .. بصبر روحى ..

-طيب .. اروح اطلب حاجة لبنت عمك تشربها .. عشان نخلص وتمشى هى مش ناقصة تعب اعصاب كفاية اللى احنا فيه .. هتفت زهرة بنفاذ صبر

-عندك حج....انا مش طايجاها .. ولا طايجة سيرتهم.. هى وأخوها.. الله يكون فى عونك انك جاعدة معاها ..

تركت سهام و توجهت للمطبخ تطلب شاى لسمية .. لتعود لها .. لتجدها من البعد.. تقلب بين الروايات وتعبث ..

بالكتب على الأرفف.. والادهى من ذلك كله .. انها لاحظت انها كانت تعبث بهاتفها المحمول .. والذى نسيته هى .. حين اندفعت مسرعة لداخل السرايّ لأحضار المشروب وهربا من سخافاتها ..وقد تركته سمية على عجل .. عندما شعرت باقترابها .. ماذا كانت تفعل به يا ترى ..!!؟؟..وتتصنع الان العبث بالارفف.. وكأنى لم أراها ..!!؟..

أرتشفت سمية رشفة سريعة من الشاى ثم نهضت راحلة على عجالة ليست من طبعها .. أثارت تعجب زهرة .. لكن .. رغبتها فى رحيلها .. كانت أقوى من ان تتساءل لما رحلت ..

أخذت زهرة تقلب فى جوالها .. لتعرف لما كانت تعبث به ..

لكنها لم تجد شئ غريب يدعو للدهشة .. ربما أعجبها وكانت تتفحصه .. ربما ..

وفجأة رِن هاتفها معلنا عن وصول رسالة .. فضتها .. بوجيب قلب عال .. ظنا انها من عاصم .. لكن خاب ظنها ..

فضت الرسالة العجيبة .. " يا ريت يا بت عمى .. انا عايز اجابلك فعلا.. فى حاجات لازماً نحط فيها النجط على الحروف .. هجيلك فى إسطبلات التهامية .. النهاردة الساعة خامسة المغرب .. معلش .. مش فى البيت مش عايز عمك ياخد خبر.. ".. تعجبت .. هذه رسالة من حسام .. فضتها من جديد لتتساءل فى استغراب هامسة :-.. بيقول يا ريت فى أول الرسالة على ايه ..!!؟.. وبعدين وانا

هقدر اعمل ايه فى موضوعكم تانى يا حسام .. اكتر من اللى حصل ..!؟..

وبعدين هخرج ازاى أصلا ..!!؟..

اندفعت بالرسالة الى سهام .. التى تلقتها فى فرحة غامرة ..

-روحى يا زهرة عشان خاطرى.. شوفيه بيفكر يعمل ايه ..!؟

-اروح فين يا سهام ..!!؟.. هتفت زهرة غير مصدقة لما تطلبه سهام .... لا كده جنان رسمى .. انا اصلا هخرج ازاى.. !؟.. ده أخوكى يدور فينا كلنا القتل .. انت شوفتى عمل فيا ايه لمجرد انه عرف ان انا اللى قلتلك على خبر طلب حسام لأيدك .. أنت أكيد ناوية على موتى .. صح !!!

لم ترد سهام .. وظلت تزرع الغرفة جيئة وذهابا .. حتى هتفت فى نشوة :- لجيتها .. انتِ تروحى للحاچة فضيلة .. وتستأذنى منها انكِ عايزة تزورى عمك جدرى .. وتروحى تشوفى حسام .. ولا من شاف ولا من درى.. ايه رأيك ..!؟.

-أه من دماغك لما تكونى عايزة حاجة ..!؟..

انفجرت زهرة ضاحكة .. وسهام تنحنى تحييها وترسل لها القبلات فى الهواء .. كنجمة سينمائية ..

-خلاص .. انا هروح استأذن من الحاجة .. واجهز و ربنا يستر .. قالت زهرة فى خوف

-ها يستر .. بس بجولك .. صمتت سهام فى خجل .. أبجى سلميلى عليه ..

-حاااضر ... قالت زهرة بابتسامة .. وهى تندفع باحثة عن الحاجة فضيلة .. لتجدها قابعة بمكانها المفضل .. فى أحد القاعات المطلة على الحديقة..

ما أن دخلت .. حتى استرعت انتباه الحاجة فضيلة فورا.. كانت تشم فيها رائحة العزيزة الراحلة .. فأشارت لها الحاجة

قبل جلوسها .. بان تأتى لتجلس بجوارها.. فأطاعت زهرة فى وداعة .. لتربت الحاجة على كتفها فى محبة خالصة ..

-كيفك يا بتى .. زينة ..!؟..

-الحمد لله .. أجابت زهرة ..

-بجولك .. انتبهت زهرة .. أوعاكِ تكونِ زعلتى من عاصم ..والله عاصم جلبه طيب .. بس هو حمجى حبتين..

لم تكن زهرة لتجادلها فيما يخص عاصم مطلقا.. لذا آثرت الصمت .. ثم تشجعت :- ممكن أروح لعمى .. لو سمحتى يا حاجة..!؟..

-زيارة .. يعنى .!؟.. سألت فضيلة فى توجس..

-أه طبعا .. ولو حضرتك فاكرة انى ممكن أقوله حاجة من اللى حصلت هنا .. حضرتك أطمنى .. مش ممكن طبعا .. انا بس عايزة ازوره .. لانى مرحتلوش خالص.. بابا وصانى أزوره دايما .. لو مفيش عند حضرتك مانع ..!!؟؟..

-طب .. ومطلبتيش من جوزك ليه .. كان وداكِ بنفسه.!!..

سألت الحاجة فضيلة فى خبث .. ولكن زهرة .. صمتت قليلا

ثم اجابت فى هدوء:- مش عايزة أفتح معاه مواضيع تخص عيلتى خاصة بعد موضوع حسام وطلبه أيد سهام .. فجيت

أطلب من حضرتك السماح بالزيارة .. لو مش ها يحصل من وراها مشكلة ..

-طيب يا بتى روحى .. وماله .. حجك طبعا ..

-متشكرة يا حاجة .. هروح أجهز .. عن إذنك ..

-روحى يا حبيبتى .. فى حفظ الله ..

الفصل الثالث عشر

اندفعت سمية متصنعة الهرولة .. حتى كادت تصدم بعاصم لولا يقظته .. ليوقفها فى الوقت المناسب ..

-خبر ايه يا سمية ..واخدة فى وشك ..!!؟؟...

-معلش .. اصل مستعجلة يا واد عمى .. مختش بالى

-حصل خير .. بس على فين العزم ان شاء الله .. !!؟..

-راجعة دارنا .. ده حتى انا كنت لِسَّه راجعة من عنديكم..

وشوفت مرتك .. وهى رايحة نواحى إسطبلات التهامية ..

-مرتى .. انتِ متوكدة ..!؟..سأل متوجساً...

-أه طبعا متوكدة .. هو انا هتوه عنيها...ما تاجى تروحنى.. وتتعشى معانا .. سليم تلجاه بالبيت دلوجت.. قالت فى دلالها الممجوج..

-معلش.. مرة تانية يا سمية .. أعتذر مندفعا .. والشياطين تتبعه.. وابتسامتها أقرب ما يكون لفحيح حية رقطاء..

****

اندفع حسام .. فى طريقه حتى وصل لأسطبلاتهم..

كان يسرع الخطى رغبة باللحاق بابنة عمه فى الميعاد المتفق عليه .. لابد وان يكون هناك جديد لترسل له ابنة عمه رسالة تبلغه فيها رغبتها فى لقاءه.. وترغب فى ذلك بعيدا عن دارهم ..و.. بعيدا عن علم عمها وتحدد له فيها الميعاد والمكان المخصص للقاء..

لقد جاء وقد ألغى كل أعماله .. ربما يتحقق أمله .. فى الزواج من سهام .. ويكون لدى زهرة الحل لمعضلة زواجهما..

دخل الاسطبلات يبحث بعينيه عنها .. ثم تذكر انها لم تأتى الى هنا الا مرة واحدة .. وبالتأكيد لا تعرف فى المكان سوى ذاك الإسطبل الذى قابل فيه سهام للمرة الثالثة ..

ابتسم للذكرى .. فهو بحق يحب تلك الغلباوية التى تملك لسانا يناهز طولها مرتين .. لكنها ايضا تملك حسا فكاهيا عاليا وروحا مرحة طفولية .. لقد تغير كليا منذ عرفها.. وذلك العبوس الذى كان يكلل ملامحه .. انقلب لابتسامة دائمة ..

هو نفسه لا يعلم كيف ومتى حدث ذاك التغير ..!!؟.. لكنه يستشعره فى نفسه .. مثلما استشعره جميع من حوله ..

قاطع صوت زهرة استرسال خواطره وهى تنادى باسمه فى خفوت... فأندفع لمصدر الصوت على عجل ..

-أزيك يا داكتورة .. هتف حسام ..

-الحمد لله يا حسام .. كله خير ..

-أزى سهام ..!؟.. سأل حسام بابتسامة كان من النادر ان ترتسم على محياه .. تعجبت منها زهرة رافعة حاجبيها ..انه بحق يعشق سهام .. ان مجرد ذكرها أبدله لشخص اخر لا تعرفه..

-على فكرة هى كمان بعتالك السلام .. ابتسمت زهرة ..

-صحيح .. !!.. ربنا يسلمها .. أجاب فى حبور..

-المهم انت بعتلى الرسالة ليه .. فى جديد..!؟..
سألت متلهفة

اما هو فقد اجاب عاقدا حاجبيه :- انا جلت الجديد عِندك يا داكتورة .. لان انتِ اللى بعتى الرسالة .. وحددتى المكان وزمان المجابلة ..

هتفت زهرة فى تعجب :- انا مبعتش رسايل .. ده انا حتى معرفش رقمك ..

نظر كل منهما للاخر مندهشاً... وقد شعرا بشكل غريزى .. ان الامر لا يخلو من ورطة ما .. لكن زهرة كانت الأسبق

للخروج من حالة الدهشة تلك لتهتف متسائلة حتى يتستنى لهما الرحيل فى عجالة:-المهم .. قولى انت ناوى على ايه فى موضوعك مع سهام..!!؟...سألت فى ترقب منتظرة أجابته .. والتى ما ان هم بنطقها... حتى سمعا صوتاً جعل الدم يتجمد فى عروقهما رعباً.. يهتف مجيباً سؤالها :- أجولك أنا يا داكتورة هو ناوى على ايه!؟.... كان صوتا صارما.. قاسيا ..يكسوه الغل . .. صوت لا يملكه الا شخص واحد فقط .. عاصم الهوارى ..

كان كلاهما يقف مشدوهاً .. لم يستطع الإتيان بأى ردة فعل .. ولا حتى النطق بكلمة .. فزهرة عرفت ان هذه نهايتها .. من نظرات عينيه التى تمور بالغل والغضب القاتل .. نظرات بحدة سكين مَسنون تمزقها بلا رحمة .. اما نظراته لحسام .. فكانت تكفى لصرعه قتيلا فى لحظتها ..

-عايزة تعرفى واد عمك ناوى على ايه .. !!سأل عاصم ساخرا بنبرة تقطر حقداً.... ناوى على اللى انا كنت ناويه يوم ما شفتكِ يا داكتورة..

-لا يا عاصم .. انت فاهم غلط .. حسا.. اندفع اليها كالإعصار مما دفعها لتقطع كلامها فى رعب .. وها هو يصل اليها ممسكا بذراعها فى عنف .. جاذبا إياها خارج المكان وهو يهتف فى غل :- وچالك عين تدافعى عنيه كمااان ..!!؟؟..

-انت مش راضى تفهم ولا تسمع حد ليه..!؟.. صرخت فى يأس وهى تحاول جذب ذراعها من يده التى تقبض عليها

بلا رحمة .. ترك ذراعها وهو يهتف بغضب هادر ..

-انا مبسمعش الا صوت واحد .. صوت ده ..
أخرج من جيب جلبابه مسدسه الذى يحمله دوماً..
واستطرد فى وحشية أرعبتها.. ومشيفش جدامى
دلوجت غير لون الدم ..

انكمشت على نفسها .. وهى ترى تطور الموقف
بهذا الشكل ..وها هى الان.. ترى الغول .. بشحمه
ولحمه وقسوته وجبروته أمامها .. وكم أرعبتها
الصورة ..

هتف حسام.. لعصام محاولا امتصاص غضبه باى
طريقة..

:- اسمعنى بس يا عاصم ... الموضوع فيه سوء
تفاهم ..

.. فى حد عايز يوجعنا فى بعض..

هتف عاصم ساخرا ...:- ها .. وايه كماااان ..!!؟..
ثم تغيرت نبرة صوته بشكل وحشى صارخا :- ..ما
اصل انا مغفل عشان اصدج الكلام ده .. هى
خلصت على كده وانتوا جبتوا آخركم معايا يا ولاد
التهامية .. ورفع مسدسه لاعلى .. وأطلق عيارا
ناريا فى الهواء .. جفل على اثره البهائم فى
الإسطبل .. وارتفع صهيل الأحصنة ..

وصرخت زهرة فى رعب واضعة كفيها تغطى أذنيها

فى هلع حقيقى .. وبدأت ترتجف وهى تتذكر تلك الليلة .. التى جاء اَهلها امام سرايّ عاصم ..وبدأت المعركة.. كانت المرة الاولى التى تسمع فيها صوت الرصاص الحى .. لكن هذه المرة .. التهديد الذى يحمله عاصم .. و المرسوم الان على ملامح وجهه المرعبة .. لن يظل تهديدا .. بل سيأخذ موضوع التنفيذ حالا..لكن هى .. لن تدع ذاك يحدث.. لن تدع ميراث الدم يتجدد .. وتعيش العائلتان ويلاته مرة أخرى.. لا تعرف حقا كيف واتتها الجراءة .. لتدفع نفسها ..لتقف أمامه تصد بجسدها جسد حسام صارخة .. :- لو عايز تقتل حد هنا .. أقتلنى أنا بس بلاش حسام .. كفاية دم بين العيلتين يا عاصم .. كفاية دم عشان خاطرى..

هم حسام للزود عن ابنة عمه .. لكن عاصم فاجأه ..

وفاجئ زهرة بدورها .. والتى كان يرمقها بنظرات مبهمة لم تستطع ثبر أغوارها .. لكن ما تعجبت له بالفعل كان ردة فعله .. فقد اخفض سلاحه ببطء

شديد ولاتزال تلك النظرات التى تقفز من عينيه ترعبها.. وما أرعبها اكثر هو اقترابه منها ..وميله اليها هامسا فى غل :- جلبك عليه جووووى !!!..

وماله .. هجتلك .. هجتلك بداله ..وازداد همسه وحشية مؤكداً .. هجتلك بس بطريجتى ..وجذبها من ذراعها خارجاً .. وهو يهتف فى وجه حسام صارخا :- أوعاك تكون مفكر ان حسابك معايا خُلص .. لاه.. لِسَّه حسابك معايا تجيييل جووووى ..

اندفع حسام خلفه.. يضع جسده يسد باب الإسطبل .. مانعا إياه عن الخروج ... وهى يجذب زهرة خلفه بهذه الطريقة يدفعه رعبه عليها .. ليتحدى الغول وهو على هذه الحالة

التى يعميه فيها غله وحقده عن ادراك الحقيقة .. واستيعاب ما يحدث ..والذى قد يصل لحد المكيدة .. فيما يجرى

فهتف صارخا بدوره .. وهو يعترض طريقهما :- سيب زهرة يا عاصم .. بكفياها.. وانا جدامك أها ..

انفجرت ضحكة خشنة ساخرة من اعماق عاصم بعد لحظات من الصمت يتبادل فيها النظرات بين

حسام وزهرة .. والتى بدأت بحق ترى الدنيا تتأرجح امام عينيها وهو لايزل قابضا على ذراعها بقسوة :- ايه يا واد التهامى..

هاتمنعنى آدب مرتى ولا ايه .. !!؟.. ودفع بحسام بعيدا ..

متعملش فيها فارس مش لايجة عليك الشهامة .. وبعدين ..

ماحنا جلنا اصبر .. دورك چاى .. مستعجل ليه على رزجك..!!؟..

واندفع عاصم يجر زهرة خلفه .. ودفع بها بعنف لتصعد العربة التى صهلت أحصنتها عندما جذب لجامهما فى قسوة .. لتندفع العربة تسابق الريح .. وفجأة .. يُسمع طلق نارى مجهول المصدر .. يتردد صداه فى هدوء الليل ..

ولم يكن ذلك الامر الذى يمكن ان يسترعى انتباه عاصم فى تلك اللحظات .. فذاك امرشائع لا يدعو للقلق او التساؤل .. وعاصم بعد تلك الحالة التى تلبسته عندما رأهما سوياً.. ورأى كل منهما كيف يدافع عن الاخرلم يكن ليهتم الا بتلك التى تجاوره فى العربة .. تنتفض رعبا ..

وهى ترى على محياه أمرا لا تريد حتى تصديقه ..

كان يجرى كالمجنون الذى تلاحقه شياطين الجحيم وقلبها ينتفض بشكل هستيرى بين جنبات صدرها ..

عبرا بوابة السرايّ ..وأوقف العربة بتهور .. كاد يدفعها لتنقلب بمن فيها ...

نزل قافزاً وجذبها من يدها فى خشونة .. حاولت ان تقاوم .. لكن مقاومة إعصار فى تلك اللحظة..

أهون بكثير من مقاومة هذا الوحش الذى يكبل معصمها .. ويدفعها دفعا أمامه .. كأسيرة حرب .

انتفضت امه وسهام عند رؤيتهما بهذه الحالة وهما يدلفان لداخل السرايّ ... لكنه قال بصوت هادئ متصنع لا يعكس إطلاقا حجم الغضب الذى يعتمل بصدره وهو يضغط على اسنانه فى غل :- محدش يدخل بكلمة .. مرتى وانا حر فيها .. حاولت امه التدخل رغم ذلك وهى ترى الذعر بادياً من عينى زهرة... واندفعت الدموع من عينى سهام لمرأها بهذا الشكل ..وخاصة انها تعلم السبب فيما يحدث .. ليتها لم تستمع لكلامها وتذهب للقاء حسام .. لكن بماذا يفيد التمنى

الان .. وماذا سيحدث لهذه المسكينة ..!؟..

هتفت الحاجة فضيلة بشفقة وهى ترى عاصم يجذب زهرة خلفه للأعلى والتى حاولت مقاومته .. ليحملها عنوة كجوال من القطن على كتفيه قابضاً عليها بذراعه والتى حاولت التملص منها .. لكن لا فائدة ..

-مش كده يا عاصم .. التفاهم ميبجاش كده .. هى عملت ايه لكل ده .. طب فهمنى ....!؟..

صرخ عندما وصل لاعلى الدرج :- .. عملت اللى عملته .. محدش له صالح ..

دفع باب الحجرة بقدمه فى عنف ليدلفا اليها .. لينحنى قليلا ويدفع بها بعيدا عن كتفه لتلامس قدماها الارض وهى تترنح بلا اتزان للحظات قبل ان تستعيد توازنها من جديد.. ليدفع الباب بعنف مرة أخرى مغلقا إياه ..

وقف يلهث بشدة يتطلع اليها وعيناه تنصب عليها فى جزل بغيض ..نظراته أشبه بنظرات ذئب جائع ...

بدأت تتراجع خطوات بطيئة للخلف وهى تعلم انها هالكة لا محالة .. انه يبدو خارجاً عن السيطرة ..

تراه الان يتقدم اليها كفهد يتربص بفريسته .. وفى طريق تقدمه خلع عمامته وألقى عصاه من يده ..

وصل تقهقرها لنهايته عندما اصطدمت بباب الشرفة خلفها والتصق ظهرها بالحائط .. فى نفس اللحظة التى لحق بها ليأسرها بين الحائط و ذراعيه الممتدان بطولهما واللتان أسند كفهما على الحائط موازيتان لرأسها ..

ليقول بصوت خفيض أجش يأتى من اعماق سحيقة :- فى نفس المكان اللى انت واجفة فيه ديه..يوم فرحنا... وعدتك انى مش ممكن ألمسك الا برضاكى.. وكنت كد الوعد .. لكن الوعد مع واحدة زيك ..ميتصانش وميتبجيش عليه .. لانك مبجتيش على حاجة..ومصنتيش اى حاجة ..

نظرت لعينيه الغائمة فى رعب حقيقى وهى تسأله :- قصدك ايه ..!!؟..

اقترب اكثر وأكثر مقلصاً طول ذراعيه وهمسه يتخلل مسامعها مع انفاسه الحارة التى لفتحت جانبىّ وجهها كنيران الجحيم :-جصدى انى هجتلك .. بس بطريجتى يا بت التهامى ..

كمحاولة اخيرة للفرار .. انحنت لتعبر من تحت احدى ذراعيه .. لتندفع مبتعدة .. لكنه كان الأسبق .. لتصل اليها

ذراعه .. ليعيدها مرة أخرى لاسرها مطوقا إياها بين ذراعيه وهى تقاومه بضراوة .. جذب حجابها ليقذف به بعيدا .. وانفلت عقال جدائلها التى تثير جنونه .. ليزرع كفيه فيهما بقسوة ليمسك جدائله بكفه قابضا عليها .. ومثبتاً رأسها .. لينظر لعمق عينيها المرتعبتين حد الموت ..وهو يهتف منتشياً :- شفتى كنت كريم معاكِ ازاى ..!!؟؟ وحايش عنك نفسى كيف !!؟.. بس انت متستهليش أعاملك ولا الأميرة وانتِ أخرك جارية .. يااا بت التهامى ..

كانت لا تُزل تقاومه فى بسالة ولا تعرف أين ذهبت دموعها .. فقدت تحجرت تماما فى مقلتيها .. رعبا وهلعا مما يحدث .. استطاع بمهارة تكبيل كفيها خلف ظهرها ..

فأصبحت لا تقاومه الا بعصيان جسدهاعن الانصياع

لرغباته .. كان لسانها تعقده الصدمة .. لم تنطق بكلمة تدافع بها عن نفسها .. او حتى توصمه فيها بالعار ....

لكن فجأة ..وعلى غير المتوقع .. استسلم جسدها .. ولم تعد تستطيع مقاومة ذاك المارد الذى تدفعه الرغبة فيها حد الجنون ..الى إذلالها بهذا الشكل الذى لم تتخيل حدوثه ولا فى اسوء كوابيسها..

ان ذراعيه حول جسدها .. تصيبها بالغثيان ..

وقبلاته المتناثرة بعشوائية هنا .. وهناك .. تجلدها كالأسواط..

لا تعرف متى بالضبط ...وجدت نفسها تهتف بهذا الصوت الهادر.. كانت المرة الاولى فى حياتها تسمعه يخرج من أعماقها بهذا الالم والقهر:- هو ده اللى انت عاوزه .!؟ ده اللى هايرضيك ..!!؟ ..

توقف فجأة ينظر اليها وقد هزه صوتها وما يحمله من دلالات وكأنه يستفيق تدريجياً من غيبوبة تغشى عقله وقلبه وجوارحه عن ادراك مدى معاناتها ..كانت لاتزل فى أسرها بين ذراعيه .. يتطلع

لعمق عينيها المقهورتين فى اضطراب وتشوش وهى تكمل بنفس النبرة الهادرة ...خد اللى انت

عاوزه وأعتقنى لوجه الله... أن كان هو ده التمن اللى يرضيك ..خده وأدينى حريتى بعيد عنك ..

ابتعد عنها فى بطء غريب وذراعاه تخلصها من أسرهما وكأنه يستعيد وعيه تدريجيا . عيناه معلقتان بعينيها التى كساها الدمع ..وعرف طريقه اليهما اخيرا ...نظرات عينيه تبدلت كليا .. من تلك النظرات الشهوانية التى لم تكن تحمل غير الرغبة والانتقام .. الى نظرات حائرة ..زائغة.. مضطربة ..

انفجرت تجهش باكية بشهقات دامية تخرج من اعماق روحها المجروحة .. تدارى وجهها بكفيها.. وتحاول وأد شهقاتها .. لكنها لا تستطيع ..

وقف كالمشدوه .. لا يعرف ..ماذا فعل ..!!؟؟.. وكيف يتصرف !!؟...

... يكاد يقتلها الان غيظا وحقدا .. ويموت رغبة ..ليأخذها بين ذراعيه .. ليقتلها هياماًوعشقاً .. انه يكاد يجن ..ان لم يكن اصابه الجنون بحق .. فما كان الذى جرى بينهما منذ لحظات.. الا نوبة جنون دفعه اليها .. حقده .. وغيرته .. وغضبه .. وحمقه وعشقه .. ان رؤيتها مع بن عمها .. ودفاعها عنه

بهذا الشكل جعل الحقد والغل يسيطرا عليه .. كمن تحركه الشياطين ..

ما ان هم بان يتكلم .. عندما بدأت شهقات بكاءها تخمد قليلا

حتى ارتفع الطرق على باب الحجرة فى قوة اجفلته..استدار مبتعدا ليفتح الباب فى آلية .. لتطالعه سهام لاهثة.. وهى تهتف :- ألحج يا خوى .. الحكومة تحت وطالبينك .. معرفش ليه ..!؟...

سأل بلامبالاة...:- حكومة .. عيزنى ليه دوول ..!؟؟..طب روحى.. وانا نازل لهم ..

عاد لداخل الحجرة من جديد .. يتناول عباءته وعمامته الملقاة أرضا وهو يتطلع اليها بنظرات مضطربة .. لا يملك من الكلمات .. ما يمكن ان يخفف به عنها... فخرج فى صمت يلقى عليها نظرة أسف أخيرة .. ليتركها تنخرط فى نوبة بكاء جديدة ..

هبط الدرج فى رتابة ..ليستقبله احد الضباط .. يبادره بالسؤال :- انت عاصم مهران الهوارى ..!!؟؟..

اجاب فى هدوء:- ايوه يا باشا .. خير ..

-اتفضل معانا.. قال الضابط فى حزم...

قال عاصم ساخرا:- اتفضل يا باشا .. وماله .. بس على فين العزم ان شاء الله ..!!؟..

هتف الضابط بنفاذ صبر :- انت مطلوب القبض عليك فى جريمة قتل ..

قهقه عاصم باستهتار:- جتل مرة واحدة ..!؟؟.. وجتلت مين بجى..!؟؟..

-انت متهم انك ضربت المدعو حسام التهامى بالنار ..

هنا اختفت كل ملامح السخرية والاستهزاء من على محيا عاصم .. ليحل محلهما الصدمة وعدم التصديق ..

فى نفس اللحظة التى انطلقت فيها صرخات مدوية من اعلى الدرج.. هاتفة باسم سهام .. التى سقطت مفترشة الارض ..فاقدة وعيها ..

****

-كنت فين من الساعة الخامسة.. للساعة الخامس والنص مساءاً..!!؟.. سأل وكيل النيابة عاصم فى حزم ..

ليجيب عاصم فى هدوء :- كنت فى بيتنا سعادتك .. وحضرة الظابط لما جه ياخدنى لجانى هناك ..

-يعنى مكنتش مع المجنى عليه .. لحظة وقوع الحادث..!؟..

صمت عاصم قليلا ليجيب فى هدوء مصطنع :- لاه.. مكنتش معاه ..

بدأ الغضب يكتنف وكيل النيابة ليهتف فى حنق:- امال ليه فى شهود شافوك وانت خارج من نطاق إسطبلات التهامية

بالكارتة .. وبتجرى بسرعة كبيرة .. وكان معاك حد جواها .. فى نفس وقت الحادث تقريبا ..

صمت عاصم ليحسب كل كلمة بميزان الذهب قبل ان ينطق قائلا :- انا كنت معدى من هناك .. وكنت مستعجل .. ادى الحكاية كلها ..

لم يشأ ان يذكر القصة الأصلية.. فهذا معناه استدعاء زهرة .. والاطلاع على امور عائلية

حساسة لا يجب الإفصاح عنها او ذكرها .. هو لم يطلق النار .. هى الوحيدة التى تعرف تلك الحقيقة .. هى الوحيدة التى يمكن ان تشهد بذلك .. ففى لحظة إطلاق النار كانت هى معه .. وحدث ما تبع ذلك من تداعيات جنونه .. ان الله انتقم لها .. بأسرع مما تتخيل .. او حتى تخيل هو ..

اخرجه صوت وكيل النيابة النزق من شروده :- المسدس ده بتاعك .. !!؟.. وقدم له مسدس فى كيس بلاستيكى.. تطلع اليه عاصم فى تركيز .. ثم أومئ ايجابا .. :- أه يا باشا .. بتاعى .. بس جبتهوه منين ..!؟.. ده عِندى فى دلابى.. مش بستخدمه بجالى فترة .. اللى معايا فى جيبى هو اللى بستخدمه و مش بيفارجنى الا لما خده حضرة الظابط منى.. والاتنين مرخصين يا باشا ..

-السلاح ده هو اللى لقيناه بالقرب من موقع الجريمة .. و لقينا رصاصة .. موجودة بجوار المصاب .. والمعمل الجنائى هيحدد .. اى من السلاحين المتحرزين بتوعك .. هو اللى عملت بيه الجريمة...

تغيرت ملامح عاصم للغضب هاتفاً :- بس انا مجتلتش حد ..

ومعرفش ايه اللى ودى سلاحى الجديم هناك ..!!؟..

ابتسم وكيل النيابة فى سماجة :- متقلقش يا سيد عاصم .. احنا ها نعرف ايه اللى ودى سلاحك هناك وهنبلغك..

وأخذ يملى على مساعده الآتى ..:- قررنا نحن وكيل نيابة ..

حبس المتهم .. عاصم مهران صادق الهوارى .. أربعة أيام على زمة التحقيق .. وضغط وكيل النيابة على ذر بجواره ليندفع احد العساكر لداخل المكتب مؤديا التحية العسكرية فى صلابة .. ليأخذ عاصم لحبسه كما أمر .. وحتى إشعار أخر..

****

كانت تقف فى مرح مع بعض صديقاتها يتبادلن الحديث ..

حتى موعد المحاضرة القادمة .. لم تكن ابدا ممن يفوت محاضراته .. مهما كانت الأسباب .. فهى بحق تستحق وعن جدارة .. ان تكون الاولى على دفعتها .. ثلاث سنوات متتالية ..وهذه السنة كما تتمنى ... لن تكون استثناءً ... فهى ابنة الدكتور

ناجى الهوارى .. على ايه حال .. وهى ورثت حب العلم عنه بكل تأكيد ..

اندفعت لداخل القاعة تتخذ مكانها قبل بدء المحاضرة .. لتمر امام شابين .. اطلق احدهما صفيرا عاليا .. دلالة اعجابه بتلك الرائعة التى مرت بهما .. هى بالتأكيد رائعة .. رشيقة القد .. جميلة الوجه.. كستنائية الشعر.. جوزية العينين ..

كانت فتنة متحركة خاصة بملابسها المتحررة قليلا عما هو معتاد .. وكانت تلك هى نقطة خلافها الاساسية مع اختها الكبرى زهرة .. التى لطالما لامتها عليها .. وحاولت إقناعها بارتداء الحجاب .. لكن تأثير امها .. السيدة منيرة .. كان على ابنتها .. بالتأكيد هو الأكثر وقعاً..

بدأت المحاضرة .. ليدخل استاذ جامعى جديد .. شاب فى نهاية العقد الثالث من عمره .. انه هنا فى الجامعة .. منذ عدة ايام .. الجميع يتحدث عن نبوغه فى تخصصه..

وقف الاستاذ الجامعى على منصته ليتحدث فى ثقة وابتسامة بشوشة ترتسم على محياه الأسمر .. يعدل من وضع نظارته الطبية :- انا الدكتور نبيل قدرى

.. سعيد انى بينكم هنا النهاركة .. وانى هكون .. أستأذكم السنة دى .. نبدأ على بركة الله ..

-واضح انه دكتور لذيذ ومش هايتعبنا .. همست احدى صديقات ندى لها .. والتى نهرتها بدورها كالعادة .. لتركز فى كل كلمة ينطق بها .. ذاك العبقرى .. والذى طارت فرحا عندما علمت انه أستاذهم المختار لهذه المادة التى يشكو من صعوبتها الجميع ..

رفعت ندى يدها رغبة فى طرح احد الأسئلة التى جالت بذهنها..ليسمح لها بطرح سؤالها .. وابتسامة هادئة ترتسم على شفتيه :-.. لكن يا دكتور .. نظرية حضرتك تخالف نظرية تانية كانت بتؤكد على العكس تماما .. بانه ..

بدأت هى فى سرد بنود نظريتها .. وهو يستمع فى اهتمام

لتتسع ابتسامته .. هاتفاً :- اسمك ايه ..!؟..

ابتسمت فى ثقة :- ندى ..

لازالت ابتسامته الواسعة تكلل شفتيه وهو يتطلع اليها والى جمالها الأخاذ .. كان يعتقد دوما ان

الغبيات فقط من يسعين لابراز جمالهن بهذا الشكل الصارخ رغبة فى التغطية على ضحالة عقولهن .. لكن .. هى اثبتت العكس لتوها.. جمال فى العقل يصاحبه ابداع فى الخلقة .. ..

اخرج نفسه من خواطره حولها .. وهو يشير لها لتجلس ..

ليقول فى هدوء:- الإجابة عن السؤال القيم للانسة ندى .. هيكون عنوان محاضرتنا الجاية بأذن الله ..

وانهى محاضرته .. ورحل فى هدوء.. حيث مكتبه الذى خصص لاجله عندما تم ندبه للعمل بهذه الجامعة .. فقط لهذا العام .. ليسد عجزا فى تدريس مادة تخصصه .. قبل تحضيره للسفر من اجل تلك المنحة التى حصل عليها .. ليكمل دراساته بالخارج..

انه يشعر بالحرج الشديد .. فها هو بالقاهرة .. ولم يزور عمه الدكتور ناجى التهامى للان .. فوقته مزدحم للغاية ما بين محاضراته بالجامعة .. وتجهيزه لسفره.. والعمل على بعض أبحاثه .. انه حتى لم يستطع زيارة نجع الصالح .. بعد تلك التطورات التى قصها عليه أخوه حسام .. وتجدد

العداء القديم .. بين عائلته والهوارية.. والذى كان ضحيته .. بنت عمه الكبرى .. والتى لم يلتقيها يوما .. ولا حتى ألتقى عمه .. الذى كان دائم الاختباء بسبب ذلك العداء .. كان يعتقد ان عمه يبالغ فى الاختفاء هكذا .. لكن بعد ما حدث لابنته .. تأكد انه ظلمه .. وان عمه كان لديه كل الحق فيما فعل ..

همس فى رغبة صادقة ..:- لابد من أفرغ وقت لزيارة عمى .. حتى لا يغضب الحج قدرى علينا ..

اندفعت ندى باتجاه سيارتها الصغيرة.. بعد ان أنهت محاضراتها ..وما ان همت بفتح بابها.. حتى اعترض طريقها.. شابان .. كانا فى أثرها منذ خروجها من المحاضرة هتفت فى حنق لهما :- أى خدمة .. !؟...

-طبعا .. وده سؤال ..!؟.. عايزين نتعرف على القمر.

قال احدهما فى لهجة سمجة.. أثارت سخطها..

هتفت فى ثورة :- طب يا الله من هنا.. بدل ما انديلكم الأمن

يمنعكوكم تدخلوا الجامعة من اساسه ..

صرخ فى وجهها احد الشبان بعد ان اثارته بلهجتها الغاضبة التى تحمل بعض من التعالى :- انتِ شايفة نفسك على ايه .!!

ده انت ..

هتف صوت هادئ من خلفهما يحمل نبرات حازمة :- هى انسانة حرة.. على ما اعتقد .. !!؟..

نظر الشابان خلفهما .. ليواجهاه.. ليسخر احدهما :- وحضرتك بقى .. أحد المعجبين .. ولا ايه حكايتك بالظبط .!

ليبتسم نبيل فى سخرية .. ويصرخ الشاب الاخر فى صديقه:- ده الدكتور نبيل .. انت هتودينا فى داهية .. يا الله بينا ..

واندفع الشابان من أمامه فى ذعر .. ليتابعهما بنظراته .. حتى تأكد من أختفاءهما .. ليعاود النظر اليها

بنفس النظرات الواثقة الرزينة:- أنتِ بخير..!!؟؟..

أومأت وهى تقف مندهشة من رد فعله الواثق .. وتصرفه الراقى .. استطرد مشيراً لسيارتها .. أركبى .. وخلى بالكِ

بعد كده .. أبقى أركنى العربية فى مكان ميكنش هادى ..

عن إذنكِ.. وغادرها .. وهى كالبلهاء .. لم تستطع حتى ان تشكره على موقفه معها .. وكأن القطة أكلت لسانها

ما بهرها حقا .. ليس تعامله مع الموقف .. لكن هى عيناه ..

نعم عيناه التى لم تحيد عن وجهها.. ولم تتفرس فيها .. كما يفعل الجميع بلا استثناء.. هى تعلم ان ملابسها متحررة ..

لكن هى حرة .. لطالما أكدت على ذلك مع زهرة أختها ..

هى حرة فيما ترتديه .. هى تُمارس حقها لا اكثر .. لما لا يدعوها فى سلام .. هم يقيمون المرأة بقدر القطع التى ترتديها .. كل الرجال تفعل ذلك .. كان هذا ظنها فى كل الرجال بالفعل .. لذا أسقطتهم من حسابها تماما .. لكن هو ..

انه الوحيد الذى لم ينظر الى جسدها .. بل نظر لعقلها .. ومنحها صك الحرية الذى كانت تسعى

لامتلاكه .. على الرغم من إدعاءها دوما .. بأنها تملكه بالفعل منذ ولادتها ..

"هى انسانة حرة " الم يقل كذلك .. وهى بالفعل كذلك.. فلتضرب بأراء الجميع عُرض الحائط .. ما عادت تعنيها أراءهم ..

يكفيها تلك النظرات التى لم تُبتذل فى تقييم ما هو دون عنقها .. لتتشبث فقط بتقييم ذاك العقل الذى يحتل تلك الجمجمة الصغيرة ..

****

صرخ الحاج قدرى التهامى صارخاً وهو يندفع بين طرقات المستشفى التى نقل اليها ابنه حسام ...:-

ولدى.. ولدى .. حد يخبرنى ..حصله ايه ..!؟..

كان يتلفت حوله كالذى فقد عقله من شدة صدمته .. وجميع التهامية من حوله يحاولون تهدأته .. حتى عثروا اخيرا على الطبيب .. الذى استوقف الجمع المتجمهر متسائلاً:- انتوا جايين لمين كده .. ؟؟!!..

رد احد المصاحبين للحاج قدرى:- احنا بندور على حد يدلنا على حال واد عمنا حسام ..

-أه اللى جه من ساعة .. مضروب بالنار..!!؟..

صرخ الحاج قدرى بصوت مرتعش:- أه .. هو يا بنى .. هو

-هو فى أوضة العمليات .. أدعوله تعدى على خير ..

انتحب الحاج قدرى .. وهو يستند على احد مرافقيه ..صارخا من قلب اب مفطور على ولده:-ياااارب ..

****

رفرفت أهدابها فى بطء..و اخيراً .. فتحت سهام عينيها ..

لتنتفض وهى تطالع عيون أمها الملتاعة .. والتى تجلس مجاورة لها على طرف الفراش.. وزهرة التى تتطلع اليها فى ذعر .. وخوف حقيقى .. وشخص اخر يقف بعيدا فى طرف الحجرة .. يحضر شئ ما بين يديه لم تتبن ملامحه..

لتصرخ فجأة وقد تذكرت كل ما حدث.. لتحاول الحاجة فضيلة تهدأتها ..لكن لا فائدة .. وبدورها حاولت زهرة ..

لكن كان رد الفعل واحد فى الحالتين .. الصراخ كان هو رد الفعل الوحيد ..وكلمة واحدة .. جتله .. أخويا جتله ..

ليندفع الطبيب من طرف الغرفة .. ليمسك بذراعها .. غارساً فيه محقن مهدئ حتى استكانت فى ثوان وتوقفت صراخاتها ..وارتخى جسدها المتشنج..

****

دخل سليم السرايّ .. مندفعا .. وهو برفقة ذاك المحامى الذى يتولى كل قضايا العائلة وامورها القانونية ..و الذى طلبته الحاجة فضيلة .. ليأتى اليها .. أدخله سليم لأحد القاعات ..

واندفع ناحية المطبخ .. لتطالعه كسبانة .. وهى تقول فى خلاعة..:- اى خدمة ي سليم بيه ..!!؟..

أشار اليها لتتبعه لأحد الجوانب المتطرفة خارج السرايّ ..

ليهمس مؤكداً :- خدى اللى ليكى وغورى من هنا .. فى اى وجت ممكن يجروكى.. انا حذرتك اهو ..

انتفضت وقد تغير لونه وجهها :- لكن انت جلتلى .. اعمل اللى تطلبه .. وها تتجوزنى ذى ما وعدتنى ..

كان يتلفت فى قلق :- أه .. أه هايُحصل .. بس لما الدنيا تروج.. انتِ بس أخفى فى اى حتة دلوجت .. وبعدين يحلها ربنا .. وتركها .. وقبل ان يبتعد هتف :- روحى بلغى الحاجة فضيلة ان المحامى تحت معاي .. واعملى اللى جلتلك عليه ..واختفى داخل السراىّ .. ليجعلها تتساءل .. هل كانت مخطئة عندما غامرت بكل شئ من اجل .. سليم الهوارى ..

واندفعت بدورها .. لداخل السراىّ .. لغرفة سهام .. تستدعى

الحاجة فضيلة لمقابلة المحامى ..

خرجت الحاجة فضيلة برفقة الطبيب من حجرة سهام لتودعه وتركت برفقتها زهرة .. لتدخل القاعة .. فيقف المحامى وسليم احتراماً.. ويتصنع سليم الحزن هامساً:- كان مخبلنا فين ده يا حاجة فضيلة ..؟!!

لتنهره الحاجة فضيلة فى صلابة :- ايه .. جلبت معددة يا سليم .. ولا ايه !!؟...عاصم برئ وميعملهاش .. وربنا هينجيه بعون الله .. وانصرفت بانظارها للمحامى وهى تسأل بغرض التأكد:- ولا

أيه .. يا استاذ حامد ..!!.. تنحنح المحامى فى احراج وهو يجيب :- والله يا حاجة .. انا كنت فاكر الموضوع بسيط ..وكان نفسى أطمنك... لكن انا لِسَّه راجع من النيابة ..

للاسف .. فى مكان الجريمة لقوا سلاح عاصم بيه .. وفى رصاصة منه كانت فى مكان الحادث .. وكمان .. سلاحه التانى .. أكدوا ان هو اللى تم بيه الجريمة ..والرصاصة اللى كانت فى جسم المجنى عليه .. انطلقت منه ..

انتفضت الحاجة فضيلة فى ذعر حقيقى هاتفة :- يعنى ايه الكلام ده ..!؟؟.. فهمنى ..

ازدرد المحامى ريقه بتوتر :- يعنى الجريمة لابسة عاصم بيه .. وخاصة مع الشهود اللى أكدوا وجود العداوة بين العيلتين .. وان عاصم بيه كان اخر واحد مع المجنى عليه قبل وقوع الجريمة ..

اختفى اللون من وجه الحاجة فضيلة :- يعنى مفيش أمل ..!!؟

أنا متوكدة .. وأخذت تهز رأسها بعدم تصديق ... ولدى ميعملهاش .. ميعملهاش ..

-لكن لِسَّه فى أمل .. هتف المحامى وهو يرى حالتها المنهارة

لتتطلع اليه بكليتها .. ويعود اللون لمحياها الشاحب من جديد وهى تهتف متلهفة :- أمل أيه جوول.. ولو كان ايه .. هانعمله ..!؟..

-الامل الوحيد .. فى حسام نفسه .. المجنى عليه ..

هنا صرخت الحاجة فضيلة فى فرحة :- هو مماتش .. !!؟

ابتسم المحامى :- لا .. الحمد لله .. ادعيله بس ربنا ينجيه ..

نجاة عاصم بيه متعلقة بكلمة منه .. لو فاق وأكد ان مش عاصم اللى ضربه بالنار .. ساعتها .. عاصم بيه يطّلع منها

ذى الشعرة من العجين ..

وقفت الحاجة فضيلة وقد استعادت كامل حيويتها هاتفة :- ربنا يجومه بالسلامة لأبوه الغلبان اللى تلاقيه جاتل حاله عليه دلوجت .. وربنا يجدم اللى فيه الخير ..

-يا رب يا حاجة .. لحسن موقف عاصم بيه سئ جدا...

ابتسمت الحاجة فضيلة فى ثقة وهى تهمس .. كله خير .. كله بأذن الله .. خير ..

الفصل الرابع عشر

كان يزرع زنزانته جيئة وذهابا وقد مسه الجنون بالفعل .. انه لا يطيق الحبس.. لا يحتمل القضبان .. لم يعتد

هذا القيد لروحه ..قبل جسده ..

واخذ يتساءل كالممسوس.. ما سبب كل ما يحدث له ..!؟..

هل دخولها لحياته .. بهذا الشكل القصرى .. جلب عليه كل تلك الويلات .. ليعود ذلك الصوت الداخلى يهتف من جديد ..

لما تُلصق بها كل مصائبك وأخطاءك..!؟.. كفاك .. هى ابدا لم تكن مذنبة .. ان الذنب ذنبك .. اعترف بذلك أيها الاحمق

...الاحمق..!؟.. لو نطق بها .. اى من كان .. بخلاف ذاك الصوت الداخلى الصادر من أعماقه .. لكان الان قتيلا ..

يترحم عليه الأحياء .. ولكن .. ماذا يفعل بذاك الهاتف الذى يؤرقه .. ويدافع عنها .. ويجلده ..

لقد اصابه الجنون بحق .. انه مشطور لنصفين .. جزء يدافع عنها بضراوة .. وجزء يوصمها بكل آثام الارض..

متى سينتهى هذا الصراع .. لا يعلم ..!؟.. كل ما يعلمه انه ممزق ما بين بين .. لا هو يدينها فيرتاح ويقذف بها خارج حياته .. ولا يبرأ ساحتها .. فيحمل كل الأوزار كاملة بلا نقصان ويطلب منها الصفح والغفران ..

لم يخطئ ذاك الصوت .. انه بالفعل أحمق .. وهل هناك حمقاً أشد ضراوة .. من محبته لتلك البريئة المذنبة ..!!؟..

وفجأة .. تمثلت أمامه على الجدار المقابل .. بكل رقتها وصلابتها .. ضعفها وعنفوانها .. إغراءها وطهرها ..

دموعها وضحكاتها .. خجلها وجرأتها..

وتذكر .. فى حسرة .. كيف تركها !!؟.. وقفزت لمخيلته صرختها النابعة من اعماق روحها .. وهى بين ذراعيه ..

فطأطأ رأسه .. وهو يضعه بين كفيه فى إنهاك ..

لو كانت غفرت لى كل ما سبق .. فهى بالتأكيد لن تغفر له

مطلقاً.. ما اقدم عليه .. فى تلك اللحظة المشؤومة ..

مسح وجهه بكلتا يديه .. محاولا صرف تلك الخواطر عن مخيلته .. وسؤال واحد يلح على فكره .. ينهكه حد اللانهاية..

هل من الممكن .. ان يحبها ... وأن يكرهها ..

بنفس القوة .. وبنفس القسوة .. ولنفس الأسباب .. ..؟!

.. هل هذا ممكن.!؟...

****

هتف نبيل التهامى .. لعمه بعد ان أغلق هاتفه ..

-عمى انا لازم اسافر البلد حالا .. واندفع متجها للباب .. ليهتف فيه عمه الدكتور ناجى بدوره .. :- زمانهم جايين فى الطريق يا نبيل .. انت لِسَّه مقابلتش منيرة .. وند..

قاطعه نبيل .. وهو يفتح باب الشقة فى عجالة :- بقلك لازم اسافر يا عمى .. ودلوقتى حالا .. حسام اخويا ضربوه بالنار ..

صرخ ناجى :- ايه ..!!؟.. انت بتقول ايه ..؟؟.

-للاسف يا عمى .. والمتهم .. صمت لحظات .. عاصم جوز بنتك .. الدكتورة زهرة ..

صرخ ناجى من جديد :- كمااان .. ثم اضطرب وهو يتلفت متوترا .. استنى .. انا لازم أجى معاك .. أسترها يا رب ..واندفعا للمصعد .. الذى وصل فى تلك اللحظة ..

وكلاهما يتأكلهما القلق .. من القادم ..

****

-زهرة .. حبيبتى .. انتِ بخير ..!؟ هتف الدكتور ناجى .. قلقا ..عندما اجابت زهرة على اتصاله .. لابد وان اخبار ما حدث قد وصلته بالتأكيد ..

ردت زهرة بصوت حاولت ان يبدو طبيعيا .. لا ينضح بكل ما عانته فى الايام الماضية :- اهلًا بابا .. وحشتنى.. انا كويسة الحمد لله ..

تنهد الدكتور ناجى :- الحمد لله.. انا كان عندى الدكتور نبيل بن عمك قدرى .. وعرفنا اللى حصل .. وجينا ..و

قاطعته زهرة بلهفة :- يعنى انت هنا .. فى النجع..!!؟.

-أه طبعا .. كنت هعرف ان ده كله حصل ومجيش اشوف عمك واطمن على حسام .. واطمن عليكى .. عاملة ايه فى كل اللى بيحصل ..!؟..

-تطمن على حسام .. هو ..!!؟.. كانت تسأل فى تعجب .. فقد فهموا من ضابط الشرطة .. الذى قدم لالقاء القبض على عاصم .. ان حسام إصابته الرصاصة فى مقتل .. وتوفى على الفور .. ان دموعها لم تجف من لحظتها .. وما حدث لسهام .. زاد الامر صعوبة ..

اجاب ابوها ولم يلحظ تعجبها :- أه .. ده لِسَّه خارج من أوضة العمليات دلوقتى.. حالته صعبة .. بس خير ..يقوم بالسلامة بأذن الله ..

لم تصدق زهرة اذنيها .. وانفجرت باكية .. غير قادرة على مداراة فرحتها بنجاة بن عمها .. الحمد لله .. هتفت فى سعادة

ليقابلها ابوها على الخط الاخر مرددا:- الحمد لله .. ربنا يتم شفاه على خير .. المهم .. ايه وضع جوزك فى القضية ..

صمتت ولم تجب للحظات واخيرا اجابت بتوتر :- وضعه صعب .. لان سلاحه هو اللى اضرب منه النار فعلا على حسام .. بس هو معملهاش با بابا .. انا متأكدة ..

تنهد الاب :- جوزك ومن حقك تدافعى عنه يا بنتى ..

تنهدت فى عمق محاولة التحدث بحيادية :- لا يا بابا .. انا عارفة انه محاولش يقتل حسام .. انا متأكدة .. وحسام نفسه عارف كده .. هو الوحيد دلوقتى اللى فى ايده نجاة عاصم ..

صمت ابوها متحيراً.. لم يعلق ..فاستطردت.. فى تفاصيل كتير محدش يعرفها يا بابا .. ولو انا متأكدة ان كلامى ها يفرق وهايخرج عاصم منها مكنتش كتمت شهادة حق .. لكن كلامى .. وشهادتى ممكن يورطوه اكتر .. عشان كده

متكلمتش .. والحمد لله ان حسام بخير ..وباذن الله .. يقول اللى يرضى ضميره ..

-بأذن الله يا بنتى .. خلى الدم بين العيلتين يوقف بقى..

ثم تنحنح مستطردا .. ده انا كنت عايز اقابلك عشان اقولكِ على موضوع مهم .. لكن واضح ان التوقيت طبعا غير مناسب ..

سألت زهرة :- موضوع ايه ..!!؟..

اضطرب ابوها:- موضوع مهم خاص بيكِ.. كنت عمال آجله من زمان .. بس واضح انه هايتأجل المرة دى كمان ..

سألت زهرة بلهفة :- مينفعش تقوله على التليفون .. ما انا سمعاك أهو يا بابا ..!!؟..

-مينفعش على التليفون .. للاسف .. لازم نتقابل .. لان فى امور كتير .. هتحبى تسألى فيها ومش هتلاقى الاجابات الا عندى ..

بصى .. سبيها بظروفها.. لو الوضع اتحسن وقدرت اقابلك

هعرفك .. خلاص ..

-خلاص .. اجابت بعدم اقتناع والفضول يقتلها ..

-سلام يا حبيبتى .. وخلى بالك من نفسك ..

-سلام يا بابا .. وابقى سلملى على ماما وندى .. اللى نسيونى..

إصابته الكلمة الاخيرة فى مقتل .. لكنه أجاب متجاهلا لها ..

وكأنه لم يسمعها :- حاضر يا زهرة .. سلام عليكم ..

-وعليكم السلام ..

اغلقت الهاتف .. وألف الف تساؤل يقفز الى ذهنها.. ما هذا الموضوع الذى يريد ابيها اخبارها عنه.!؟.. ولما شعرت انه

يتلكأ فى ذلك .. ويتحين الفرص لتأجيل اخبارها..!؟..

والكثير الكثير من الأسئلة .. التى لم تجد لها اجابة واحدة شافية ترضى فضولها .. نهضت مسرعة ..وقد ألقت كل ذلك الفضول .. وكل تلك الأسئلة خلف ظهرها .. لتندفع حيث سهام .. لتعلمها بالخبر السعيد ..

اندفعت زهرة لحجرة سهام فى سعادة .. وهى تتقافزكالاطفال

هاتفة :- الحمد لله .. الحمد لله ..

نظرت اليها سهام فى تعجب .. ولم تهتم ان تسأل عن السبب

واشاحت بوجهها بعيدا .. فأسرعت زهرة .. تواجهها وهى تهتف فى لهجة جزلة :- حسام لِسَّه عايش ..

انتفضت سهام .. واعلنت كل خلاياها الانتباه .. وهى تهتف فى عدم تصديق ..:- صوح .. ولا بتكدبى علىّ.. !!؟..

هتفت زهرة ضاحكة :- وهى دى حاجة فيها كدب .. أه .. عايش .. والله العظيم عايش .. وخرج من أوضة العمليات .. بعد ما خرجوله الرصاصة .. وهو تحت الملاحظة دلوقتى..

دمعت عيناها .. وتهدج صوتها وهى تمسك بكف زهرة :- بجد .. بجد يا زهرة عايش .. حسام عايش ..

أومأت زهرة برأسها ايجابا .. وقد غلبها التأثر فدمعت عيناها

لتندفع سهام لاحضانها .. وتنفجر باكية بشكل هستيرى

جعل زهرة تحيطها بزراعيها .. مشفقة على حالها .. وهى

تفكر .. كم هو مضنٍ .. حال المحبين ..!!..

فها هى منذ لحظات .. فى مكالمتها مع ابيها تدافع عنه .. متأكدة من براءته .. على الرغم من ما فعله معها .. وتلك القسوة التى عاملها بها .. كان فعلا كالوحش .. كان قبلها يعاملها بحق كالأميرة ويقوم بكل ما يرضيها ويسعدها .. حتى انها تعجبت لذلك .. كان رائعا فى الايام الاخيرة .. اثناء مرض قدمها .. احيانا كانت نظراته لها تثير شكوكها و ظنونها .. لكن نفس تلك النظرات تتبدل فى لحظات لتحمل الكثير من الحنان والدفء.. كان بالفعل يثير جنونها ..

تذكرت فجأة تلك النظرة الاسفة التى القاها قبل ان يندفع من الباب عندما جاءت الشرطة لاصطحابه .. وكأنها نظرة مودعة .. كان تحمل الكثير من الأسف والالم .. والرغبة فى

طلب الصفح .. قرأت تلك النظرة ككتاب مفتوح .. وتعجبت .. كيف أمكنها ذلك ..!؟.. كيف استطاعت ان تترجم تلك النظرة بهذه الاحترافية .. وهى التى

لطالما احتارت فى تفسير نظراته التى كان يغمرها بها .. وخاصة فى الفترة الاخيرة .. !!؟... انها مشطورة لنصفين .. وكأنها تعانى ازدواجاً فى الشخصية .. شطر منها يمقته ويتمنى ان يذهب بغير رجعة جراء ما قام به تجاهها منذ اللحظة الاولى التى رأته فيها ودخل حياتها .. ليخط اول سطور لإذلالها وعذابها فى كتاب قدرها ..

والشطر الاخر منها .. يتمنى له النجاة والخلاص .. لا يهم ماذا فعل ..!؟.. الأهم ان يكون بخير ..وان يعود من جديد إلى حياتها .. الى مشاكستها ودفعها لتحديه.. ليعود لأمه التى تموت من اجله دون ان تُظهر.. ولأبيه الطيب الذى يحتاجه سندا فى أخر أيامه .. وأخته الوحيدة .. والتى مهما قالت او فعلت .. فهى لازالت تحبه وتحترمه ..

انها تكاد تفقد صوابها .. وهى لا تدرى .. الى اى شطر من نفسها يمكن ان تنحاز.. !!؟.. وتسألت .. هل يمكن لها ان تكره .. وتحب ... ذاك القاسى الحانى .. بنفس القسوة .. والقوة.. ولنفس الأسباب!؟؟... لم يكن هناك اجابة .. وايضاً لم تكن

تعلم انها ليست الوحيدة التى سألت نفس السؤال ..
ولم تكن الوحيدة ايضا التى لم تجد الإجابة ..

****

-يعنى برضة مش عايز تعترف ..!؟.. صرخ وكيل النيابة فى وجه عاصم المجهد .. ليلتان مرا عليه .. بلا راحة او غمضة جفن .. أغمض عينيه الان فقط.. رغبة فى التقليل من شدة الصداع التى اكتنفت رأسه المكتظ بالخواطر والأفكار وهو يجيب فى نفاذ صبر :- اعترف بايه بس يا باشا .. اعترف بحاجة معملتهاش.. انا مجتلتش حد .. وعمرى ما رفعت سلاحى الا فى الحج..

ابتسم وكيل النيابة ساخرا:- اه .. الحق .. الحق ده من وجهة نظرك طبعا ..!!؟..

كظم عاصم غيظه وهو يضم كفه فى قوة رغبة فى تسديدها لوجه ذاك الاحمق .. ولكنه كظم غيظه ولم يرد ..

ليعاود وكيل النيابة الضغط من جديد .. لسلب اعتراف منه هاتفاً فى حنق :- الجريمة لبساك .. لبساك .. والشهود والادلة كلها ضدك .. اعترف

بقى متتعبش قلبنا .. لانك فى الاخر برضة .. هتشيل القضية ..

تنهد عاصم فى إرهاق .. ولم يجبه .. لتتابع طرقات على الباب .. ويدخل أحد العساكر ليعطيه إشارة ما .. يقرأها معلنا فحواها ..:- المستشفى بلغتنا .. ان المجنى عليه فاق .. قالها وكيل النيابة وهو ينظر لعاصم ...انا رايح على هناك ..يمكن أقدر أخد منه كلمتين .. ونقفل القضية دى .. و أرجع يا اما بدليل ادانتك.. يا بدليل براءتك ... قالها وهو ينظر لعاصم بشك .. وأمر العسكرى .. ليعود بعاصم من جديد .. لمحبسه..

****

-حمدالله على السلامة .. يا حسام .. همس وكيل النيابة بالقرب من رأس حسام .. الذى فتح عينيه فى وهن .. ليبتسم

فى بطء.. بملامح شاحبة ..وشفاه جافة .. :- الله يسلمك يا باشا ..

-أنا مش هتعبك .. انا عايز منك تأكيد .. بأه او لأ..على كام سؤال ...هز حسام رأسه موافقا..

ليستكمل وكيل النيابة .. انت شفت اللى ضربك بالنار ..!!؟..

فهز حسام رأسه رافضاً.. يعنى مش هو عاصم الهوارى .!!؟

ليفتح حسام عينيه باقصى قوة يملكها تعجبا .. وهو يقول :- عاصم الهوارى .. لاه .. مين جال كده .. !!؟..

-سلاحه .. اللى انت أضربت بيه ..

حاول حسام باقصى قدرة لديه التحدث رافضا ما قيل :- لاه يا باشا... جلت لك لاه.. عاصم الهوارى معملهاش..

-بس الشهود بتقول انه اخر واحد كان معاك.. وانه كان طالع يجرى من ناحية الاسطبلات .. اللى انت أضربت فيها ..

-أه .. صوح .. لم ينكر حسام .. وهو يبتلع ريقه الجاف بصعوبة ..ليكمل فى إرهاق .. هو كان معدى من جنب إسطبلات التهامية .. مر وسلم لما لجينى .. وبعدها خد كرتته ومشا...وحُصل اللى حُصل بعديها ..

-ورصاصته اللى لقوها على ارض الإسطبل .. جت هناك ازاى .. !!؟.. سأل وكيل النيابة .. فى خبث..

صمت حسام قليلا .. ثم اجاب فى هدوء:- واحنا واجفين يا باشا.. اتخيلنا بتعبان .. فضرب عاصم نار عليه .. خوفنا يأذى البهايم .. ادى كل الحكاية ..

تنهد وكيل النيابة فى نفاذ صبر :- يعنى خلاصة القول .. عاصم الهوارى .. مش هو اللى ضربك بالنار ..!!؟..

اومأ حسام فى تأكيد .. لاه مش هو يا باشا .. مش هو ..

انتفض وكيل النيابة .. ومساعده الذى كان يكتب كل كلمة نطق بها حسام .. ليغادرا غرفته ..

ليعود الحاج قدرى .. والدكتور ناجى .. ونبيل للحجرة ..

ليطمأنوا على حسام بعد هذا الاستجواب المرهق .. ولم يكن يعلم اى منهم.. ان اعترافات حسام تلك .. انقذت عاصم ..

من مصيبة محققة .. لم تكن لتنزاح عن كاهله .. لولا تلك الكلمات ..

****

هتفت سهام فى زهرة تُلِّح فى اصرار :- عشان خاطرى يا زهرة .. اسمع صوته بس .. اصدج .. يجول ألو بس ..

عشان خاطرى .. ربنا يخليكى ..

-طب بابا هيقول ايه بس ..همست زهرة مؤنبة ... لما اتصل فى ساعة ذى دى .. عشان اطمن على حسام .. والله ليقول مجنونة..ابتسمت زهرة..

لتعاود سهام ألحاحها:- وماله .. ما يجول .. هى الكلمة ها تلزج.. ده ابوكى برضك .. انفجرت زهرة ضاحكة.. لتستكمل سهام ..هيجول جلجانة على واد عمها .. وعايزة تطمن عليه ..

-طيب خلاص .. وافقت زهرة .. اقنعتينى.. انا هتصل وامرى لله ..وأمسكت بهاتفها ترن على ابيها الذى كانت تعلم انه لازال بالمشفى مع عمها ونبيل .. رد بعد عدة رنات .بصوت قلق :- خير يا زهرة .. فى حاجة ..!؟..

-لا بابا .. متقلقش كده .. انا كنت بطمن على حسام اخباره ايه دلوقت ..!؟..

-الحمد لله .. احسن كتير .. فاق وبيكلمنا .. وكله تمام ..

هزتها سهام تتعجلها .. فقالت فى سرعة :- ممكن اكلمه يا بابا.. ؟!!؟.. يعنى يقدر يرد عليا .. !!؟..

استغرب ابوها طلبها .. لكنه قال فى تردد .. أعتقد ممكن ..

هشوفه كده .. وابعد الهاتف عن أذنه .. يسأل حسام .. هل بامكانه التحدث لزهرة .. فاجاب حسام بلهفة .. اه .. طبعا ..

وهو يمد يده .. يلتقط الهاتف الذى سلمه له عمه .. وهو لايزل على تعجبه ..

-ألو .. همس حسام .. فلا يتلقى رداً على الطرف الاخر غير شهقات بكاء .. كان يعلم انها لها .. لسهام .. التى التقطت الهاتف من زهرة .. وابتعدت عدة خطوات .. لتجلس على طرف فراشها .. غير قادرة على الوقوف .. وهى اخيرا تستمع الى صوته

.. الذى ظنت انها لن تسمعه من جديد .. لن تسمعه للأبد ..

-سهام .. همس حسام مرة اخرى ..متأثرا من صوت بكاءها الحار..

واخيرا .. اجابت بصوت متحشرج يكتنفه الدمع :- نعم ..!!..

-بحبكِ.. يا مجنونة..

لتزداد شهقاتها وهى تقول :- سامحنى .. انا السبب .. اخويا..

قاطعها حسام متنهدا :- اخوكى مش هو اللى ضربنى بالنار يا سهام .. مش عاصم صدجينى ..

انتفضت فى فرحة وهى تُمسح دمعها عن خديها :- صوح..

بجد يا حسام .. مش عاصم ..!؟؟...

ابتسم حسام فى ضعف محاولا كتم ضحكاته متألما :- حتى وانتِ زعلانة وبتبكى .. جادرة تضحكينى .. اه عاصم بيحبك .. وموفجش على جوازنا.. بس مش لدرجة يجتلنى عشان خاطرك يعنى ..

استعادت شغبها لتهتف :- جصدك ايه ..!؟..
مستاهلش يجتل عشان خاطرى ..!؟..

كتم حسام ضحكاته من جديد ليقول مشاكسا:-
تستاهلى طبعا..بس سيبيلى انا موضوع الجتل ده ..
شاورى بس .. وانا اجيب لك خبر اللى
ميعجبكيش..

قالت فى دلال مشاكسة :- لاه .. مفيش داعى.. انا
مش هتجوز سوابج..

-دى اخرتها .. سوابج .. ابتسم حسام .. ادى أخرت
اللى يتبع الحريم ..

انفجرت ضاحكة.. لتقول :- طب كفاياك كده ..
عشان متتعبش .. وباذن الله هكلمك تانى ..

-طيب .. وعلى العموم .. عاصم خارج .. وممكن
تلاجوه عندكم فى اى وجت ..

هتفت فى فرح :- صوح .. عاصم هايخرج..
لتنتفض زهرة

لسماع سيرة عاصم .. وتنتبه لمجرى الحديث..

-اه بأذن الله .. قال حسام .. عجبال ما اخرج انا
كمان .. واعرف اشوفك ... صمت قليلا ليهمس

ثانية... سهام .. انتبهت دون ان تجيب ..مش هتكونى لحد غيرى .. ولو كانت دى اخر حاچة اعملها فى حياتى..

وفجأة .. انطلقت الزغاريد من قلب السراىّ .. لتنتبه كل منهما .. فتنتفض زهرة فى وجل .. وتبتسم سهام .. للفأل الحسن .. وهى تغلق الهاتف .. فى نشوة ..

****

عبرت ندى بوابة الكلية بعربتها .. وكانت تتجه لتوها لمكان تصف فيه سيارتها .. وتذكرت نصيحته لها .. فبحثت عن مكان مزدحم قليلا .. لتصف سيارتها به ..وتندفع لحضور محاضراتها .. وكانت محاضرته إحداهن .. انها تنتظر المحاضرة بلهفة .. لانه سيناقش نظريتها التى اثارتها المحاضرة الماضية .. جلست تنتظر فى قاعة المحاضرات

لكن الوقت مر .. ولم يأتى احد .. هو معروف بدقة مواعيده

ماذا حدث يا ترى ..!!؟.. دخل احد الطلاب .. ليهتف لهم ..

-الدكتور نبيل قدرى معتذر عن محاضرات الاسبوع ده يا شباب ..

الاسبوع بكامله ..!!؟؟... ترى ماذا حدث .. ليتغيب عن محاضراته وهو المعروف عنه دقة مواعيده .. وعدم تخلفه عن احداها.. لابد وان السبب أمر جلل ..!؟؟..

لكن .. ما هو يا ترى ..!!؟..

****

وقف عاصم فى صحن السراىّ .. يتطلع لامه الحاجة فضيلة ..التى اندفعت اليه فى شوق .. تلقى بنفسها بين ذراعيه باكية

كانت هذه من المرات النادرة .. التى يرى فيها تلك السيدة الفولاذية .. تبدى بعض من ضعف الأنوثة .. ضمها بين ذراعيه بحنان وهو يهتف متصنعاً المرح :- واااه يا حاجة ..

ايه امال .. خبر ايه .. انا مكنتش فى الغربة .. دوول هم يومين غيبت فيهم ..!؟؟.. واحنى رأسه يقبل هامتها التى كانت مغروسة باحضانه.. لترفع هى نظراتها اليه وهى تقول بصوت متحشرج ..:-

والله يا ولدى .. كنهم سنتين .. مش يومين .. بركة انك خرجت بالسلامة ..

وفجأة كعادتها .. نفضت عنها حزنها كأنه لم يكن لتأمره فى محبة ..:- يا الله .. روح اتسبح .. وهجيبلك لجمة تاكلها.. وتنام كد تلت تيام كده .. عشان شكلك تعبان .. وجعان نوم ..

انفجر عاصم ضاحكا وهو يكرر:- تلت تيام نوم ..!!؟.. وماله .. أوامرك يا حاچة .. وسحبته من كفه .. تدفعه لصعود الدرج .. وهى تهمس له فى إشارة لأعلى .. ليتطلع للأعلى .. فيرى زهرة تقف .. على استحياء .. فى اعلى الدرج .. كانت تريد الاختباء فى غرفة سهام .. لكن لمتى .. وهى لا تريد ان يدرك احد ما يدور بينها وبين عاصم ..وهتف بداخلها صوتا لذاك الشطرمنها والذى يناصره... مهللاً بفرحة لمرآه عندما أزعنت لإصراره فى الخروج لاستقباله رغما عنها .. لم تجرؤ ان ترفع نظراتها لتتطلع اليه .. لكن هو رفع بصره لإشارة امه التى أكدت هامسة :- البنية كان مخلوع جلبها .. شوية عليك .. وشوية على واد عمها .. وشوية على سهام وحالها

.. اطلع لأوضتك يا ولدى .. وخد مرتك فى حضنك .. ومشفكش جبل تلت تيام تحت .. جبل كده .. ميحصلش..

لم يقهقه عاصم لدعابة امه هذه المرة .. بل طرقت كلماتها

قلبه وعقله كالمطارق .. يأخدها بين احضانه!!؟..يا ليته يستطيع .. ولثلاث ليال فقط ..!؟..بل يتمناها بين ذراعيه

عمره كله ..

صعد الدرج بآلية حيث تقف .. ولم يتفوه بكلمة حين وصل اليها .. وهى بدورها لم تنطق بحرف .. كانت ترتعش من قمة رأسها حتى اخمص قدميها حين طل عليها من علياءه .. تخطاها ليسير فى ذاك الممر الذى يؤدى لحجرتهما .. وهى خلفه .. تسير بتؤدة .. دقات قلبها .. وكأنها طبول حرب .. تظن ان الجميع يسمعها .. كما تسمعها الان تصم آذانها فترتبك خطواتها خلفه ..

دلف للغرفة وترك بابها مفتوحاً .. لتتردد قليلا .. ثم تدخل مغلقة الباب خلفها ...أين يمكن لها ان تبتعد

حتى يتجاهل وجودها وينساها ..!!؟... فربما يفكر فى استكمال ما لم ينتهى منه .. قبل عدة ايام ..!!؟..

اتخذت احد الأركان ملجأ لها .. ليدخل هو الى الحمام لثوانى..ثم يخرج وقد نسى شئ ما .. اقترب من ذاك الجانب .. لتنكمش فى مكانها فى ذعر .. هاله ما ارتسم على محياها من ملامح مرتعبة .. مد يده للمشجب خلفها يلتقط جلبابه..

ليهمس صادقا :- اطمنى .... مش هتتكرر تانى ... اخر حاجة عايزها هى .. وتردد قليلا ليكمل .. انك تكونى فى حضنى وانت مش راضية .. ولو هموت مش ها تُحصل تانى...

دمعت عيناها .. وبدأت تشعر بالارتخاء والراحة بعد ان وصلها الصدق فى كلماته .. ولا تعرف ما الذى دفعها لترفع

عينيها الدامعتين اليه .. ليسب فى سره ويلعن .. وهو يجذب أنظاره بالضالين .. بعيدا عن عينيها التى تآسره ..ليندفع للحمام جاذبا جلبابه خلفه فى عنف .. وهو يقسم انه لو انتظر لثانية واحدة فقط .. امام تلك النظرات .. فانه لا يعتقد ابدا انه .. سيكون قادر على الوفاء بعهده .. الذى تعهد به منذ لحظات

فقط..انتهى من حمامه .. ليخرج فلا يجدها بالغرفة ..فيتنفس الصعداء.. ليرتدي عمامته وعباءته ويتناول عصاه الابنوسية ويندفع هابطاً الدرج .. لتفاجأ به امه فتهتف فى تعجب..:- على فين العزم .. انت لحجت ترتاح ..!!؟..

-معلش يا حاجة .. مشوار ضرورى مينفعش يتأجل .. أخلصه وارجع ارتاح بجد ..

-مشوار ايه ده ..!؟؟.. سألت الحاجة بفضول ..

ابتسم عاصم :- مشوار يا حاجة .. مشوار ..

ليندفع خارجا .. هربا من أسئلتها .. وفضولها ..

****

طرقات على باب غرفة حسام .. جعلت الجميع يتنبه للقادم ..

ويفغر كل منهم فاه مدهوشاً.. كان الاول الذى استفاق من ذهوله و اجاب الطارق الذى يقف الان على اعتاب بابه .. هو حسام .. الذى هتف فى ترحيب وهو يعتدل بصعوبة :- اهلًا .. اهلًا ..اتفضل يا عاصم .. ادخل ..

وقف كل من نبيل والدكتور ناجى والحاج قدرى لثوان .. مشدوهين .. لرؤية اخر شخص يمكن ان يتوقعوا زيارته لحسام .. لينتبه نبيل متوجها لعاصم يتناول منه كل تلك الهدايا والأغراض التى يحملها .. ويضعها على المنضدة الموجودة فى أطراف الغرفة .. ويرحب به الحاج قدرى هاتفاً :- اهلًا يا بنى .. اتفضل .. مشيرا لهداياه.. مكنش فى داعى تكلف نفسك..

ليرد عاصم فى هدوء وهو يجلس على احد المقاعد القريبة من حسام :- دى حاجة بسيطة يا حاچ.. حمدالله بالسلامة

يا حسام .. قالها ملتفتا لحسام .. الذى ابتسم فى ود :- الله يسلمك .. وحمدالله بسلامتك انت كمان ..

ليبتسم كل من بالغرفة .. ليقول عاصم :- انا جاى أتشكرك ..

لولا شهادتك .. كان زمانى ..

قاطعه حسام .. هاتفاً بتعجب :- بتشكرنى على شهادة الحج.!!

ده مش جميل انا عملته فيك ده حجك وانا رديتهولك..

ابتسم عاصم فى امتنان .. ونهض يربت على كف حسام الممددة أمامه على الفراش .. ليستدير مغادرا لكن يوقفه حسام مناديا :- عاصم .. عايزك ..!!؟. ليستدير اليه عاصم ..

مواجها ومستفسرا.. ليوجه حسام كلامه لعمه وأخيه وأبيه .. :- ممكن بس تسيبونى شوية مع عاصم .. !!؟..

-امرك يا ولدى .. وماله .. خدوا راحتكم ..هتف الحاج قدرى ليندفع ثلاثتهم لخارج الغرفة .. وما ان أُغلق الباب خلفهم .. حتى وجه حسام نظراته لعاصم الذى توقع ان يحدثه فى رغبته بالزواج من سهام .. لكنه كان مخطئ حين همس حسام فى هدوء :- عاصم .. انا مبحبش ادخل ما بين راجل ومرته..صمت حسام وهو يرى تعابير وجه عاصم المبهمة ليكمل فى اصرار .. مدافعاً عن ابنة عمه التى قاست الكثير

زهرة بت عمى .. مرتك وانت حر معاها .. بس لما ابجى عارف انها مظلومة وان انت اللى ظالمها.. يبجى مفيهاش سكات ..

تململ عاصم فى جلسته لا يعرف لما يشعر بأحاسيس ومشاعر غريبة تعتريه ما ان يذكرها احدهم أمامه .. او ينطق باسمها حتى تتقاذفه الشياطين .. شياطين الغيرة والرغبة .. والغضب .. والشك ...والحيرة ..

اكمل حسام .. ولم يُخفى عليه ما اعترى عاصم من مشاعر فرضت نفسها فرضاً على محياه ...:- بت عمى مظلومة .. هى معندهاش نمرتى .. يبجى كيف بعتت لى رسالة.. وانا مش معاى نمرتها .. لكن بعت لها .. على النمرة اللى وصلتنى منها الرسالة ..

مد يده بهاتفه لعاصم...:- شوف الرسالة .. بتجلى فيها ايه!!؟..

انا زهرة بت عمك .. هو لو نمرتها معاى .. هاتجول ليه كده ..ما طبيعى هبجى عارف انها هى .. شوف مين يا عاصم ..

اللى عايز يوجعنا فى بعض.. وبعت رسالة ليا وليها .. وجالك احنا فين .. وضربنى وانا معاكم .. وكان عايز يضرب كذا عصفور بحجر واحد ..

تنهد حسام متعبا :- انا خلصت زمتى من ربنا .. وانت حر ..

تنهد عاصم بدوره لينهض بهدوء مكررا:- حمد الله بسلامتك يا حسام .. انتبه على نفسك ..

ولم يرد بحرف على ما ذكره حسام منذ قليل .. ليخرج من الغرفة .. ليلقى التحية على الجميع .. ويختص الدكتور ناجى

الذى قال له بنبرة صادقة :- مش هتشرفنا بالزيارة يا دكتور ناجى .. ولا أيه ..!!؟..

تعجب الدكتور ناجى من عرضه .. لكنه اجاب بابتسامة هادئة كعادته..:- بأذن الله .. ليكم زيارة مخصوص لانى لازم اسافر .. سايب منيرة وندى لوحدهم بقالى كام يوم... سلملى على زهرة ..

ابتسم عاصم :- يوصل يا دكتور.. سلام عليكم ..

وخرج من المشفى .. يشعر بسلام داخلى وهدوء نفسى ..

يفتقدهما منذ زمن بعيد .. واخيرا .. تكرما بزيارته..

****

دخل عاصم الى السراىّ .. ليجد الحاچة فضيلة فى مقعدها المفضل .. استقبلته بحبور .. ليجلس بجوارها وهو يشعر بسعادة عجيبة تكتنفه .. شعور غريب بالراحة والطمأنينة

يشمل روحه .. بحث عنها بعينيه لكنه لم يجدها بالجوار..

وفطنت امه لنظراته فقالت فى خبث محبب:- زهرة عند سهام .. مفرجتهاش لحظة من ساعة ما غميت لما خدتك الحكومة ..ربنا لا يعيدها.. من يوميها وأختك لا بتاكل ولا بتشرب يا حبة عينى .. ومش بتبطل بكا ..

نادى عاصم على كسبانة .. لترد امه قائلة :- معرفش غارت فين البعيدة .. بجالها يومين مبتجيش السرايا.. والحمل تجل على ام سعيد ..

صمت عاصم لبرهة مفكراً.. ثم ابتسم ساخرا :- طبعا مش هتشوفيها تانى يا حاجة.. ولا هتورينا

وشها..لان هى اللى سرجت سلاحى الجديم من دولابى.. واديته للى كان عايز يجتل حسام .. وتلبسنى الجضية..

صرخت الحاجة:- واااه .. وليه تعمل كده..!!؟ .. ده جزات المعروف اللى عملته فيها.. صحيح .. اتجى شر من احسنت اليه ..

-متلوميش حالكِ على خير عملتيه يا حاچة.. شوفى انتِ اللى وزها تعمل كده .. وعدها بايه.. او هددها بايه.. ربنا يستر على عبيده .. قالها عاصم فى هدوء.. وهو يعاود النداء .. ولكن على ام سعيد هذه المرة .. لتأتى مهرولة .. ملبية للنداء

-طلعى صنية عليها خيرات ربنا لأوضة سهام .. همى يا ام سعيد ..

-عنايا .. هتفت السيدة الطيبة فى حماسة ..وما هى الا دقائق معدودة .. ورأها تصعد بصينية الطعام .. ليستأذن من أمه ويصعد خلفها ..

طرق الباب.. وما هى الا ثوانى .. حتى أذن من بالداخل.. للطارق بالدخول .. لتهتف سهام فى حنق :- مش عايزة أكل يا ام سعيد .. رجعى الصينية دى ..

ليدخل عاصم متنحنحاً وهو يتطلع الى حيث تجلس زهرة باريحية بجوارها.. وتنتفض فى نفس اللحظة التى سمعت فيها صوته وهو يهتف مازحا:- حتى ولو جلت لكِ.. انى هوكلك بيدى..

انتفضت سهام عندما اقترب منها .. وانحنى يقبل رأسها فى حنان ثم يجلس على طرف فراشها.. أمرا ام سعيد بوضع

الصينية على الطاولة الملاصقة للفراش.. لتنفذ ما طلب وتتركها وترحل .. اما زهرة .. فكانت تقف مشدوهة..

لا تصدق ان هذا الرجل الذى يقطر حنانا مع أخته .. هو عاصم مهران الهوارى .. بشحمه ولحمه..

كانت سهام تطأطأ رأسها وقد بدأت دموعها فى الجريان ..

ليهتف هو منزعجا:- واااه .. ليه الدموع دى دلوجت.. دى حمد بالسلامة .. اللى مسمعتهاش منيكى.. قال كلماته الاخيرة

وهو يمد يده ليمسح دموع اخته من على خديها .. لكن عيونه

تلقى بنفس التساؤل على تلك المشدوهة هناك ..والتى تضرب أخماسا فى اسداسا.. وعيونها زائغة ..ودقات قلبها تفقدها توازنها وتعلو حتى تكاد تختنق فلا تستطيع ألتقاط انفاسها بالشكل المعتاد .. وكأن احد ما قد سحب كل هواء الغرفة ..

مد عاصم يده للطعام .. يتناول منه لقمة يغمسها فى العسل

ليضعها فى فم أخته .. التى تناولتها من يده وهى لازالت تشهق باكية وردت اخيرا بعد ان ابتلعت لقيمتها:- انا اسفة يا خوى.. سامحنى ..

-انتِ معملتيش حاجة أسامحك عليها .. انت اللى تسامحينى عشان جسيت عليكى.... وامتدت نظراته للمرة الثانية .. بنفس الرسالة .. لزهرة .. التى تسللت فى خفة .. لتجلس على الكرسى الوحيد القريب من موضع وقوفها .. والذى لسوء حظها ..كان مقابل.. الى حد كبير .. لموضع جلوسه ..

التقطت رسالته .. فحارت فى تفسيرها..هل هو حقا يعتذر!!؟..

الغول .. يعتذر ؟؟!.. لا.. انها تهزى.. ليست بارعة ابدا فى فك الشفرات وحل الألغاز .. وخاصة الكلامية منها ..

ولا تميل لتفسيرات قد تكون مجرد امنيات ما بداخلها

حلمت يوما ما بتحقيقها.. هى لا تعرف كيف تفسر ....

وليس لديها رغبة فى ذلك ... فخيبة الامل التى ستصاحب

تفسيرها الخاطئ .. ألمها لن تتحمله لانه سيكون موجاً لحظتها .. ليس لكرامتها او كبرياءها فحسب.. وانما الى قلبها الذى تشعر انه لم يعد يطاوعها منذ امد بعيد .. وانه ينحى بمشاعره منحنى قمة فى الخطورة رغم تحذيرات العقل المتكررة.. ولكن .. من يبالى.!!؟..

هتفت سهام فى نزق:- لاه .. انت اللى تسامحنى .. لانى صدجت انك ممكن تكون جتلت حسام .. بسببى .. ازاى أفكر فيك كده..!!؟؟.. وانا اللى

مفروض أدافع عنك وابجى متوكدة اكتر من اى حد .. انك متعملهاش..

وانفجرت باكية من جديد .. ليبتسم عاصم على براءتها وهو يقول :- بس انت عندك حج.. انا ممكن اجتل اى حد .. عشان خاطرك يا سهام .. اى حد يفكر يأذيكى .. اجتله ولا يهمنى .. انا مستحملش النسمة عليكى .. وانت عارفة ..

ابتسمت سهام من بين دموعها :- ربنا يخليك ليا .. رد الابتسامة فى المقابل.. وهو يلتقط لقيمة اخرى من صينية الطعام .. ليضعها فى فمها ..وهو يمازحها:- يا الله .. عنجلعوكى اها... جبل ما ياجى عريس الغفلة .. ويخدك منينا

ويجلعك هو ..

لتنفجر سهام ضاحكة ... وتعود لطبيعتها المرحة من جديد ..

لينهض عاصم وقد شعر بانه أنجز مهمته وأعاد اخته

لمرحها المعتاد.... اما هى...تلك الحبيبة المتباعدة هناك .. تلك التى لا يعلم .. كيف يراضيها..!؟؟؟..
كيف يشق طريقه الى قلبها...!!؟..

كيف يجعلها تصدق .. انه بالفعل يتمناها..!!؟..

كيف يهدم ذاك الماضى المشؤوم.. والذى يقف كجدار من فولاذ بينهما.. ليستطيع الوصول لذاك القلب الذهبى ..

العامر بالحب والحنان اللذان انتظرهما طويلا ..

وبحاجة إليهما .. حاجته للماء والهواء..

اه لو يعرف كيف!!؟....

الفصل الخامس عشر

دخلت الحاجة فضيلة بهدوء الى غرفة زوجها الحاج مهران .. كانت تتوقع انه نائم كما هى عادته فى مثل ذلك الوقت من اليوم ..لذا همت بالخروج .. لكنه فتح عيونه لينادیها قبل ان تفتح باب الغرفة :-
فضيلة .. تعالى انا مش نايم ..

وبدأ فى الاعتدال فى جلسته على قدر استطاعته.. لتستدير هى لتجلس قبالته .. من الجانب الاخر للفراش..

ليبادرها متسائلا :- كيفه ولدك .. عاود بالسلامة..!؟؟..

حاولت ان تدارى اندهاشها وهى تقول :- كنت عارف يا حاچ..!!؟...

ابتسم فى ثقة :- طبعا .. هو اكمنى بجيت أسد عجوز.. يبجى معرفش دارى بيُحصل فيها ايه ..!!؟..

هتفت شاهقة :- متجلش كده يا حاچ .. !!؟.. بس انا كنت خايفة اجولك على اللى حُصل لعاصم ... عشان ..

قاطعها فى مودة :- عارف يا فضيلة .. عارف.. بس مش ده اللى جابك لحدى.. انتِ فى هم مضايجك ومكدرك..!!؟..

ابتسمت فى وهن وهى تتنهد :- طول عمرك حافظنى اكتر من نفسى .. صمتت لحظات ثم استكملت .. اه فى يا مهران..ولدك ومرته.. هم فاكرينى مش شايفة ولا عارفة اللى بِناتهم .. بس .. انا مش عاجبنى اللى بيحصل ده...

قهقه العجوز فى حبورمختلط بسعاله المعتاد :- واااه يا فضيلة .. كن التاريخ بيعيد نفسه صوح .. فاااااكرة..

اشتعل وجه الحاجة فضيلة خجلا .. حتى يظن من يراها الان انها فتاة فى العشرين من عمرها .. وهى تتطلع الى زوجها فى محبة..ولم تعلق بحرف ..

ليستطرد هو ولازالت عيونه تحمل بريق مرح:- سبيهم يا فضيلة ..هم ها يعرفوا طريجهم لبعض.. جلوبهم هدلهم..

ولما يوصلوا .. هاتتعلج روحهم ببعض.. زى ما روحى متعلجة بيكى ..

أومأت برأسها وقد زادت ابتسامتها اتساعا من كلمات زوجها الاخيرة .. والذى استطرد فى لهجة عابثة :- بس جوليلى .!؟

انتبهت وارتسمت على وجهها الجدية :- خير يا حاچ !؟؟

ابتسم فى مشاكسة :- هو انت احلويتى اكتر ما انتِ حلوة .. ولا ايه اللى حُصل ..!؟؟..

لتنفجر الحاجة فضيلة بضحكة مجلجلة.. وهى تهتف قائلة :- ياحاااچ .. راحت علينا خلاص..

اجاب وبريق عينيه ينطق قبل كلماته:- والله يا فضيلة .. لحد دلوجت وانت جاعدة جدامى واعيلك لِسَّه بت التمنتاشر ..

اللى رأسها دايما فى السما .. ومكنش عاجبها حد .. اللى من ساعة ما دخلت دارى .. وانا مشيفش من الحريم غيرها..

واللى جمالها كل يوم بيزيد عن اللى اليوم اللى جبله .. بعجلها الكبير .. وجلبها اللى يساع الكل .. انت نعمة ..

دمعت عينا الحاجة فضيلة تأثرا لكلمات زوجها.. لتقترب منه فى محبة .. لتحتضن كفه الممدودة بالقرب منها لتقبلها فى

امتنان وحب .. وتلقى برأسها المجهد على حجره لتمسد كفه على ذاك الرأس المحبب .. وهو يقول كمن استطاع قراءة افكارها :- هو ده بس اللى شاغلك ..!؟؟..

تنهدت :- سهام يا حاچ وموضوع حسام التهامى انت ايه رأيك ..!؟!..؟؟..

-والله انا اسمع ان ولاد جدرى التهامى التنين ذى الفل .. وطالما عايز سهام وشاريها بجد .. يبجى وماله .. ما احنا واخدين بتهم لعاصم. وانا كمان حاسس ان سهام ميالة لولدهم

يبجى على بركة الله .. بس تفتكرى هايجى يتجدم تانى بعد ما

عاصم رفضه وجاله انها محجوزة لواد عمها ...!!؟؟..

هنا صمتت الحاجة لحظات .. ثم اجابت فى شرود :- مش عارفة يا حاچ..!!؟..

لكن على العكس تماما ... هى تعلم .. بل تعلم جيدا .. اذا كان سيأتى ام لا ..

****

تهللت اساريرها عندما رأته يدخل لقاعة المحاضرات .. كان يبدو على محياه الإرهاق والإجهاد .. اسبوع كامل لم يأتى للجامعة واعتذر فيه عن محاضراته.. لكن يبدو انه كان اسبوع كامل

من المعاناة المتمثّلة على قسمات وجهه.. وعينيه المرهقتين .. أين كان يا ترى ..!؟؟.. لما غاب كل تلك الفترة ..!؟.. هل كان بصحبة زوجته..!؟..

توقفت افكارها عند هذه النقطة .. تتساءل .. هل هو متزوج من الاساس ..!؟.. وجدت عينيها تبحث عن كفه الأيسر ..لتتأكد ..فزفرت براحة عندما لم تجد خاتم زواج أو خطبة فى كلتا يديه..وابتسمت كالبلهاء .. وهى تشعر بسعادة عجيبة لهذا الاكتشاف .. ولم تنتبه لنداءه .. الا فى المرة الثانية .. عندما وخزتها صديقتها المجاورة لها .. لتستفيق من شرودها.. وتنتفض :- نعم يا دكتور ..!؟؟..

ليبتسم هو وقد ادرك شردوها :- كنت بسرد بنود النظرية اللى أثرتيها المحاضرة اللى فاتت .. عندك اى اضافة ..؟؟..

اجابت بسرعة:- لا يا دكتور .. معنديش ..

ابتسم وأشار لها بالجلوس وهى تلعن شرودها الف مرة .. فقد حضرت نفسها كثيرا لتلك المحاضرة .. ووضعت العديد من النقاط لمناقشتها .. كل ذلك ضاع ادراج الريح بسبب شرودها الغبى ..

وحاولت على قدر الإمكان .. ان تستحث تركيزها ..ليتوجه لنقطة واحدة .. هى موضوع المحاضرة .. ولا ينحرف متوجها.. لذاك الأسمر الوسيم الذى يلقيها .. والذى يبتسم الان فى ثقة .. جعلت قلبها يخفق فى اضطراب دون سبب مفهوم ...

****

الساعة الان قاربت الرابعة فجراً.. وهو لايزل يتقلب على فراش من جمر .. لم يزوره النوم مشفقا على حاله .. ولم يمس الكرى أهدابه.. ولو للحظات ..

وكان لابد له ان يعترف.. ان سهاده راجع اليها والى التفكير فى بعدها وتباعدها.. فها هى تقرر المبيت مع سهام .. متحججة بمرضها الذى شفيت منه سهام بالفعل

وتتركه يضنيه الحنين اليها ..انه يعرف انها حتى وهى معه تحت سقف واحد .. سترقد على اريكتها متحاشية إياه قدر إمكانها .. لكن وجودها فى حد ذاته بنفس الغرفة التى ينام فيها .. واختلاط انفاسه بانفاسها .. يبعث الطمأنينة بنفسه .. بنفس القدر الذى يذهب براحة باله ويثيررغبته فى الحياة

والموت بين هاتين الذراعين الحانيتين .. تتهد فى ضيق .. قربها نار حارقة .. وبعادها آلامه لا تحتمل .. وما بين هذا وذاك .. يموت هو قهراً ورغبةً.. وندماً .. وعشقاً...

انتفض من فراشه .. واندفع خارج الغرفة فى تهور..

ليصل لباب غرفة سهام وهو يلهث من فرط انفعاله ..

فتح الباب فى هدوء..ليتسلل معه للداخل بعض ضوء من الردهة ليرى من خلاله جسد واحد متدثر على الفراش.. ليجيل بنظره للطرف الاخر من الغرفة .. ليرى خيالا أنثويا ميزه بسهولة .. انه لها .. تلك التى يؤرقه ويضج مضجعه مجرد التفكير فيها...وهى تقف فى خشوع تؤدى صلاة الفجر تسلل الى داخل الغرفة على أطراف أصابعه .. ليجلس على يسراها فى هدوء وما ان انتهت من صلاتها لتنهض.. حتى هتفت منتفضة:- اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..

كاد ان ينفجر ضاحكا لولا خشيته من استيقاظ سهام والتى ولله الحمد ...تغط فى نوم عميق فكتم

ضحكاته هامسا:- اول كلمة اسمعها منكِ بعد رجوعى .. تبجى الاستعاذة.. مجبولة منيكى..

صمتت ولم تجب وهى تلتقط انفاسها بصعوبة ..وابتسامة ما تقفز للظهور على شفتيها .. على الرغم من محاولتها وأدها.. ليستطرد هو بصوت متوسل أشبه بصوت طفل مشاكس يتحجج ليهرب من اداء واجبه المدرسى :- أنا جعاان ..

جاء الان دورها لتجاهد جهاد الأبطال .. لؤد الضحكات التى كادت ان تفلت منها رغما عنها ..وحمدت الله على الظلام الذى يغلفهما لحد ما .. حتى لا يرى تعابير وجهها ...

جاهدت ناطقة فى هدوء :- حااضر ..

ونهضت بسرعة مندفعة خارج الغرفة لتطلق العنان لابتساماتها .. وهى تشعر به يتبعها ويغلق باب غرفة سهام خلفه .. دخلت المطبخ لتفاجأ به وراءها ..

قالت فى نبرة حاولت ان تظهر متزنة :- ما تستنانى على السفرة لحد ما احضر الاكل ..واجبهولك..

قال متحججاً:- لاه .. ما انا هستنى هنا .. عشان اسليكى..

هتفت فى نفسها .. يسلينى..!؟؟.. الله يكون فى عونى لأستطيع التركيز لدقائق فقط حتى احضر له بعض الطعام الخفيف ..

واعود ثانية لأختبئ بغرفة سهام .. والتى كانت حاجتها إليّ

حجة رائعة لأبتعد عن طريقه وعن خطورة التواجد معه تحت سقف واحد..

حملت صينية الطعام حتى المائدة وهو يتبعها كظلها كطفل يتشبث بجلباب أمه..ليجلس أخيراً على كرسيه المعتاد على رأس المائدة.. لتهم هى بالذهاب فى عجالة فيمسك فى سرعة بمعصمها.. لترتد مرة اخرى حيث يجلس .. تكاد تصطدم به .. رغم بعض من تحكم .. جعلها تقف فى ثبات اخيرا قبل الاصطدام .. وقبل ان تشتعل عيونها غضبا كالمعتاد .. همس هو فى براءة مصطنعة:- أجعدى معايّ.. عشان تفتحى نفسى

وترك معصمها ليبعد الكرسى القريب منه عن المائدة .. ليدعوها للجلوس..لتخبو لحد ما نيران

غضبها .. ويلاحظ هو ذلك .. فيبتسم فى حبور .. وخاصة بعد ان جلست بهدوء

حيث أشار .. تناول الخبز وبدأ فى تناول طعامه بشهية ..

كانت تهتف فى نفسها الان .. متى سينتهى هذا العذاب الاجبارى..!؟؟... ان نظراته مسلطة عليها .. لا على الأطباق أمامه .. تكاد تجزم انه يضع يده فى اى صحن تطاله دون ان يدرك اى نوع من الطعام هو ..طبعا .. وكيف له التركيز فيما يتناوله .. والصحون على الطاولة .. لا على صفحة وجهها ..

وكانت محقة لحد كبير ..فَلَو سأله احدهم .. ماذا تناولت ؟!؟.

لأجاب لا اعرف بالضبط .. فكل ما أتذكره .. هو أننى كنت أتذوق الشهد من صفحة وجهها .. مع كل قضمة .. غيرذلك فلا أذكر..

انتهى اخيرا من تناول طعامه .. لتحمل صينية الطعام للمطبخ .. وتبدأ فى صعود الدرج .. لتجده يتبعها من جديد..

وصلت لغرفة سهام .. وهى تكاد تزغرد فى فرحة وهى تضع كفها على مقبض بابها لولم ينقلب كل ذلك فى لحظة

وهو يحملها بخفة .. ويسير بها فى ثقة تجاه غرفتهما..

كانت لا تستطيع الاعتراض تحت وطأة حجابها الذى انزلق يغطى وجهها تماما وهو يحملها حتى وجدت نفسها اخيرا على قدميها.. لتندفع فى تخبط مبتعدة عنه وهى تبعد حجابها عن وجهها لتتنفس لاهثة...

لينفجر هو ضاحكا .. وهو يراها بمثل ذلك الاضطراب .. أغلق الباب .. فتحفزت هى .. ليقول بنبرة هادئة تخالف ثورتها المكبوتة :- أوضتكِ أولى بيكى... همت بالاعتراض... ليهتف .. وسهام خلاص ربنا شفاها..

تحرك للحمام .. فبدأت هى بتعديل الحجاب مرة اخرى.. على رأسها .. ليخرج ليجدها تقبع فى احد أركان اريكتها ..

وتندفع للحمام .. ما ان غادره...لتغيب فيه وهويستعد ليلحق بصلاة الفجر ..

وتخرج هى لتهم بالصلاة .. فيسأل متعجبا:- انتِ مش خلاص صليتى..

حركت رأسها رفضا :- كانت ركعتين السُنة اللى قبل الفجر..

ابتسم فى سعادة .. وهو يقول :- تمام .. صلى ورايا بجى ..

انا لِسَّه هصلي الفجر اهو ..

ووقف موليا وجهه لله .. مكبراً.. وتبعته هى .. وكل منهما فى قلبه الكثير والكثير من الامانى والدعاء..

فهل يستجيب .. مقلب القلوب ..!!؟..

****

تحرك الحاج قدرى التهامى بصعوبة ليفتح باب داره الذى توالت عليه الطرقات .. واخيرا وصله ليفتح بوجه عابس بسبب الطرق المتواصل الذى لم ينقطع .. وما ان فُتح الباب

حتى طالعه شخص متشح بالاسود دفع الباب ليدخل فى سرعة ويغلق الباب خلفه .. ليرتد الحاج قدرى للخلف.. ليس خوفا .. بل تعجبا.. فقد كان من

الواضح تماما .. ان ذاك الدخيل امرأة .. لكن من تكون ..!؟؟..

سأل فى ادب :- خير يا بت الناس .. انتِ مين وعايزة ايه..!؟

هتفت صاحبة الصوت بثقة :- حمد الله بسلامة حسام ولدك يا جدرى .. بركة انه جام بخير..

اهتز الحاج قدرى لسماعه الصوت وبهت وجهه وكأنه يحاول ان يؤكد لنفسه ان استنتاجه لصاحبه الصوت صحيحا قبل ان يهتف فى نبرة ملؤها الحنين :- واااااه يا فضيلة.... والله زمان ..

تحركت فى رزانة .. وهى ترفع غطاء وجهها .. وتجلس على اقرب مقعد صادفها .. وهى تقول بنبرة باردة :- أه فضيلة يا جدرى ... كيفك ..!!؟..

ابتسم الحاج قدرى :- بخير الحمد لله ... يااااه زمن بيرمح رمح... وكنى لِسَّه شايفك امبارح .. متغيرتيش لساكى فضيلة

ال..

هتفت مقاطعة :- جدرى .. بلاه الحديث اللى ملوش عازة ده... وجاوبنى على سؤال واحد ..

-خير .. سؤال ايه ..!؟.. انتبه الحاج قدرى فجأة .. وقد ألقى

وراء ظهره حديث الذكريات والحنين ..

-ولدك .. عن جد عايز بتى..!!؟.. سألت فى جدية ..

اجاب الحاج قدرى فى جدية مماثلة :- وهو فى حد لمؤاخذة

ع يهزر فى الحاجات دى ..!؟؟.. ده يطير فيها رجاب..

-طيب .. حيث كده.. خلى ولدك يروح يتجدم لعاصم ويطلبها وكنها المرة الاولى ..

-وايه اللى يضمن ان عاصم ميرفضوش تانى ذى ما عمل جبل سابج.. !!؟.. سأل الحاج قدرى فى حنق..

اجابت فى ثقة :- أنا أضمن .. فى اكتر من كده ضمان ..!!؟.

هتف الحاج قدرى فى سرعة :- لاه طبعا .. كلمتك سيف على رجاب الكل .. وصمت لحظات ليسأل فى حيرة :- لكن معلش فى سؤالى .. ايه اللى

يجيبك عشان تطلبى طلب زى ده ..!؟؟.. يعنى .. غريبة شوية .. ولا انا غلطان ..!؟..

اجابت فى هدوء ولم تهتز للحظة :- لاه .. منتش غلطان .. بس انا عملت كده لانى عارفة ان ولدك انسان محترم ومتربى واتمناه لسهام بتى...

رد فى حبور .. ده ولدك يا حاجة .. لتستطرد .. وكمان كان ممكن اخرج نفسى من الموضوع وكنت ممكن ابعت زهرة تبلغ واد عمها بالموضوع وخلصنا..هتف هو مؤكدا .. تمام..

لتستكمل هى حديثها...لكن انا حبيت ان الموضوع يبجى بين الكبار .. ومدخلش زهرة بيناتنا تانى ..عشان .. وصمتت .. ليجيب رافعا عنها الحرج .. فاهم يا حاجة .. فاهم ..

لتستكمل .. ده اللى جابنى يا حاج .. مصلحة عيالنا.. هم ملهمش ذنب فى اللى كان بناتنا زمان .. وهمست فى نفسها ..كفاية عاصم .. واللى هو فيه بسببى وبسبب الكره اللى سجتهوله زمان ..مش هتكون سهام كمان ضحية الانتجام..

ليهز رأسه مؤكدا :- صدجتى يا حاجة .. صدجتى..

لتنتفض من مكانها .. تغطى وجهها من جديد وهى تتجه للباب مؤكدة :- انا مجتلكش يا جدرى .. ولا انت شفتنى..

-طبعا يا حاجة .. طبعا .. مش عايزة كلام ..

اندفعت خارج البيت مسرعة وهى تلقى السلام ..ليلقى هو خلفها بسلام لم يصل لمسامعها بعد اختفاءها فى سرعة

وكأنها لم تكن موجودة .. وكأن هذا اللقاء كان دربا من خيال ...

أغلق الباب وهو شارد فى ذكريات الماضى البعيد .. عندما كانت هى فتاة احلامه التى تمنى الاقتران بها .. وتقدم لها بالفعل .. لكن بطبيعة الحال رُفض من ِقبل رجال الهوارية .. والذين لم يروه ذاك الذى يليق بابنتهم.. وتحول الرفض .. الى عداوة دامية .. بعد هروب اخوه ناجى مع فاطمة اختها ..ويصبح الوصول اليها دربا من مستحيل ..

ليفاجئ بخطبتها لمهران الهوارى بن عمها.. لتتشعب بهم طرق الحياة ودروبها.. ويمضى كل منهما فى طريقه..

رؤيتها الان .. أعادت لمخيلته وايقظت فى قلبه وروحه ذكريات وخواطر .. كان يظنها دُفنت من عهد بعيد..

عادت كلها دفعة واحدة ما ان رأها .. وكأنه عاد بن الخامسة والعشرين .. ذاك العاشق .. الذى أحب ولم يطل ..

وأبتسم فى حبور مرحباً بنوبات الحنين التى غمرته فتاه فيها

لدرجة انه لم ينتبه لحسام الذى كان يتقدم اليه ببطء.. متساءلا

فى وهن .. ليخرجه من شروده:- مين كان هنا يا حاچ ..!؟؟.

ليجيب فى همس:- الماضى يا ولدى ..

فيهتف حسام متساءلا :- مين ..!!؟..

ليبتسم الحاج قدرى ابتسامة واسعة وهو يقول :- متخدش فى بالك يا حسام .. انت ايه اللى جومك من فرشتك .. ونزلك من فوج..؟!!..

رد حسام فى حنق:- زهجت.. انا مش متعود على الرجدة دى .. وبعدين انا الحمد لله بجيت كويس فجلت امشى رجلى شوية ..

نهض الحاج مقتربا من ولده وهو يقول متحفزا فى سعادة :- حيث كده .. تعال .. عايزك فى موضوع هيفرحك جووى... ويخليك تجوم ترمح زى الحصان .. بس اللى اجولك عليه .. تعمله .. ومتسألنيش كيف .. وليه .. وعشان ايه ..!؟.. حاكم انا عارفك .. انت تنفذ وبس.. اتفجنا..!؟..

أومأ عاصم برأسه فى حيرة وهو يهمس :- اتفجنا يا حاچ.

****

مالت الحاجة فضيلة على ابنتها سهام .. وهما على طاولة الافطار ..تهمس فى تساؤل خبيث:- بت يا سهام .. هى لساتها زهرة بتبات معاكى فى الاوضة ..!؟..

همست سهام بدورها لامها وصوتها يحمل نبرات مرحة ماجنة:- لاه .. اطمنى .. بجالها ليلتين بايته فى اوضتها .. وسيبانى وانا تعبانة ..

هتفت الحاجة فضيلة معاتبة ابنتها :- ولا تعبانة .. ولا حاجة ... ما انت زينة أها .. وذى الجردة ...

هتفت سهام مستنكرة :- جردة .. هى دى اخرتها يا حاچة..!!

طبعا.. المهم ولدك .... لكن انى مش مهمة..

انفجرت الحاجة فضيلة ضاحكة :- برضك يا سهام ..!!؟؟.. ده انتى حبيبتى ..

لتنفجر سهام ضاحكة بدورها:- طب ما انى عارفة ..

عادت ام سعيد بباقى أطباق الفطور من المطبخ لنضم إليهما عاصم ومن وراءه زهرة .. وبدأ الجميع فى تناول طعامه .. كانت الحاجة فضيلة تختلس النظرات .. لعاصم تارة .. ولزهرة تارة أخرى .. محاولة ان تستشف ما يدور بينهما .. وتجاهد ان تكشف الحجب من خلال ردود افعالهما.. ثم ابتسمت فى سعادة .. عندما وجدت عاصم يختلس النظرات لزهرة فى محبة .. وهى لاتزل على هدوءها.. ورزانتها .. وخجلها المربك .. وهى تحاول قد استطاعتها الهرب من نظراته المتعقبة لسكناتها وحركاتها.. لتهمس الحاجة فضيلة

فى نفسها.. والله ولجيت اخيراً .. حد يملك جلبك يا عاصم ..

نهض عاصم من على الطاولة .. وتوجه بنظراته لزهرة ..

يسألها فى تردد:- تجدرى تيجى معايا الاسطبلات .. ولا مش فاضية ..!!؟..

كانت المرة الاولى منذ فترة طويلة التى يراها فيها متهللة الاسارير بهذا الشكل .. كان محقا عندما فكر فى ذلك الخاطر

فسيرة الأحصنة والأسطبلات تسعدها.. وتذكرها بمهنتها التى تحبها .. فقد انتفضت فى سعادة وهى تقول :- اه طبعا .. ياريت .. انا فاضية ورايا ايه ..

ابتسم بسعادة لحماسها :- طب تعالى اجهزى عشان نروح دلوجت ..

اندفعت للدرج .. وهى تصعده بسرعة هاتفة :- اعتبرنى جهزت ..

لتبتسم الحاجة فضيلة فى رضا ومحبة .. و تنادى عاصم .. ليندفع ملبياً قبل ان يهم بالصعود خلف زهرة..

-تعال يا عاصم .. عيزاك ..

-أمرك يا حاجة ..

تنحت به جانبا .. وهى تهمس له فى جدية :- بجلك ايه .. لو بفرض .. واد جدرى التهامى .. اللى كان طالب سهام جبل سابج .. چالك .. وطلبها تانى .. اوعاك ترده ..

نظر عاصم لها مستفهماً :- هو ممكن يكررها.. !!؟.. حتى لو عايز .. مش هايعملها.. هايفتكر ان ممكن يجى فى بالى انه بيطالبنى برد للجميل .. اللى عمله معايا .. بشهادته فى جضيتى.. وهو الصراحة ..راجل زين .. وميتعيبش .. بس كرامته هتوجعه ومش هايجى..

ربتت امه على ذراعه وهى تقول فى عجالة :- اسمع بس .. عشان معطلكش على مرتك .. انا بجول بفرض.. يعنى لو جه.. متردوش يا عاصم .. خلاص..

ابتسم عاصم :- خلاص يا حاجة .. ثم يتطلع اليها فى محاولة لكشف أغوارها .. طول عمرك بحورك غريجة يا حاجة فضيلة .. واتسعت ابتسامته

مستكملاً.. بس ماشى.. هو انا أجدر اجول الا حاضر لست الكل ..

انفرجت اساريرها وهى تربت على كتفه فى محبة خالصة داعية :- يحضر لك كل الخير والسعادة ياولدى .. ويرزقك براحة البال .. وهدوان السر .. يا رب ..

ليهمس فى سره .. ومن أعمق أعماقه .. أمين .. وهو يتطلع

لزهرة تهبط الدرج .. وقلبه يرفرف لمرأها ..

انتظرته .. حتى انتهى من ارتداء ملابسه على عجالة .. ونهضت مسرعة عندما رأته .. هابطا الدرب .. وهى تكاد

تطير فرحا...ابتسم لها هاتفاً :- يا الله بينا..

سارا جنبا لجنب حتى ادخلها السيارة .. واستدار ليركب امام مقودها منتشيا.. وما هى الا لحظات .. حتى كان منطلق بها .. كانت تغمره سعادة غير طبيعية لمرأها سعيدة بهذا الشكل .. اختلس نظرة جانبية اليها .. ليجدها تتطلع الى المقعد الخلفى .. ثم تشيح بوجهها بعيداً وقد اعتلت قسماته المحببة

بعض من حزن .. لم يدرك مباشرة .. ما سبب هذا الانقلاب المزاجى... ولما كانت تنظر تلك النظرات المبهمة للمقعد الخلفى .. وفجأة .. تذكرانها نفس السيارة التى اختطفها فيها .. وذاك المقعد .. هو نفسه الذى ألقيت فيه لساعات .. لا تعرف لما ..ولا الى أين ..!؟..

لعن الصدفة التى دفعت به لركوب هذه السيارة فى هذا الوقت بالذات .. فهو نادرا ما يستخدمها الا فى أسفاره ..

ويفضل السيارة القديمة .. او فرسه ..

نظر من النافذة محاولا استنشاق اكبر قدر من الهواء النقى

ليهدأ سخطه .. ومد يده ليضغط على مشغل الاغانى ربما

يكون قادرًا على تغيير بعض من ذاك المزاج الذى تعكر لذكرى قاسية اجترتها... فصدح المذياع شادياً...

جيتك .. وشايل معى .. حقائب الدنيا اعتذار

جيتك وكلى الم .. وبأيدك انت الاختيار..

يا ترى .... هل تسمحين ..!؟..

يا ترى ... هل تصفحين ..!؟..

أنا طفلك .... أنا رجلك ..

أنا بعضك ... أنا كلك ..

غير حبك .. غير حضنك .. مالى فى الدنيا .. دار ..

أرهف السمع لتلك الكلمات .. والتى لو أراد ان يعبرعن ما يجيش بصدره .. ما وجد اروع منها كلمات لتصف حاله .

اشتدت كفاه تشبثاً بالمقود وهو يختلس اليها النظرات .. هل سمعت ووعت تلك الرسالة..!!؟؟ .. وجاءه الجواب ..

اسرع مما تخيل عندما وجدها تدارى وجهها فى النافذة .. وتحاول وأد دمعات خانتها وانحدرت على خديها ..

نظراتها للمقعد الخلفى إعادتها لذكرى دامية .. هى حقا لا تعرف ان كانت تعتبرها ذكرى سعيدة ام تعيسة ..شطريها لازالا يتنازعانها.. احدهما يوصم الذكرى بالتعيسة فمنذ تلك اللحظة تبدلت حياتها

كلياً.. والآخر يؤكد على روعة الذكرى فلولا ما حدث .. واختطافه لها ما كانت هنا الان ..

انها تبكى .. لا تبكى الذكرى.. بقدر ما تبكى تشتتها واضطرابها.. وها هى تلك الكلمات التى صدح بها مذياع السيارة ..توقظ فى شطرها المحب له الامل منذ عاد من ..

محبسه .. وهى تلاحظ تغيرفى معاملته لها من جديد ..

فهو يحاول ان يقدم اعتذار لها عما كان منه .. فهل تقبل اعتذاره .. !!؟.. هل تحاول ان تبدأ صفحة جديدة فى تعاملها معه ..!؟؟.. هل .. وهل ..!!؟.. عشرات الأسئلة انهكتها..

ولا تعرف ماذا عليها ان تفعل ..!!؟..

هتف هو اخيرا فى نفسه ..حمد لله .. فلقد وصلنا بالفعل للأسطبلات..

فربما تعيدها تلك الزيارة لمزاجها المنشرح من جديد..

ترجلت تسبقه .. فقد كانت تريد استعادة رباطة جأشها . ..

مر بها على جميع الاسطبلات فى جولة سريعة .. وتنبهت فجأة ان تلك المنطقة التى كانت دوما تعج بالرجال .. خالية تماما وكأنها مهجورة تقريبا .. حتى من العاملين فيها .. هل أخلى المنطقة أكراما لزيارتها ..!!؟.. سألت وشعورمن سعادة يتسلل لداخلها لتبدأ فى استعادة انشراحها السابق .. وها هما الان امام أسطبل عزيزة الذى دخلته فى السابق .. كادت تقفز فرحا ..فلطالما عشقت الخيل .. وعزيزة لها معزة خاصة ..

وكان عشقها هذا سبب فى تصميمها لدخول كلية الطب البيطري .. لطالما تمنت تملك احداها .. لكن أين وكيف..!؟؟

همت بالتوجه لعزيزة ترحب بها فى فرحة .. الا ان عاصم

أمسك بكفها يجذبها خلفه فى سعادة .. حتى وصلا لأحد الأركان .. وقعت عيناها على مهرة جميلة بلون العسل ..

وقعت فى هواها فوراً.. اقتربت منها المهرة فى مودة .. وكأنها تعرفها منذ زمن .. تتطلع لقطع

السكر من يدها .. حركتها الحميمة دفعت الضحكات على شفتى زهرة ..

عندها اقترب منها عاصم ليكون خلفها تماما و فى فرحة .. مال قليلا ليهمس فى أذنيها :- شايفة عرفاكى كيف ..!!؟..

رفعت رأسها لتصطدم بعيونه فتضطرب وهى تسأل بصوت مهزوز النبرات :- أنا برضة مستغربة ..!!؟..

ابتسم وهو يجيب بنفس الصوت الهامس:- كيف تنساكى.. ولولاكى ما كانت جت ع الدنيا ..!!؟؟..

قفزت زهرة فى تلك اللحظة فى سعادة :- بجد ..!؟.. هى دى الفرسة اللى اتولدت على أيدى ..!؟.. أومأ فى حبور .. لتكمل هى تساؤلها المبتهج .. هى دى بنت عزيزة ..!؟..

لينحنى هامسا من جديد .. :- هى دى زهرة ..

توقفت فجأة قفزاتها المحمومة بالفرحة .. لتستدير بكليتها

تواجهه وهى تعتقد انها لم تسمعه جيداً كما يجب .. وعيناها تحمل تساؤل ..هل انت جاد فى ما تقول ..؟!!..

ليبتسم مجيبا :- ايوه .. هى دى زهرة .. اللى هديتهانى يا زهرة ..

وتذكرت تلك الرسالة الغامضة التى كتبها بداخل هديته المنحوتة على هيئة زهرة رائعة الجمال و التى وضعتها جانباً فى احد رفوف خزانة الملابس التى لم تستعملها بعد .. ولا تعلم ان كان سيتاح لها فرصة استخدامها

اذن .. فقد أعطى المهرة الرائعة اسمها .. اسمى مهرته الجميلة اسم زهرة ..

كان اضطرابها على أشده.. وخاصة مع تلك النظرات الحانية التى يغمرها بها .. والتى تجعل تعقلها فى سبات عميق .. وتدفع قلبها للقفز فرحا كالابلة .. لتبدأ الأعياد بجوانب صدرها على دقات نبضاته الماجنة ..

أخذ ثانية بكفها .. ليعود بها لعزيزة و التى أنقذتها زهرة من موت محقق..

هللت الفرسة وكأنها تعرفت عليها .. وأطلقت صهيلا خاصا

مرحبة بها جعل عاصم يقترب مقهقها لترحاب الفرسة بزهرة بهذه الطريقة ..وقف على الجانب الاخر من الفرسة.. وأصبح بالكاد يرى زهرة التى تناهز عزيزة طولا ..

قال مبتهجا:- عزيزة فرحانة بيكى..

ابتسمت فى خجل ولم ترد ليتحرك وهو يربت على عنق الفرسة ثم رأسها ليصبحا الان على نفس الجانب من الفرسة التى بدأت فى مشاكسة عاصم رغبة فى قطع السكر التى يكافئها بها .. فأطلقت زهرة بأريحية ضحكاتها على

صنيع الفرسة جذبت أنظاره اليها كالمغناطيس ليتوه لحظات فى تلك الضحكات الرنانة التى يرقص قلبه الان على نغماتها والتى نادرا ما يسمعها .. جذب أنظاره عنها بصعوبة .. عندما وجدها تطأطأ رأسها خجلا وقد تنبهت لنظراته .. وضع كفه فى جيب جلبابه يخرج بعض قطع السكر من اجل الفرسة .. مكافئ لها .. فهى من جذبت بمشاكساتها تلك الضحكات الندية .. اقترح فجأة :- عايزة تأكليها ..

وهو يمد يده بقطع السكر لزهرة .. تناولت منه بعضها فى فرحة .. ومدتها لعزيزة التى تناولتها مسرعة بسعادة ..

همست زهرة معجبة بالفرسة :- فرسة جميلة ..

ليؤكد عاصم :- اه .. فعلا جميلة .. ثم يستطرد.. عمرك ما ركبتى فرس.. وحرفية .. وقد تراجعت هى للخلف خطوات .. تتركه يعمل بجد .. وسؤالها المعلق لم تجد له جوابا الا عندما انتهى من وضع السرج لعزيزة وتطلع بكفه الممدودة لها .. فظلت مشدوهة مترددة ما بين كفه وعينيه التى اتسعت ابتسامتها .. واخيرا .. وضعت كفها فى احضان

كفه .. ليقبض عليها بلطف وترتعش هى كالعادة ليجذبها كليا

الى احضانه.. وقبل ان تتنبه .. تجده يحيط خصرها بكفيه

وفجأة وفى أقل من ثانية .. تجد نفسها على صهوة الفرسة..

.. ابدا لم تكن بتلك الخفة التى شعرت بها وهو يدفعها لاعلى صهوة الجواد فقد شعرت بأنها كالريشة ..

واجتاحتها سعادة غامرة وهى فوق ظهر الفرس .. تنظر اليه من علياءها.. وهو يتطلع اليها.. ونظراته تشع بهجة

لا توصف كانت نادرا ما تراها مرسومة فى هاتين الحدقتين التى تأسرها الان .. وجدت نفسها تبتسم له بشكل

تلقائي عفوى .. تعجبت له .. ولكن ..

تلك الابتسامة غابت فجأة .. وحل محلها التشنج والتوتر .. عندما وجدته .. فى لمح البصر ..يقفز ليستقر على صهوة الفرس خلفها ..يمد كفه ليمسك بلجامه ..لتصبح هى اسيرة صدره وذراعاه ..
وفجأة يلكز الفرس بخفه .. لتتحرك متهادية..
فتنتفض زهرة مرتعبة .. فعلاقتها بالأحصنة ..
كانت دوما علاقة ارضية .. تفحصهم وقدماها على الارض .. ابدا لم تكن فى ذاك الموضع منهم فى يوم ما .. ولم تجرؤ يوما على اعتلاء صهوة احدهم .. ولا حتى فى أحلامها ..

تلك الانتفاضة .. كان من اليسير علي عاصم ان يستشعرها وكيف لا .. وهى الان بين ذراعيه حرفيا ..

همس بصوت متحشرج :- متخافيش .. انا معاكى ..

بدأت زهرة تعتاد الامر قليلا .. عندما بدأت الفرسة فى السير

متبخترة .. لكن لازال تشنجها على حاله .. ليس فقط خوفا من سقوطها من على صهوة عزيزة .. ولكن .. خوفا من ذاك الإحساس الذى بدأ يتسلل اليها .. احساس بالامان .. وهى محاطة بذراعاه .. وقريبة بهذا الشكل من صدره ..

بدأت الفرسة تدريجيا فى زيادة سرعتها .. وبدأت هى ايضا

بشكل عفوى فى التعلق به .. حتى اصبحت بالفعل ملتصقة تحتمى بصدره وذراعاها تتشبث به .. شعر بخوفها

فحث الفرسة على الإبطاء .. لتعود سيرتها الاولى ..

همس فى أذنها:- عجبك ركوب الفرس.. ؟؟!؟

لتهمس بصوت مرتعش:- أه .. جدا ..

ليعاود الهمس فى أذنها بصوته المتحشرج الذى تخالطه نبرات البهجة :- مش اكتر منى ..

ابتسمت محاولة رفع رأسها مستفهمة:- ليه ..!؟.. هو انت اول مرة تركبها انت كمان ولا ايه ..!!؟..

ضحك بأريحية اربكتها مجيبا:- لاه .. ثم صمت قليلا ليعاود الهمس بالقرب من أذنها .. بس أول مرة أركبها معاكِ..

ابتسمت فى خجل .. وللعجب وجدت نفسها على الرغم من بطء الفرسة متشبثة به ملتصقة باحضانه ولا تريد الابتعاد .. وكانما هناك ما يجذبها للبقاء حيث هى .. ولا قبل لها .. لتغادر ..

-عارفة ..!؟.. سأل هامسا .. ليخرجها من خواطرها المخجلة

.. نفسى حياتى تبجى كلها فوق الفرسة ..

سألت بصوت متهدج تأثرا :- اشمعنى ..!؟..

اجاب وهو يقترب اكثر من أذنها ويهمس بعشق :-
عشان تبجى على طول .. زى ما انتِ كده ..جريبة من جلبى ..

وللمرة الاولى .. الاولى تماما .. ترفع نظراتها اليه ولا تكون نظرات نارية متحدية .. تمور بالغضب .. بل نظرات عاشقة

نظرات هائمة .. نظرات تحمل الكثير وتقول الكثير ..

نظرات جعلته يتشبث بها قريبة من صدره وهى ابدا لم تمانع .. بل كانت أكثر من مرحبة .. مما جعله ينطلق بالفرسة .. بسرعة كبيرة وهى بين احضانه لا تخشى شيئا..ينطلق حيث

مكانه المفضل .. الذى ينطلق اليه .. كلما أهمه أمر ما .. بعيدا عن الاعين المتطفلة .. عند تلك التبة الجبلية التى يسلك لها طريقاً مهجوراً من مكان الاسطبلات..ليصلا له فى دقائق

ليتوقف بها .. على قمة تبته المفضلة.. والتى تشرف على

الكفر كله من الأعلى .. تراه من بعيد .. وترى السرايّ سامقة عريقة من البعد .. كان منظراً مهيباً.. جعل روحها تحلق بعيدا فى هدوء ووداعة.. عيناها تتطلع اليه .. تراه

ملكاً يطل على رعاياه من علياءه.. والاهم .. انه لازال

يضم ذراعاه حولها .. أسرا إياها لاحضانه .. التى ما عاد لديها ادنى شك .. انها هى المكان الذى تنتمى اليه ..

هى الوطن الذى بحثت عنه طويلا .. ليستوطن فيه جبينها..

لا تعلم كم مر من الوقت وهى معه .. على صهوة ذاك الجواد.. كل ما أدركته .. انها كانت هناك .. حيث لا مجال

لانتقام او حقد او عداوة .. كانت بقربه وقد شعرت وللمرة الاولى .. بأنها أمنة تماما .. وان تلك الوساوس القديمة التى

لطالما كانت حاجز بينهما .. قد تلاشت .. وشعرت انها تتمنى نفس أمنيته .. ان تعيش معه على صهوة

الجواد العمر كله .. بعيدا عن الارض وصراعاتها .. وبالقرب من قلبه كما تمنى هو .. وكما تتوق هى وبشدة ..

عادا الان للاسطبلات .. يترجل فى حسرة لانه سيبعدها عن صدره ..تطلع اليها وهى لاتزل بالأعلى بنظرات تمور بعشق فاضح مد كفيه لخصرها فلم تعترض بل ازداد وجيب قلبها خجلا وشوقا.. رفعها ببطء عن صهوة الفرس.. ليدنيها

من صدره حتى انزلها برفق وهى قابعة بين احضانه .. لا تصدق أن قدماها لامست الارض أخيرا .. بعد تلك الرحلة التى ما تمنت شيئاً.. الا امتدادها للأبد ..

لم تكن لديه الرغبة فى إفلاتها من أسر احضانه .. ولم تكن هى بأقل منه رغبة فى البقاء..

همس بصوت يموج سعادة :- مبسوطة ..!؟..

أومأت برأسها وهى تجيب هامسة بدورها وبصوت يذوب خجلا:- مكنتش مبسوطة فى حياتى .. أكتر من دلوقتى ..

همس مشاكسا والابتسامة تكلل محياه العاشق.. وهو يشدد من

جذبها لاحضانه أكثر :- دلوجتى ..!؟؟.. ولا لما كونتى على الفرسة ..!!؟..

تنبهت من خطأها .. فاضطربت .. وبدأت تتملص من حصار ذراعاه .. وجاءت النجدة أخيرا فى صورة .. صوت الخفير وهو يهتف من خارج الاسطبلات بصوت جهورى:- عاصم بيه ..!؟؟.. حسام التهامى فى المضيفة من بدرى وعايز يجابلك .. أجول له ايه ..!!؟..

بدأت زهرة فى التشنج .. وحمدت الله انه افلتها .. حيث اقترب من باب الاسطبلات مجيبا الخفير وهو يزفر فى

ضيق :- جوله چاى .. وحضر العربية ..ورجع الهانم السرايا .. ثم من مكانه أشار لها مودعاً.. واندفع ليقابل حسام

لم يرغب فى العودة اليها .. لانه لو عاد فما من قوة على وجة الارض ستجعله يتحرك من قربها .. غادر اخيرا

اما هى فقد بهت لونها .. وعادت كل مخاوفها للظهور من جديد ..وانتهت الهدنة الرائعة التى مرت كالحلم .. همست فى نفسها .. يا آلهى لما عدت يا حسام .!؟

الا يكفى ما حدث بالسابق ..!؟؟..

كانت تظن ان عبوسه بسبب مجئ حسام من جديد .. لم تدرك ابدا .. ان عبوسه هذا .. وحنقه الواضح كان بسبب اضطراره لافلاتها .. وابعادها عن ذراعيه ..

ركبت السيارة .. ونظراته تتبعها حين مرت به وهو يتوجه لحسام... وقد قرر ان يرى ما بجعبته هذه المرة ..

الفصل السادس عشر

اندفعت زهرة الى السراىّ .. وهى تكاد تموت قلقاً وتوتراً

قابلتها سهام اعلى الدرج مصادفة .. ورأت شحوب وجهها

فسألتها فى قلق :- خبر أية يا زهرة مالك وشك اصفر كده

ليه .. !!؟.. فى حاچة ..!!؟؟.. جولى .. وجعتى جلبى ..

التقطت زهرة انفاسها ..وسحبت سهام لحجرتها وهى تقول فى نبرة مرتعبة:- حسام .. راح لعاصم تانى ..

ضربت سهام على صدرها وهى تهتف مصعوقة :- اايه..!؟؟.. لاه .. تانى يا حسام .. يا وجعة مربربة.. يا ترى ايه اللى بيحُصل دلوجت .. استر يا رب ..

لم تعقب زهرة التى اندفعت تجلس على الفراش فقدماها لم تعد تقدر على حملها لتستكمل سهام عويلها .. انا خلاص مش عايزة اتجوز .. والله ما عايزة.. نفضوها سيرة بجى

وكفايانا دم .. والله بكفايانا دم .. جيب العواجب سليمة يا رب

وانفجرت باكية .. لتنتفض زهرة اليها .. تهدأها .. وتقول فى توتر :- تعالى ننزل دلوقتى نقعد تحت .. أهو نعرف أي حاجة .. او نسمع اى خبر ..نشوف ممكن يحصل ايه .. وربنا يجبها على خير .. بس اغسلى وشك .. لحسن الحاجة تحس بحاجة

وهى مش ناقصة .. بلاش نقلقها..

امتثلت لها سهام .. وخرجتا لتجلسا فى صحن الدار .. بانتظار ما قد يصل اليهما من أخبار ..

****

هتف عاصم فى ترحاب :- اهلًا .. اهلًا .. شرفت يا حسام ..

واستطرد وهو يشير اليه بالجلوس .. وقد انتبه على ذاك الحامل الطبى .. الذى لايزل يحمل ذراعه اليسرى ..محتضناً إياها لجانبه الأيسر المصاب... والذى يبدو انه لم يبرأ بعد..

-لِسَّه جرحك مطابش.. !!؟.. سأل عاصم باهتمام..

ابتسم حسام :- لاه .. الحمد لله .. انا تمام .. بس انت عارف بجى تعليمات الدكاترة ..

ابتسم عاصم وهو ينادى زرزور الذى جاء ملبياً النداء

اسرع من البرق وهو يرمق حسام بنظرات نارية مسمومة

فهذا هو من حظى بقلب سهام والذى يحلم بالزواج منها ..

كاد يصرخ به .. انا أولى بها منك.. انها لى أنا .. أنا فقط

من يحبها .. انا فقط من سيسعدها.. انا الاولى .. أنا ..

استيقظ من شروده على هتاف عاصم باسمه :-

وااااه... زرزور رحت فين يا مخبل .. روح أعمل شاى .. أچرى .

ليتحرك فى تثاقل .. على عكس عادته .. وهو لايزل يرمق

حسام بنفس النظرات المميتة ..

هم حسام ان ينطق .. الا ان قدوم جمع من الهوارية .. أخرسه .... جلس الجمع ..وكان من بينهم سليم الذى اخذ يتطلع لحسام بنظرات ممزوجة بالغيظ والحقد..اما باقى رجال الهوارية .. فنظراتهم

كانت منقسمة ما بين متعجب .. ومتسائل... ما السبب الذى قد يدفع بأحد من التهامية ليأتى وحيدا الى عرين الهوارية..!!؟؟....

استجمع حسام شجاعته .. بعد ان قرر انه سيفاتحه فى مطلبه

سواء فى وجودهم اوعدمه .. فهو لن يخرج من هنا الا ومعه الموافقة على زواجه بسهام ..

اندفع حسام قائلا :- انا جيت النهاردة يا عاصم عشان اطلب يد أختك سهام ..

الصمت الذى غلف المكان بعد تلك الكلمات التى القاها حسام والتى كانت أشبه بقنبلة .. لم يكن الرد عليها الا بعض الهمهمات .. او الشهقات من البعض.. بخلاف سليم الذى وقف متحفزا .. ينظر لحسام فى حقد .. ومنتظر رد فعل عاصم ... حتى يبدأ هجومه ..

تنحنح عاصم .. فصمت الجميع فى ترقب :- والله يا حسام ..

انت راجل زين .. ومتتعيبش .. ومجدرش أجول غير .. الف مبروك ..

انفرجت اسارير حسام غير مصدق .. بينما تعالت الهمهمات من جديد من افواه الحاضرين .. وكان سليم الذى إصابته الصدمة يقف كالمشدوه لا يحرك ساكنا ..

حتى استفاق اخيرا بعد لحظات .. لينظر للجميع فى غيظ

ويندفع مبتعدا .. وهو يهتف متوعدا:- مااشى يا عاصم يا واد عمى .. بجى تفضل ده على انى ..الصبر طيب يا واد عمى .. كله بيتحط على الكوم الكبير .. وحسابك معاى جرب جووى ..

اندفع عاصم هاتفاً فى الجمع الهوارى :- واااه .. مفيش مبروك للعريس ولا ايه ..!؟؟..

هم احدهم بالاعتراض .. ليخرسه عاصم بنظرة نارية من نظراته المحذرة فيبتلع لسانه وتبدأ التهانى تتوجه لحسام الذى كان يطير فرحا ..

****

انتفضت كل منهما .. عندما سمعت صوت عاصم يدخل للسرايّ محدثا خفيره فى امر ما .. وتمسكت كلتاهما بيد الاخرى فى ذعر حقيقى وقبل ان يدخل عاصم السرايّ

حاولتا ان تبدو كل منهما على طبيعتها على الرغم من

مشاعر الرعب التى تغمرهما مما قد يكون حدث بين

عاصم .. وحسام ..

اندفع عاصم داخل السراىّ متوجها للدرج الا انه رأهما فعاد ادراجه.. ليقف امامهما مهللا:- واااه .. مالكم جاعدين

كده زى اللى غيطه غرج المفروض تكونوا جلبينها فرح..

نظرت كل منها للأخرى فى حيرة .. لتتجرأ زهرة وهى تسأله :- بتقول فرح ..!؟؟..

انفجر ضاحكاً:- اه .. فرح .. مش عندنا عروسة .. واحلى عروسة كمان ..

ازدادت حيرة كل منهما ليستطرد ناهياً حيرتهما محدثا سهام :- حسام التهامى .. طلب يدك يا سهام .. وانا وافجت..

وقفت سهام مشدوهة تنظر لزهرة التى ارتسم على وجهها ملامح عدم التصديق .. ثم تعاود النظر لأخيها الذى كان يراقب رد فعلها مبتهجا والابتسامة تعلو شفتيه .. ثم تنفجر باكية .. بشهقات عالية ..

دفعت عاصم للاقتراب منها على عجل ليأخذها بين ذراعيه هاتفاً محاولا مشاكستها :- خلاص .. متزعليش

هنجوله .. بلاها سهام مش موافجة...

لتنتفض هى صارخة :- لاه .. موافجة ..

فينفجر كل من عاصم وزهرة ضاحكين ..

لتنضم اليهما الحاجة فضيلة .. وقد سمعت اخر كلمات عاصم

لسهام .. فتطلق احدى نوادرها التى لا تتكرر بسهولة .. عبارة عن مجموعة متتالية من الزغاريد الرنانة .. معلنة دخول الفرحة اخيرا .. لتلك السرايّ العتيقة الاحزان ..

****

خرجت زهرة من غرفة سهام اخيرا .. وقد انتزعت نفسها منها انتزاعاً.. فقد انتابت سهام حمى الحماسة بعد معرفتها ان زفافها قد قُرر خلال عشرة أيام من اليوم .. ساعتها اصابها الجنون بالمعنى الحرفى .. أخذت تتحدث بشكل متواصل لا ينقطع عن ما يجب جلبه وإحضاره من الاسواق

التجارية على عجالة فالوقت ضيق وهى فى خطتها

جلب الكثير والكثير من الأغراض التى أخذت تعددها مع زهرة وتضيف وتحذف اليها حتى اصابت زهرة بالدوار ...

سارت الردهة الى غرفتها .. ووجيب قلبها يرتفع مع كل خطوة .. لما هى خائفة لهذه الدرجة!!؟؟ .. وأجابت نفسها فى صدق .. انها خائفة لانها كفت عن مقاومته وبدأت فى الاستسلام كليا لذلك الشعور المتنامى منذ فترة تجاهه والذى حاولت وأده كثيرا .. وعاصم نفسه .. فى احيان كثيرة هو من كان يدفعها لذلك بتصرفاته القاسية وظنونه المقيتة .. لكن رغم كل ذلك وجدت روحها تتعلق به .. وقلبها يستطيب قربه .. وعقلها مشوش لا قبل له للاعتراض امام كل تلك المشاعر ..

هى تعلم.. انها لو خطت الى تلك الغرفة الان ..فستكون له بكامل ارادتها .. والعجيب انها راغبة فى ذلك .. انها ترغب فى ان تكون امرأته .. ان تكون أمنة بين هاتين الذراعين .. قابعة فى احضانه الدافئة .. للأبد ..

ادارت مقبض الباب وهى تلتقط انفاساً قد تمنحها بعض الثبات .. وخطت الى حيث اللارجعة فى طريق قلبها..

رنت منها نظرة شملت الغرفة حتى وقع بصرها على الفراش .. فراشهما .. احمرت خجلا .. وتاهت فى ذكرى احتضانه لكفها قبل نومه وهو يستمع لروايتها ..

ولم تنتبه لعاصم الذى تسلل خلفها وهو يهمس بالقرب من مسامعها .. :- الچميل سرحان فى ايه..!؟؟؟.. انتفضت مذعورة.. وكادت ان تسقط عندما اصطدمت به وهى تستدير

لمصدر الهمس فجذبها بسرعة اليه قبل سقوطها ..

لتصطدم مرة أخرى بصدره ليأسر خصرها بكفيه .. وتتلاقى الارواح المشتاقة للقاء منذ خلق الله الارض ومن عليها .. وتتقابل العيون .. نوافذ الروح .. ليهل منها الامل فى غد بلا ضغائن وأحقاد .. غد من فرحة.. وفجر جديد يؤسس للعشق امبراطورية ... مترامية الأطراف ..

رفع احدى كفيه عن خصرها. .. لتدفع عنها حجابها فى رقة .. ويغرس كفه فى شعرها الحريرى..يطلق

جدائله.. وهى مستكينة فى وداعة .. عيونها معلقة بعينيه ..

و دقات ذاك النابض فى صدرها لامتناهية السرعة..

كان كفها على صدره ..يستقرأ أخبار قلبه .. من خلال

دقاته.. التى تصلها دقة بدقة .. تشى به ..

اقترب ينحنى يلثم جبينها فى نشوة حقيقة غير مصدق

انها اخيرا .. ها هنا .. فى احضانه .. راضية ..

جذبها اليه اكثر يطوقها بذراعيه ويزفر بعمق

زفرة من عانى العذابات ليال طوال وانقطع به الامل ثم جاءه النعيم من حيث لا يدرى ..كانت رأسها على صدره تتكئ عليه فى دلال لم تعهده فى نفسها من قبل ..تشعر بأنها تتبدل وهى بين هاتين اليدين .. فتستحيل زهرة أخرى .. لم تعهدها

لكنها تحبها .. تحبها لان زهرة الجديدة .. هى زهرته

هو .. زهرة لن تتفتح الا بين ذراعيه .. ولن تزهر الا بحنانه. لم ينطق بكلمة واحد .. وهى بدورها لم تنبس بحرف

حملها فى خفة .. لتسكين اكثر بين احضانه ..وسار بها خطوات مأخوذاً..و..لكن... هل هذه صرخات تلك التى يسمعها.. !!؟؟..وهل هناك حقاً من يناديه ليخرجه من ذلك العالم الوردى .. الذى كان لتوه على أعتابه..!!؟؟

وضع زهرة بهدوء على طرف الفراش.. وبدأ كل منهما فى النظر للاخر .. كانما يسأله .. هل سمعت انت ايضا .. ما تناهى الى مسامعى..!!؟؟...

توالت الصرخات .. وبدأ الدق على باب الغرفة يوقظه كليا..

ليندفع فى زعر حقيقى .. فاتحا الباب .. لتطل اخته سهام

هاتفة فى هلع:- ألحج ابوك يا عاصم .. ابوك مش جادر ياخد نفسه ..

ليندفع عاصم كالسهم لغرفة ابيه الذى طالعه محتقن الوجه

يلتقط انفاسه بالضالين .. خرج عاصم من الغرفة مسرعاً ينادى سعيد الخفير فى قوة ثائرا :- جيب الداكتور طاهر بسرعة .. فاهم بسرعة الحاچ تعبان جووى ..

ليعود لحجرة ابيه مرة أخرى يجلس على طرف فراشه ..

يحتضن كفه بين راحتيه محاولاً تهدأته قدر استطاعته:- أهدا يا حاچ .. كله ها يبجى تمام .. اهدا وخد نفسك بالراحة.. فيحاول ابيه أطاعته .. ليعود عاصم فيكرر.. ايوه

تمام يا حاج .. اهدا .. أزمة وهتعدى ..

كان نحيب سهام لا ينقطع .. وذعر الحاجة فضيلة لا يُوصف وهى تقف لا حول لها ولا قوة ترى رفيق درب حياتها

ينازع الالم ولا تستطيع ان تمد يد العون كما كانت تفعل دوماً.. هتف عاصم جازاً على اسنانه فى حنق :- بلاها بكا ونواح هنا .. اللى عايز يبكى يشوفله حتة تانية .. مش جنب الحاچ .. ما هو زين و زى الفل اها .. ايه لزمتها نخلعه على حاله ..

ارتفع نحيب سهام ليستدير عاصم باحثاً عن زهرة .. ليجدها فى احد الأركان بجوار باب الغرفة وجهها شاحب وعيونها معلقة بابيه.. فهتف فيها:- زهرة .. خدى سهام .. عشان الداكتور زمانه جاى..

أومأت برأسها إيجاباً .. وهى تتوجه لتحتضن كتفى سهام

تصطحبها خارج الغرفة .. ليعاود عصام الاعتناء بابيه الذى

مازال يلتقط انفاسه بصعوبة ..

قرر الطبيب بعد الفحص ضرورة نقل الحاج مهران للمشفى

ليلقى الاهتمام اللازم والعلاج المضبوط حتى تستقر حالته.. ..هز الحاج مهران رأسه رافضا وبشدة من خلف قناع الأكسجين الذى يغطى معظم وجهه الان .. وكان السبب

لحد كبير فى عودة انفاسه للانتظام من جديد ..

فطن عاصم لرغبة ابيه فسأل الطبيب فى رجاء:- طب ممكن يبجى هنا ونهتموا بيه وزى ما حضرتك هتجول هانعمل..

رد الطبيب:- بس الحاج محتاج ملاحظة .. الأربعة وعشرين ساعة .. لان الأزمة دى ممكن تحصله تانى فى اى وقت .. وساعتها هاتبقى الحالة صعبة جدا..

-متجلجش يا دكتور هانفضل تحت رجليه اليوم بطوله..

ومش ها يغمض لنا جفن .. تمام كده ..هتف عاصم ..

-تمام يا عاصم بيه .. وانا فى الخدمة فى اى وقت ..قال الطبيب مؤكدا ..

فيرد عاصم :- تسلم يا داكتور .. تعبناك .. وهو يوصله لباب السرايّ الداخلى أمراً سعيد ان يقل الطبيب الى حيث يريد.. ليعود ادراجه مسرعاً لحجرة ابيه .. جالسا على احد المقاعد والذى جذبه ليكون شبه ملاصق للفراش يتطلع لأبيه فى قلق .. عندها فتح الحاج مهران عينيه فى وهن ..

مبتسما فى شحوب لمرأى عاصم بجواره والذى انحنى بدوره يلتقط كف ابيه ويلثمها فى محبة خالصة ..

****

مر يومان .. والحاج مهران على حالته والتى استقرت نوعا ما ..وعاصم لم يغفل له جفن قابع بجواره .. لا يريد ان يتزحزح لاى مكان .. حاولت معه .. كل من الحاجة فضيلة

وسهام .. لاخذ مكانه بجوار ابيه حتى يتسنى له الراحة قليلا.. لكنه ابى وظل على عزمه لا يبرح غرفة ابيه ..

حتى طعامه .. لم يكن يتذوق منه الا النذر اليسير ..

سمع عاصم طرقات خفيفة على الباب .. لم يعبأ برفع رأسه التى كان يلقى بها على عضديه المتشابكين على طرف الفراش.. لحظات وطلت زهرة داخل الغرفة تحمل صينية طعام تقترب بها لتضعها على الارض بجوار كرسيه وتجلس بجوارها وتمد يدها فى حنان تربت على كتفه .. ليرفع رأسه فى وهن.. ناظرا اليها .. كانت عيناه

تحمل ألم عجيب .. والأعجب .. هو ذاك الخوف الظاهر بهما.. نعم خوف .. الغول يخاف ..خوف من مجهول يترقبه ويطل على الأجواء منذّراً بحزن يقترب..

وكم رق قلبها لتلك النظرات .. ولمحياه الذى بدا الان شاحباً

بذقن بدأت فى الظهور منحته مظهراً أشبه بقرصان..

ودت لو تطوقه بذراعيها .. لتحمل عنه بعض من هذا الحزن

بعيدا وتبدد مخاوفه لبعض من أمان ..

رفع جسده ليجلس مستقيما .. وهو يتطلع اليها فى شوق..

فتنحنحت فى خجل قائلة :- لازم تاكل .. انت مكلتش حاجة من يومين ..

رد فى ضعف :- ماليش نفس..

لم تعبء لاعتراضه ومدت يدها بقطعة دجاج

لتناولها له قائلة فى ابتسامة محببة :- ولو قلت لك ..

..عشان خاطرى...!!

طلت الابتسامة من عينيه قبل شفتيه .. وتفاجأت عندما وجدته يحتضن كفها الممدودة بالطعام بين راحتيه يقربها من فمه .. ويلتقط الطعام متلذذاً..

انتفضت فى سعادة وهى تستعيد كفها الفارغ .. ليقول هو

فى همس :- انا مستعد اكل الصينية دى كلها .. بس بشرط!!؟

همست هى فى خجل :- ايه هو ..؟!!...

همس من جديد مشاكسا :- انكِ توكليهالى كلها بيدكِ..

أطرقت رأسها خجلا ..وبموافقة ضمنية .. جعلت ابتسامته تتسع فى سعادة .. مدت كفها بقطعة جديدة .. وهى لا تقوى

على رفع رأسها لمواجهة نظراته المربكة ..

كان الحاج مهران .. قد استيقظ لتوه .. ينظر اليهما نظرة جانبية .. ملؤها البهجة .. فقد أعلن اخيرا .. سلطان القلوب

شرعيته ..فى حكم قلبيهما...

-مش هنروح لاى حتة .. استحالة اعتب هناك .. انا مش مستغنية عن نفسى ولا عن بنتى ..صرخت منيرة زوجة الدكتور ناجى التهامى فى غضب عندما طلب منها الاستعداد للسفر لحضور زفاف حسام بن أخيه

-وليه لا ..!!؟.. ايه اللى ها يحصل يعنى ..!؟..هتف الدكتور ناجى غاضبا بدوره ..

-انا ايه اللى يضمن لى يحصل مع بنتى زى ما حصل مع بنتك ..!!؟؟..

-لا حول ولا قوة الا بالله .. زفر الدكتور ناجى محاولا التحدث ببعض الهدوء ... يا منيرة اللى حصل مع زهرة

ده وضع خاص .. ومش ممكن يتكرر..

-برضه لأ ..مش رايحين ..

لكن فجأة .. تتدخل ندى فى الحوار الذى شهدته منذ البداية

وتخالف امها الرأى على غير العادة قائلة :- بس انا هروح مع بابا...

لتتطلع امها اليها فى صدمة .. سرعان ما استفاقت منها هاتفة فى حنق :- من امتى بتعرضينى يا ندى ..!؟!..

-العفو يا ماما .. دى مش معارضة .. دى رغبتى فعلا .. انا نفسى اروح .. اولا .. لان زهرة وحشتنى جدااا ونفسى أشوفها مش كفاية ان حضرتك منعانى اكلمها ..

اضطربت منيرة .. عندما تطلع اليها ناجى بغضب مكبوت

بعد تصريح ندى الاخير.. والتى ادركت مدى فداحة اعترافها

من نظرات ابيها التى تحمل قدر لا يستهان به من الغضب

المشتعل والذى يحاول كبته قدر استطاعته فى عزم يحسد عليه .. ورغم ذلك لم تتراجع قائلة :- انا هروح

يا ماما .. لازم اشوف اهل بابا اللى عمرنا ما شفناهم ..

يبقى لى عّم .. وأولاد عم.. ومعرفهمش .. ده ينفع ..!؟!..

صرخت الام من جديد :- انا قلت مفيش مرواح ..

نهضت ندى هاتفة فى عزم :- اسفة يا ماما .. يمكن اول مرة اخالفك .. بس انا هروح ..

لتقف امها فى صدمة .. تنظر الى ناجى فى غل .. ثم تترك المكان مغادرة فى ثورة.... تتبعها موجة من صفق الأبواب

****

ربت الحاج مهران على رأس عاصم المسجى بالقرب من

كفه .. فانتفض عاصم فى ذعر حقيقى هاتفاً :- خير يا حاچ..؟؟؟!!.. انت كويس ..!!؟..

ليمد الحاج مهران كفه الى وجهه مبعدا عنه قناع الأكسجين .قائلا فى وهن :- انا بخير يا عاصم .. متخافش.. جوم يا ولدى أرتاح فى أوضتك ... انت بجالك اربع ليالى جاعد جنبى الجاعدة دى جووووم.. انا بجيت كويس ..

يهز عاصم رأسه رافضا :- لاه .. انا زين هنا .. ومرتاح..

-يا ولدى جوم شوف حالك ومصالحك اللى واجفة بسببى من يوم ما رجدت... هتف الحاج مهران فى نفاذ صبر ..

-كل حاجة تهون فداك يا حاچ .. وانا جاعد هنا .. ومش متعتع.. الا لما اشوفك بجيت تمام ..

كان من المؤكد ان عاصم قد عزم أمره ولم يكن ليتزحزح

عن موقفه .. فأبوه ادرى الناس بصلابة رأسه .. فأزعن ولم يعترض من جديد .. مما دفعه ليسأل عاصم فجأة :- ايه اخبار فرح سهام .. جهزت الدنيا .. عايزين نفرحوها يا عاصم ..

هتف عاصم متعجبا :- واااه يا حاچ .. فرح ايه دلوجت .. احنا وجفنا كل حاجة .. لحد ما نطمنوا عليك وتجوم بالسلامة

هتف الحاج مهران حانقا:- لاااااه.... ليه عملت كده يا عاصم ..!!؟ ... وبدأ يسعل من جديد .. مما

جعل الرعب يدب فى قلب عاصم .. مخافة ان تعاوده نوبة ضيق

التنفس فهدأه قائلا :- طب ارتاح بس .. واللى تجوله ننفذه.

وفى وهن بعد ان هدأت نوبة السعال قال الحاج مهران :- اتصل دلوجت بحسام التهامى.. وجوله .. ثم صمت مفكرا

لحظات .. النهاردة ايه ..!؟

..ليجيب عاصم .. الاتنين ..

ليستطرد الحاج مهران .:- خلاص جوله .. الفرح الخميس ده

.. وروح بلغ سهام والحاجة .. يجهزوا ..

هم عاصم بان يقاطعه .. ليهتف الحاج مهران فى نفاذ صبر .. متناجشنيش يا عاصم .. نفذ .. كلم حسام دلوجت .. ويوم الخميس بعون الله .. اختك تبجى فى بيت جوزها ..

نفذ عاصم وابلغ حسام الذى تعجب من الإسراع بتلك الطريقة مع علمه بمرض الحاج مهران ولكنه امتثل عندما علم ان هذه هى رغبة الحاج مهران

نفسه .. بل انه وللحق .. كاد يقفز فرحا لولا بقية من وقار.. عندما اخبره عاصم بذلك .. فسبحان الله ..لقد استجيبت دعوته التى كان دوما يدعى بها منذ تحدد يوم زفافهما.." يا مقرب البعيد يا رب .."... وقد اقترب بأسرع مما كان يتوقع اوتمنى .. فما هى الا ثلاث ليال ويهل قمره فى سماء داره..

انهى عاصم مهاتفته مع حسام ليأمره ابوه قائلاً :-

-بلغ سهام والحاجة يا عاصم .. تلاجيهم هيتجنوا دلوجت.... وضحك فى سعادة .. خليهم يتلهوا عنينا شوية .. عشان انا عايزك فى موضوع مهم كان لازم تعرفه من زمان .. وجه الوجت اللى ما ينفعش يدارى فيه بعد كده ..

نظر عاصم لأبيه فى قلق وقد اعتراه الفصول .. عن اى موضوع يتحدث ابيه يا ترى .. هل يعتقد أنه لا يعلم بهوية

زهرة ومن تكون ..!!؟.. ام .. لايزل هناك الكثير من الأسرار .. التى لم تُكشف ..!؟..

****

شعرت بحنق شديد وهى تندفع لسيارتها تديرها فى عصبية بعد ان أكدوا جميعا .. ان محاضرة الدكتورنبيل قد تم ألغاءها وهى التى تركت كل ما كانت تجهزه لسفرها مع ابيها لتأتى مسرعة لحضورها .. هتفت فى حنق :- ايه اللى بيحصل معاه .. عمره ما كان غير ملتزم كده ..

الكل كان بيحلف بالتزامه ودقة مواعيده..

انطلقت بسيارتها .. تكاد تعتصر مقودها بين كفيها عندما رِن هاتفها .. واستنتجت .. بالتأكيد هو الدكتور ناجى .. فأمها قد أعلنت الحرب عليها .. ولم تعد تبادلها الحديث بكلمة منذ أعلنت تمردها برغبتها فى السفر مع ابيه حيث اصولها الجنوبية .. هى لم ترتكب جرماً .. لكنه بالنسبة لامها

هو الذنب الأعظم الذى لا يُغتفر..

اجابت رنين الهاتف .. وكان كما توقعت .. هو ابيها .. يعلمها بالإسراع فى العودة لان موعد الفرح قد تم تقديمه..

هكذا اخبر عمها قدرى ابيها فأنهت المكالمة وقد ازداد

ضيقها.. فهى لم تكمل استعداداتها بعد.. فزادت من سرعة سيارتها .. لتنطلق للعودة محاولة إنهاء ما يمكن إنهاءه ..

****

نزل عاصم الدرج فى سرعة ليبلغ كل من الحاجة فضيلة وسهام بتقديم موعد الزفاف عندما وجد سهام وزهرة

قادمتان من الخارج وقد بدا عليهما الإرهاق الشديد..

يتبعهما سعيد بالكثير و الكثير من الأغراض التى ينوء بحملها.. فتبسم عاصم وهو يراهما تقذفان بجسديهما على الأريكة بجوار الحاجة فضيلة فى تهالك.. وقال :- ايه تعبانين

أمال لما تعرفوا الخبر الجديد هاتعملوا ايه ..!؟!!..

تنبهت الحاجة فضيلة ومن شدة إرهاقهما لم تستطع احداهما سؤاله :- خبر ايه الجديد يا عاصم .. خير ..!؟..

قهقه قائلا:- الفرح اتجدم وبجى يوم الخميس .. وزادت قهقهاته عندما رأى رد فعل سهام .. والتى وقفت فاغرة فاها

لم تنبس بحرف .. واخيرا هتفت... :- انت بتتكلم جد يا عاصم ..!؟؟..

ظل على ابتسامته التى تعلقت بها عيون زهرة بانشراح

ظاهر وقال :- هى الحاجات دى فيها هزار..؟؟!.. الحاج هو اللى صمم على كده .. وجالى ابلغ حسام .. وبلغته ..

سألت سهام فى ترقب :- وجالك ايه.؟!! .. ده مش ملاحج يخلص حاچة ..

اتسعت ابتسامة عاصم اكثر :- موافج طبعا .. ده صوته كان

بيزعرد اول ما بلغته .. جال ايه جال .. احمرت سهام خجلا

وطأطأت رأسها ..واستطرد عاصم مشاكسا .. الله يكون فى عونك يا واد الحاج جدرى .. ميعرفش اللى مستنيه..

لتنفجر كل من الحاجة فضيلة وزهرة ضاحكتين .. لتدفع سهام الخجل عنها .. وتدافع عن نفسها بضراوة قائلة :- مستنية كل خير طبعاا ..ده امه دعياله جبل ما تموت ..

وجالت له روح يا حسام .. يا بن .. وصمتت تفكر فى اسم امه

لتسأل فى بلاهة .. ألا امه اسمها ايه صوح ..!؟..

انفجر عاصم وزهرة ضاحكين .. ليقول عاصم مؤنبا :- متعرفيش اسم حماتك الله يرحمها .. مش بجول الله يكون فى عونه .. تصنعت سهام الغيظ .. وهى تقول لامها فى

فضول :- الا كان اسمها ايه صوح يا حاجة ..!؟..

شردت الحاجة فضيلة قليلا .. وهى تجيب بصوت قادم من اعماق ماض بعيد ملئ بالذكريات .. :- اسمها رئيفة .. الله يرحمها .. وتنهدت .. مما استرعى انتباه سهام لتسألها..

كنتِ تعرفيها يا حاچة ..!؟..

هزت الحاجة فضيلة رأسها ايجابا :- ايوه طبعا .. كانت آيه

من الطيبة .. بس راحت فى عزها .. كان حسام بن سبع سنين .. وأبوهم مرضيش يتجوز بعدها .. وجعد على تربية عياله .. لحد ما بجوا رجالة الله اكبر يفرحوا.. الله يرحمها

عّم الصمت .. بعد حديث الذكريات الذى انهته الحاجة فضيلة

ليقطعه عاصم ناهضا من على مقعده فجأة قائلا :- انا طالع للحاچ .. بجالى فترة سايبة لوحده .. عايزين حاچة !!؟

وهو ينظر نظرة جانبية لزهرة .. التى كانت تتطلع اليه الان

ونظراتها تحمل الكثير من الرغبة فى بقاءه ولو قليلا ..

فلقد افتقدته بشدة حتى حجرتهما اصبحت باردة ومخيفة

بدونه.. لم تجرؤ مطلقا على النوم فى الفراش ظلت رغم عدم وجوده تنام على اريكتها عندما يزورها النوم مشفقا

بعد ساعات مضنية من التفكير فى حالها وحال قلبها معه .. رغم إرهاق جسدها نهاراً مع سهام فى جلب مشترواتها وأغراضها للزفاف.. والآن تراه أمامها .. تشعر بشوق جارف لقربه فتجد نفسها تهتف فى لهفة :- احضر لك حاجة تاكلها..!!؟..

ليستدير اليها متطلعاً فى سعادة لاهتمامها.. وهم بالموافقة ..

الا انه تذكر ابيه الذى ينتظره بالأعلى .. وقد تأخر عليه بالفعل .. فابتسم فى سعادة :- تسلمى .. لما هعوز أكل هجولك .. واستدار مغادرا لكنه غمز لها بطرف عينه عندما رأى الاحباط مرسوم على محياها ..مما جعلها تبتسم رغما عنها .. وتشيح بوجهها عنه .. حتى لا تتسع ابتسامتها .. فتفضحهما..

هتف فى عزم لسهام .. وهو يشيح بناظره عن زهرة بصعوبة ..:- متجلجيش يا سهام .. كله هايبجى تمام .. جدامنا تلت ليالى ..وهتلاجى كل اللى انت عوزاه وتتمنيه جاهز .. ومن احسن نوع كمان ..

ابتسمت سهام فى راحة وهى تقول :- ربنا يخليك ليا يا خوى.. تسلملى ..

صعد عاصم لأبيه والفضول يتأكله لسماع أسراره التى قرر اخيراً اطلاعه عليها .. دخل الغرفة فى هدوء ظناً منه ان الحاج قد غافلته سِنة من نوم ..فاخذ يمنى نفسه بالعودة ادراجه بحثا عن الطعام وعن صاحبة الدعوة لكنه وجد ابيه مستيقظا متلهفاً لحضوره وما ان طالعه .. حتى مد يده ليخرج مفتاح ما من بين طيات ثيابه يسلمه لعاصم قائلا :- افتح وهات الصندوق الأبنوس الاسود الموجود عندك فى الدرج ده .. وهو يشير للدرج الثالث فى خزانة الملابس .. لينفذ عاصم فى ألية ..

ويحضر الصندوق ليضعه على قدمى الحاج مهران الممدودة

وقد اعتدل قليلا بصعوبة وبمساعدة عاصم ليفتحه مخرجاً بعض من الأوراق يسلمها لعاصم أمراً أياه بقراءتها ..فيفض عاصم الأوراق فى لهفة ويتطلع الى المكتوب فيها .. عيونه تجرى على الأسطر بسرعة رغبة فى معرفة محتواها .. ليقف بعدها بلحظات فاغراً فاه مشدوهاً .. وهو يقول بصوت

يحمل نبرات عدم التصديق :- الكلام اللى مكتوب فى الورج ده .. صوح يا بوى .. !!؟..

طأطأ ابوه رأسه أسفاً.. واخذ يهزها موافقاً..

ليعاود عاصم التطلع للأوراق وما تحتويه ليتأكد انها لاتزل بين يديه وان ما بها حقيقى لا يحمل الشك ..

ليعود ليسأل عاصم ابيه فى حيرة :- طب ليه متجالش الكلام ده من زمان ..!؟.. و ليه يفضّل الغلبان أجير عندنا وهو ميجلش عننا فى حاجة ..!؟.. وورثه من عّمى الله يرحمه ما يتهناش بيه .. ده ظلم يا حاچ.. ظلم ..هتف عاصم كلماته الاخيرة فى حنق..

فترة من الصمت شملتهما حتى نطق الحاج مهران أخيراً :-

عمك غسان الله يرحمه .. كان طووول عمره شغلته الحريم .. وياما حصلت من وراه مشاكل بسبب الموضوع ده.. وكنا بنحلوها .. لحد ما فى يوم .. لجيت واحدة جاية بعيل ياجى ١٢ سنة .. مش بيتكلم .. وبتجولى ده واد أخوك ..وعطتنى الأوراج اللى فى يدك دى و اللى تثبت ان كلامها

صوح ..لما واجهت عمك.. كدبها وجال بتتبلى عليه .. وجايباله واد أخرس فى السن ده.. تجول عليه ولده .. وهو عمره ما شافه .. ولا علم بيه .. ولما سألت بخيتة .. جالت انها هربت هى وأبوها المراكبى من البلد بعد ما عرفت انها حامل ..خوف من عمك وعشان تتجى شره لانها كانت عارفة انه ممكن يجتلها لو عرف بحبلها .. ورچعت لما ابوها مات تدور على حج ولدها .. وتأمنى عليه..

تنهد الحاج مهران براحة وكأنه ألقى حملا مضنيا عّن كاهله :- بص يا عاصم يا ولدى .. محدش عارف ساعته امتى .. وانا شفت الموت بعنايا من كام يوم .. وكن ربنا بيدينى رسالة عشان ارچع لكل واحد حجه.. أوعدنى يا عاصم انك ترجع لزكريا حجه.. دى وصيتى ليك يا ولدى..

هتف عاصم :- زكريا ..!؟؟.. زرزور .. اسميه زكريا ..انا عمرى ما سألت على اسمه ..و لا اعرف مين اللى سماه زرزور ..!؟..

أومأ الحاج مهران ..وهو يقول :- ايوه .. اسمه زكريا ..

وأمه اللى كانت بتجله كده .. فجيت انا كمان اندهله كده ..

وأتعرف بيها .. وعمر ما حد سأل على اسمه .. ولا هو كان هايعرف يجوله .. لانه من ساعة ما جه .. وهو مبينطجش زى ما انت واعيله..امه سابته واختفت .. خافت من غسان

وجالتلى يبجى امانه عندى .. لحد ما ياچى الوجت المناسب وإرجعله حجه.. وعرفت ان امك بعتت بخيتة عند فاطنة ام زهرة مرتك لان امك الوحيدة اللى كانت تعرف مكانها ..وزهرة اتولدت على يدها وبخيتة اللى ربَّتها لحد ما ابوها اتچوز وانجطعت اخبارها ..ونام السر ده .. ومحدش يعرف بيه غيرى انا وأمك .. ومجدرتش أعارض عمك .. ولا باجى رجالة الهوارية اللى وجفوا فى صفه.. ومكنش همهم الا الفضيحة اللى ممكن تمسهم .. انا ندمان ان بعد موت عمك

غسان مجلتش على الحجيجة واديتله حجه بس ايامها

ابتديت اتعب ورجدت الرجدة اللى مجمتش بعديها..

وانت كنت لساك عود اخضر .. مشدتش يا عاصم .. ومكنش ينفع اوجفك لحالك جدام سليم واد عمك .. وباجى رجالة الهوارية واللى كلمتك مكنتش مسموعة بناتهم زى دلوجت .. أوعدنى يا ولدى .. بعد فرح اختك سهام ما ينفض.. تجمع الهوارية كلاتهم وتعلن الخبروترجعله حجه.. أوعدنى

هتف عاصم فى ثقة :- أوعدك يا حاج .. أوعدك .. مش هايهدى لى بال .. الا لما ارجع له حجه.. وتعرف الدنيا كلها

انه واد عمى غسان .. وانه من الهوارية ..

ابتسم الحاج مهران برضا .. وتنهد براحة وهو يشعر انه اخيرا قد أدى الأمانة التى كانت معلقة بعنقه ..

****

الفصل السابع عشر

وقفت ندى تتلفت حولها لامبالية فى انتظار ابيها الذى ذهب لإنهاء بعض الامور .. تتطلع حولها فى فتور.. وقد بدأ الملل يتسرب اليها .. بحثت عن ابيها بعينيها.. لكنها لم تبصره فى محيطها .. فتنهدت فى ضيق .. وانتظرت على أمل ظهوره .. لكن فجأة سمعت صوت مألوف لديها .. جعلها تجفل مستديرة تتطلع لمصدره..

-اهلًا ..صدفة عجيبة انى اشوفك هنا ..كانت تلك كلمات الدكتور نبيل والتى هتف بها وهو يتطلع لندى فى تعجب..

هتفت هى بحماسة ممزوجة بالفرحة بعد ان تغلبت على دهشتها :- اهلًا دكتور نبيل.. فعلا صدفة عجيبة .. حضرتك مستنى حد .. سألت فى فضول ..

ابتسم :- اه .. وَأهو وصل الحمد لله .. عن إذنك ..

وتركها وانصرف .. فانقلبت ملامح وجهها الجميل ساخطة .. وهى تستدير لترى من استرعى انتباهه لهذه الدرجة .. وكانت المفاجأة الثانية .. فقد كان ذاك الشخص ابوها .. الدكتور ناجى التهامى الذى اندفع نبيل محتضنا إياه .. ومرحبًا فى حفاوة

لم تتحرك من مكانها .. هل يعرف كل منهما الاخر ..؟؟؟؟!

هتف ابوها جاذبا إياها من افكارها :- ندى .. تعالى..

استدار نبيل فى تعجب .. وهو لا يكاد يصدق ما وصل اليه

استنتاجه .. الا عندما هتف الدكتور ناجى معرفاً ندى :- ندى بنتى يا نبيل ..

تطلع نبيل اليها فى حيرة .. ثم قهقه فجأة بشكل تعجب منه الدكتور ناجى .. فقال نبيل مفسرا:- ندى طالبة عندى فى الكلية يا عمى .. وتخيل معرفش انها بنت عمى الا دلوقتى ..

ابتسم الدكتور ناجى ابتسامة يشوبها الشجن :- معلش بقى يا بنى .. حكم الظروف اللى تخلى واحد ميعرفش بنت عمه ..

انتبه نبيل لحزن الدكتور ناجى ..فأستدرك :- حصل خير يا عمى .. أدينا عرفنا بعض .. ولا ايه يا آنسة ندى ..

اجابت ندى فى بلاهة :- هاا.. وهى لاتزل تحت تأثير الصدمة عليها .. الدكتور نبيل قدرى .. والذى اعتقدت انه نجمة فى السماء صعب ان تطالها .. اصبح بين ليلة وضحكاها اقرب مما تتخيل..

وحمدت ربها سراً وهى فى

تلك السيارة التى استقلوها لتقلهم لنجع الصالح انها قررت المجئ الى هنا حيث جذورها الحقيقية وحيث وجدت ان أحلامها اصبحت قاب قوسين او ادنى..

****

دخلت زهرة لحجرتها .. اخيرا وصلت اليها بعد نهار شاق بالخارج تجلب اخر مشتروات لسهام .. والتى لم تستطع

المجئ معها .. فذهبت وحيدة .. لتنتقى كل شئ بعناية.. وبمجهود أرهقها حد الإنهاك كل ما تريده الان هو حمام ينعشها ويزيل ذلك الإرهاق عن جسدها والقليل من الراحة ...قبل ان تأتى النسوة ليلا .. للاحتفال بليلة الحنة ..

الليلة الاخيرة لسهام بدار ابيها .. أدارت مقبض الباب ..

وهى تتنفس الصعداء فى تعب مضنٍ وما ان أضاءت نور الغرفة حتى طالعها ذاك الشئ المسجى هناك بعرض الفراش..تقدمت ببطء.. هل هو احد فساتين سهام التى قد نسيتها هنا ومدت كفها .. تفض ذاك الغلاف الشفاف عن الفستان الاسود الذى يعد قطعة من السماء بتلك اللآلئ.. المرصع بها ..

وضعته على جسدها .. لتقف امام المرأة .. لا تصدق ..

كم هو رائع .. ومناسب لقياسها .. وكأنه فُصل خصيصا لها

عادت لتضعه فى غلافه من جديد .. لتفاجأ بعلبة من القطيفة

المخملية تحت الغطاء.. تركت الفستان جانبا .. ومدت يدها

تلتقطها فى فضول لتفتحها .. فتطالعها قلادة رائعة ..

تتابع فيها الزهور .. حتى تنتهى متشابكة مكونة زهرة كبيرة فى منتصف القلادة .. وانتبهت لورقة موضوعة بعناية

تحت القلادة فأمسكت بها وهى تجلس على طرف الفراش تلتقط انفاسها المتلاحقة من فرط سعادتها..لتفتحها وتقرأ السطور الاولى .. فلا تع شيئا كالعادة لتعاود القراءة من جديد .. وهى تهدئ من ضربات قلبها المتسارعة

"احلى فستان واحلى عجد.. لأحلى زهرة .. انا عارف انك نسيتى نفسك وسط انشغالك بسهام وطلباتها.. لكن انا منستكيش.. يا رب يعجبوكى..

أمرى لله .. عارف ان عيون الحريم هتاكلك النهاردة .. لكن معلش ..بصبر نفسى واجول حريم .. أوعاكى تطلعى بيه من باب السرايا .. لحسن انت عارفة .."... انفجرت ضاحكة حتى دمعت عيناها فرحاً ..

لكم تحب هذا الرجل .. لقد تذكرها وقت ان نسيت هى نفسها ..وهتفت فى نفسها ... انه احبها .. ويحبها .. رغم كل ما كان بينهما .. رغم الشكوك والظنون .. رغم مشاعر الحقد والكراهية و التى تحولت .. شيئا فشيئا لتلك المشاعر الطاغية التى تغمر كليهما ..

انه يحبها .. وهى مازالت ابنه الدكتور ناجى .. ابنه التهامية والذين يكرههم كراهة التحريم ... لقد تخطى كل تلك العقبات والاحقاد ليصل اليها ألقى كل هذا وراء ظهره ليظفر بقلبها كل ما قدمه لها .. يشى بحبه .. ورغبته فى ارضاءها ..

والتقرب اليها .. فعل الكثير.. هى تعترف .. لكنه اخيرا

فاز بقلبها .. وهدأت ثورات عقلها ضده.. واستسلم هو الاخر

بمحض ارادته .. اما روحها .. فهى قصة أخرى..
وعالم اخر .. فقد ايقنت .. انه هو توأم تلك الروح التى كانت هائمة حتى ألتقته لتتشبث به متعلقة كمن وجد اخيرا ضالته المنشودة ..

انها له .. منذ قُسمت الارزاق .. هى رزقه .. وهو رزقها..

رزقها ونصيبها الاروع .. تطلعت مرة اخرى للثوب والقلادة..

وجرت عيونها مرة اخرى على سطور الرسالة .. لتدمع عينيها فرحا من جديد.. وهى تحتضن الرسالة لصدرها

وابتسامة رضا على شفتيها ..

****

-الله اكبر .. الله اكبر .. هتف الحاج قدرى التهامى عندما طالع ندى أمامه هى وأبيها على درجات الدار..

جذبها بين ذراعيه مرحباً مباغتاً إياها .. فهى لم تتوقع هذا الترحيب الحار وبتلك الطريقة .. ولكنها

استكانت بين ذراعيه فى لحظات .. عندما لمست كم الحنان والطيبة التى

يبثها ذاك الرجل ...عمها .. اخو ابيها الذى لم تره فى عمرها كله .. كان لا يشبه نبيل كثيراً.. ربما نبيل يشبه امه على الأرجح .. تطلعت الى نبيل بنظرة جانبية ..

لتراه يبتسم فى ود لاستقبال ابيه.. الذى نال نصيبه منه لاحقاً

هتف الحاج قدرى وهو يربت على كتف ندى فى محبة خالصة :- الجمر دى بتك التانية يا ناجى..

بِسْم الله ماشاء الله

بناتك التنين الله اكبر عليهم .. جمال وأدب .. حمدت ندى ربها سراً لانها استمعت لنصائح ابيها وأحضرت ملابس محتشمة لحد كبيرتختلف تماما عما ترتديه فى حياتها

العادية .. وأقنعها ان المكان هنا له تقاليده التى يجب احترامها .. وحمدت ربها بحق انها اقتنعت..

اخرجها نبيل من شرودها عندما قال متبسما:- تصور يا حاج

ندى تبجى طالبة عندى فى الجامعة .. وانا معرفش انها بت عمى .. !؟..

أمسكت ندى ضحكاتها بالكاد وهى تستمع لنبيل يتحدث للمرة الاولى باللهجة الصعيدية .. اما ابوه فقد اجابه ..

فى تحسر :- معلش يا ولدى .. اللجا نصيب .. والحمد لله

ان جه اليوم اللى اشوف فيه اخويا ناچى وبناته عندينا

فى النجع.. ده كان حلم بعيييد ..

قاطعه ناجى بنبرات متحسرة:- لكن التمن كان غالى يا قدرى

.. ومحدش دفعه الا زهرة بنتى ..

انتفضت ندى على ذكر زهرة :- وحشتنى قووووى يا بابا ..

عايزة اروح لها .. نفسى أشوفها..

ابتسم عمها فى ود:- هتشوفيها وتجعدى معاها زى ما انتِ عايزة .. بس تلاجيها دلوجت مشغولة معاهم فى السرايا

عشان حنة العروسة الليلة ..

هللت ندى فى فرحة :- صحيح .. !!؟.. هم هايعملوا حنة والحاجات دى .. نفسها أشوفها قووى..

انفجر الجميع ضاحكا.. ليرد نبيل :- هتشوفيها متقلقيش ..

وانا هوديكى لسراية الهوارية بنفسى .. بعد اذن عمى طبعا..

ابتسم الدكتور ناجى :-.. طبعا .. وماله..

دخل حسام فى تلك اللحظة .. فهلل الجميع للعريس الذى

رحب بندى قائلا :- شرفتينا يا بت عمى.. ده زهرة هاتفرح كتير بشوفتك.. هتروحى فى الحنة النهاردة تشوفيها والله كتر خيرها تعبناها .. سهام بتجلى الحمل كله عليها ..عشان تجديم الفرح اللى حُصل ده..

قاطعه ابوه متسائلا :- المهم جولى كله تمام .. اوضتكم فوج اتوضبت .. وكل الحاجات اللى بعتها عاصم فى مُطرحها..!!؟..

-اه يا حاج كله تمام ..

-طب يا ولدى... يتمم لك على خير يا رب ويجعلها جوازة العمر .. أمين ..

ليردّد الجمع كله .. أمين ..

****

انتبهت زهرة لبدأ توافد النسوة على القاعة التى خصصتها

الحاجة فضيلة لتكون مجتمعهم .. تلك القاعة الكبرى التى تطل على الحديقة .. والقريبة من تلك الحجرة التى احتجزها فيها عاصم ليلة اختطفها .. تتذكر ذلك الان.. وكأنه كان من امد بعيد .. وتسير الان بجوار تلك الغرفة وهى فى طريقها للترحاب بالنسوة حتى تلحق بها الحاجة فضيلة بعد ان تطمئن على الحاج مهران.. فتحت الغرفة فى هدوء وتطلعت الى كل ركن فيها.. وتذكرت كل لحظة مرت بها بين جدرانها .. وتعجبت من تقلب مشاعرها .. ما بين تلك المشاعر التى كانت تفيض بالكراهية والرغبة فى الانتقام ممن جعلها تطأطأ رأسها خجلا امام عائلتها بأسرها .. وما بين مشاعرها الان والتى لا تستطيع ان تصفها الكلمات ..فهى عاشقة .. عاشقة حتى النخاع .. مررت كفها

على قماش ثوبها الذى يجعلها قطعة من الفتنة والجمال .. وتلك القلادة الرائعة التى تزين جيدها بالورود .. والتى اختارها تيمنا باسمها .. اغلقت الغرفة وأغلقت أبواب الماضى القاتم فهى ستبدأ معه صفحة جديدة من كتاب العشق والسعادة وليذهب الماضى بكل أحقاده غير مأسوف عليه .. تمنت لو انه يراها الان .. لكنه مشغول بالخارج يُعد الدبائح .. ويفرقها .. ويشرف على ترتيب مجلس الرجال..استعداد لكتب الكتاب غدا .. بأْذن الله تطلع النسوة اليها عندما دخلت القاعة .. وأعينهم تتفحصها

ولسان حالهم يقول .. "والله وعرفت تختار يا عاصم " هكذا قرأت فى نظراتهم .. التى كانت ما بين استحسان وغيرة ..

وخاصة زوج العيون الذى يطل عليها الان يتفحصها من قمة رأسها حتى اخمص قدميها .. عيون سمية التى هبت تظهر المحبة الزائفة كالمعتاد ..

وصلت العروس اخيراً مع امها الحاجة فضيلة لتضج القاعة

بالزغاريد من كل صوب وجهة .. لتبدأ النسوة مجاملات من نوع مختلف .. مجاملات تدفع كل منهن لتتوسط القاعة

وتأخذ فى وصلة من الرقص المحموم على دقات الطبول .. والاغانى الفلكلورية المعتادة فى مثل تلك الليلة ..والتى بدأتها احدى النسوة هاتفة فى حماسة .. لترد عليها باقى النسوة:-

هو اللى جانا لوحده .. ومحدش فينا راحله..

يا واد مين نجهالك... عمك ولا خالك ..

يا بت مالك خسيتى .. وانت ولا رحتى ولا جيتى..

يا بت تكونى حبيتى .. وماله الهوا ماله .. ماله الهوا ماله..

لا تقولى بوسى ولا نورا .. عروستنا حلوة وامورة ..

وماله الهوا مااااله .. ماله الهواا مااااله ..

لتتبادل النسوة الأدوار فى منتصف القاعة .. تظهر كل منهما

فرحتها بإهداء رقصة الى العروس الجميلة .. حتى رنت من سمية نظرة الى زهرة .. التى كان وجهها ينطق بالسعادة

وهى تصفق فى نشوة .. لتقطع سمية عليها سعادتها .. وتجذبها فجأة الى وسط القاعة .. تعطيها فرصتها فى مجاملة العروس.. لكن لم يكن هذا قصدها بالطبع .. بل كان المقصود إحراجها .. شعرت زهرة بالتيه وهى تقف فى منتصف القاعة وجميع النسوة ينظرن اليها متفرسات ..

هى ابدا لم تعتد ان تتمايل امام احد هكذا .. نظرت تجاه الحاجة فضيلة تطلب منها العون .. فوجدتها تبتسم لها مشجعة .. لتدع جسدها يعبر عن فرحته منتشياً.

كان عاصم فى الخارج .. يحضر لمجلس الرجال فى الجانب الاخر من السراىّ .. لكن العمال وضعوا اغراضهم فى غرفة الغلال ..بجوار قاعة الحريم .. وهو قد امر الجميع

عمال وغفر بعدم الاقتراب من تلك القاعة .. فكيف سيدخل

احدهم لجلب الأغراض..!!؟؟ .. حاول البحث عن ام سعيد .. لكنها بالداخل تقوم بالخدمة على مجلس الحريم ..

لم يكن هناك حل الا دخوله خلسة وبسرعة لجلب الأغراض ..دخل مطأطأ الرأس.. يتعجل المسير حتى غرفة الأدوات التى يحتاجها حملها فى عجالة مندفعا للخارج لكنه سمع إحداهن تنادى باسمها .. انه صوت سمية ابنة عمه

..:ما لها وزهرة !!؟.... شعر بالقلق ولكن من خلال تلك النافذة المطلة على القاعة .. والتى تتشكل على هيئة الاربيسك وقعت عيناه عليها ...على زهرته .. تسمر فى مكانه ولم يستطع الإتيان باى حركة .. نظراته معلقة بتلك الحورية الرقيقة التى تتمايل فى اغراء بثوبها الاسود الأبنوسى ليقفز قلبه من صدره مع كل خطوة تخطوها ..

مشدوهاً وقف .. مشدودا كمغناطيس لا يستطيع ان يحمل اغراضه ويرحل دون ان يمتع ناظريه بتلك الزهرة التى خلبت لبه وهى تتمايل على أغصانها انه يشعر انها الان..

ترقص بمداخل أوردته وشرايينه ... تتمايل على دقات قلبه

التى أصبحت تعلو على طبول العرس.. وهل هناك عرسا اكثر فرحا وصخبا .. من ذاك المقام بين جنبات صدره لمرآها...!!؟...ترك الأدوات التى كان يحملها جانباً وعادت عيناه تتعلق بتلك الرائعة بالثوب الاسود والتى لاتزل تتمايل

وبدأ يشعر بوخز الغيرة يدب بقلبه عندما طالع نظرات النساء المحيطين بها .. والتى كانت تشع استحساناً وغبطة وود لو اقتحم القاعة ليجذبها بعيداً عن تلك النظرات .

انتفض فى قوة .. عندما طالعه صوت ام سعيد منتشلا إياه من بحور نشوته .. :- خير يا عاصم بيه فى حاچة..!؟؟ ..

هتف مدارياً إحراجه متصنعاً الغضب بصوت خفيض:-

كنتى فين ..!؟.. ناديت تجيبى الحاجة مردتيش اضطريت

ادخل لحالى أچيبها .. وتطلع حوله يبحث عن تلك الأدوات التى القاها جانباً عندما أختطفته الحورية الى عالمها..

واخيرا وجدها .. فألتقطها ورحل بعيداً.. مندفعا خارج السراىّ.. لكن صورة زهرته المتمايلة لم يفارق مخيلته.

صرخت زهرة فى فرحة عندما طالعتها ندى تقف على باب القاعة فى حيرة والجميع ينظر اليها فى تعجب ..

فاندفعت تحتضن كل منهما الاخرى فى شوق حقيقى .. واخيرا تجذب زهرة ندى من يدها تعرفها على الحاجة فضيلة التى استقبلتها فى احترام يخلو من الحرارة .. وشكرتها سهام كثيرا على حضورها وتحملها مشقة السفر

من اجل زفافها .. ابتسمت ندى فى ود للجميع .. وسريعا اندمجت فى جو السعادة والنشوة المنبعث من تلك القاعة ..

حتى ان النسوة زادت حماستهن عندما أعلنت الحاجة فضيلة

رغبتها فى الانضمام لمن وهبت العروس الفرحة فى تلك الليلة .. الليلة الاخيرة للعروس ببيت ابيها قبل انتقالها لبيت زوجها فى اليوم التالى .. بعد عقد القران ..

وتقازفت النسوة الزغاريد المنتشية عندما نهضت الحاجة فضيلة لتتوسط القاعة .. حتى ان سهام طفقت عيناها بدموع الفرحة عندما وجدت امها و التى لم تقدم على تلك الفعلة

ابدا فى حياتها ولكن ها هى تفعل رغبة فى اسعادها ..

وبدأت الحاجة فضيلة فى التمايل .. بتلك الرقصة المعروفة فى الصعيد باسم .." الحروبى"... والتى يستخدم فيها النساء الجزء الأسفل من أجسادهن بإيقاع محدد على الموسيقى .. وما ان بدأت الحاجة فضيلة فى تمايلها حتى أشعلت حماس كل نسوة القاعة اللاتي يماثلونها فى العمر .. ليندفعن مشاركات إياها .. لتشتعل القاعة ضحكات وزغاريد ..حتى ان ندى اخذتها الحماسة .. فشاركتهن فى نشوة ..

اندفعت زهرة خارج القاعة .. لإحضار المزيد من العصائر والمرطبات للنسوة القابعات فى القاعة .. بعد ان انهكتهن حمى الرقص المستعر بالداخل .. لحقت بها سمية فى اصرار

وعلى الرغم من محاولة زهرة أثناءها عن اللحاق بها لتساعدها كما تدعى .. الا انها اصرت بشكل عجيب على مرافقتها لتلحق بها الى المطبخ .. تتطلع الى زهرة فى غيرة

وهى تراها تتسيد السرايّ بهذا الشكل .. ومرحب بها طبعاً

فهى ابنة الغالية التى يرغب فى رضاها الجميع إرضاءاً للحاجة فضيلة .. تنبهت لتلك الحقيقة.. وان زهرة لاتزل تجهل بها فقررت نشر سمومها وهى تقول :- انا شايفة الكل بيعاملك احسن معاملة على خلاف ماهو مفروض يعنى واولهم الحاجة فضيلة ذات نفسها واللى سممت عجل ولدها من ناحيتكم .. مش غريبة دى ..!؟؟..

كان ذاك دوما هو السؤال الذى حير زهرة والذى لم تجد الإجابة عليه أبداً .. فهى بنفسها قد شعرت

بفارق فى التعامل فى مرحلة ما .. وتسألت عن السبب ..لكنها لم تتوصل اليه .

شعرت سمية انها اجتذبت انتباه زهرة على الرغم من محاولة زهرة إظهار عكس ذلك .. فتمادت قائلة :- الظاهر انك لِسَّه متعرفيش ..!!؟. هم ناويين يجلولك ميتا .. !!؟.. اصل دى حاچة متداراش..!؟..

نجحت سمية الان فى جذب انتباه زهرة كلياً :- حاجة ايه اللى مدارية..!؟.. انتى بتتكلمى عن ايه ..!؟..

ردت سمية راغبة فى زيادة فضول زهرة :- انت متعرفيش انت تبجى ايه للهوارية ..!؟..

-واضح انك خرفتى .. انا تهامية .. ومماليش اى علاقة بالهوارية .. قالت زهرة فى حنق .. وهى تندفع لتخرج من المطبخ حاملة الصينية بماعليها من مشروبات .. لتوقفها سمية معترضة طريقها هاتفة :- اجولك انا ايه علاقتك بالهوارية .. انتى منيهم .. دمهم بيچرى فى دمك لأن امك الحجيجية هى فاطنة .. اخت الحاجة فضيلة .. اللى هربت مع ناجى التهامى .. ابوكى يا داكتورة .. صمتت قليلا بعد ان حقنت سمومها فى شرايين و أوردة زهرة ..

التى وقفت مشدوهة لا تستطيع حراكاً.. عيناها مسمرة على سمية التى شعرت بنشوة النصر اخيراً .. فتمادت بكل حقارة هامسة بالقرب منها .. وبنبرة تقطر غلاً... عرفتى ليه بيعملوكى ولا الأميرة .. لولا كده ...لكان زمانك بتتعاملى اجل من ام سعيد .. مجرد واحدة من التهامية .. خطفها عاصم واد عمى

عشان يبرد نار امه الجايدة فى صدرها من يوم ابوكى ما

هرب مع اختها .. وبتردهاله فى بته اللى كانت فاكرة انها بنت الداكتور ناجى من مرته التانية .. لكن اكتشفت انها بت الغالية اختها .. فانعكست الآية .. وبدل ما تنتجم منيها .. بجت حطاها فى عينيها وبتوصى ولدها عليها يعاملها ولا البرنسيسة .. امال ايه .. معلوم .. مش من دمهم ولحمهم ..ربتت سمية بغل على كتف زهرة وهى تهمس كحية رقطاء..فوجى يا بت الناس .. لتكونى مفكرة ان عاصم بيحبك .. عاصم ملوش جلب ...عاصم ميعرفش يحب .. عاصم غول

....عمر كان للغول جلب ..!؟..

ثم ابتسمت فى انتصار لوجه زهرة الذى اضحى يحاكى وجوه الموتى شحوباً وهى تقول :- انا خلصت زمتى من ربنا وجلت لكِ.. وانت وعجلك تصطفلى ..

لترحل سمية مبتعدة تجاه القاعة .. وقد ارتعشت يد زهرة بحملها .. لتسقط الصينية بما تحمله من كؤوس مهشمة على الارض فى قوة .. ومندفعة فى كل أتجاه ...

لتهتف ام سعيد التى جاءت على صوت الارتطام :- اسم الله عليكى يا بتى حصل خير .. اطلعى ارتاحى .. النسوان كلهم مشوا وحتى اختك .. واد عمك جه خدها.. اطلعى يا بتى ..

وكانما كانت تنتظر هذا الامر لتندفع زهرة فى قوة تصعد الدرج فى ثورة مدفوعة بمشاعرها المحترقة ذاتيا تلتهب عينيها بدموع محبوسة تأبى الانحدار .. وقلبها يغلى كمرجل .. دخلت الغرفة.. تروح وتجئ فيها من شرقها لغربها .. كغزال جريح .. يؤلمها جرحها حد الوجع ..وتأبى بكل انفة وكبرياء الاعتراف به .. ينزف جرحها حد الموت قهرا .. وتتجاهل سيل الدماء الساخنة .. عزةً....

انها تموت .. هكذا شعرت .. أهكذا هو الموت ..!؟؟.

روحها تغادرها مقهورة فتشعر بخواء يجمد اطرافها ويدفعها لترتعش لاأراديا ..

انها لا شئ ..واخذت تسأل.. كالممسوسة...انه يريدها..!؟؟... نعم .. .. هل يحبها ..!؟؟.. لا .. بدأت تشك فى كل ما كانت على ايمان مطلق به منذ ساعات...

انها لم تكن تمثل لعاصم سوى وسيلة انتقام والتى اكتشف فجأة .. انها ابنة خالته .. تلك الغالية .. التى يجب ان يحسّن معاملتها ويدللها اكراماً لأمه ...مما يعنى انها من بداية القصة وحتى نهايتها .. ما هى الا وسيلة لارضاء امه ... لكن.. أين هى من كل هذا ..!؟...

أين قلبها ومشاعرها التى تلاعب بها ..!!؟؟..

أين حق روحها التى تعلقت به حد الوجع .. !!؟...

أين هى من كل حساباته...!!؟..

أين انا من قلبه ..!!؟..

وهنا طفقت الدموع من عينيها اخيرا.. لتشهق بالم يمزق روحها المحتضرة بين جنباتها .. بكت كما لم تبك من قبل

بكت حتى جفت دموعها وتحجرت مأقيها..
اصبحت نظراتها رخامية خاوية من اى روح ..
نهضت فى عزم للحمام .. غسلت وجهها ..
وقررت .. ان الليلة هى اخر ليلة لها هنا .. فى سرايّ الخزلان والقهر .. لم يعد لها مكان بها .. فقد اكتفت بهذا القدر من الالم ومن الدموع .. وانتفضت عندما

شعرت بباب الغرفة يُفتح...كان ملهوفاً يبحث عنها بنظراته يدفعه شوقه اليها .. يتمنى لو يدثرها بعينيه.. ويطويها بصدره.. انها له ...دوما كانت .. منذ اللحظة التى التقطها فيها بين ذراعيه فى المزرعة ..

وحتى اخر العمر ستكون .. انه يحبها بل يعشقها ويتمناها .. يأنس لقربها ويستوحش فراقها .. ان روحه معلقة بها لا يعرف كيف ..!؟.. لكنه لا يشعر براحة الا وهو معها تطالعه بنظراتها الحانية وتدثره بفيض من حنانها ورقتها ..

ظهرت فجأة من الحمام ..تحاول مدارة وجهها قدر استطاعتها ..تستجمع شجاعتها لمواجهته .. بدافع من قلبها المجروح .. وروحها العليلة ..وعقلها اللائم ..

اندفع اليها فى لهفة يضع كفه على كتفها ليديرها لتواجهه .. لكنها قالت فجأة وبلهجة تحذيرية جعلته يجفل :- ارفع ايدك بعيد عنى ... ومتفكرش تلمسنى تانى ..

تسمرت يديه على كتفها لحظات فى صدمة .. واخيرا تنبه .. فابتعدت يديه كالمصعوق وهتف هو متعجباً :- ايه اللى حُصل ..!!؟..

ردت فى برود وهى لا تُزل مولية ظهرها غير راغبة فى التطلع اليه :- محصلش حاجة خاالص.. هيكون حصل ايه يعنى..!؟.. انا فكرت وقررت اننا مش هاينفع نكمل مع بعض.. وأننا لازم ننفصل ..

هنا لم يستطع الصبر اكثر من هذا .. ليجبرها على الاستدارة والتطلع اليه .. ليواجهه عينيها الحمراوين من اثر البكاء.. ووجها الشاحب .. فيهتف ملتاعاً :- كنتى بتبكى ..!؟.. ليصمت لحظات وهو يتطلع

لملامحها المقهورة ألماً .. ايه اللى جرى لكل ده ..!؟ ... فى ايه فهمينى ..!؟..

ردت ببرود:- قلت لك محصلش حاجة .. انا شايفة ان ده الصح .. واللى المفروض كان يحصل من زمان .. احنا عمرنا ما كنّا لبعض .. ولا هنكون ..

فهتف بغضب ترتفع وتيرته وهو يهزها من كتفيها لعله يفيقها من ذاك الكابوس الذى يعايشه حيّا فى تلك اللحظة :-فجأة كده

عايزة تفوتينى وتروحى !!؟.. فجأة كده .. خدتى بالك اننا مننفعش لبعض.. ولا عمرنا كنّا لبعض..!!؟..المفروض انى اصدج الكلام ده .. فى ايه ..!!؟..

هتفت محاولة كتمان ذاك الالم الذى يعصف بها :- قلت لك مفيش ..

ليصرخ هو مجدداً وهو ينظرلعينيها الرخامية النظرة والتى لم يستطع ان يثبر أغوارها :- انتِ مين ..!؟.. انت مش زهرة ..!؟.. زهرة اللى كانت من كام يوم بين درعاتى طايعة وراضية .. مش ممكن تكونى هى..!؟.. انتى مين ..!؟.. صرخ بسؤاله الاخير فى لوعة ..

لتهتف هى صارخة:- انا بنت خالتك.. يا عاصم بيه ..

فأبعد كفيه عن كتفيها منتفضاً كالمصعوق ليصمت لحظات قبل ان يهتف متسائلا:- مين جالك ..!؟ أبوكى ..!؟..

قهقهت بهستيرية تعكس مدى الوجع الذى يتشعب بروحها

ويسكن اعماق قلبها :- مفيش فايدة... لِسَّه بكرهك وحقدك القديم ... اى مصيبة او قصة مش على هواك يبقى التهامية هم السبب فيها ..مش كده ..!!؟؟.... وخاصة طبعا بابا .. اللى حرمته من انه يحط ايده فى ايد عريس بنته زى كل اب

هتف فى غضب هادر :- انتى مش فاهمة حاجة ..!؟..

قالت فى برود :- ولا عايزة افهم اى حاجة .. انا عيزاكوا تسيبونى فى حالى .. تعتقونى لوجه الله .. وتطلقنى..

بهت لونه .. عندما رنت الكلمة الاخيرة فى مسامعه ليعاود

إمساكه بكتفيها من جديد .. يرجها رجا بعنف :- ايه ..!؟. فى ايه ..!؟.. انتِ جبتى منين الجسوة دى ؟؟!!..

-ده الدم الهوارى اللى فى عروقى.. قالتها فى سخرية .

....مش انا طلعت قريبة الغول..!!!.. وعادت لضحكاتها الهيستيرية .. عرفت القسوة جبتها منين ..!!..

تطلع اليها فى حيرة واضطراب وهتف اخيراً محاولاً إقناعها قدر استطاعته بحبه لها دون ان ينطقها لعله يغير من منطقها وتظل باقية :-انا عملت كل اللى يرضيكى ويسعدك .. حاولت على كد ما جدرت انى مجساش عليكى .. وأفتكر ..

قاطعته فى غضب محموم :- وتفتكر ان انا بنت خالتك .. ولازم اتشال على كفوف الراحة .. عشان انا بنت الغالية .. لكن انا زهرة... بنت الدكتور ناجى التهامى .. عمرها ما كانت هى الغالية فى نظرك .. زهرة .. اللى كنت بتناديها باسم إبوها وكأنه سبة .. زهرة اللى استحملت اللى أتعمل فيها

من خطف وإهانة عشان تحمى ابوها واهلها منك ومن جبروتك...

وتحشرج صوتها متأثراً .. وهى تنطق بصوت خفيض غلبه الوجع :- زهرة دى .. مش هى اللى غالية يا عاصم .. مش هى اللى عملت كل حاجة عشان ترضيها .. مش هى اللى كنت تتمنى تبقى مبسوطة .. مش هى يا عاصم .. أسأل نفسك انا لو فضلت بس بنت الدكتور ناجى ومكنتش اكتشفت انى بنت خالتك كنت هاتعمل كل ده عشان خاطرى ... مظنش ..!!؟..

كان يقف مشدوهاً .. امام سيل كلماتها المدوية.. لا يعرف لما لم يتكلم..!!؟ .. لما لم يدافع عن نفسه ..!!؟؟.. لما لم يبرر الكثير من الأفعال..!!؟؟... واخيرا .. لما لم يبلغها ان ابيها هو من طلب عدم كشف الحقيقة لها الا بمعرفته هو ..؟!.

لما لم يتحرك ..ليخبرها بانه احبها من قبل حتى ان يكتشف بأنها ابنة خالته .. !؟؟..

لم يجد اجابة تريحه لكل تلك الأسئلة .. فوقف ينظر اليها فى

ألم غير قادر على تكذيب حرف واحد مما قالت.. ..

مما دفعها لتكمل قذف حممها:- زهرة التى كنت عايزها .. راضية وطايعة بين درعاتك معدتش موجودة .. اللى موجودة قدامك دلوقتى زهرة تانية خاالص.. زهرة ام قلب قاسى .. زهرة اللى عايزة تفتح عينيها تلاقى نفسها بعيدة عن النجع ده باللى فيه .. يمكن لو بعدت ..

تعرف ترجع لنفسها تانى ..

نظر اليها نظرات مبهمة لم تستطع تفسيرها .. وتسمر فى مكانه للحظات تتأكله الرغبة فى قتلها ..

تارة عشقاً.. وتارة غضبا.. ..

قبل ان يندفع كالسهم باتجاه الباب ..

ليخرج مغلقا الباب خلفه فى غضب هادر..

****

الفصل الثامن عشر

قادته قدماه بشكل فطرى لاستراحة الاسطبلات .. حتى من دون ان ينتبه للطريق الذى قطعه سيرًا على الأقدام .. انفاسه تسبقه .. يزفرها فى غضب لا يعبر باى حال من الاحوال عن الثورة المتأججة فى شراييه .. والتى بثت نيرانها فى روحه ...يغلى من جراءها قلبه كمرجل ..

وصل اخيرا ليلقى بجسده المنهك على احد الأرائك فى انهيار

كانت الايام الماضية أشبه بالجحيم مرض والده وسهره بجواره.. ومن بعدها إعدادات الزفاف المحمومة.. واخيرا

تلك التى تنهكه وتستنزف مخزون روحه الطواقة لقربها..

والتى اصبحت أشبه بالسراب .. كلما تقدم منها خطوة وظن انه قاب قوسين او أدنى منها .. وانه على اعتاب نعيمها الوردى.. حتى يكتشف انها لاتزال بعيدة .. بعيدة .. بعد نجمة عالية .. لا تطولها الايدى .. الا فى الخيال ..همس لنفسه متألما ..

واه يا عاصم .. مفيش امر من طعم الظلم ..

وخصوصى .. ظلم الحبايب ..

اللى كنت مستنيهم ييجوا دواك تريهم هم الجرح ..

واللى الناس كلاتها لما تبعدك .. تلاجيهم هم اللى بيجربوك.. ويخدوك فى أحضانهم وينسوك.

مين تانى هايفضل يا عاصم بعد ظلم الحبايب ..

مين ..!!؟؟

زفر بقوة .. زفرة حارقة تحمل بعض من نيران ذاك الأتون المستعر بصدره .. وقد تنبه اخيرا .. لهذا الصوت الشجى الذى يصله .. والذى لم يعيه عندما وصل من شدة انغماسه فى شجون أفكاره .. فهمس لنفسه .. وهذا قصة اخرى .. كان يقصد

زرزور بالطبع .. صاحب الناى .. الذى يعزفه الان مقلباً عليه مواجعه التى لا مهرب منها حتى هنا ..اقترب فى هدوء .. من المكان الذى يختلى فيه زرزور بنفسه.. واخذ ينصت فى استحسان لذاك العزف الرائع الذى يقطر عذابا وحرمانا .. لا يع ان الذى يعزف ليس زرزور

بل قلبه الذى يئن شوقا .. لحبيبه غائبة حاضرة .. ورغبة مستحيلة التحقيق فى القرب .. ولا حيلة له الا دموع ..

تخفف بعضا من أسى وقهر لا حيلة له فيهما .. سوى البكاء وحيدا بعيدا عن الاعين المتلصصة التى تأبى البكاء على الرجال ويوصمون دموعهم بالعار .. وكانهم ليسوا ببشر ..و لم تخلق من اجلهم الدموع ..

انتهى اخيراً زرزور من عزفه ومسح دمعه .. ونهض..

ليفاجأ بعاصم يقف مشدوها من روعة العزف التى لم يشهدها من قبل ..

انتفض زرزور واضعا كفه على رأسه يربت بها عدة مرات

متتالية كإشارة سلام لعاصم ويندفع لصنع الشاى كما هو معتاد عند رؤيته له ..و ما ان أولاه زرزور ظهره ..حتى

هتف عاصم فى تأثر :- زكريا...

توقف زرزور فجأة متخشباً وكانما إصابته صاعقة .. لقد نسى هذا الاسم والذى لا يعلم به احد ولم يناديه به احد .. واستدار فى بطء .. ليطالع عاصم الذى كان يقف فى انتظاره فاتح ذراعيه فى ترحاب .. ليندفع اليه كالسهم ملقيا بنفسه بين احضانه مقبلا كتفه.. وهو يجهش بالبكاء

أحاطه عاصم بذراعيه .. رابتاً على كتفه فى قوة .. وهو يهتف بصوت غلبه التأثر .. محاولا مداراته فى المزاح :- واااه .. بجى كده .. فى رجالة بتبكى.. وتنهنه كمان ..

ولم يتوقف زكريا عن شهقاته وكانما اكثر من عشرين عاماً من الظلم والدونية قد استيقظت فجأة واندفعت كسيل من دموع عينيه...

ربت عاصم من جديد على كتفه وهو يقول بصوت يأتى من اعماق روحه الموجوعة .. :- ابكى يا واد عمى .. ابكى .. الظلم صعيب جووووى .. ولما

يجيلك من اجرب ما ليك .. بيبجى وچعه واااعر .. كن سكينة انغرست بجلبك وانت ما جادر تجول آه...

وكانما يذكر عاصم نفسه بظلمها ... ظلمها الذى تآن له روحه حد العذاب .. الظلم الذى بدأ هو اول حلقاته .. لتدور عليه الدوائر ..فيصبح هو المظلوم ..لا الظالم ..

ظلم يدفع ثمنه الان غالياً ...

بعد لحظات .. ابتعد زكريا عن كتف عاصم .. ينظر اليه متسائلا وببعض إشارات استفسر كيف عرف عن اسمه

وحكايته.. فاجاب عاصم :- أبوى جالى على كل حاچة .. وسلمنى الاوراج اللى تثبت انك واد عمى غسان .. وربت عاصم على كتف زكريا مطمئناً.. متجلجش والله لأچيبلك حجك .. ولو ده اخر يوم فى عمرى ..

انحنى زكريا محاولا تقبل يد عاصم الذى سحبها مستغفراً

وقال فى تأكيد :- ده حجك .. نستنوا بس لحد بعد فرح سهام

هنا اخفض زكريا نظراته متألما عند ذكرها.. ليستطرد عاصم ولم ينتبه .. هجمع الهوارية كلهم وأخوك سليم ..

وجدامهم هعلن انك واد عمى غسان واللى حيلته كلمة يجولها ويورينى كيف هايجف جصادى..!!

رفع زكريا يديه علامة الدعاء لعاصم وهم بالاندفاع

لصنع الشاى .. لكن عاصم استوقفه معاتباً :- لاه .. خلاص

خلصت الشغلانة دى .. انت هنا واد عمى .. وهاتجعد معاى ونشرب الشاى سوا .. بس مش انت اللى هاتعمله

.. هنده على الواد عوّاد يسويلنا كبايتين .. تعال .. اجعد چارى..

وسحب عاصم .. زكريا من يده مبهوتا ليجلسه على احدى الأرائك بجواره وهو لا يصدق ان حقه سيعود له اخيراً

حقه الذى فقد الامل فى عودته .. منذ امد بعيد ..

****

كان العمل فى السراىّ .. على قدم وساق منذ السادسة صباحا

تحضيرات الطعام والمشروبات .. وأماكن مجالس الرجال ..

وعقد القران .. وتحضيرات العروس التى قرر حسام احضار اصحاب الخبرة فى عالم الزينة حتى باب غرفتها ..ووقفت زهرة بجوارها حتى اتمت زينتها على اكمل وجة ترتضيه .. وقد اصبحت رائعة بمعنى الكلمة ..

لتهتف زهرة فى مرح تحاول اصطناعه :- يا بختك يا حسام يا بن عمى ..

لتبتسم سهام فى خجل .. ولم تدرك تلك النبرة المؤلمة التى غلفت كلمات زهرة والتى أرهقها البكاء ومزقها القهر

ليلاً كاملاً بعد ان رحل وتركها تلعق جراحها وحيدة

بدون حتى تبرير واحد ينفى به فعلته .. او يشرح به أسباب إخفاءه عنها ما اكتشفته .. او .. حتى ..

يخبرها ولو كذباً .. انه احبها قبل ان يعلم الحقيقة .. وانه يحبها ..

سواء كانت ابنة خالته .. او لم تكن .. لكنه لم يقل ولم يفعل ما ينفى أقوالها ويضحد شكوكها وطنونها... ان جرحها منه اصابها فى مقتل .. وهى الحمقاء التى كانت على استعداد لتكون امرأته .. قلبا وقالبا ..

واعترفت لنفسها ...انها حقا تعشقه .. ولكن ماذا بعد الاعتراف..!!؟ .. وماذا بعد المصارحة ..!؟.. هل تستطيع ان تكذب روحها التى تئن وجعا لمجرد مطالعة محياه الذى اصبح موشوما بجدرانها ..وصوته الذى تغلغل فى أعماقها مقرونا بكل نبضة من نبضات ذاك القلب الذى يحتضر شوقا وعشقا .. وعقل لا يعلم .. هل يتألم ام يتحسر على عدم الاستماع لنصائحه ..فيقف حائرا .. خائرا... لا يجد سبيلا للخلاص ..

انتفضت .. عندما وصل الى مسامعها صوته وهو يهتف بالأسفل مؤكداً ان كل شئ على ما يرام .. وانه بدأ توافد الرجال والعريس فى طريقه للسراىّ وانهم فى انتظار المأذون ..

دقات على باب الحجرة جعلتها تجفل .. فهى تعلم انها طرقاته التى اعتادتها كدقات قلبها على باب صدرها ..

وما ان سُمح له بالدخول .. حتى دخل فى هدوء يتطلع لسهام

التى اصبحت فى كامل زينتها .. تقدم اليها فى بطء متطلع

الى تلك الجميلة التى كانت منذ أعوام تصرخ طالبة منه ان يحملها على كتفيه .. وتتدلل ليحضر لها ما تشتهيه ..

انها الان عروس جميلة .. بل فائقة الجمال .. ستغادرهم بعد

ساعات قليلة .. لبيت زوجها .. ولن تعود هنا .. مرة اخرى الا كضيفة لن تطالعه ملامحها المحببة كل صباح على مائدة الافطار ولن تشاكسه. بمداعباتها طوال النهار..

ولن تصبح مسؤولة منه فسوف يسلم مسؤولية راحتها

ودلالها لزمام رجل اخر يتمنى ان يصونها وتنعم فى كنفه بالامن والسكينة و المودة والرحمة ...

لم يستطع ان يتفوه بكلمة وهو يقف أمامها الان .. انحنى يقبل

جبينها فى محبة حقيقية .. ويقول بصوت متحشرج يغلبه التأثر ..:- مبروك ..

ترقرقت الدموع فى عينى سهام .. فشعر بها فهتف فى بهجة مشاكسا إياها :- لاااه .. فى عرضك .. هتبكى وتبوظى الحاجات اللى حطوهالك على وشك دى واللى دافع فيها عريسك دم جلبه .. حرااام .. يجول مسلمينله عفريتة سهام

انفجرت سهام ضاحكة فابتسم بدوره .. هاتفاً:- ايوه كده

رب يخليكى .. خلى الليلة تعدى على خير ..

واستدار مغادرا .. لتقع عيناه على زهرة .. التى كانت تنكمش فى احد أركان الغرفة .. تتابع المشهد من بعيد

حمل نفسه ونظراته بعيدا عنها واندفع خارجا ..لتلحق به فى عزم لتخبره بما قررت ..

دخل غرفتهما ليبدل ثيابه فتبعته هاتفة وهى تغلق باب الغرفة خلفها:- انا هبات الليلة مع ندى اختى .. عند عمى قدرى.. قالت فى لهجة مترقبة لرفضه .. ولكن لدهشتها قال بلهجة باردة وهو يخرج ملابسه من خزانة الملابس ..

-وماله .. حجك .. بجالك شهور مشفتيش اختك .. ولا ابوكى.. ولو تحبى .. جبيها هنا .. واهى أوضة سهام ها تفضى الليلة ..

-لا .. قالت فى عزم .. انا كمان عايزة اقعد مع بابا فى حاجات كتير عايزة توضيح منه ..

اجاب بنفس اللهجة الباردة :- وماله ..ولو تحبى.... أوصلك لحد عنديهم...

سألت فى تعجب :- يعنى انت موافق ..!؟..

-واه .. همنعك عن اهلك ..!؟.. طبعا موافج .. و دى عايزة كلام .. نظر بابتسامة مبهمة على جانب شفتيه ..

-اصل انا لازم اقعد مع .. قالت تحاول التبرير .. وتتعجب من نفسها لما تبرر .. فقاطعها هو قائلا

بلامبالاة:- مفيش داعى تبرزى ..انت تروحى وجت ما انت عايزة ..

-يعنى عادى اروح ..!؟.. سألت بتعجب ودهشة من موافقته السريعة وعدم رفضه ..

لينفجر ضاحكا فى سخرية :- واه .. هو انا بتكلم فرنساوي ..جلنا روحى ..

وتركها فى حيرتها .. وحمل ملابسه للحمام ليستعد لعقد القران .. وقفت فى منتصف الغرفة .. تضرب أخماسا فى اسداسا .. لا تعرف .. ما سر ذلك البرود الذى يحدثها به ..

وما السبب وراء موافقته السريعة وعدم رفضه لأبتعادها عنه كما كان يحدث فى السابق عندما كان يتحجج لتكون دوما بقربه .. هل يمكن ان يكون كف عن محاولاته

لارضاءها بعد ان اكتشفت علاقة الدم التى تربطهما ..!؟..

ام ان .. ما سمعه منها البارحة جعله يعيد حساباته لتكون هى خارج تلك الحسابات .. !؟..

لم تعد تدرى ما يحدث .. حتى انها صرخت فى نفسها

معاتبة .. أليس انت من أراد الابتعاد .. !!؟..

وتشعرين

بأنك غير مرحب بك كواحدة من التهامية .. لكن مرحب فقط بكونك تحملين الدم الهوارى .. اذن لما تشتكين الان !؟؟

وأين هى المشكلة ..!؟؟.. اتدرين ..؟!! .. انت هى المشكلة ..

عند هذه النقطة.. اندفعت فى غضب .. لتغلق الباب خلفها بعنف .. فى نفس اللحظة التى خرج هو فيها من الحمام ..

وعلى شفتيه نفس الابتسامة المبهمة ..

****

ارتفعت الزغاريد معلنة وصول العريس واهله .. لتدخل ندى

لداخل السراىّ منضمة للنساء واللائي اشتعلت قاعتهم

بالزغاريد والرقص ..

حتى تحضر العروس ..

اخذ عاصم بيد المأذون والعريس والشهود مستأذناً الجمع

ليصعد لعقد القران ..

استأذن الرجال للدخول .. فصمت كل من بالقاعة من نساء حتى مروا فى سرعة لاعلى ..

طرق عاصم على باب غرفة ابيه ودخل ليهتف الحاج مهران :- برضك عملت اللى فى رأسك يا عاصم ..

هتف عاصم فى فخر :- واه .. ابوا العروسة منور الدنيا .. وانا ابجى وكيلها .. دى لا عشت ولا كنت .. انت وكيل العروسة يا حاچ .. ويديك طولة العمر وتشيل عيال عيالها ..

وانا هبجى شاهد على العقد انا والحاج جدرى ابو العريس تمام كده .. !؟؟..

ابتسم الحاج مهران فى حبور :- تمام ..

جلس المأذون مسميا بالله .. ومصليا على رسوله .. ووضع الحاج مهران يده فى يد حسام .. وبدأت مراسم عقد القران

وما ان انتهت .. حتى قال الحاج مهران والدمع يترقرق فى مقلتيه:- خلى بالك منها يا حسام .. انا مديلك حتة من جلبى..

ابتسم حسام .. وانحنى يقبل كف حماه فى تقدير قائلا :- دى فى عينى يا عمى ..

اندفع عاصم ليطرق باب العروس مهللا..:- مبروك .. كتبنا الكتاب ..

لتشتعل الغرفة زغاريدا.. لتقابلها زغاريد انطلقت من القاعة النسائية بالأسفل عندما وعت النساء الإشارة ..

امسك عاصم كف اخته التى كانت ترتجف فى خوف ..

وفى نفس الوقت تجتاحها الفرحة فى تضارب عجيب من المشاعر التى لا يسهل وصفها ..ضم كفها فى حنان ..

مطمئناً وهو يسير بها لغرفة ابيها ..

افسح الجميع الطريق للعروس .. التى تقدمت لأبيها فى وجل

لا تستطيع ان ترفع نظراتها لتقابله حتى لا تنفجر باكية

وترفض المغادرة بعيدا عن احضانه ..

مد الحاج مهران اليها كفه والتى وضعت كفها الباردة المرتعشة فى أحضانها .. ليجذبها اليه مقبلا جبينها ..

وطفقت عيناه بالدموع .. ولم يستطع ان يتفوه بحرف واحد

بل أشار لعاصم الذى وعى الإشارة .. ليهتف مهللا فى فرح

-الناس كلها منتظرة العرسان تحت .. يا الله يا چماعة..

ومد كفه يسحب اخته المتسمرة بجوار فراش ابيها وكأنها تأبى المغادرة .. ويسلم كفها لكف زوجها والذى التقطه فى سعادة جاذباً إياها خارج الغرفة.. والكل خلفهما..

ما عدا عاصم الذى انتظر حتى خرج الجميع .. لينحنى يقبل جبين ابيه رابتاً على كفه ويخرج فى أعقابهم..

وقد اشتعل صحن الداربالزغاريد عندما هل العريس مصطحبا العروس يهبطان الدرج .. حتى سلمها للنساء واولهم امها الحاجة فضيلة التى كانت تغالبها الدموع.. فتقهرها مبتسمة ..

ويخرج العريس ليحيى جمع الرجال وينال مباركتهم بعد عقد القران .. وتمتد الموائد.. ويبدأ الاحتفال الفعلى ..

ظهر سلطان يمتطيه عاصم فى عزة .. وبدأ الطرق على الطبول والنفخ فى المزامير .. ليبدأ سلطان فى التمايل طرباً

وعاصم على صهوته موجهاً.. اشتعلت الدائرة المحيطة بالفرس الراقص تهليلاً وحبوراً بمهارات سلطان الذى انتشى

من صوت المزامير ليقدم افضل عروضه الراقصة على الإطلاق .. كان عاصم يتمايل مع فرسه فى رشاقة منقطعة النظيروشعر فجأة بإحساس مبهم بالمراقبة فتطلع لا ارادياً

للأعلى حيث شرفة حجرته .. ليجدها تقف مع اختها التى يبدو عليها الحماسة يشاهدان العرض الراقص..

تعلقت عيناه بها .. وتذكر ان هذه قد تكون المرة الاخيرة التى يراها فيها تطل من تلك الشرفة .. فهى الليلة ستغادر السراىّ

وقد لا تعود .. عندما وصل لهذا الخاطر فقد رغبته فى الاستمرار بتقديم عرضه .. لينسحب هو وسلطان .. والذى كان معترضاً على إنهاء العرض ويرغب فى المواصلة ..

عندما عاد ليجلس وسط الرجال لاحظ انها اختفت من على الشرفة .. فجلس ساهماً لا يدرك الصخب الدائر حوله .. فصخب أفكاره كان يحاصره وفوضى مشاعره كانت تدميه..

ولم يخرجه من تلك الدوامة الا جذب احد الرجال له .. ليجد نفسه فى وسط دائرة مدعواً للتحطيب بالعصا .. ليبدأ تهليل

الرجال دعماً له .. للغول .. الذى بدأ فى هزيمة الرجال احدهما تلو الاخر .. ليشتعل الصخب نشوة راغباً فى المزيد

حتى اندفع حسام طالباً المبارزة .. لينتفض الجمع مهللاً

ويبدأ كلاهما فى التلويح بعصاه وقرع كلتاهما بصوت

مزلزل .. حتى أعلن كل منهما فى نفس اللحظة بلا اتفاق

ترك عصاه محبة فى الطرف الاخر .. ليهلل الجمع .. ويحتضن كل منهما الاخر فى سعادة ..

انتصف الليل ..وبدأت الطلقات النارية .. والتى بدأ

اطلاقها منذ الصباح .. فى الوصول لذروتها عندما أعلن العريس رغبته فى اصطحاب عروسه لعشهما السعيد

لتشتعل حمى الزغاريد والطبول حد اللامعقول عند وصول العروس للخارج ليأخذها العريس داخل عربتهما ..

ويخرج الجميع خلفهما بالسيارات مهللين....

حتى زهرة ذهبت فى سيارة نبيل .. بصحبة ابيها وندى وعمها قدرى دون أدنى اعتراض منه .. حتى انها ألقت بنظرة جانبية اليه.. تنتظر اعتراضه.. لكنه حتى لم يأبه بها

ولا نظر يبحث عنها كعادته..بل كان منشغلا بأمه التى غلبتها دموعها اخيرا.. فاخذت تبكى .. عندما رحلت سهام مع عريسها .. فى سيارتهما المزينة..

.. ظلت نظراتها معلقة به .. حتى غاب طيفه عنها بابتعاد السيارة وخروجها عن أسوار السرايّ .. والتى لا تعلم

هل ستعود اليها من جديد .. ام لا ..و قد جذب انتباهها فى تلك اللحظة طيف ذَاك الشخص على اطراف تلك الاسوار العتيقة .. وبالتحديد.. عند تلك الحجرة المتطرفة فى اخرها .. يبكى فى لوعة .. حبيبة راحلة .. وقلب ممزق.. وحق عائد فى الوقت الضائع ..

****

اندفعت ندى فى احضان اختها على الفراش الوثير فى تلك الحجرة التى خصصها عمهم قدرى لتبيت فيها ندى

منذ وصولها انها نفس الحجرة التى باتت فيها زهرة ليلة عقد قرانها على عاصم

.. ليلة ان عزمت على جعله يدفع ثمن إجباره إياها على الزواج منه بهذا الشكل وإذلال اَهلها امام عينيها .. ولكن هل استطاعت تنفيذ ما عزمت عليه .. !؟..

أخرجتها ندى من شرودها .. هامسة فى أحضانها بلقبها الذى

افتقدته وأصبح غريبا على مسامعها :- روزى.. ايه رأيك فى بن عمك نبيل ..!؟.. ولم تنتظر منها الإجابة لتستطرد..

تصورى يطّلع الدكتور بتاعى فى الجامعة .. وانا وهو منعرفش اننا ولاد عم...!!؟..

همست زهرة فى شرود:- هى دى ضريبة الانتقام الأعمى ..

لازم الكل يدفعها .. وكنت انا اولكم..

نهضت ندى فى شقاوة جالسة وهى تقول فى مرح وكأنها لم تسمع تعليق اختها :- قوليلى بقى..!؟.. عاملة ايه مع جوزك ده ..!!؟ .. شكله كده .. وأخذت تبحث عن كلمة مناسبة .. وهى تحرك كفها .. وحدقتيها لاعلى فى وضع التفكير لإيجاد اللقب

المناسب .. لكنها لم تجد .. لتبتسم زهرة لأول مرة هذا المساء لتساعدها فى إيجاد الوصف الذى تبحث عنه .. هامسة :- غول ملوش قلب..

لكن ندى هتفت فى نفس اللحظة فلم تسمعها ..:- اه .. له هيبة كده.. تخليكى تخافى تقربى منه وتعمليله الف حساب.. انت بتتعملى معاه ازاى ده ..؟!!..

ضحكت زهرة لسؤال اختها الساخر ولم تخبرها بطبيعة الحال انها الوحيدة التى استطاعت ترويض الوحش..او كانت تظن ذلك .. حتى اكتشفت انه لم يُروض بعد ..

بل .. ان هوسه بأصوله وعراقة دماءه والذى اكتشف انها تجرى بعروقها .. هو الذى دفعه ليعلن الهدنة فى حربه معها.. وهى التى اعتقدت انه رفع رايات السلام الابدى لتسلمه قلبها بسذاجتها المعتادة .

-بس تعرفى يا زهرة ..!؟؟. .. انتبهت زهرة لسؤال اختها..

واضح انه بيحبك .. لتنتفض عندما وصل الكلام لتلك النقطة

وهى تنظر لأختها بتعجب متسائلة:- وانت عرفتى ازاى..!؟

ابتسمت ندى فى تفاخر :- انا ليا نظرتى .. لو شفتيه وهو بيبص عليكى من الشباك الاربيسك وانت بترقصى امبارح فى حنة اخته .. مكنتيش...

قاطعتها زهرة منتفضة و.. معتدلة فى جلستها.. وهى تسألها من جديد:- بتقولى شافنى فين ..!؟..

اعادت ندى كلماتها بتفصيل اكثر:- انا كنت داخلة السرايا عشان اوصل للقاعة اللى الستات مجتمعين فيها .. لقيته واقف ..طبعا مخدش باله منى .. بس انا شفته وهو بيبص عليكى من شباك ارابيسك بيطل على القاعة اللى كونتوا فيها كان كل لمحة من تعبيرات وشه بتقول انه بيعشقك يا بنتى ..

هتفت زهرة فى سخرية.. تدارى وجيب قلبها واضطرابها الذى دفع الدماء الحارة لوجنتيها :- طب نامى يا اختى .. بقيتى خبيرة فجأة .. والله ما انتى فاهمة حاجة ..

لتنفجر ندى ضاحكة ...:- انا اللى مش فاهمة حاجة .. بكرة تقولى ندى كان عندها حق ..

لتستطرد مشاكسة.. يا الله بقى خدينى فى حضنك زى زمان .. فتحت زهرة أحضانها لأختها تستقبلها بشوق حقيقى...والتى راحت بسرعة كعادتها فى سبات عميق .. ابتسمت زهرة وهمست .. صحيح ما ينام الا خالى البال ..

اما بالها هى وخواطرها ولبها وقلبها فكلها تلقائيا تتوجه لشخص واحد فقط .. ذاك القاسى الحانى .. الذى تعترف انها تفتقده بشدة ..نهضت ببطء حتى لا تقلق نوم اختها تجيل بنظراتها بجدران الغرفة التى شهدت دموعها وعزمها ليلة زفافها وشاركتها قسمها فى الانتقام منه لما حل بها وتذكرت ذاك الفستان الاسطورى الذى جاءت به سهام.. كيف بكت يومها.. لانها تمنت ان ترتديه لحبيبها ذاك الرجل الذى يختطف قلبها .. فها هو قد اضحى ذاك الحبيب و لكن ماذا بعد ..!!؟.. هى من ابتعد .. ابتعدت كى تجمع شتات روحها الممزقة بين كرامتها وكبرياءها وإحساسها بالم الخديعة التى عاشتها معه .. وبين تلك الرغبة التى تشتعل فى قلبها تدفعها للغفران والصفح وبداية صفحة جديدة .. صفحة نقية بلا اى احقاد او أسرارمن الماضى تعكر صفوهم .. وتذكرت تلك اللحظات التى قضتها

معه على صهوة فرسه .. والتى كانت فيها اقرب من قلبه اليه ..والتى شعرت فيها بصدق مشاعره .. وتذكرت امنيتهما المشتركة فى الحياة على صهوة الفرس دون الحاجة للعودة للأرض من جديد .. وكأن كل منهما كان يدرك .. ان عودتهما لارض الواقع ستفرقهما حتما فحاولا التشبث بلحظات مرت كالحلم .

..وها هى الان امام المرأة تتطلع لصورتها وكأنها تحيى تلك الصورة القديمة لها ..و التى وقفت تتبخترأمامها يوما فى ثوب زفافها والذى ارتدته له بكل كره وإكراه

وها هى الان تقف أمامها مرة الاخرى .. لا ترتدى ذاك الثوب مكرهة ..بل هى بعيدة عن عينيه مكرهة.. نظرت لتكتشف ان ما تغير فى الحالتين ليس وجود الثوب من عدمه .. لكن الذى اختلف شئ أخر تماماً.. ورفعت ذراعها لتضع كفها على قلبها الموجوع شوقا له .. هذا هو ما تغير .. قلبها ..

****

تنهد حسام فى نفاذ صبر وهو يلتقط انفاسه ملقيا بجسده

المنهك على احد المقاعد فى جانب الغرفة التى تجمعه بعروسه والتى تقف الان فوق الفراش بثوب زفافهما الذى تحمل أطرافه بيدها متحفزة

ليهتف هو متحسرا... وهو ينظر اليها وهى متنمرة بهذا الشكل :- والنبى أنا لو اعرف ان الچواز كده .. ما كنت اتچوزت ..

لتهتف هى فى حنق مصطنع :- يا سلاااام ..

-يا بت الناس .. ما انا لوعارف انى داخل اخد بطولة فى الچرى مسافات طويلة كنت اتمرنت الاول على الأجل .. مش تخدينى على خوانة كده .. وانا لساتنى جرحى تعبان .. وانتِ لففتنى وراكى الاوضة چرى .. ياچى عشر مرات ...

لتنفجر هى ضاحكة مخرجة له لسانها فى مشاكسة وهى تقول ..:- احسن ..

ليهتف هو متوعداً :- طب والله لأچول لاخوكى ..

نزلت من على الفراش فى توجس وهى تقترب متسائلة :-هتچول لأخويا أيه ..!!؟..

هتف متصنعاً الحنق :- هجوله اختك مبتسمعش كلام چوزها

لتقترب منه فى حذّر .. هامسة :- وأهون عليك يا حسام ..!!؟

ليهتف متصنعاً الجد :- اه .. تهونى .. ما انا هونت عليكى اها .. وانا تعبان .. وحاسس ان جرحى أتفتح ..

اندفعت فى لوعة تجاهه هاتفة :- صح ..!!.. جرحك أتفتح..!؟

ليظفر بها اخيراً جاذباً إياها لتسقط على حجره.. فيهتف بنشوة المنتصر وهو ينفجر ضاحكا :- كده نبجى خالصين ..

حاولت الافلات من يده .. لكنه احكم احتضان خصرها وهو يهمس قائلا فى جدية :- سهام ..!!

استكانت فى ثوان وهى تنظر اليه فى تساؤل فرضه نبرة صوته ليكمل هو :- انتِ فاكرة صوح انى ممكن اشكيكى لاخوكى ..!؟.. لم ترد .. ليكمل هو ولا عمره هيحُصل ..

انتى بجيتى مرتى .. ويوم متزعلينى ..

فهتفت هى فى عشق مقاطعةً..مش هايحُصل ..

ليبتسم هو مستطردا فى شوق.. هشتكيكى لسهام..
عندما سمعت اسمها من بين شفتيه بهذا الشوق واللهفة ..نظرت الى عينيه بعيون دامعة فرحا .. ليهمس بصدق وهو يقربها لاحضانه .:- بحبك يا مجنونة ..

****

خرج من غرفة ابيه بعد ان اطمأن عليه .. وظلت الحاجة فضيلة بقربه دافعة إياه خارج الغرفة ليستريح قليلا فى غرفته بعد ذاك العناء الذى لاقاه فى الايام الماضية .. لم تكن تعلم انه احوج ما يكون الان للبقاء بقرب ابيه.. مبتعدا قدر الإمكان عن غرفته الباردة الخالية منها والتى اصبحت ببرودة القطب الشمالي .. عندما ادار مقبضها شعر بخواء غريب يتملكه .. دخل وجالت أنظاره بجوانبها وكأنه يتعرف عليها للمرة الاولى .. واخيرا سقطت عيناه على اريكتها .. تلك الأريكة التى اقسم ذات يوم ان يحرقها حتى لا تجد ملتجأ .. تلجأ اليه الا فراشه.. الان يعتذر لاريكتها اعتذارا صامتا...وكل همه هو وجودها بمحيطه حتى ولو على تلك

الأريكة البائسة التى يمقتها.. تنهد فى حسرة .. وجذب عينيه بعيدا عنها.. واتجه ليحضر ملابس نظيفة .. فربما حماما ساخن يعيد له هدوء نفسه وصفاء باله ..هو يعلم ان ذلك لن يحدث وهى بعيدة .. لكن .. هو يمنى نفسه .. بان إرهاق الايام الماضية .. كفيل بجعله يغوص فى نوم عميق دون جهد يذكر ..فتح خزانة الملابس وهو شارد.. وتنبه انه فتح الجانب الخطأ... انه جانبها .. هل اخطأ حقا .. ام انه أراد التطلع الى اى شئ يتعلق بها .. يذكره بأنها الحاضرة الغائبة .. الحاضرة بقلبه وعقله والمتعلقة بتلابيب روحه ... والغائبة عن محيطه بمحياها الذى يفتقده كثيرا .. كافتقاده ملامح روحه.. طالعه ثوب الزفاف الذى أنتقاه خصيصا لها ... فقد ظل طوال نهاريوم عرسهما يبحث عن ثوب يناسب عنفوانها وروحها المتمردة وعيونها النارية النظرات حتى وجده أخيرا ... وأخذ يتخيلها وهى ترتديه ... لكن الحقيقة .. كانت أروع آلاف المرات .. فعندما رأها وهى تتعلق بيد ابيها وهى تخطر به فى ليلة زفافهما ... لا يعلم لماذا زاد وجيب قلبه .. وشعر بشئ غريب يتسلل

إلى روحه .. شئ لم يستطع ان يجد له تفسراً...وكأن ..

يد رحيمة. كانت تهدهد فؤاده وتواسى روحه القلقة.. وتبعث أملاً... ظن منذ زمن .. أنه ولى بلا رجعة...

أقترب من الثوب يتحسسه.. ويمرر أصابعه على مخمله..

يغبطه... بل يمقته.. لأنه لامسها.. كان قريب منها دونه.. قماشه الحريرى كان يحنو على بشرتها العاجية..

وهو مطرود من فردوسها ولا امل فى مغفرة تعيده ... أحتضن الثوب بين ذراعيه متخيلاً انها لازالت ترتديه.. فتسربت رائحة جسدها المعطر لأنفاسه جعلته يثمل بغير شراب..

يا الله.. هتف متضرعاً وهو يعيد الثوب لمشجبه...

وهو يعترف الف الف اعتراف ...انه بحق يعشقها ..

وسيفعل اى شئ .. اى كان .. حتى يستعيدها مرة اخرى لاحضانه وساعتها .. لن يدعها تبتعد ابدا مهما حدث..

تمدد على فراشه .. يتطلع لسقف الغرفة متنهداً فى يأس

وأغمض عينيه يتذكر محياها ...

لا يعرف متى غفل وزار النوم جفونه مترفقا مشفقا .. كل ما تذكره .. انه رأها هناك تدعوه لفردوسها .. وكلما اقترب يرتشف من نبعه الرقراق.. يكتشف انه سراب ..

انتفض مذعورا .. يتلفت حوله .. مسح وجهه بكفيه يدعو نفسه لطرد النعاس ..عندما انطلقت الزغاريد من جديد فى أنحاء السراىّ .. جعلته يستيقظ كليا .. فنهض فى تثاقل متوجها لخارج الغرفة ينظر لاعلى الدرج ليجد النسوة مجتمعات .. لتجهيز فطار العروس .. والذهاب به لبيت زوجها .. ابتسم فى حبور..

وهبط الدرج فى تؤدة .. يفرك رأسه .. ويلقى بجسده على اول أريكة مقابلة لمجلس الحاجة فضيلة التى ابتسمت له :- نوم العوافى يا حبيبى ..

رد مبتسما:- يعافيكى يا حاجة .. ويسلمك .. حضرتوا فطور العرايس.. !!؟.. ويشير لتلك الصوانى التى تحملها النساء

أومأت الحاجة فضيلة فى فخر :- اومال ايه ..!؟.. فطور ملوكى.. يليج ببت الحاج مهران الهوارى .. وأخوها زينة الشباب ..

انفجر عاصم ضاحكا :- مااشى يا حاجة.. هنا وشفا على اللى هايكله.. مطرح ما يسرى يمرى.. خلى العرايس يتهنوا

سألت الحاجة فضيلة وقد تغيرت ملامح وجهها:- وانت يا عاصم .. ميتا تتهنى..!!؟...

لم يجب عاصم على سؤال امه .. الذى لا يعلم له جوابا ..

وانتفض مبتعدا تتبعه نظراتها المتحسرة حتى وصل لباب السراىّ .. ينادى سعيد .. الذى حضر فى لمح البصر كعادته..:- امرك يا عاصم بيه ..

أمره مشددا:- تفوت على بيوت مشايخ الهوارية .. بيت بيت

وتبلغهم يجمعوا كلهم عندى فى الاستراحة .. اها لحجناهم جبل ما حد يجول عندى مُصلحة ولا حاچة .. جلهم ضرورى وأوعى حد ميچيش .. وأخربيت تفوت عليه بيت عمى غسان ..تاكد على سليم انه ياچى مهما كان وراه .. حاكم انا عارفة..

وجوله الموضوع يخصه .. ومينفعش ميبجاش موچود..

تمام... يا الله هم عشان تلحج..

اندفع سعيد منفذاً الامر بسرعة البرق .. وعاد عاصم لداخل السراىّ .. يجلس على مائدة الافطار التى أعدوها للتو..

-لساتك عايز تفتح الموضوع بتاع واد عمك مع الهوارية .!؟.

- واه .. ده حج يا حاچة ..

-ربنا يجيب العواجب سليمة .. رددت فى همس .. ولم يعقب هو .. بل تناول إفطاره فى عجاله .. يتجنب النظر لعينى امه التى كانت تحاصره تثبر أغوار نفسه .. وما ان انتهى .. حتى نهض فى عجالة يعتلى الدرج وهو يقول لها :- خليكى چاهزة

يا حاچة على المغرب كده .. عشان نروح ننجط سهام ونباركولها.. فهزت هى رأسها موافقة ولم تزد حرفا..

****

الفصل التاسع عشر

استيقظت ندى باكرا على غير عادتها .. ولم تشعر برغبة فى العودة للنوم من جديد.. فخرجت للحديقة المحيطة بدار عمها تستنشق نسمات الصباح البكر المحملة بالهواء النقى ..

والذى ملأت به رئتيها .. تمشت قليلا .. لتفاجأ به يجلس فى أريحية على احد المقاعد الجانبية .. أسفل احدى أشجار المانجو الوارفة .. ونظارته الطبية تصنع اطارا قيما للوحة عينيه العميقة بلون العسل المذاب .. رفع تلك العيون لها الان فجفلت للحظات .. ثم ابتسمت :- صباح الخير ..دكتور نبيل

ابتسم ببشاشة معتادة :- صباح النور .. مكنتش أتوقع انك من اللى بيحبوا يصحوا بدرى ..!!؟..

ابتسمت بإحراج :- بصراحة .. انا فعلا مبحبش الصحيان بدرى .. بس الجو هنا يرغمك .. انك متفوتش الصبح الرائع ده ومتستمتعش بيه ..

-عجبتك بلدنا ..!؟.. سأل فى مرح ..

اجابت عاقدة ما بين حاجبيها :- على فكرة .. دى بلدى انا كمان ..

ابتسم مبتهجا لأجابتها :- انتِ صح ..

ابتسمت فى خجل ولم تعقب .. فاستطرد هو فى تساؤل ..وهو يرى من على بعد .. خيال زهرة .. وهى تتوجه للجانب الاخر من الحديقة .. ويتبعها عمه بعدها بلحظات

..:- عجيبة .. !!؟..

تعقبت نظراته حتى انتبهت لخيال زهرة ووجهتها لتسأله :- ايه هو اللى عجيب ..!!؟..

شرد قليلا وكانما يفكر بكلماته :- انتِ وزهرة .. أختين .. لكنكم مختلفين فى كل حاجة تقريبا .. انتوا حتى مش شبه بعض..

امتعضت وكانما شعرت ان الحوار ينحى باتجاه هى تعلم انه لن يرضيها لكن مع ذلك فضولها دفعها لتسأل :- قصدك ايه!؟.. مش شرط كل الأخوات يكونوا شبه بعض فى الملامح .. ولا حتى فى الطباع ..

هز رأسه متفهما :- صحيح .. لكن على الاقل .. الأساسيات اللى أتربوا عليها واحدة .. القواعد .. النظرة للامور .. عادة واحدة .. و ده بصراحة مش شايفه معاكم ....

احتدت الان وهى تقول :- لو قصدك تقول على طريقة اللبس

وأسلوب التعامل .. فدى حاجة شخصية .. و

قاطعها هو فى هدوء :- مقصدتش ابدا المقارنة على فكرة .. وانا يمكن وضحت فى موقف سابق .. ان دى حرية .. انا بس بسأل يا ترى .. ايه السبب فى الاختلاف ده ..!!.. مش اكتر ..

لم تكن لتستطع ابدا ان تعترف ان سبب هذا الاختلاف هو امها التى كانت تدفعها دفعا للتحرر والانغماس فى مجتمع الشباب .. ولم تكن تكترث لزهرة او توجهاتها .. التى دفعتها لارتداء الحجاب

.. والاحتشام الذى لاقى من أبيهما فرحة غامرة .. لطالما كانت زهرة .. هى حبيبة ابيها والمفضلة عنده .. وهى كانت حبيبة امها والمفضلة لديها .. مما جعل البيت دوما فى حالة انقسام لفريقين .. وجعلها مسيرة فى صف امها .. ومتبعة لتعليماتها .. والتى كانت تحاول بشتى الطرق ان تبعدها عن أفكار زهرة و تأثيرها على حياتها

شعر نبيل بحيرتها وشرودها .. فاشفق عليها من تلك الدوامة التى شعر انه السبب فى زجها بداخلها .. فقال بمرح يجتذبها للحديث من جديد :- يا الله زمانهم حضروا الفطار .. وبصراحة انا جعان جداا..

ابتسمت وقد شعرت .. انه يغير دفة الحديث لارضاءها

فأومأت فى رضا .. وتبعته لداخل الدار ..

****

ربت عاصم على كتف زكريا فى محبة .. وهو داخل غرفة الاستراحة على اطراف إسطبلات الخيل .. هامسا فى ثقة :-

خليك هنا .. وأول ما انده لك كاچى .. جبل كده ما تظهرش

تمام ..!؟؟..

أومأ زكريا موافقا .. وقد غابت عن وجهه ملامح الحياة خوفا .. فربت عاصم على كتفه من جديد مطمئنا :- متخافش .. كل حاچة هاتبجى تمام .. ولو حُصل ايه ..!؟.. مش هيجوموا من هنا الا وهم معترفين بيك .. وبأنك هوارى .. وبن هوارى وحجك فى ورث عمك هتاخده .. بمزاچهم او غصب عنيهم .

ابتسم زكريا فى امتنان لعاصم .. وهذا الاخير يندفع خارجاً لمكان التجمع .. الذى بدأ يحتشد بالهوارية .. وقد ارتفعت اصواتهم متسائلين عن سبب تجمعهم بهذه الطريقة المريبة

والعاجلة .. وقد تعطلت مشاغلهم ومصالحهم ..

هلّ عليهم عاصم .. فالتزم الجميع الصمت .. والذى قطعه عاصم ملقيا التحية وهو يتخذ مكانه فى صدر المجلس .. يجول بناظره فى الجمع المحتشد .. يتأكد من حضور الجميع .وخاصة سليم الذى

لمحه يجلس على اليمين فى الزاوية البعيدة تبدو عليه الحيرة والحنق فى آن واحد ...

سأل عاصم فى صوت جهورى:- انتم عارفينى.. عمرى ما كلت حج حد .. وعمر ما كان ليا عند حد حج وسبته ..وعمر ما فى صاحب حج .. لجأ ليا ورديته.. صوح !!؟..

هتف الجميع بصوت واحد :- صوح ..

فاستطرد هو فى ثقة :- ولما ييجى صاحب الحج ده .. اجرب ما ليا .. ينفع اسيبه من غير ما اخد له حجه..!؟..

هتف الجمع من جديد :- لاه طبعا.. ليضيف احدهم .. بس ايه الحكاية فهمنا ...أيه الفوازير دى كلها يا كبير ..!!؟..

دفع عاصم يده فى جيب جلبابه مخرجا بعض الأوراق .. دافعا بها لأول الأشخاص من على يمينه .. طالبا منه مطالعتها وتمريرها للجميع .. والذى بدأ الفضول يلعب بوقارهم .. لينهض كل منهم دافعا بعينيه للأوراق قبل ان تصل ليديه فيطالعها بنفسه .. وابتدأت الشهقات تعلو .. مع كل يد تمرر الأوراق لليد الاخرى .. وتعلو وتيرة الفضول ..

وعاصم يجلس فى ثقة .. متكئاً على عصاه الابنوسية فى صبر .. ينتظر ان تعود الأوراق ليده من جديد بعد ان تتم دورتها ..

ليقاطعهم هاتفاً :- الاوراج دى صور .. مش الاصل طبعا ..

الاصل انا محتفظ بيه .. ومش هخرجه الا للمحامى لو متحلتش ودى بناتنا ودلوجت وفى الجاعدة دى ..

كان دور سليم .. ليشهق وتجحظ عيناه عندما وقعت على ما تحتويه الأوراق فيصرخ مكذبا :- لاه .. ده كدب .. كله كدب .. أبوى الله يرحمه مكنلوش واد غيرى ..

كان يتوقع عاصم تلك الثورة التى يشهدها من سليم :- اهدى يا سليم .. وكل حاجة هنجشوها بالعجل ..

صرخ سليم مندفعا بتهور فى أتجاه عاصم :- عجل ايه !!؟.. انت خليت فيها عجل يا واد مهران ..

انتفض عاصم من مجلسه فى غضب هادر ممسكا بتلابيب سليم يرفعه بيد واحده ملصقا ظهره بأحد الأشجار .. رافعا إياه عن الارض ..

وهو يكلمه من بين اسنانه :- أسمه الحاج مهران يا عويل ..

واللى لِسَّه حسه بالدنيا .. تاج رأسك ورأس الهوارية كلاتهم

كان سليم الان يشبه الفأر الذى سقط بالمصيدة معلق لا يستطيع فكاكاً .. مما دفع احد المجتمعين للربت على كتف عاصم مهدئا .. :- ميجصدش يا عاصم .. معذور يا واد عمى .. اللى شافه فى الورج مش هين برضك.. نزل واد عمك يا عاصم .. وخلونا نهدا ونفكر .. كيف نحلها الحكاية

المغفلجة دى .. ومين هو زكريا ده .. ووينه من الاساس !!؟

ترك عاصم سليم ليسقط على قدميه ساعلا فى قوة.. يلتقط انفاسه بصعوبة .. رافعا رأسه ينظر فى حقد وغل لعاصم ..و الذى هتف بصوت جهورى ينادى على زكريا

ليظهر الاخير مقتربا من الجمع .. الذى هتف كل من فيه

غير مصدق فى صدمة :- زرزور!!؟..

ليستقيم سليم .. ليكون واحد من الذين أخذتهم الصدمة للحظات .. ثم ينفجر ضاحكا بشكل هيستيرى اقرب للمجذوبين وهو يهتف فى عاصم :- واااه يا واد عمّى ..

فكرة مليحة برضك .. وزرزور اخرس وميجدرش ينطج ويجول الحجيجة .. وأنك انت اللى كاريه .. عشان الحدوتة الخايبة دى اللى ميصدجهاش عيل صغير ..

هنا فاض الكيل بعاصم .. الذى جذب سلاحه من جيب جلبابه

وهو يهتف :- كلمة واحدة زيادة يا سليم وبعدها .. لا انت بن عمى .. ولا اعرفك .. ولا ليك عندى دية ..

اندفع احدهم مهدئا عاصم .. مبعدا يده التى تحمل السلاح عن اتجاه واد عمه ..

ليهتف عاصم وهو يحاول ان يتمسك بالهدوء لاخر رمق :-

زرزور هو زكريا اللى عندكم فى الاوراج .. و ده بشهادة الحاج مهران والحاچة فضيلة .. اللى

شهدوا الحكاية من زمن .. واللى أنكرها طبعا عمى غسان الله يرحمه .. واللى هدد ام زكريا بالجتل هى وولدها لو مخدتوش وغارت بيه من البلد .. واللى طبعا استجارت بالحاچ مهران عشان يحمى ولدها .. وسابته فى رعايته .. وهربت من الخوف ..والاوراج دى كلها اللى معاكوا انا عرضت الاصل على المحامى .. اللى أكد انها سليمة ..و ان زكريا يبجى واد عمى غسان الله يرحمه .. وأخو سليم ..وله حجوج لازم تترد له ..

هتف سليم فى غضب هادر :- اللى هيجرب على شبر واحد من ارضى هجطع رجله .. ومحدش له عندى حاچة ..

تنهد عاصم فى نفاذ صبر موجهاً حديثه لسليم :- برضاك .. او غصب عنيك زكريا هياخد حجه .. وانا كمان ليه منى دار .. يعيش فيها هو وأمه معزز مكرم واحد من الهوارية .. حد عنديه كلمة خلاف اللى جلتها .. ونظر عاصم فى وجوه الجمع المحتشد فى فوضى الان .. ما بين واقف .. وجالس .. ومذهول .. ولا مبال... ولم ينطق احد بحرف واحد .. الا سليم بالطبع

الذى اندفع مبتعدا عن طريق عاصم معتذراً الاستراحة باكملها ..وهو يهتف فى ثورة :- دى كانت اخر جثة فى كومك الكبير يا عاصم .. وبكرة تشوف مين سليم الهوارى ..

لم يعر عاصم اى انتباه لتهديدات سليم الجوفاء.. وصرف ذهنه للهوارية .. الذين حسهم على الترحيب بزكريا كفرد جديد بينهم .. لا يجرؤ احدهم على معاداته او عدم الاعتراف به .. وهو فى حماية ... الغول .. عاصم مهران الهوارى

****

نظر ناجى التهامى لابنته .. التى تجلس الان فى احد اطراف الحديقة تفكر بعمق .. حتى انها لم تنتبه لاقترابه من مجلسها

كم يشعر بالاشفاق عليها .. فلقد ظُلمت كثيرا . ..ولا زال الظلم قائما ..فبقاءها مع عاصم الهوارى .. يعد اكبر ظلم ارتكبه فى حقها .. كان عليه تحمل تبعات افعاله القديمة .. بدل من ان يتركها تدفع هى ثمنها كاملاً ..

انه يشعر بالخزى والعار يكلله .. وقد اتخذ قراره وحزم أمره فلن يعود هذه المرة بدونها .. لن

يتركها مع ذاك الرجل .. حتى ولو كان الثمن حياته ..

تنهد فى عمق وهو يجلس بالمقعد المجاور لها .. فتنبهت له اخيراً .. لكنها أعرضت عنه بنظراتها .. فهذه المرة هى مختلفة .. ليست هى زهرة التى دوماً .. ما تقابله بابتسامتها

البشوش التى لا تفارق شفتيها ..

مد كفه لذقنها يرغمها فى محبة ان تنظر اليه :- فى ايه يا زهرة .. اول مرة تخبى عيونك عنى ..!؟..

طفقت من عيونها الدموع وهى تقول :- ليه خبيت عنى !!؟

طول عمرى كنت حاسة انها مش امى .. الكل يبقى عارف هنا حتى الغريب .. وانا اخر من يعلم مكنتش أتوقع منك كده يا بابا ..

تنحنح فى تأثر محرج ومصدوم فى آن واحد :- فى ظروف كتير يا زهرة كانت بترغمنى انى اخبى الحقيقة دى

لكن اللى عايزك تعرفيه .. انك الحاجة الجميلة اللى سابتها لى امك .. اللى كانت وما زالت حب حياتى

..واللى مقدرتش اعوضها .. واللى بشوف فيكى صورة منها ..

دمعت عيناه .. فرق قلبها ولم تعلق ليستطرد هو :- انا وامك ضحية عقول متحجرة.. وتقاليد عقيمة .. وعادات ملهاش اصل .. لا فى دين ولا سنة .. اتقدمت لاهلها .. ٣ مرات .. وفى كل مرة اترفض واطرد .. وهى تقع من طولها مريضة بالشهور .. كنّا بنموت .. انا وهى .. وروحنا متعلقة ببعض .. ومحدش حاسس بينا .. واخيرا قررنا الهرب .. واننا نرمى كل البلد دى باللى فيها ورا ضهرنا.. كاننا

عمرنا ما عشنا فيها .. ولا عمرنا هانرجعها تانى ..

وهربنا واتجوزنا... وعشنا اروع سنين حياتنا .. قعدنا سبع سنين .. ربنا مرزقناش فيهم بأولاد .. كانت هى بتبكى .. وتفتكر ده عقاب ربنا لينا .. عشان عصينا اهلينا ..مكنتش تعرف ان ده رحمة من ربنا .. لحد ما ربنا كرمنا بيكى ..

لكن .. صمت متأثرا يزدرد ريقه .. ملحقتش تتهنى بوجودك فى حياتنا .. وراحت و سابت لى نسخة تانية منها

... انتِ .. مكنتش اعرف .. لا انا ولا هى .. ان هروبنا بحبنا .. واللى معرفش كان صح ولا غلطة ..بنتنا اللى هاتدفع تمنه .. بعد كده بسنين طويلة ... وان البلد اللى كنت فاكر انا وهى يوم ما هربنا.. ان عمرنا ما هنخطيها...اتارى جذورنا متبتة فى ارضها و رجعنا لها مغصوبين ..زى ما فتناها مغصوبين ...تنهد .. ثم قال فى نبرة هادئة تحمل نبرات عزم .. اعملى حسابك .. انتِ هاترجعى معايا على بيتى النهاردة .. وموضوعك مع عاصم الهوارى ده خلاص

انتهى .. وأعلى ما فى خيله يركبه.. سامحينى يا زهرة ..

انى سبتك ومدافعتش عنك .. بالقدر اللى تستحقيه ..

اندفعت تبرر له .. محاولة ان تقلل من شعوره بالذنب.. والذى شعرت به يمزقه :- متقلش كده يا بابا .. انا اللى اخترت .. وانا اللى وافقت على جوازى منه .. وانا اللى اصريت ومحدش كان ليه ذنب فى حاجة .. وانا مش ندمانة على التجربة دى ..وبالنسبة لرجوعى معاك .. متهئ لى انا فعلا محتاجة ابعد شوية ..

-خلاص جهزى نفسك .. وباذن الله نكون كلنا سوا فى بيتنا النهاردة ..

أومأت برأسها ايجابا .. وعلى الرغم من ان عقلها كان موافق على كل كلمة نطقتها .. وعلى قرارها الاخير بالابتعاد

حتى تستجمع شتات نفسها وتعيد ترتيب مشاعرها المبعثرة

لكنها شعرت بانقباض شديد بقلبها .. وكأن يدا باردة تعتصره

فى قسوة .. اما الم روحها .. فكان قصة اخرى من العذاب

لم تسطع ان تجد لها تفسيرا ..

****

ارتفعت الزغاريد بدخول الحاجة فضيلة بيت التهامية .. والذى اصبح منذ اليوم .. بيت ابنتها سهام .. وفى أعقابها

عاصم الهوارى .. والكثير من الهدايا المحمولة للعروسين ..

اندفع حسام هابطا الدرج .. مرحباً بأهل عروسه .. داعياً الحاجة فضيلة وبنات عمه زهرة وندى .. لمباركة العروس بغرفتها بالطابق العلوى ..

بينما احتضن عاصم حسام مباركاً وعيونه معلقة لا أرادياً بزهرة التى تتجه لأعلى الدرج ولا تعيره اهتماما حتى انه لاحظ أن ملامح ابيها لا تحمل بشاشتها المعهودة وهو يتجنب النظر اليه او حتى المشاركة فى الحديث الدائر..

اخرج عاصم رزمة من الأوراق المالية .. وضعها فى كف حسام هاتفاً وهو ينهض يهم بالرحيل :- نجوط العرايس .. وألف مبروك..

هتف حسام فى امتنان :- بس ده كتير يا عاصم ..

ابتسم عاصم فى حبور :- مفيش حاجة تغلى عليكم .. المهم تحط سهام فى عينك .. وتخلى بالك منها ..

ابتسم حسام :- طبعا .. دى فى عنايا ..

هتف عاصم للجميع وهو يهم بالمغادرة:- طب أستأذنكم أنا..

هتف كل من نبيل وحسام والحاج قدرى ..:- لساتك ما جعدت

ولا خدت واجبك .. و دى تيجى..

ابتسم عاصم :- معلش .. مرة تانية .. ثم توجه للدكتور ناجى هاتفاً :- عايزك فى كلمتين يا داكتور ناجى ..

نهض الدكتور ناجى فى تثاقل وخرجا سويا للحديقة المحيطة بالدار وجلسا فى المقاعد المتطرفة بآخرها .. كل منهما صامت ينتظر المبادرة من شريكه حتى تنحنح عاصم مستهلاً حديثه قائلا :- أنا عارف يا داكتور ناجى ان العلاقة بناتنا بدأت بداية غلط .. بداية كلها انتجام وكره جديم .. وعارف انك مش طايجنى بسبب الموضوع ده .. لكن احنا بجينا نسايب خلاص و ده يأكد ان الموضوع الجديم ده راح لحاله .. وخصوصى.. ان زهرة فى الاول والآخر .. بت خالتى فاطنة الله يرحمها .. واللى حضرتك تعرف زين .. غلاوتها عند أمى الحاجة فضيلة ..

تكلم الدكتور ناجى اخيرا بلهجة معاتبة :- كنت هتوفر علينا كتير يا عاصم .. لو خلتنى أقابل الحاجة يوم كتب الكتاب..

اومأ عاصم براسه مجيبا :- يمكن يا داكتوريكون عندك حج وحاجات كتيركانت اتغيرت ساعتها ... ويمكن كنّا اتمسكنا بكتب الكتاب اكتر .. لان الحاجة ما كانت هتصدج ان بت اختها رجعت لحضنها..

قاطعه الدكتور ناجى منفعلا:- اه بس لو كانت الحاجة عرفت من اول يوم على الاقل كانت معاملتك ليها كانت هاتبقى افضل .. انا زهرة مقلتش اى حاجة .. ولا رضيت تذكر تفاصيل .. بس انا حاسس بالالم النفسى اللى هيا عيشاه .. واللى انت سبب فيه .. وللاسف انا كمان سببه لانى ممنعتكش ووقفت فى وشك وحميتها منك.. وكمان معرفتها ان نصها هوارى خلاها تربط ده بالمعاملة الكويسة اللى لقتها بعد اكتشافكم انها منكم .. ده خلاها حاسة انها ملهاش قيمة عند حد لنفسها .. لكونها زهرة وبس ..

أومأ عاصم برأسه متفهما فقد سمع منها ذلك فى اخر حوار بينهما ذاك الحوار الذى فارقته بعده.. :- عندك حج يا داكتور .. عشان كده .. انا جاى النهاردة .. وبتجدم لك من جديد .. واطلب يدها ..

بهت الدكتور ناجى لهذا العرض المفاجئ .. والذى لم يتوقعه ابدا من شخصية مثل عاصم .. ونظر بتعجب لتلك اليد الممدودة اليه ..لا يعرف هل يقبلها ام يرفضها !؟..

نظر لعاصم الذى ولدهشته كانت ملامح وجهه الان تحمل ابتسامة هادئة .. ورغبة قوية فى السلام تنتظر من يجيبها

مد الدكتور ناجى كفه مترددا وهو يقول :- مقدرش أديك ردى .. لازم اسألها الاول ..هل هى ليها رغبة فى الاستمرار او الرجوع معايا .. وكمان عايز اضمن انها فعلا هاتبقى مرتاحة معاك .. قال كلماته الاخيرة .. وقد اصبحت كفه بالفعل بكف عاصم .. الذى تشبث بها فى راحة وهو يقول فى نبرة صادقة .. وصلت لقلب الدكتور ناجى فأنصت باهتمام :- صدجنى يا داكتور ..لو هى اختارت تجعد وبخطرها مش غصب عنها هشيلها على كفوف الراحة .. مش عشان هى بت خالتى .. لااه .. عشان هى زهرة .. زهرة وبس ..زهرة بت الداكتور ناجى التهامى ..

وصمت ولسان حاله يقول .. زهرة .. التى خطفت انظارى بعفويتها .. وأسرت روحى .. واعتلت عرش قلبى الذى لم ينبض لامرأة قبلها ولن يكون لأخرى سواها ..

ابتسم الدكتور ناجى فى سعادة وقد شعر ان احساس فظيع بالذنب قد انزاح من على كاهله وهو يجيب :- خلاص يا عاصم .. الموضوع دلوقت فى ايدها هى .. هسألها .. واكيد هاتعرف القرار منها ..

نهض عاصم فى سعادة غامرة وهو يشكر الدكتورناجى ..

ويرحل فى انتظار الرد .. الذى يتوقف عليه حياة قلبه ..

خرج منتشيا من دار التهامية .. لديه احساس عميق بأنها لازالت ورغم كل ما كان .. ترغب البقاء بقربه .. وتريده

كما يريدها .. سار الهوينى يمنى نفسه بعودتها وبقرب

وصالهما الذى انتظره طويلا

****

كانت ضحكات النساء تتعالى فى غرفة العروس .. التى كانت سعادتها تقفز من عينيها ..تتلقى التهانى وهدايا الزفاف من زهرة وندى .. والحاجة فضيلة التى شعرت بفرحة غامرة وهى ترى تلك السعادة التى تكسو ابنتها من رأسها حتى اخمص قدميها ..

وبرغم محاولة زهرة الاندماج مع ضحكاتهم ومزاحهم .. الا انها لم تنسى تلك النظرة الجانبية التى شملها بها عاصم وهى فى طريقها لاعتلاء الدرج .. لقد اشتعلت عندما شعرت بنظرته عليها والتى لاحظتها بطريقة خفية .. نعم هى علمت بانه كان مظلوم فى اتهامها له .. وانه اخفى عنها سر امها

بناء على طلب من ابيها وقد احترم عاصم تلك الرغبة ..

لكن هذا لا ينفى عنه .. انه لم يحبها قط لشخصها .. بل اعتبرها دوما ابنة غريمه.. او ابنة خالته.. لم يجردها من هاتين الصفتين ابدا .. لم يعاملها ابدا .. كزهرة .. لم يخبرها قط انه يحبها .. انه يريدها .. انه يتمنى بقاءها .. وحتى عندما أخبرته بذهابها لابيها.. لم يتمسك بها ..

انها الان ايقنت انها اتخذت القرار المناسب بالسفر مع ابيها مبتعدة عنه وعن كل الالم وعن كل التخبط فى مشاعرها والذى عاشته بقربه ..

خرجت للنافذة متسللة بعيداً عن تجمع النساء الضاحك .. وطلبت رقمه بأصابع مرتعشة .. رد على الهاتف فى لهفة حاول ان لا تظهر على نبرات صوته.. وأمر زكريا بالتوقف بالعربة حتى يستطيع سماعها :- كيفك يا زهرة !!؟..

ردت فى نبرة مرتعشة حاولت ان تغلفها بالثبات :- الحمد لله كويسة يا عاصم ..

-طيب الحمد لله .. اجاب .. يا رب على طول بخير ..

اجابت فى تعجل حتى لا تتردد فى الإفصاح عن رغبتها :-

-عاصم .. بعد إذنك .. انا هسافر مع بابا ..

صمت غلفه للحظات .. وبرودة قاسية كست قلبه..

وأجاب بنبرة باردة قدر استطاعته :- هو ده اللى انتى عوزاه!!؟..

-ايوه .. اجابت بصوت مرتعش

-والدكتور ناجى .. عرف بالكلام ده.. !!؟..سأل مستفسراً

-اه .. عارف طبعا ..

صمت قاتل شملهما من جديد ... حتى اجاب اخيرا فى نبرة

ثلجية :- اعملى اللى يريحك يا بت الناس ..

واغلق الهاتف وكاد يلقى به جانبا فى ضيق .. لكنه وضعه فى جيب جلبابه وهو يزفر فى غضب عارم لا يعرف له حد .. عاد زكريا للعربة التى غادرها عندما استلم عاصم مكالمتها التليفونية .. لكن عاصم لم يمهله ليصرخ به :- انزل يا زكريا .. واستنى الحاچة رچعها على السرايا ..

أطاع زكريا وترك العربة على الفور .. لينطلق عاصم وصهيل الأحصنة وهياجها وصل عنان السماء .. معبرا عّن ذاك الغضب المستعر بداخله.. حد الجحيم ..

انها لا تريده .. لا ترغب بقربه .. لا تتمنى البقاء .. تريد الرحيل مبتعدة ..

تروووح...بس تسيب جلبى..صرخ بقوة ..

وهو يلهب الأحصنة بسوطه ..

تبعد ....بس تسيب روحى .. صرخ من جديد..

لتصهل الأحصنة وتصبح اكثر اندفاعاً وسرعة ..

ظلت الأحصنة على سرعتها حتى ألقى أخيرا بجسده على أريكة العربة تاركاً الجوادان يسيران وفقا لرغبتها.. يلتقط انفاسه فى تلاحق ..

بدأت سرعة الاحصنة تهدأ... تسير الهوينى لا تلوى على شئ ..حتى توقفت ..

شعر هو بحركة ما بالقرب من صف الأشجار يساره.. ليتنبه

مخرجاً سلاحه النارى ويقفز فى سرعة مختبأ خلف عربته .. لتنطلق اولى الرصاصات باتجاهه..ليبدأ هو فى تبادل إطلاق النار مع ذاك المجهول.. الذى يغير مكان إطلاقه للنار فى كل مرة .. وفجأة .. دوى ذاك الطلق النارى الذى جعل احد الفرسين يجفل .. ليرفع قوائمه الأمامية فى ذعر .وتنطلق العربة مبتعدة لتترك عاصم بلا غطاء يحتمى خلفه .. ليندفع

باقصى سرعة محاولا الاختباء خلف احد الأشجار الضخمة على الجهة المقابلة .. لكن للاسف كان الرامى المتربص .. هو الأسرع .. ليسقط عاصم وقد اصابته احدى رصاصته التى كان يمطره بها ...وما ان عّم الهدوء المكان .. وتأكد ذاك المجهول من إصابة عاصم ..حتى اندفع حيث سقط عاصم مضرج بدمائه ينحنى يفتش عن شئ ما بطيات جلبابه .. فلا يجده فيندفع متوارياً عن الأنظار فى سرعة ..

****

رِن هاتف زهرة ولم تعره اهتماماً تحاول الاندماج مع النسوة بعد ان حدثت عاصم لقد أعلمته بما تريده وهو لم يعترض على الرغم من شعورها بعدم رضاه من نبرات صوته .. لكنها ستنفذ ما ترى فيه راحتها وسترحل بعيدا ..

اذن لما هى ليست سعيدة ..!؟؟.. او على الاقل لا تشعر بتلك الراحة التى كان من المفترض ان تشعر بها ..!؟.. حقا لا تعلم .. لكن هى ترى ان الابتعاد هو الأفضل فى تلك اللحظة للجميع ..

استمر الرنين ليطالعها اسم عاصم .. فتنتفض مبتعدة للشرفة من جديد لتجيب :- نعم يا عاصم .. ..!!؟؟

لكن على الطرف الاخر لا تسمع الا صوت مبحوح .. لا تستطيع ان تستوضح منه ما يقول .. يا ترى ماذا هناك !!..

ولما هاتف عاصم فى يد غريبة تعبث به .. !!؟..

دخلت فى هدوء مصطنع تنسحب خارج الغرفة حتى لا تشعر احد من النساء بقلقها ثم تندفع فجأة تكاد تسقط من على الدرج وتقتحم مجلس الرجال صارخة :- عاصم جراله حاجة .. فى حد على تليفونه .. ومش فاهمة منه ولا كلمة ..

اختطف حسام الهاتف من يدها وهو يهتف فيه صارخاً:- انت مين ..!؟. مين ..!؟؟. زرزور ..!!؟.. زرزور كيف .. هو انت بتتكلم من امتى ..!؟.. عاصم ماله .. ايه .. طيب انا جاى حالاً ..

كان الجميع يترقب كلمات حسام التى كانت تشبه الألغاز

فاغرين فاهم غير قادرين على استيعاب ما يحدث ..

وأخيراً .. صرخ حسام :- عاصم مضروب بالنار فى اخر البلد ..

لم تكن صرخة زهرة وحدها التى انطلقت.. بل صرخة سهام التى كانت تساعد امها على نزول الدرج استعداداً للرحيل... وصراخ الحاجة فضيلة لوعة على ولدها ..

ارتبك الرجال جراء الصراخ المتواصل المحيط بهم من النساء .. واخيرا هتف حسام .. يا الله بينا نلحجه .. وهتف فى نبيل .. خليك انت يا نبيل .. هنكلمك تجيب الحريم على المستشفى .. الا ان زهرة صرخت :- لا .. مش هستنى .. هاجى معاكم حالا ..

لم يعترض حسام وهو يرى لوعتها .. واندفعوا جميعا للسيارات ..تقلهم حيث عاصم .. يصارع الحياة والموت

****

كان زكريا يمسك بكف عاصم الغارق بالدماء .. هامساً فى صوت متقطع .. كطفل ينطق أحرفه الاولى .. وعيونه تغرقها الدموع :- ها تبجى كويس .. وتجوم بالسلامة يا واد عمى ..

ربت عاصم على خده بحنان :- واه يا زكريا .. قال لاهثا..

وعتتكلم كمان .. يا بحورك الغريجة .. يا واد عمى !!..

ابتسم زكريا ابتسامة شجية مغتصبة ولم يجيب .. ليلهث عاصم فى ألم :- خلى بالك يا زكريا على امى وأختى .. دوول أمانة فى رجبتك ..

تهته زكريا من جديد :- متجلش كده .. هاتبجى بخير .. انا شفت اللى عملها ..

سأل عاصم لاهثا :- مين ..!؟..

-أخوى .. سليم .. انا كنت بچرى وراك .. مسبتاكش زى ما جلتلى.. ووصلت لما بدأ ضرب النار .. اداريت لحد ما شفت سليم بيجلب فى جيوبك على حاچة ملجهاش .. راح چارى .. وانا

چيتك اتصل من على تليفونك .. ودوست معرفش فين .. ردت مرتك ..

لمعت عينا عاصم عند ذكرها .. فهى كانت اخر من رد عليها .. اخر من استمع لصوتها ..

لمعت فجأة اضواء السيارات المقتربة .. حتى توقفت جميعها فى ان واحد .. ليترجل منها الجميع مندفعا لمكان الحادث..

وكانت اولهم زهرة والتى تيبَّست قدماها فجأة وهى تحاول الإسراع اليه .. سبقها الجميع محيطين به حاجبين مرآه عن ناظريها... كان هو يجول بنظره فى الوجوه المحيطة يبحث عن وجهها .. لعله يكون اخر ما يطالع بدنياه.. لكنه لم يجدها بين دائرة الوجوة التى تشرف عليه من علياءها وهو ممدد مضرج بدمائه فاشاح بوجهه جانبا .. كانت قدماها تتحرك بصعوبة حتى وصلت اليه .. افسح لها الجميع لتجثو على ركبتيها تحتضن عاصم فى لوعة بعد ان ترك لها زكريا موضعه .. ليتنبه لتلك الكف التى تحتضن جانب وجهه بارتعاشة لهفة .. فيفتح عينيه بتثاقل وابتسامة فرحة شاحبة ترتسم على شفتيه ..عيونها غمرتها الدموع وهى تضع كفها

على موضع الجرح بصدره .. لعلها توقف ذاك النزف المستمر كان ينظر اليها الان كانما يراها بعد فراق دام طويلا .. يرى تلك اللهفة بعينيها والتى تمنى رؤيتها يوماً.. والخوف على فقده مجسدا على ملامحها التى يعشقها

كانت تبكى بلوعة وحرقة .. لا تعرف ماذا تقول او تفعل .. غير ان تبكى .. وتكرر اسمه بارتجافة .. وتضغط على جرحه لعلها تمحيه .. همس اليها ..

وهو يحمل كفها من جانبه الأيمن المصاب .. ويضعه على

موضع قلبه .. وقد بدأ يتفصد العرق من جبينه :- الچرح هنا يا زهرة اضغطى هنا .. وجفى الوجع اللى چوه .. جبل ما تروحى .. او جبل ما اروح انا ..

همست فى لوعة شاهقة وهى تحتضن رأسه لصدرها :- مش هروح مش هبعد.. هفضل جانبك .. بس قوم بالسلامة

عشان خاطرى ..

ابتسم لها فى وهن و هويفتح عيونه بصعوبة متطلعا لعينيها

هامسا وكأنه يهزى :- واه لما روحك تفارجك وانت لساك حى..روحك اللى كانت مرتك وبجت حبيبتك وبعدها بت خالتك وبعدها واجفة فى صف الدنيا عليك ..

ازداد نحيبها وهى تستمع لكلماته وتزيد من ضم رأسه لصدرها تكاد تموت هلعا لمجرد التفكير فى غيابه عن عالمها

كان كل من الحاج قدرى والدكتور ناجى يقف مبتهلا الى الله فى لوعة حقيقية ..بينما صرخ حسام حانقا :- الإسعاف اتأخرت ليه..!!؟...

لحظات وكانت سرينه الإسعاف يدوى صوتها فى المكان .. بجانب سيارات الشرطة التى أتت على ضوء الحادث ..

اندفعت زهرة بجواره داخل سيارة الإسعاف .. تبتهل الى الله

ان ينجيه .. وقد غاب الان عن الوعى تماما ..

****

الفصل العشرون

رفعت كفها الى وجهها .. تلك الكف المضرجة بدمائه التى جفت ... دماءه الغالية .. ضمت أصابع كفها تعتصرها .. وتحتضن تلك الكف لصدرها .. وهى تقف امام غرفة العمليات الجراحية .. ألجمها الخوف بل الفزع من مجرد فكرة فقده حتى عن الدعاء والابتهال الذى كان يرتج به صدرها غير قادر لسانها عن تكراره... عيناها زجاجية النظرة... فقدت معنى الحياة .. ووجها ازداد شحوباً .. الكل ينظر اليها بشفقة .. وليس بيد احدهم حيلة فى إعادتها لحالتها الطبيعية .. وكيف يمكنهم ..!؟.. هى لن تعود الا بعودته ..

ستكون بخير عندما تعلم انه اصبح بخير .. ازداد دوار رأسها فقد تبرعت بالكثير من الدماء لاجله.. هى ونبيل بن عمها قدرى .. واللذان وافق زمرة

دمهما .. لزمرة دمه .. لقد فقد الكثير من الدماء بالفعل .. ولولا بنيته القوية

لكان اصبح الامرخطراً .. هكذا أبلغهم الطبيب .. متى سيخرجونه من تلك الغرفة الباردة التى ينقبض لها صدرها

وتجعله بعيدا عنها فى عالم اخر فاصل بين الحياة والموت .. تنظر بعين فقدت دمعها كله دفعة واحدة لتصبح جافة جوفاء بلا روح ...لأمه التى تكاد تموت ذعراً عليه .. وعلى اخته العروس التى لم تهنأ بعد بزفافها ولوعتها على اخيها الوحيد .. وماذا عن الحاج مهران .. وهو وحيدا الان !!؟.. هل اخبره احدهم ..!؟.. هل يقوم احدهم على خدمته ..ويسهر على راحته ..!!؟؟

كل عالمها توقف من حولها .. عندما لاح لها شبح مغادرته هذا العالم .. اى عالم هذا بدون محياه ..!!،.. اى عالم يمكن ان تعيش فيه بدون غضبه وحلمه ... حنانه وقسوته .. بدون حبه الذى يأسر روحها ويعذبها .. نعم يعذبها ويؤرقها .. ويدنيها .. ويدميها .. ويسعدها ويشقيها.. انه حب

عجيب .. يفعل بها الافاعيل .. ولا حيلة لها بقلبها ..

جفلت عندما ربت ابوها على كتفها فى إشفاق هامساً فى حنو :- تعالى ارتاحى يا بنتى.. بأْذن الله كله هايبقى تمام .. قولى يا رب ..

همست من اعماق روحها :- يااارب .. وطفقت الدموع لعينيها من جديد.. وهى التى ظنت ان ينابيعها جفت ..

واعتصرت كفها المضرجة بدمائه الى أحضانها اكثر ..

وأخيراً .. فُتح ذاك الباب ..ليندفع الجميع محيطاً بالطبيب الذى ابتسم فى هدوء وهو يقول بثقة :- الحمد لله .. هو بخير وهاننقله لغرفة العناية للملاحظة .. لولا الدم اللى أتنقل له .. كان هايبقى فى مشكلة كبيرة .. بس ربنا سلم ..

تنهد الجميع وتنفسوا الصعداء... واخيرا ظهر على سريره المدولب مدفوعا خارج غرفة العمليات شاحب الوجه .. اندفع الجميع خلفه .. حتى تم ايقافهم خارج غرفة العناية الفائقة .. التى نُقل اليها .. يتابعونه من خلال زجاجها .. موصول بالأنابيب

والخراطيم الطبية المعلقة بذراعيه و صدره العارى .. بلا حول له ولا قوة ..

الليل قد انتصف ولا طائل من البقاء بعد وضعه تحت الملاحظة .. على الجميع الرحيل .. وغير مسموح الا بمرافق واحد .. تطوع الجميع لشغل المنصب .. الا انها هتفت فى حزم :- انا مراته .. وأولى الناس بالوجود معاه ..

هتفت الحاجة فضيلة :- لكن يا بنتى انت واجفة على رجلك من الصبح .. والدم اللى خدوه منك .. لازما ترتاحى ..

قالت زهرة فى وهن محاولة ابتلاع دموعها :- انا راحتى معاه وكمان مينفعش تباتى بعيد عن عمى مهران زمانه قلقان مش عايزينه يحس بحاجة .. ولا ايه !!؟.. أومأت الحاجة فضيلة .. وهى تعلم ان زهرة على حق ..

ازعن الجميع لرغبتها وبدأوا فى الرحيل على مجموعتين .. كان اخر من غادر .. ابوها .. الذى احتضنها فى محبة ..

واخذ يربت على ظهرها عندما شعربنشيج بكاءها .. واخيرا همس بالقرب من اذنها ..:- انا كنت

هرتكب غلطة كبيرة قووى لو كنت بعدتك عن هنا .. بتحبيه .. اخفضت نظراتها عينيها الدامعة خجلا .. وهوكمان بيحبك .. رفعت رأسها بصدمة لتصريح أبيها.. ليكمل مؤكداً بإماءة من رأسه وهو ينظر لعمق عينيها الدامعة ايوه بيحبك للدرجة اللى تخليه ينزل عن عرش كبرياءه .. ويجى يطلب ايدكِ منى ..

تراجعت زهرة خطوة للخلف .. تغلفها الصدمة فاستطرد:- جه يطلب ايدك عشان يرضيكى وميخلكيش تسافرى معايا وقالى اخيرك .. ما بين وجودك معاه ..او الرجوع معايا .. وانا قلتله هكلمك وانت هتبلغيه بنفسك .. وكنت مستنى الحاجة فضيلة تمشى ..عشان أبلغك .. لكن كان اللى حصل حصل .. شهقت وهى تضع كفها على فمها غير مصدقة .. وهى تتذكر كيف كان يرد عليها .. ويسألها .. هل ابوها يعلم برغبتها .. وهى اجابته بنعم .. يا ألهى .. همست من بين شهقاتها .. هو اعتقد ان بعد ما فعل .. لازالت هى تريد الرحيل وكأن ما فعله ليعيد المياه لمجاريها مع والدها .. وتخييرها .. لم يكن ذَا نفع.. ولا يحمل بالنسبة لها .. اى تقدير ..

لم يكن يعلم ابيها ما يجول بخاطرها من أفكار .. وإنما كان يتوقع ان لوعتها ناتجة عن الخبر الذى لم تكن على علم به .. بجانب خوفها القائم بالفعل عليه ..لذا .. احتضن وجهها بين كفيه وطبع قبلة حانية على جبينها .. وقال مشجعا :- هيقوم بالسلامة بأذن الله .. انا اتأخرت على الناس اللى فى العربية تحت .. الصبح بدرى هكون عندك .. وكلمينى فى اى وقت .. لو احتجتى اي حاجة .. سلام يا حبيبتى ..

واستدار مودعاً تاركاً إياها تدور فى دوامة من مشاعر.

تحركت بخطوات متيبسة حتى وصلت لزجاج غرفة العناية .. والذى تطالع محياه الشاحب الان من خلاله ..

تلتصق بالزجاج فى ترجى .. وكانما تتشبث بأستار مقام صالح .. تدعو وتبتهل .. ان يفتح عينيه.. ولو للحظات .. لحظات فقط .. لتخبره انها لن ترحل ابدا .. لن ترحل حتى ولو طلب هو منها الرحيل ..وكيف لها ذلك ..!؟؟...

والرحيل عنه .. هو والموت سواء.. بل ربما أقصى ..

فكيف تغادر روحها .. لتحيا جسدا حى .. ميت..
بلا روح ..

لا تعرف كم وقفت على حالها .. ولا متى انتبهت لصوت طبيب المناوبة الليلة يناديها ..:- انتِ بخير ..!!؟..

انتبهت اخيراً .. محولة عيناها عن محياه من خلف هذا الزجاج البارد لتومئ بالإيجاب .. ابتسم الطبيب مشفقاً

وهو يشير لجسده عبر الزجاج :- جوزك ..!؟؟..

أومأت من جديد .. والدموع بدأت تتجمع فى مقلتيها..

همس الطبيب :- تعالى .. انا هدخلك تطمنى عليه .. بس لثوانى ..

ابتسمت للمرة الاولى وهى تمسح دموعها التى انحدرت بالفعل على خديها .. فتح الطبيب الباب ودلفت هى للداخل خلفه فى وجل .. تقدمت فى بطء تقترب من فراشه .. والطبيب يعاين تلك الأجهزة التى تطن والموصولة بجسده.. وبلا إرادة منها

وضعت كفها فى كفه الممدوكة أمامها مفتوحة .. وكانما تدعوها لذلك ...

وتهمس بصوت يرتجف لوعة باسمه :- عاصم ..

ليتعجب الطبيب فجأة .. من تلك المؤشرات التى بدأت تزداد

على الجهاز الموصول بقلبه .. انتبه فجأة لفراش المريض ليتعجب اكثر .. طلب الطبيب منها الابتعاد قليلا .. أطاعت

بصعوبة .. لتعود معدلات ضربات قلبه لطبيعتها تدريجياً ..

ليطلب الطبيب من جديد منها الاقتراب من عاصم .. وهو يراقب المؤشرات الحيوية من جديد .. وما ان وضعت زهرة كفها بكفه .. وهتفت باسمه .. حتى ارتفعت تلك المؤشرات ..

ليبتسم الطبيب .. عندما همهم عاصم بصوت متحشرج :- زهرة .. انتبهت لهمسه باسمها فقد كانت تعتقد انه استفاق ويناديها فردت بحماس :- انا هنا جنبك يا عاصم ..

ليحرك الطبيب رأسه مؤكدا إنه لم يستفق ويشير لها بان تسبقه بالخروج من الغرفة .. جذبت نفسها عنوة مبتعدة .. ليغلق الباب فور خروجها .. لتتعلق عيناها من جديد بجسده عبر الجدار الزجاجى .. ويقول الطبيب بابتسامة

مشاكسة :- انتِ بقى زهرة .. اللى كان بيخترف باسمها طول العملية ..!!؟.. أومأت بخجل .. ليستكمل مازحا :- واضح انه بيحبك قووى .. ومؤشراته كلها بتتغير بقربك .. على العموم

هو كويس الحمد لله .. وبكرة بكتيره .. ممكن ننقله لاوضة عادية .. فى انتظار الإفاقة .. حمد الله على سلامته ..

قالها الطبيب بابتسامة اخيرة وهو يغادر .. مدندناً بأغنية عن الحب وسنينه .. لتعاود عيناها التعلق من جديد .. بصاحب الجسد المسجى خلف الجدار الزجاجى ..

****

انقسم الجمع .. على سيارتين .. سيارة يقودها حسام وابوه الحاج قدرى .. وبالخلف كانت سهام تنام

باكية فى احضان امها التى لم يتوقف لسانها عن الدعاء ولو للحظة ..

والسيارة الاخرى يقودها نبيل ومعه عمه ناجى وابنته ندى .. والتى زفرت فى تعب :- ايه اليوم الغريب ده .. أوله فرحة وزغاريد .. وآخره ضرب نار .. بجد بلد المتناقضات ..

قال نبيل فى وهن :- هو ده الصعيد يا ندى .. بلد المتناقضات

-انا اللى صعب عليا زهرة ..واضح انها بتحب جوزها قوى .. مين يا ترى اللى عملها ..!!؟..نظر نبيل اليها من خلال مرآة السيارة الداخلية .. فانتبهت .. وحولت نظرتها بعيدا فى خجل .. ليقول ابوها :- واضح ان اللى عملها واحد كان مراقب عاصم كويس قووى ومتربص له .. وبينهم اكيد عداوة .. مين طبعا .. منعرفش .. اللى عايشين فى البلد هم بس اللى ممكن يستنتجوا مين اللى ممكن يعمل كده .. !!؟..

ربنا يقومه بالسلامة ..

يا رب .. هتف كلا من نبيل وندى فى آن واحد .. رأته ندى يفرك عيناه إرهاقًا تحت نظارته الطبية

.. قالت فى إشفاق تعرض مساعدته .. وخاصة لان ابوها.. لا يستطيع القيادة ليلا .:- لو تعبان .. أسوِّق بدالك .. !!؟..

ابتسم فى امتنان .. :- شكرًا .. مش هاتقدرى .. الطرق هنا صعبة وضيقة قووى بالذات بالليل .. وخلاص احنا على وصول ..

وصلوا بالفعل بعد دقائق .. ليترجل الجميع فى وجوم.. ويبدو ان السيارة الثانية لم تصل بعد .. دخل الجميع .. كل لمكانه دون ان يتفوه احدهم بكلمة ..

مرت دقائق .. حتى سطعت انوار السيارة الثانية اثناء دخولها بالقرب من الدار.. ليترجل منها الجميع بدورهم ..

ويكون اول مغادريها .. سهام التى اندفعت باكية للأعلى ..

وحث الحاج قدرى حسام على اللحاق بها ومواساتها..

وعاد لغرفته التى يشاركها واخوه الدكتور ناجى ..

ساد البيت الهدوء التام الا من خطوات متسللة .. دقت بخفة على باب حجرة نبيل .. الذى كان يستعد للنوم اخيرا

فتح الباب ليسأل فى دهشة :- ندى ... خير .. فى حاجة ..؟؟؟

همست وهى تقدم له كوب اللبن الذى كانت تحمله.. والذى لم يتنبه لحملها إياه :- لا .. مفيش .. بس قلت .. يعنى .. اكيد محتاج لكوباية لبن عشان تعرف تنام .. وعشان ..يعنى الدم اللى اتبرعت بيه ..

ابتسم فى امتنان وهو يتناوله منها :- بجد كنت محتاجة فعلا .. دى فايدة أن يبقى فى ست فى البيت .. بعد موت امى الله يرحمها.. عمرى ما حد جاب لى اللبن .. وكان خايف عليا كده..

ابتسمت .. وهى تراه يتجرعه فى تلذذ:- يعنى هو ده بس فايدة الست .. !؟؟..

انتهى من ارتشاف الكوب وقال اخيرا .. :- ابسط الأفعال .. هى اللى ممكن تعبر عن الحب.. ويكون لها صدى يتعلق بالروح.. اكتر من مليون كلمة..

وقفت مشدوهة امام كلماته .. ان الدكتور نبيل قدرى ذو العقلية العلمية يتحدث عن الحب بمثل هذا النقاء والشفافية الروحية.. تنبهت من شرودها على صوت سعال عمها .. الذى وصلهما .. لتلتقط الكوب الفارغ من يد نبيل

وتندفع مبتعدة.. وهو يتبعها وابتسامة مرسومة على شفتيه.

****

دخل حسام غرفته خلف عروسه الباكية .. ليجدها تدفن وجهها فى وسائد فراشهما وجسدها يهتز لوعة من شهقات بكاءها الحار على اخيها .. اقترب فى هدوء يربت على كتفها

فانتبهت .. لتندفع لاحضانه بشهقات عالية أدمت قلبه

ضمها بين ذراعيه فى حنان محاولا التخفيف عنها :- عشان خاطرى كفاية يا سهام .. ده انتِ مبطلتيش بكا من ساعة ما سمعتى الخبر لدلوجت..

هتفت وسط شهقاتها :- ده عاصم يا حسام .. عاصم ..

ربت على ظهرها مهدئا ..لتكمل هى بعد ان هدأت .. عاصم ده مش اخوى وبس يا حسام .. ده ابويا كمان بعد ما أبوى رجد بجى كل حملنا وحمل الهوارية كلاتها على كتافه..

عمره ما جال يا الله نفسى..وشاف حاله زى بجية الشباب.. وحتى فى جوازته .. كانت تخليص حج عشان خاطر امى والهوارية .. ولما اخيرا حسّيت انه مال بجلبه لزهرة .. فرحت وجلت هايرتاح

لكنه اخوى وانا عرفاه .. يموت وعمره ما هيجولها بحبك

عايز المسكينة تفهم لحالها .. كان نفسى يتهنى لكن اها

الحزن دايما جاره..

ابتسم حسام لها بعد ان انتهت من سرد ما بداخلها ليجذبها من يدها تجاه الحمام ليقف يغسل وجهها من اثار الدموع ..

ويعود بها للحجرة من جديد.. ليمد لها يده بأحدى ثمرات الفاكهة الطازجة .. ليهمس لها :- كلى دى يا الله ..عشان خاطرى

-مليش نفس يا حسام .. مش جادرة..

لينظر اليها متصنعا العتاب :- ده انا قلت لك عشان خاطرى

لتبتسم فى وهن وتفتح فهمها تتناول الثمرة من بين أصابعه ..

ليبتسم قائلا فى مرح :- عاصم هيجوم منيها ويبجى تمام ...وبكرة يرمح زى الفرس.. ما انا اها جدامك .. سبجته

وخدتلى رصاصة ومع ذلك كنت بطل وجرتينى الاوضة امبارح وراكى وجطعتى نفسى ..

انفجرت سهام ضاحكة لتعليقه الساخر ليشعر بالسعادة لاستطاعته اخراجها من حزنها .. نهض فى حنان ليدثرها

ويتمدد بجوارها مقبلا جبينها وهو يطوقها بذراعيه هامسا:-

بحبك ..

لتنزوى هى بين احضانه تشعر بالسكينة ..

****

دخلت الحاجة فضيلة السراى .. تترنح من شدة التعب .. عرضت عليها سهام البقاء معها الليلة لكنها رفضت بشدة

وأخبرتها ان مكانها الان لا يكون الا بجوار زوجها..

تحركت بصعوبة لتغلق الضوء الساطع من غرفة المكتب.. قبل صعودها للاطمئنان على الحاج مهران .. مدت يدها لمفتاح الضوء تغلقه وعيونها تقع على الغرفة .. التى لا تطأها الا اقدام عاصم .. وشهقت عندما وجدت الغرفة مقلوبة رأسا على عقب لا شئ بها على حاله .تطلعت لتلك الفوضى وأصبحت على يقين الان ان من اطلق النار على ولدها هو من أتى الى هنا يبحث عن مبتغاه .. كانت تعلم ان فتح موضوع زكريا وارثه لن يمر على خير ابدا .. وقد صدق حدسها.. تراجعت لخارج الغرفة .. وأغلقت الضوء والباب بالمفتاح وحملته معها حتى يعود عاصم على خير وسلامة .. ويرى كيف يمكن ان تُحل الامور ..

صعدت بإرهاق واضح درجات السلم العتيق..
وفتحت باب غرفة الحاج مهران فى بطء.. لحظات واعادت اغلاقها

عندما تاكدت انه يغط فى نوم عميق.. تنهدت بارتياح

واتجهت لغرفتها .. تستعيد احداث اليوم الدامى..
وتطلق العنان لدموعها .. تهدئ من مخاوفها ..
بدعاء صادق من قلب ام يرتجف هلعا على فلذة كبدها ..

****

كانت تجلس على احد تلك المقاعد المتراصة امام باب غرفة العناية ..ويبدو انها نامت .. من شدة إرهاقها وتعبها .. ولم تع الا وهى تنتفض .. عندما سمعت صوته يناديها فى وهن ..اندفعت تنظر اليه من خلال الجدار الزجاجى .. لابد انها تحلم .. فهو راقد على حاله لم يستفق بعد .. أغمضت عينيها فى حسرة .. كانت تتمنى ان تجده قد استفاق ..

فتحت عيونها بزفرة حزن وتطلعت اليه من جديد .. ليرتفع وجيب قلبها أضعافا مضاعفة عندما

وجدته ينظر اليها الان وعلى وجهه ملامح واهنة شاحبة ..

ألتصقت بالزجاج اكثر .. وكانما تريد ان تتخطاه لتصل اليه لتتأكد من استفاقته لكنها انتبهت لإحدى الممرضات .. فهتفت بها طالبة حضور الطبيب ..

وصل الطبيب بالفعل .. ولكن مع وصول الجميع .. ابوها وعمها .. والحاجة فضيلة .. وسهام وحسام ونبيل وندى

والذين تجمهروا جميعا .. على غير رغبة الطبيب .. للاطمئنان عليه .. هى .. وهى فقط .. التى كانت تقف وحيدة فى احد اطراف الغرفة .. لا تستطيع الحراك .. او الاقتراب..

امر الطبيب بنقله لغرفة عادية .. ليجتمع الكل حوله من جديد

وتظل هى على حالها .. بعيدة قريبة ..

أعصابها تشتعل .. طوال ساعات .. حتى انتهت الزيارة اخيرا و رحل الجميع فى فرحة لسلامة عاصم ونجاته..

نام هو .. من اثر العقاقير التى يتناولها والتى تدفعه دفعا للنعاس.. لتدخل هى اخيرا للحمام.. تبدل ملابسها .. و تخرج تتطلع اليه من جديد ثم تتمدد على فراش أخر فى الطرف المقابل للغرفة بعد تلك الليلة المرهقة التى قضتها امام غرفة العناية ..غلبها النعاس .. فنامت .. لا تعرف كم من الوقت استغرق نومها .. الا عندما استيقظت

بسرعة بسبب طرق على باب غرفة عاصم .. كانت احدى الممرضات .. تدفع لها صينية من طعام .. مع بعض العقاقير التى يجب عليه تناولها بعض إطعامه ..

تناولتها زهرة .. وأغلقت الباب ..

لتجد من يقول أمرا فى وهن :- ابجى أجفلى الباب بالمفتاح ..

واتأكدى انك حاطة حجابك جبل ما تفتحى..

جفلت حتى كادت تسقط صينية الطعام من يدها فلم تكن تعلم انه استيقظ وزاد وجيب قلبها حنانا عندما طالعت وجهه الشاحب .. وابتسمت فى براءة وقد اكتشفت انها اندفعت تفتح الباب وهى لاتزل بغشاوة النوم فنسيت وضع حجابها

فقالت فى مودة :- حاضر ..

أشاح بوجهه عنها .. لكنها لم تعطيه الفرصة ليفعل .. فلقد استدارت تواجهه.. وهى تحمل صينية الطعام ..

ابتسمت فى مرح :- لازم تاكل عشان الدوا ..

اجاب وهو يشيح بوجهه من جديد :- ماليش نفس ..

قالت فى دلال :- حتى لو قلت لك انى هأكلك بايدى..!!؟..

اجاب بجفاء :- برضه ماليش نفس ..

صمتت هى .. لانها تعلم .. ان معه كل الحق فى ان يكون غاضب منها لهذا الحد فهو لم يعلم بعد سوء التفاهم الذى حدث .. لم يعلم بعد انها لم تكن تدرى بما اقدم عليه لاجلها

الا البارحة بعد الحادثة ..

هو معذور فى غضبه وحنقه ورغبته فى تجنبها .. لكنها لن تعطيه الفرصة ليبعدها عنه من جديد .. مهما كانت الأسباب .. وفى الوقت المناسب ستخبره الحقيقة كاملة ..

وضعت صينية الطعام جانبا فاعتقد انها كفت عن ملاحقته بها ..وبدأ يتنفس الصعداء لابتعادها فقربها يوتره .. ويدفعه دفعا ليشعر بالحنين لاحضانها الدافئة التى يتوق اليها فى تلك اللحظة كمن يتوق دواءا عزيز المنال .. لما لا تبتعد وتتركه لحاله .. !!؟.. أليس هذا ما كانت تريده ..!!؟؟.. لما لم تنفذ .. وتبتعد مجنبة إياه تلك اللوعة التى تلهبه فى قربها ..!؟..

كفاه منها اشفاقا على حاله .. هو لا يريد شفقتها .. هو يريد حبها .. حنانها .. تفهمها .. هو ..يريدها ..

جفل عندما وجد موضع رأسه يرتفع فى بطء .. نظر ليجدها تضغط على احد الروافع فى مقدمة الفراش .. ثم تتجه اليه

تنحنى عليه .. لتعدل من الوسادة خلف ظهره فى بطء شديد حتى لا تؤلمه .. اللعنة .. ان اقترابها بهذا الشكل .. وعطرها

اللطيف الشذى يكاد يسكره.. فيضعف مقاومته وصلابته

تجاه سيطرتها الاخاذة.. أشاح بوجهه عنها من جديد .. لتعود هى بصينية الطعام تضعها على فخذاه.. وتصعد بالقرب منه

جالسة على اطراف الفراش.. تتناول بعض اللقيمات بأصابعها تقدمها اليه .. أعاد رأسه لوضعها ناظراً الى كفها الممدودة للحظات يقاوم الرغبة فى إلتهام تلك اللقيمة من يدها .. واخيرا انتصر .. واشاح بوجهه من جديد رافضاً الطعام كطفل مشاكس..

لم يكن يتوقع ما فعلت .. فلقد مدت كفها .. وأدارت وجهه باتجاه كفها الممدودة بالطعام .. وما ان نظر لعينيها الباسمة حتى فتح فمه لا أراديا دون أدنى اعتراض.. لتقذف هى بلقيمتها فى فمه وتهبه ابتسامة جديدة كهدية لانه احسن التصرف ..

لا يعرف كيف حدث هذا .. .. وهو ينظر لتلك الصحون الفارغة .. ولا يدرى متى تناولها .. !!؟..كادت ان تطفو ابتسامة شاحبة على اطراف فمه.. لكنه وأدها .. ليعاود تركيب ذاك الوجه الجليدى الملامح.. وقد أقر انه نال كفايته

من سيطرتها على أعصابه .. فعاد واشاح بوجهه من جديد

متظاهرا بالنوم من اثر الدواء الذى تناوله منذ قليل .. لتتركه لحاله .. تتركه يشتاقها من جديد.. وهى على بعد خطوات قليلة من فراشه ..

****

هتفت الحاجة فضيلة.. عندما وقعت عيناها على ولدها عندما دلفت لداخل حجرته.. :- الله اكبر .. عينى عليك باردة .. زى الفل ما شاء الله ..

التقط عاصم كفها.. مقربا إياه يقبله فى محبة :- كيفك يا حاچة .. وازى أبوى .. اوعاك يكون عرف حاچة.. !!؟..

ردت فى جدية:- لاه .. متخافش معرفش .. الدوا الاخير اللى الداكتور كتبهوله .. بيخليه ينعس كتير .. ولما بيسأل عليك بجوله .. يا اما مشغول .. يا اما سافر يومين ..

هز رأسه :- طيب الحمد لله ..

سألت زهرة فى مرح :- امال فين الباقيين .. محدش جه ليه!!؟؟...

ردت الحاجة فضيلة :- انا جلتلهم كفاياهم .. يشوفوا مصالحهم .. وعاصم الحمد لله اها بجى كويس.. كتر خيرهم..

سأل عاصم بفضول :- اومال انتِ جيتى مع مين ..!!؟..

هتفت الحاجة فضيلة :- واااه ... نسيته بره .. ده زكريا هو اللى جابنى .. وهايتجنن عشان يشوفك ..

فتحت الباب تنادى على زكريا .. الذى ما ان دلف للداخل

حتى اندفع باتجاه عاصم يقبل رأسه .. ابتسم عاصم فى حبور لمرآه هاتفاً فيه بحنو عندما رأى دموعه :- واااه .. راجل يبكى !!؟.. خليك شديد يا زكريا .. زى واد عمك..

همس زكريا من بين دموعه.. :- سامحنى .. انا السبب ..

ربت عاصم على كتفه :- لاه .. منتش السبب .. سليم كان ناويها.. وبعدين انت من ميتا بتتكلم .. !!؟؟.. سأل عاصم متعجباً

ليرد زكريا :- الخوف.. الخوف يا واد عمى..
يخليك متنطجش حتى ولو مكنتش اخرس.. يخلى عيل صغير ينسى الكلام عشان يعرف يعيش ..
ومتكلمتش الا عشانك .. عشان ألحجك ..

ربت عاصم على كتف زكريا غير مصدق ما يسمع حتى

هتفت الحاجة فضيلة :- نسيت اجولك يا عاصم ..
ليلة الحادثة الله لا يرجعها.. رجعت السرايا ..
لجيت المكتب مجلوب فوجانى تحتانى .. مرضتش حد يدخل ينضفه .. جفلته.. لحد لما تعاود السرايا بالسلامة من غير شر ..

-انا عارف مين اللى عمل كده.. وكان بيدورعلى ايه ..!؟.

بس الورج اللى بيدور عليه .. مش هيلاجيه فى النجع كله..

والله يا سليم اتچرأت .. ودخلت السرايا ولا الحرامى..

أخرتك جربت..

أدارت الحاجة فضيلة حديثها لزهرة :- خدى يا بتى .. الشنطة دى .. فيها كل اللى طلبتيه .. عشان اليومين اللى

باجيين ليكم هنا ..

استلمت زهرة منها الحقيبة قائلة :- تسلم ايدك يا حاجة ..

تعبتى نفسك ..

-تعبكم راحة .. السرايا من غيركم متطاجش.. ربنا يرجعكم بالف سلامة ..

استأذنت الحاجة فضيلة تبعها زكريا للعودة من اجل الحاج مهران ..

وضعت زهرة الحقيبة على فراشها .. فتحتها وأخرجت منها بعض الملابس والأدوات .. ووضعتها جانبا ..

سمعت حركة خلفها على الفراش .. استدارت لتجد عاصم يهم بالنزول من على فراشه .. اندفعت اليه تمنعه هاتفة :- بتعمل ايه ..!!؟؟..

رد بخشونة وهو يدفع ببطء كفاها التى تلامس جلد كتفيه .. فيشعر بحريق مكان لمساتها ..:- ملكيش صالح ..!؟..

ردت متصنعة الحنق :- يعنى ايه مليش صالح !!؟..

اعتقد انها لم تفهم المعنى فقال بنزق يسخر منها :- معرفاش يعنى ايه ..!!؟؟.. اه صحيح ما انا نسيت تربية باريس مش هاتفهمى لغوتنا.. ثم عدل من صوته بنبرة رفيعة ساخرة مقلدا اللكنة القاهرية متلكئاً..:- يعنى ملكيش دعوة ..

وضعت كفاها على جانبىّ خاصرتها وقالت فى سخرية :- على فكرة انا عارفة معناها كويس ولا انت نسيت .. ثم غيرت نبرة صوتها وبلهجة صعيدية صحيحة هتفت:- انا برضك صعيدية .. يا واد خالتى..

أشاح بوجهه محاولا مداراة ابتسامة تصارعه لترتسم على شفتيه .. واستطاع ان يغلبها ليعاود النظر اليها من جديد وملامح وجهه تنطق بالبرود الذى اجاد اصطناعه.. وهو يتفرس فى وجهها مسلطا نظراته تأسر عينيها :- دلوجت واد خالتك .. !!؟.. من ميتا.. !!؟.. روحى لحالك .. وسبينى ..

شعرت بمدى الالم فى كلماته .. فتألمت بدورها لكنها جذبت نفسها تحضر خفه المنزلى وهى تهتف به قبل ان تلمس قدماه الارض :- طب استنى ..

هتف فى ضيق ونظراته معلقة بسقف الغرفة فى تضرع :- عايزة ايه تانى .. !!؟؟...عايز اروح الحمام .. كل ده عشان خطوتين للحمام .. !!؟؟...

اخفض نظراته عندما شعر بها تحت أقدامه .. تضع له الخف بقدميه ..

لمساتها .. واهتمامها .. وحنانها .. يفعل به الأعاجيب .. وللمرة الألف يبتهل .. لما لا تدعه لحاله!!؟..

نزل من الفراش متجاهلا يدها الممدودة لمساعدته.. يتماسك حتى يصل للحمام بدون مساعدتها .. بدون لمساتها .. بدون شفقتها.. التى تقتله..

وصل بعد جهد مضنٍ.. وجلست هى بالخارج فى انتظاره.. ترتب الأغراض التى احضرتها الحاجة فضيلة.. فى خزينة الملابس القابعة فى احد أركان الغرفة..

لم تشعر به فى البداية عند خروجه .. لكن احتكاك خفه بالأرض فى تثاقل .. جعلها تستدير فى سرعة .. فى الوقت المناسب لتلحق به وهو يترنح غير قادر على المحافظة على اتزانه .. بذلت جهد بالغ .. حتى تستطيع ان تصل به

بخطواته المترنحة حتى اطراف الفراش..

ساعدته حتى استطاع التمدد اخيرا وهو يلهث .. وكانت هى تلتقط انفاسها بالضالين وهى تسأله فى إشفاق ..:- انت كويس..!!؟.. انادى الدكتور..!؟؟.

أشار بيده :- لاااه.. انا هنام .. وهبجى تمام ..

جذبت الغطاء عليه ووضعت كفها بتلقائية على جبينه الذى كان يتفصد عرقاً .. لكن .. حرارته كانت معقولة .. فاطمأنت بعض الشئ وتركته.. لتعود لفراشها المجاور .. تتمدد عليه وهى ساهمة تشعر بالقلق عليه .. ولم تكن تدرى .. انه يتطلع اليها .. بعينى ذئب ينام واحدى عينيه مغلقة والأخرى .. يراقبها من خلالها .. وهو يفكر فى أسى مخاطباً نفسه : مكتوب عليها البعاد .. هنا وفى السراىّ .. وكانى استبدلت الأريكة اللعينة .. بذاك

الفراش الاحمق .. تبدلت الاماكن .. لكن عذابى كما هو لم يتبدل.. لازال العذاب واحد فى الحالتين

أغمض عينيه .. وراح فى نوم عميق .. لا يعرف كيف تسلل

الى جفونه المرهقة .. !!؟؟..

****

الفصل الحادى والعشرون

-اسمك الرباعى .. وسنك !!؟.. سأل وكيل النيابة فى جدية

اجاب زكريا فى حروف مترددة .. مرتجفة .. فهو عندما يتعرض لضغط ما .. ترتجف حروفه .. ويتلعثم :- زكريا غسان صادج الهوارى .. سنى ٣٤سنة..

-تعرف ايه عن اللى حصل ساعة الحادثة ..!!؟..

-واد عمى عاصم .. طلع بالكارتة جرى .. وجالى خليك عشان ارجع الحاجة فضيلة امه من عند نسايبهم.. لكن انا چويت ورا الكارتة .. ونزلت اداريت لما بدأت سرعتها تهدى وفجأة وجفت الكارتة .. وسمعت ضرب نار ..ورد عاصم بسلاحه .. بس اللى ضربه عرف يطوله .. فصابه وهرب .. وانا جريت عليه ..واتصلت بنسايبه عشان يلحجوه.. هو ده اللى حُصل يا باشا

سأل وكيل النيابة فى اهتمام :- انت اتعرفت على شخصية القاتل ..!!؟.. يعنى عرفت هو مين ..!؟..

اومأ زكريا بالإيجاب .. مما دفع وكيل النيابة لسؤاله فى لهفة :- هو مين ..!؟؟..

تلعثم زكريا بشكل واضح ..وهو يجيب :- سليم أخوى ..

-أخوك !!؟.. سأل وكيل النيابة فى تعجب.. مستطردا .. وليه يعمل كده فى بن عمه .. !!؟..

-دى حكاية طويلة يا بيه .. لو عندك وجت اجولهالك.. !!؟..

جلس وكيل النيابة فى إنصات وهو يدعو زكريا .. ليقص عليه القصة منذ البداية .. دون ان يغفل اى تفاصيل .. مهما كانت بسيطة ..

****

ما كل تلك الأحلام الذى راودته فى نعاسه.. احلام وخيالات

كلها تنصب عليها .. فهى تحتله كليا .. تحتله حد غزو احلامه .. فلا تكون الا متمركزة حول محياها ..

رفرف بأهدابه .. وهو يشعر بثقل عجيب يجثم على قدميه

و دفء عجيب يشمل كفه الأيسر ..

فتح عينيه الان على اتساعهما وهو يراها منكمشة على نفسها تمد كفها تضعها فى احضان كفه الأيسر .. ورأسها تلقيها على قدميه.. وشعرها المبعثر فى فوضى .. تغطى بعض خصلاته ملامح وجهها ...

رفع كفه عن كفها فى حذّر ولانت قسمات وجهه وهو يمد يده يحمل تلك الخصلات بعيدا عن محياها.. لتنكشف ملامح وجهها الصبوح .. شعرت هى بلمساته .. فاستيقظت دون ان تفتح عينيها .. تمتع روحها بلمساته الحانية .. بديلا عن جفاءه المشروع معها فى الايام الماضية ..

اذن ما رَآه فى احلامه .. كان حقيقة .. كان الالم يعتصره

يتأوه ... ويتأوه .. احضرت هى الطبيب بعد ان استيقظت فى فزع عندما ادركت مسامعها تأوهاته..أعطاه الطبيب مسكنا

قويا .. وجلست هى تحت أقدامه .. ليستيقظ فيجدها على هذه الحالة الرائعة .. ليتطلع لملامحها الناعسة بحبور هامسا فى نفسه .. يا له من صباح رائع ..!!.. فتحت فجأة عينيها.. لتتوقف كفه فى منتصف

طريقها مبتعدة عن خصلاتها التى كانت تمسدها ويصدم بنظراتها المفعمة بالبسمة وهى تقول :- صباح الخير..

استفاق من صدمته سريعا .. ليحول نظراته عنها .. مضطربا وهو يقول فى صوت أبح:- صباح النور.. ليستطرد ...واضح انى تعبتك امبارح .. ..؟!!

نهضت فى تثاقل .. وابتسامتها وشعرها الغجرى .. يثير جنونه .. ولا تعب ولا حاجة .. المهم .. انك بخير ..الحمد لله

واستطردت .. اكيد انت جعان ..

كان يتضور جوعا بالفعل لكنه قال :- مش جووى ..

لتهتف هى فى جزل :- استنى .. هعمل لك كباية شاى بالحليب .. ومعاها فايش جابته الحجة امبارح... لحد ما يجى فطار المستشفى اللى ملوش لازمة ده ..

لم يستطع ان يدارى ضحكاته فابتسم هاتفاً فى سخرية :- شايف انك بجيتى بتحبى اكل الصعيد اها

.. الله يرحم يوم ما جبنالك الداكتور بسببه يوم الصباحية ..

انفجرت ضاحكة .. مما جلب له المزيد من السعادة وهى تقول :- انا متعبتش من الاكل .. انا تعبت من الكمية اللى انت اكلتهالى ...كل اما اقولك شبعت .. تزغرلى وتقولى كولى.. وانا بصراحة كنت عايزة اتقى شرك .. والليلة تعدى على خير .. واستمرت ضحكاتها .. على عكسه تماما .. فقد انقلبت ضحكاته لوجوم .. مما استرعى انتباهها .. لتستدير لمواجهته.. فيسألها فى صدق :- هو انا كنت جاسى جووى كده ..!؟؟..

صدمها سؤاله الذى لم تتوقع ابدا .. ان يخطر بباله ويطرحه على مسامعها فى يوم ما .. حتى انها احتارت بما تجيب ..

لكنها اجابت :- عايز الصراحة .. كنت بكرهك ساعتها ..

سأل بلهفة :- طب ودلوجت ..!!؟..

انفجرت ضاحكة وهى تقول :- دلوجت تفتح بقك وتآكل دى .. وهى تضع قطعة من المخبوزات

الصعيدية المسماه بالفايش فى فمه .. فيعقد ما بين حاجبيه فى غيظ ..

و ضحكاتها تعلو .. لمرآى محياه العابس

****

دخل كل من نبيل وندى والدكتور ناجى لحجرة المشفى لتوديع عاصم .. قبل سفرهم للقاهرة بعد ان اطمأنوا عليه

- الحمد لله انك قمت بالسلامة .. هتف الدكتور ناجى .. وهو يربت على كف عاصم فى حنو غير معهود من جانبه تجاهه ..

ابتسم عاصم فى حبور ..تسلم يا داكتور .. ربنا يخليك

وتوجه بحديثه لنبيل قائلا بامتنان :- بتشكرك يا داكتور نبيل .. لولاك مكنتش عارف هبجى فين دلوجت ..!؟؟..

ابتسم نبيل ابتسامته الهادئة المعتادة وهو يقول :- شكر ايه بس .. احنا اهل و مفيش بينا الكلام ده .. وبعدين انا معملتش حاجة .. زهرة اللى قامت بالواجب كله تقريبا .. ومكنتش عايزة حد غيرها

يتبرع لك بالدم .. انفجر الجميع ضاحكين .. انا خدت مكانها بالعافية لما الدكاترة خافوا عليها ..

لم يكن عاصم على علم بذلك .. اذن هى من أعطت له من دمها .. وهبت له حياة جديدة .. اصبح دمها يجرى بأوردته وشراايينه... اما كفاها انها تحتل روحه وتغزو مخيلته ليل نهار .. حتى يتدفق دمها بين كل نبضة من نبضات قلبه معلنا انه لها .. وانها مليكة ذلك الخافق بلا منازع .. كان ينظر اليها الان .. وكأن ما من احد فى الكون بخلافهما.. حتى ان الدكتور ناجى ابتسم بحبور وهو يهتف مخرجا عاصم من شروده فى محياها :- طب احنا جينا نسلم عليكم قبل ما نسافر .. وترجعوا بيتكم بالسلامة

قال كلمته الاخيرة وهو يغمر بطرف عينه لابنته زهرة التى كسى الخجل وجنتيها بلون احمر قان .. وعلت وجهها ابتسامة محببة وهى تقبل ابيها مودعة .. وتشكر نبيل فى امتنان حقيقى .. وتحتضن اختها ندى .. التى تمنت لو انها قضت معها فترة أطول قبل ان تتداعى الأحداث بهذا الشكل ..

رحل الجميع فى سعادة .. وكلمات ابيها على باب الغرفة

والتى القاها على مسامعها وهى تودعه .. ترن بعقلها ..

وتستقر بقلبها ..

" يوم ما روحت لأهل امك عشان أتقدم لها مرة واتنين وتلاتة وانا عارف انى هترفض .. مكنش استقلال بكرامتى .. كان حب وتقدير ليها لاخر لحظة .. وهو ده اللى عمله جوزك .. جه لحد عندى .. عشان يرد لك كرامتك اللى هو جرحها بعملته .. عايز يصلح غلطه من غير ما يفقدك .. عارف ان ده اللى ممكن يرجعك ليه

حسسيه انك مقدرة اللى عمله .. وساعتها .. عمره ما هيقدر على بعدك .. وهاتفضل كرامتك متصانة معاه دايما"....

****

صرخت الحاجة رتيبة فى ابنتها سمية بغضب ... بعد ان داهمت الشرطة دارهم .. يبحثون عن سليم .. او اى شئ يتعلق بالحادثة :- جلت لكم

انت واخوكى بلاها السكة دى .. مسمعتوش كلامى .. اهاا لا انتِ طولتى واد عمك اللى وجفتى حالك عليه .. ولا اخوكى طال بتهم ولا الورث اللى كان طمعان فيه .. واخرتها... ينجلب الدار تفتيش على اخوكى بعد عملته السودا .. خلاص يا سمية

بجيتى اخت جتال جتلة رسمى .. والحكومة بدور عليه..

اخوكى راح .. وانت كمان .. هتجعدى جارى .. ومفيش حد فى النجع كله .. هايرضى يناسبنا .. ويطلب يدك ..

صرخت سمية :- بكفياكى ياما .. وهو انا كنت اعرف انها ممكن توصل لكده .. وان سليم يفكر يجتل عاصم ..

صرخت الام من جديد :- عجله شت بعد ما عاصم جابله الاخرس ده .. يجوله ده اخوك .. وهيجاسمك فى الجرشين اللى فاتهملولك ابوك.. بعد ما الله يرحمه كان ضيع ماله كله على الحريم .. وفى الاخر اهاا يطّلع لنا واحد .. يجول انا ولده .. وتضيع سمعتنا .. وتضيع فرصتك فى

چوازة زينة .. تعدل حظك المايل .. ويبجى لنا بيها راجل .. يوجف للخلج فى غيبة سليم ..

ضربت سمية على رأسها بكفها فى لوعة :- يعنى خلاص .. مش هشوف اخوى سليم تانى .. وهفضل كده زى البيت الوجف .. ثم هتفت متذكرة ..بس لاه .. ما عدلى واد محروس الهوارى .. كان طالبنى من اخوى .. ومردناش عليه ..

هتفت الام فى حسرة :- دى اخرتها يا بتى.. عدلى واد نجاة.. اللى الكفر كلاته يعرف انه واد أمه .. مابيتحركش الا بشورتها .. دى اخرتها يا سمية .. !!؟..

بكت سمية فى حرقة :- طب هعمل ايه طيب .. !!؟.. يا مرك يا سمية .. كان مخبيلك الهم ده كله فين ..!؟؟..

تركتها امها .. وتحركت ببطء باتجاه الدرج .. تعتليه فى صمت وهى تتمتم فى حسرة .. يا ميلة بختك فى عيالك يا رتيبة .. يا عمرك اللى ضاع هدر .. يا رتيبة ..

****

وضعت حجابها على رأسها وفتحت باب غرفة المشفى للطارق .. والذى كان احدى الممرضات التى تتناوب على احضار الطعام او قياس الضغط وإعطاء بعض المسكنات..

أدخلتها زهرة مرحبة .. لتقترب الممرضة من عاصم تقيس حرارته وضغطه هاتفة فى مرح موجهة حديثها لزهرة :- انتِ بجى زهرة ..!!؟.. أومأت زهرة برأسها ايجابا وهى على يقين من كلماتها التالية والتى سمعتها مسبقا من الطبيب المناوب ..لتكمل الممرضة وهى توجه حديثها لعاصم وهى تضع بين شفتيه مقياس درجة الحرارة

والذى بدأ يغلى عندما استطردت .. بصراحة عندك حج تهلوث بيها .. ومتناديش غيرها طول ما انت فى البنچ

عند هذه النقطة احتقنت ملامح عاصم وقذف بمقياس الحرارة من فمه.. وهو يدفع نفسه دفعا حتى يصل لاقصى درجات ضبط النفس ولا يخنق تلك الممرضة بيده السليمة على ما تتفوه به من حقائق يود لو ينكرها ..

انجزت الممرضة مهمتها لتستوقفها زهرة واضعة بكفها

عدة اوراق مالية لتهتف فى فرحة :- يجوملك بالسلامة

وتفرحوا باولادكم ..

نظرت اليه زهرة وهى تؤمن سرا .. وعيونه تنأى عنها .. وما ان خرجت الممرضة حتى اقتربت منه تشاكسه :- كنت بتهلوس بيا .. صحيح ..!!؟..

نظر اليها متصنعا الحنق :- وانا ايه عرفنى .. هى اللى بتجول ..وبعدين دى خترفة بنچ .. يعنى اى كلام ..

ابتسمت وهى تتطلع الى اعماق عينيه هامسة :- خترفة البنج .. بتبقى اكبر حقيقة عايز يداريها البنى ادم حتى عن نفسه ..

سحب نظراته بالضالين بعيدا عن عينيها .. وهتف ليغير مجرى الحديث :- أنا جعان ..

انفجرت زهرة ضاحكة وهى تعلم تماما انه ليس بجائع

وان هذه هى حجته التى فطنت اليها والتى يستخدمها دوماً ليغير وضعاً ليس على هواه والتى استخدمها سابقا ليغير موضع نومها من غرفة اخته سهام الى غرفتهما ..

هتفت من بين ضحكاتها :- حاضر .. اى أوامر تانية جنابك..!!؟؟ .. ليحرك هو رأسه رافضا غير راغب فى متابعة الحديث الذى يعرى حقيقة مشاعره أمامها ..

****

لماذا يتجاهلها ..!؟؟. منذ عادوا جميعا من الكفر وهو ينأى عنها .. حتى انه لا يناقشها فى محاضراته كما كان يفعل فى السابق قبل ان يكتشف انها ابنه عمه.. كانت تتوقع تقارب اكثر .. لا تباعد بهذا الشكل السافر..

خرجت من الجامعة .. شياطين الدنيا تتبعها فى غضب

تضغط على السيارة باقصى سرعة تملكها رغبة فى تفريغ

طاقة الغضب التى تختزنها لإهماله إياها ..

لكن .. يبدو ان السيارة لم تحتمل هذا الضغط الرهيب عليها لتزمجر غاضبة هى الاخرى .. وتتوقف وقد أعلنت العصيان .. صرخت ندى فى غيظ عندما أدارت مفتاح التسغيل عدة مرات وفى كل مرة تعاند السيارة اكثر

ولا تريد التحرك خرجت ندى من السيارة تركلها بقدمها

فى غيظ .. ليهتف صوت بغيض من خلفها :- ليه كده!؟؟.. مش حرام عليكى ...

لتنتبه لصاحب الصوت لتجده شاب وصديقه.. يقتربان منها وعيونهما تحمل بريق غير مطمئن.. يتطلعان اليها بنظرات جائعة ..

حاولت ادعاء الشجاعة .. لتهتف ناهرة كلاهما فى صوت حاولت تغليفه بالقوة قدر استطاعتها ..لكن .. ذلك لم يثنيهما عن الاقتراب منها فى جزل ..

و .. فجأة تجد جسد ما يقطع الطريق بينها وبينهما فى صلابة .. هاتفاً فى صوت قوى :- أى خدمة ..!؟؟..

اتسعت عيناها عندما تاكدت ان هذا الستار الحامى الذى فرض نفسه بينها وبين هؤلاء الحمقى .. ما هو الا نبيل

أستاذها وبن عمها العزيز..

ضحك احد الشابان ساخراً:- اه فى خدمة .. بس مش منك

يا خفيف .. من الم..

لم يدعه نبيل يكمل لفظته السوقية .. حتى كان يخلع نظارته الطبية يلقى بها بين كفيها .. ويدفع قبضته المضمومة فى وجه ذاك الحقير.. الذى تأوه منكباً على نفسه صارخاً.. ولحسن الحظ يتركه صديقه ويفر من امام نبيل مرتعباً.. ليجذبها نبيل خلفه قبل ان يستفيق الاحمق من كبوته.. مندفعين لسيارته التى انطلق بها فى سرعة

جعلت اطارات السيارة تصرخ .. مرت دقائق ولم يتفوه بكلمة .. فتشجعت هامسة :- شكرًا يا نبيل ..

كانت المرة الاولى التى تنطق فيها اسمه مجرداً.. وبمثل تلك الرقة .. مما استرعى انتباهه ليلقى اليها نظرة سريعة

متعجبة جعلتها تتورد خجلا.. ليعود بنظراته للطريق..

ويلتزم الصمت مرة اخرى .. حتى وصلا أمام بيتها.. ليوقف السيارة ويستدير قليلا اليها أمراً :- هاتى مفاتيح عربيتك هوديها للميكانيكى.. ولحد ما تتصلح هخدك الكلية و أرجعك بنفسى ..

انقلب امتنانها لحنق فى لحظات فهى لم تعتد على النبرات الآمرة فى التحدث اليها :- شكرًا .. انا اعرف اهتم بنفسى كويس .. مش محتاجة ..

قاطعها ساخراً على غير عادته :- عارف ..مش محتاجة سواق ..بس للاسف مش بمزاجك.. بقيتى مسؤولة منى ..

اعمل ايه ..!!؟؟.. انا مجبور اكتر منك ..

هتفت فى حنق:- للدرجة دى وجودى معاك عبء على حضرتك .. !!؟.. على العموم انا مرضهاش

.. ولو حكمت هقعد ومش هروح الجامعة .. ولا انك تبقى مجبور على حاجة متحبهاش..

واندفعت من السيارة تجرى باتجاه باب البيت وكأن الشياطين تتعقبها .. لكن هو وللعجب ظل يتبعها بنظراته

حتى اختفت .. وارتسمت على شفتيه ابتسامة ..

****

اطلق سعيد الخفير.. عدة أعيرة نارية عندما دلفت سيارة عاصم التى كان يقودها زكريا .. لداخل السراىّ ..

لتقف امام الباب الداخلى لها .. لتترجل منها زهرة اولا .. يتبعها عاصم .. وذراعه اليمنى مرفوعة لحامل يتعلق بعنقه .. استند على ذراع زهرة التى قدمتها له .. فتقبلها بسعادة وهو يصعد السلالم المؤدية لداخل السراىّ .. التى ما ان خط بداخلها .. حتى علت الزغاريد احتفالا برجوعه سالما ..

هتف فى سعادة :- واه .. ايه كل ده يا حاجة ..!؟.. كان يستفسر عن ما يحدث بالخارج .. من تجهيزات لاحتفال

و ذبائح تذبح ..

هتفت بسعادة وهى تربت على كتفه :- حلاوة رجوعك بالسلامة .. أُمال ايه !!؟.. خلى الغلابة ياكلوا .. والنَّاس تدعيلك ..

-بس ده تعب عليكى يا حاجة .. هتف عاصم معاتبا

هتفت بدورها :- واه .. انت فاكرنى انا اللى عملت ده كلاته ..!؟.. والله ده زكريا هو اللى عمل كل حاچة .. انا كان يجولى نعمل كذا يا حاچة .. أجوله وماله ..

ضحك عاصم بأريحية وهو يربت على كتف زكريا الذى كان يشعر بالحرج :- واه يا زكريا .. وخليت الحاجة فضيلة بجلالة جدرها تسمع كلامك .. تاريك مش هين يا واد عمى ..

ابتسم زكريا فى حبور ولم يعقب .. لتهتف الحاجة فضيلة

فى سعادة :- يا الله على فوج انت ومرتك .. أرتاحوا .. لحد ما الناس اللى جاية تبارك بسلامتك تهل .. هنادوك تستجبلهم ..

تحرك باتجاه الدرج ولا زالت كفه .. تستند على كفها لم يتركها .. ولكن قبل ان تخط قدمه على اولى الدرجات ..

سمع صوت يناديه فى ترجى :- عاصم بيه .. عاصم بيه

كانت فتاة ملتحفة الوجة .. جاء سعيد وراءها جريا ليمنعها

من دخول السراىّ .. لكنها كانت الأسرع .. هم سعيد بإخراجها .. لكن إلحاحها فى النداء .. جعل عاصم يأمره بتركها .. ليعود مستندا على زهرة .. يجلس بأقرب مقعد

مشيرا اليها ان تتقدم هاتفاً فيها :- انتِ مين يا بت !!؟.. وعايزة ايه ..!؟..

رفعت الفتاة الشال الذى كان يغطيها .. عن وجهها .. ليهتف عاصم :- مش انت اللى البت اللى كانت بتشتغل هنا .. واختفت فجأة بعد حادثة

حسام التهامى .. !!؟.. اااه .. انت اللى سرجتى سلاحى .. مش كده .. انطجى .. مين اللى وزك تعمليها ..!؟..

هتفت الفتاة فى ذعر :- ما انا جاية عشان اتكلم .. بس غيتنى الاول يا عاصم بيه .

-من مين ..!؟.. هتف عاصم ..

اجابت فى سرعة :- سليم واد عمك ..

عقد عاصم ما بين حاجبيه هاتفاً :- وايه دخل سليم بيكِ..!؟

اخرجت الفتاة ورقة مطوية من بين طيات ملابسها .. وأعطتها لعاصم ...و الذى انفجر ضاحكاً عندما طالع فحواها :- والله كنه التاريخ بيعيد نفسه صوح ...

بجى انتِ مرت سليم .. وعرفى كمان ..

شهق الجمع الذى كان محيطاً بالفتاة .. أومأت الفتاة برأسها قبل ان تكمل ..:- هو اللى جالى لو جبت له سلاحك .. هايكتب عليا رسمى .. ولما عملت اللى جالى عليه ..وهربت مطرح ما هو جالى استناه .. حسّيت منيه بالغدر

ودلوجت خايفة يرچع لى يجتلنى بعد ما عرف انى ..

وصمتت الفتاة قبل ان تقول بصوت مرتجف .. بانى حبلى منيه ..

هتف عاصم ساخرا :- واااه ..حبلى كمان .. كملت ..

هتفت الفتاة فى تضرع :- غيتنى يا عاصم بيه .. محدش هايجدر يحمينى منيه غيرك ..

هنا تحدث زكريا ..فى تردد:- بعد إذنك يا عاصم يا واد عمى .. اسمحلها تعيش مع امى فى البيت اللى انت وهبتهولنا ..اهى تاخد بحس امى وانى مش موچود..

تعجب عاصم :- يعنى ايه مش موچود ..!؟.. ليه هتروح فين .. !؟..

-انا نويت .. والنية لله .. اچرب حظى بعيد عن النچع..

ومش هرچع .. الا لما احس ان بجالى جيمة ومركز .. بعيد عن الهوارية واسمهم ..

-ياعنى هتفوتنا يا زكريا .. !! .. هتف عاصم بضيق

قال زكريا بحرج :- معلش يا واد عمى .. انا مهرتاحش الا كده .. بس وصيتك أمى .. دى ملهاش غيركم دلوجت

أومأ عاصم برأسه دون ان يجيب بحرف واحد .. واتجه بحديثه لكسبانة التى كانت عيناها تتطلع اليه فى ترقب :- خلاص .. هتروحى تعيشى مع الحاچة بخيتة .. تخدى بحسها .. وانا الورجة دى هوديها للمحامى نثبتوا صحتها

ونخليها عنده فى الحفظ والصون ..

-و ماله يا عاصم بيه .. هتفت كسبانة بثقة .. والحاچة بخيتة فى عنايا .. ثم نظرت الى زكريا فى امتنان هامسة

تسلم يا سى زكريا ..

اجاب زكريا بجفاف :- انا عملت كده عشان واد اخوى اللى شيلاه .. ميجيش الدنيا ميعرفلوش اب.. ولا يعرف له اصل .. وميدجش المرار الطافح اللى انا دجته..

ثم أشاح بوجهه عنها ... ليحدث عاصم :- انا هرجع لاوضتى اللى فى الجنينة يا عاصم .. لحد ما ارتب امورى

و اروح ..

سأل عاصم :- مفيش صرفة تانية غير السفر ده ..!؟.. ما تخليك معانا يا زكريا .. ايه لزمته .. !!؟..

أكد زكريا :- معلش .. انا هرتاح كده يا واد عمى ..

ثم خرجت كسبانة ليذهب بها زكريا لداره .. لتصبح ونيس أمه .. حتى يعود من رحلته .. التى لا يعرف من أين يبدأها.. ومتى تكون نهايتها .. ليعود للكفر من جديد..

نهض عاصم .. واستند على زهرة من جديد.. والتى لم تتفوه بحرف واحد طوال الجلسة الماضية .. كانت تنظر اليه .. وهو يدير الامور بحنكة ومهارة .. تتطلع اليه ..

بعين جديدة .. عين عاشقة .. عين ترى فيه كل ماهو رائع

وتسأل نفسها .. كيف لم ترى فيه كل هذه الخصال من قبل!!؟...

وصلوا لغرفتهما.. ففتحت الباب لتدخل .. ليتبعها هو يخطو باتجاه الفراش ليجلس على أطرافه فى هدوء حذّر

شعرت به .. فاقتربت هى تقول فى لهجة مرحة وهى تحرك كفها على جانب وجهه .. الذى نبتت لحيته:- لازم تحلق .. عشان مينفعش تقابل الناس كده ..

فجأة امسك بكفها التى كانت تمررها على خده .. بشدة آلمتها .. نظرت له بتعجب .. فوجه نظراته اليها هامسا

بشكل خطر :- بكفياكى يا بت الناس .. عملتى اللى عليكى وزيادة كمان .. والمفروض كنت تسافرى مع ابوكى امبارح .. الف شكر .. تجدرى تجهزى حاجتك ..

وهوصلك لهناك معززة مكرمة .. زى ما طلبتى ..

ترك كفها .. ونهض مبتعداً عنها يدير لها ظهره .. لا يريد ان تتقابل نظراتهما.. حتى لا يضعف فيتمهلها كى لا ترحل .. او تعلنها هى.. بانها بالفعل راغبة فى الرحيل فتقتل أملا يراوده ..انها يمكن ان تبقى..

هتفت هى بصوت مرح لا يعكس مطلقا حالة الحزن التى من المفترض ان تعتريها بعد كلماته مما استرعى انتباهه وتعجبه فى نفس ذات الوقت

:- بقى ده بذمتك ..عمايل راجل صعيدى .. لِسَّه طالب أيد واحدة من ابوها .. وهى حتى لِسَّه مدتلوش الرد ..!!؟..

انتفض مواجها لها .. وهو يقول فى ترقب :- يعنى ايه طالب يدها من ابوها .!؟ ....و رد ايه اللى بتجولى

عليه !!؟.... ما ردّك وصلنى .. وانت جولتى انك عايزة تسافرى معاه ..

اقتربت منه فى حذّر .. حتى وقفت مواجهة له ترفع رأسها تتطلع اليه فى عشق تحاول مداراته

:- عاصم .. انا لما كلمتك .. مكنش لِسَّه بابا قالى على اللى عملته .. مكنش لِسَّه قالى .. ان فى

واحد ممكن يروح يطلب ايد مراته من ابوها .. عشان يردلها كرامتها ويرضيها .. عشان يحسسها انها غالية .. وانها لما هتفضل معاه .. هاتفضل عشان هى عايزه تفضل معاه .. عشان هى عايزاه.. مش عشان هى مغصوبة ..

كان يقف كتمثال شمعى .. لا يصدق ما يسمع .. ينبض ذلك العرق بجانب صدغه بتوتر ينبأ عن صراع داخلى رهيب تدور رحاه بداخله.. عيناه تجول بمحياها .. يحاول ان يستشف الحقيقة فيما تقول .. يحاول ان يثبر أغوار نفسها ..

واخيرا همس متسائلا :- يعنى انتِ لما كلمتينى جبل الحادثة مكنش لِسَّه الداكتور ناجى كلمك ..!؟..

حركت رأسها تجيبه بنعم .. وابتسامة رائعة ترتسم على شفتيها ..

سأل بترقب و عيناه تضيق :- طب وكان ايه ردّك .. لما الداكتور ناجى جالك .. !!؟..

قالت مشاكسة :- قلت له .. انا هبلغك ردى .. بنفسى ..

قال متلهفا :- اللى هو ..!؟..

انفجرت ضاحكة .. وهى تشاكسه من جديد:- اللى هاتسمعه بعد ما تحلق .. وتنزل للناس تضايفها.. وتيجى..

هتف فى حنق :- تولع الناس .. على الضيافة .. على الكل كليلة .. انا عايز ردّك دلوجت .. قالها هامسا وهو يجذبها اليه من ذراعها لتصطدم بصدره غير عابىء بجرحه الذى لم يشعر بألمه .. الذى لا يوازى آلالام روحه التى تترقب فى جنون..

فهمست هى ونظراتها تتعلق بعينيه :- تفتكر يا عاصم ممكن يكون ايه ردى ..!!؟.. وايه اللى ممكن يخلينى أغير رأيي وأوافق ..!؟.. ايه يا عاصم ..!!؟..

كانت تريد ان تدفعه دفعا ليعترف بحبها .. كانت تريد ان تسمعها منه .. هى تعلم ان هو يريدها .. يريد بقاءها .. لكنها لم تسمع منه .. انه يريدها لانه يعشقها .. يريد بقاءها لانه لا يقوى على بعادها.. وان لا قبل له على فراقها..

انها تموت شوقا لها.. لتلك الكلمة من بين شفتيه ..

تريده لدرجة الجنون .. لكنها تريد ان تطرب لسماعها

لتتيقن انها امرأة حياته .. و انها حقا ملكت قلبه ..

هى تعلم علم اليقين .. انه ليس سهلا على رجل مثله

لم يكن يؤمن بالحب والعشق ان ينطق كلمات الهوى على شفتيه.. وانها على يقين ايضا بانه يوم ان ينطقها فهو بحق يعنيها .. وكل حرف فيها سيكون خارجا من اعماق روحه ..

لما لا يقولها .. قلها أرجوك .. اهتف بها لاجلى حتى اطمئن أننى بقلبك للأبد ...

دفع بذراعها التى كان لايزل ممسكا بها بعيدا عنه .. وهو يظن انها تتلاعب به .. تدنيه ثم تشقيه... تمنيه بالجنة حتى يكون على أعتابها .. فاذا بها جحيم مستعر .. لن يكون لعبة بين يديها حتى ولو كانت روحه معلقة بها ..

نظراته لها كانت قاتلة وهو يقول بنبرة جليدية

حضرى حاجتك .. لحد ما ارجعلك من تحت ..

واندفع للحمام يحضر نفسه للاحتفال الذى يقام لاجله

بالأسفل .. وهو يشتعل غضبا وألما.. وحسرة .. وشوقا ..

****

وقفت امام المرأة عيونها مغرورقة بدموع تهدد بالانهيار

تنظر الى ملابسها .. وشعرها .. وجسدها .. تشعر انها تفتقد شئ ما .. شئ يجعلها فى نظر نفسها راضية .. قبل ان تكون فى نظر الجميع ..

لقد أنقذها نبيل اليوم من مصيبة محققة لا تعلم ما كان يمكن ان يحدث لولا وجوده بقربها .. فتحت خزينة ملابسها تتطلع لكل تلك الملابس الرائعة غالية الثمن التى تقتنيها.. وفجأة وجدت نفسها تجذبها جميعا فى غضب لتلقى بها على ارض الغرفة وبدأت دموعها فى الانحدار

واخيرا تشهق بالم ملقية بجسدها على فراشها ..
وتذكرت كلمات سمعتهم من زهرة عندما كانت تحاول إقناعها بوجة نظرها فى ملابسها المتحررة .. "الحرية فى التخلى لا فى التعرى."

لم تفهم معناها لحظتها .. ولا أرادت ان تفهم.. لكنها الان

فى تلك اللحظة وعت معناها تماما ... ووصل لروحها ..

حريتك فى ان تتخلى عن كل ما يستعبدك .. وهى كانت تستعبدها الأزياء والملابس الراقية وأحدث خطوطها..معتقدة ان الرقى فيما تفعل..

لا تعرف ما الذى جعل ذاك الخاطر يقفز فجأة لخاطرها .!؟

ربما نظرات هؤلاء الحمقى الذين لم يروا فيها الا جسداً .. ام الادهى .. نظراته هو .. التى على قدر تشبعها بالاحترام لعقلها .. على قدر انصرافها عنها لتحررها بهذا الشكل .!؟

انه دوما يؤكد على انها انسانة حرة فى اختياراتها .. ولم تتغير وجهة نظره هذه بعد معرفته بقرابتهم

.. بل حتى بعد ان حدث ما حدث اليوم .. لم يلق باللوم عليها ولا على ملابسها فيما جرى .. بل انه لم ينطق بكلمة جرحتها ..

لكنها صرخت هاتفة فى نفسها .. بل فعل .. الم يقول ان رفقته لها عبء عليه .. لم يحدثها احد ابدا بمثل هذه اللهجة

التى جرحتها حقاً ..

على ايه حال .. هى لن تذهب الى اى مكان معه .. وستعتكف فى المنزل بضعة ايام حتى الانتهاء من إصلاح السيارة .. فبضع ايام بالمنزل ربما تعيد لها هدوء نفسها وصفاء بالها الذى غادرها .. على الاقل ستكون بعيدة عنه

وعن تأثيره فى قرارتها .. بتلك النظرات الهادئة التى تقتلها اكثر من مئات الكلمات ..

****

الفصل الثانى والعشرون

دق جرس الباب عدة مرات .. وما من احد يتطوع لفتحه

لتنهض ندى فى تثاقل وتفتحه لتفاجئ به يقف على أعتابه

وبدون اى مقدمات .. وحتى دون ان يلقى السلام هتف فى حنق:- مبتجيش الجامعة ليه بقالك كام يوم ..!؟.. وباجى استناكى بالعربية تحت عشان تيجى معايا .. عمى يقولى تعبانة ..بس اللى انا شيفه .. انك مش تعبانة ولا حاجة أهو.

ردت ببرود :- مليش مزاج اروح الجامعة .. ومبحبش ابقى تقيلة على حد ..

عدل من وضع نظارته الطبية و عقد ذراعيه امام صدره و هو يتحداها قائلا بهدوء :- هتروحى غصب عنكِ ولو حكمت هاجى اخدك من ايدك وأوديكى لحد المدرج بنفسى ..

اشتعلت غضبا حتى انها نسيت انهما لازالا على اعتاب الباب ولم تأذن له بالدخول حتى ..لتهتف فى

حنق :- مش هروح .. ولو ركعت مش هحضر ولا محاضرة من محاضراتك السخيفة ..

انفجر ضاحكاً على عكس توقعها ليقول مثيراً غيظها اكثر :- هتواضع واتكرم واتعطف و أجى بنفسى اديكى المحاضرات هنا فى البيت ..

حاولت اصطناع البرود على قدر استطاعتها وهى تهتف :- هدخل اوضتى ساعتها وابقى ادى المحاضرة العصماء بتاعتك لكراسى الصالون ..وبجد هقول لبابا على اللى بيحصل منك ده ..وشوف ساعتها هيعمل ايه ..!!؟..

وكادت ان تخرج له لسانها كالأطفال الصغار .. لكنه فك عقدة ذراعيه ليضع كفيه فى جيبى بنطاله وهو يقف فى

لامبالاة قائلا :- طب ما انا كمان هقول لعمى ..

هتفت بحنق :- هتقوله ايه ..!!؟..انا معملتش حاجة وكنت مهذبة معاك لاخر لحظة لكن ..

قطع كلامها بوضع إصبع سبابته على شفتيها مماجعلها تقف

مشدوهة لفعلته.. تحملق لموضع إصبعه حتى كاد يصيبها الحول ..وخاصة حينما همس وهو يقترب منها خطوة :- هقوله يا عمى .. انا بحب بنتك الشعنونة دى .. اللى كنت فاكرها عاقلة .. وعايز اتجوزها ..

ردت ببلاهة وهو يرفع إصبعه عن شفتيها :- هاا...

ليومئ برأسه مؤكداً وهو يكاد ينفجر ضاحكا من رد فعلها ليستطرد .. وانا عايزها تنجح بتقدير عشان تقدر تسافر معايا للبعثة بس واضح انى كنت غلطان .. قال كلماته الاخيرة متصنعا الحسرة وهو يستدير راحلا .. لتستفيق هى

من صدمتها وهى تهتف :- نبيل ..

ليعود ليستدير ناظرا اليها وهو يكتم ضحكاته .. لتستطرد

هى فى خجل ..:- بابا جوه على فكرة ..

قال يشاكسها :- طيب سلميلى عليه ..

هتفت فى حنق مصطنع :- مش هتخش تقابله ..؟!!

ليزيد من مشاكستها ونظراته المرحة تفضحه :- أقابله ليه..!؟

لتهمس هى فى خجل :- عشان تحددوا مع بعض ميعاد المحاضرات ..

لينفجر هو ضاحكا اخيرا .. و هى تفسح له الطريق ليدلف

الى الداخل وقلبها يقفز فرحاً..

****

طرقت الحاجة فضيلة باب غرفة عاصم و دخلت فى سرعة تنادى زهرة التى استدارت لها فى تعجل مجيبة :- نعم يا خالتى..

همت الحاجة فضيلة بطلب ما جاءت لاجله.. لكنها وقفت مشدوهة للحظات عندما سمعت كلمة خالتى من زهرة .. لحظات كانت فارقة مع تلك الشخصية الفولاذية التى لا تهتز الا اذا مُسَّت روحها بعمق .. وهذا ما حدث بالفعل .. ثوان مرت وهى تتطلع لزهرة فى وله واخيرا طفقت الدموع من عيونها انهاراً .. دموع حبيسة لأكثر من ثلاثين عاماً لوعة وألما لفقدها اختها الحبيبة .. فتحت ذراعيها بشوق

لتندفع اليها زهرة فى محبة تتمتع بدفء ذاك الحضن الحانى الذى افتقدته دوماً أطبقت الحاجة فضيلة ذراعيها حول زهرة فى شوق وهى تشهق بلوعة هامسة :- واااه يا فاطنة .. وَيَا روايح الغالية اللى هلت على جلبى وردت لى روحى..

بكت زهرة فى أحضانها تأثرا لكم المشاعر الحانية التى كانت ومازالت تكنها تلك السيدة الرائعة لاختهاالغالية و الغائبة الحاضرة بذاك الشبه بها فى ملامحها و روحها ..

جلست الحاجة فضيلة وهى تجفف دمعها و تجذبها لتجلس بقربها و هى تسألها :- ابوكى اللى جالك ..!!؟..

هزت زهرة رأسها نفيا .. فعقدت الحاجة فضيلة حاجبيها لتسأل :- أومال مين ..!!؟..

صمتت زهرة لحظات ثم بدأت تسرد كل ما حدث مع سمية

وما أخبرتها به بالحرف الواحد .. واخيرا تنهدت الحاجة فضيلة لتقول فى نبرة قاسية :- طول عمرها هى وامها عينهم

من عاصم .. وهتموت وتتجوزه وتبجى ست السرايا دى تحكم وتتحكم فيها وفى خلج الله .. معلوم مش هاتبجى مرت عاصم الهوارى ..لكن لا انا ولا عاصم نولناها مرادها .. بس يا ترى انتى يا بت اختى الغالية .. اللى حاربت الدنيا عشان حبها .. هتسيبى سمية تنتصر عليكى وتبعدك عن چوزك ..!!؟.. صمتت الحاجة فضيلة لحظات لتترك اثر كلماتها يتوغل فى نفس زهرة واستطردت هاتفة وهى تنهض مغادرة الغرفة .. ورينى اذا كنتى بت امك صوح .. ولا لاه ..!!؟؟.. تذكرت زهرة انها سمعت نفس الكلمة من الحاج مهران .. فابتسمت فى سعادة لكن الحاجة فضيلة قاطعت ابتسامتها وهى تستدير لها فجأة قبل ان تصل للباب بخطوات وهى تقول بلهجة حانية :- زهرة يا بتى .. اجولك على سر محدش يعرفه .. ولا حتى ولادى .. تنبهت زهرة تستمع فى شغف ..

لتستطرد الحاجة فضيلة بابتسامة حالمة وهى تسترجع الماضى البعيد ... انا وعمك الحاج مهران اتجوزنا غصب ..

فغرت زهرة فاها مدهوشة لا تستطيع التعقيب بكلمة لتبتسم الحاجة فضيلة ابتسامة واسعة قائلة :- هو مش غصب ..غصب يعنى .. بس هو كان واد عمى وانا بعد هرب فاطنة اختى مع ابوكى كان مين اللى ممكن يفكر يتچوزنى

ولا يجرب من دارنا بعد الفضيحة دى .. وانا طول عمرى جوية ومبيهمنيش.. بس عمك مهران لجيته اتجدم وجال بت عمى وانا اولى بيها .. واتجوزته وكنت كيف الفرسة الچامحة .. لكن هو .. وصمتت قليلا لتقهقه على غير عادتها

وتقطع حديثها وعيونها تلمع ببريق حالم .. جُصره يا بتى .. اها بجالنا كد ايه مع بعض ...عمر بحاله .. مجدرش على زعله .. وهو بيفهمنى من جبل ما انطج .. يا الله لحسن اتأخرت على الناس اللى تحت .. يجولوا ايه .. دعيناهم ونسيناهم .. وانتى لو مجدراش تنزلى

خليكى استريحى .. وفتحت الحاجة فضيلة باب الغرفة وقبل ان تهم بالذهاب .. استدارت لتاخذ زهرة فى أحضانها من جديد وتهديها قبلات دافئة

على وجنتيها.

****

كان يجلس بين الناس جسدا بلا روح .. حتى ان الجميع لاحظ شروده .. واعتقدوا ان ذلك من جراء جرحه الذى لم يندمل بعد بشكل كاف والى حاجته للراحة ه فبدأ البعض فى التهانى والمغادرة .. حتى يتسنى له تلك الراحة .. التى يحتاجها..لا يعلم احدهم .. ان راحته راحلة الى غير رجعة .. راحلة معها ولن تعود .. وكيف تكون الراحة عنوان لمن فقد روحه بغيابها .. انه يعشقها .. هو يعلم ذلك .. بل هو على يقين من عشقه لها الذى يزلزل أركان روحه ..

يا الله .. انه يدفع ثمن كل ما جناه بحقها .. لقد اختطفها لينتقم

فاذا به يدفع هو .. ثمن ذلك الانتقام .. من قلبه وروحه.. يدفعه من راحة باله .. التى ولت بغير رجعه منذ وطأت قدماها تلك السراىّ ..

انه يدفع الثمن الان.. وسيظل .. فحبها ذاك الذنب الذى لايغتفر.. احد الخطايا التى ما كان له ان يقربها.. لكنه ..

أحبها وانتهى الامر .. تورط فيها حد الجنون .. وليس من العقل .. ان تخبر المجنون .. ان يتعقل ..

نهض بتثاقل .. يحاول ان يؤجل لحظة الرحيل .. صعد بلا

رغبة .. يشعر بروحه منهكة وعلى الرغم من ان هناك العديد من الهوارية لازالوا بالخارج .. والاحتفالات والموسيقى على أشدها .. لكنه لم يعد يشعر بكل ذلك .. هو يريد العودة لحجرته .. يلقى بجسده المتعب على الفراش ربما يذهب فى نوم عميق .. يأخذه بعيدا عنها .. وعن التفكير فيها ..

فتح باب حجرته فى هدوء.. دخل واغلق الباب .. وهو يلتفت

ليفتح نور الغرفة التى يكسوها الظلام .. توقفت يده كالمصعوق وهو يرى من خلال انوار الحفل الساطعة بالأسفل ظلا فضيا يتألق بجوار النافذة .. وتذكر ليلة زفافهما .. كانت تقف بنفس الهيئة .. وبفستان زفافهما الذى اختاره خصيصا لاجلها .. كانت تقف الان فى ترقب تنتظر منه ان يتحرك صوبها ..مد كفه المرتعش لمفتاح الضوء يشعله ..ليتأكد انه لا يهزى .. وانها بالفعل هاهنا. تحرك

باتجاهها فى هوادة .. مما جعل قلبها يقفزبين اضلعها ..وصل عندها أخيراً.. وأدراها فى بطء لتواجهه وعيونه تحمل نظرات غير مصدقة ومتسائلة .. فهمست وهى تطأطأ رأسها خجلا :- هو ده ردى على بابا ..يا عاصم

مد كفه يرفع رأسها ليقابل عينيها.. متسائلا بنبرة تحمل مجامع الشوق :- بتجولى ايه ..!؟؟..

همست مكررة وعيونها تتعلق بعينيه العاشقة :- ده ردى يا عاصم ..ردى على طلبك من بابا ..اقترب منها اكثر لتهمس بشوق مرتجفة :- أنا موافقة يا عاصم .. و راضية افضل جنبك .. ولو خيرونى بينك وبين الدنيا دى كلها .. هختارك انت

جف ريقها الان ..وهى تراه يتطلع اليها بنظرات شوق تجول بملامح وجهها فى اضطراب وذهول .. واخيرا يبتعد لحظة يلقى الحامل الذى كان يضم ذراعه لعنقه بعيدا .. ليعود بلهفة ليدنيها اكثر لقلبه وهو يحتضن خصرها بذراعيه ... ويهمس من أعماقه :- واه يا زهرة .. كن اتردت ليا روحى

رفعت رأسها مشدوهة لكلماته وقد لمعت بعينيها الدموع هامسة باسمه :- عاصم ..

شدد من احتضانه لها .. وكأنه مازال غير مصدق لقربها هامسا:- نعم .. يا زهرة ..

همست فى خجل وشوق :- بحبك ..

وكانت تلك الكلمة هى الباب الذى عبرت منه السعادة لحجرتهما وعلى الرغم من انه لم يرد بأى كلمة لكن رده كان ابلغ من آلاف الكلمات..

بين ذراعيه ايقنت هى انه يعشقها حد اللامعقول ..

وان كلمة احبكِ...لن ينطقها . ولكن سيغزلها دوماً لأجلها دفءً ..وشوقا .. وحنانا .. وعشقا ... بين احضانه..

****

هتف الدكتور ناجى محاولا إقناع زوجته:- نبيل شاب ممتاز .. ومستقبله هاايل .. وبجد بيحب ندى .. وهيحافظ عليها ....عايزة ايه اكتر من كده !!؟..

هتفت فى حنق .. وبعناد واضح :- كفاية انه بن اخوك عشان ارفض .. انا بنتى مش هايبقى لها صلة بالبلد دى ولا بناسها..

هتف ناجى من جديد :- ليه ..!؟.. ما انا من الناس دى ووافقتى على جوازنا .. ايه اللى اتغير .. ..؟!!

هتفت فى حزن :- . انا ايه اللى يضمن لى ان نبيل ده .. محبش غير ندى .. ومش عايزها لمجرد انها بنت عمه .. وانها زوجة مناسبة وخلاص ... مش عايزة بنتى تفضل عايشة مع واحد شايف مراته القديمة وحب عمره طول الوقت ... ومش شايف انه بقى ليه زوجة وبنت تانية...

نظر اليها الدكتور ناجى فى هلع :- انتِ بتقولى ايه يا منيرة ..!؟..

هتفت فى ألم عمره سنوات طويلة :- بقول الحقيقة يا ناجى .. بقول اللى عيشته طول عمرى معاك .. حب فاطمة عمره ما خرج من قلبك .. اللى انا كنت مجرد ضيفة فيه.. بدل ما انا اللى ابقى فى قلبك بعدها... اتاريها مسبتش مكان لحد لا قبلها ولا بعدها ..عارف كنت بعامل زهرة وحش ليه ..!!؟؟.. وبدأت فى البكاء بشكل هستيرى .. عشان كانت بتفكرنى بيها .. انا شفتها

فى الصور القديمة اللى انت لِسَّه محتفظ بيها ..عرفت ان هى وزهرة .. نسخة واحدة .. كنت بحس فى وجود زهرة ان امها لِسَّه معانا .. وانى عمرى ما هقدر أفوز بقلبك طول ما هى موجودة .. انا تعبت يا ناجى

ومش عايزة بنتى تتعب كده .. عايزة حد يحبها هى .. وتكون الاولى والاخيرة بقلبه ..

كان ناجى يقف مشدوها امام ذاك السيل من الاعترافات..

لا يصدق انه السبب فى كل ما آل اليه حال تلك السيدة التى لم تكن تتوق الا للحب الذى لم يكن بمقدوره منحه

لكن على الاقل .. كان باستطاعته أشعارها بان لها قدرها ومكانتها فى قلبه ..ذاك القلب الذى حلمت بامتلاكه .. ولم تستطع ..مما دفعها لإحباطات متكررة .. كونت منها تلك الشخصية الباردة التى اصبحتها ..

وللمرة الاولى .. يشعر برغبة حقيقة تدفعه .. ليعوض منيرة عن ما عانته جراء عدم ادراكه لمشاعرها ..

احتضنها برفق .. لتجهش بالبكاء من جديد .. تفرغ على صدره أوجاع سنين خلت .. كانت تتمنى فيها ولو قدر بسيط من محبته .. و مكان ولو منزوٍ بقلبه ..

همس بالقرب من مسامعها :- انا اسف يا منيرة ..

لم تتفوه بحرف واحد ردا على أسفه لكنها رفعت رأسها تجفف دموع عينيها هامسة :- انا عارفة ان ندى موافقة على نبيل .. بس انا المهم عندى .. انه يكون الشخص المناسب

وانه ميكسرش قلبها مهما حصل .. انا موافقة على جوازهم..

عاد يحتضنها من جديد.. لتستكين هى بين ذراعيه لأول مرة

وهى تشعر بأمان عجيب يغمرها .. وكأنها تحررت من قيود كانت تقتل روحها ببطء..

****

رفرفت اهدابه فى تثاقل واستدار قليلا ليكمل نومه لكنه وجدها قابعة فى احضانه..تطلع اليها فى

عشق .. لا يصدق انها اخيراً بين ذراعيه راضية ..وانها حقا تحبه ..مد كفه يزيح بعض الخصلات عن صفحة وجهها الناعس..وينحنى بهدوء مقبلاً وجنتها و هامسا باسمها فى شوق :- زهرة ..

لتجيب هى من بين همهماتها :- نعم ..

ليهمس من جديد :- أنا ..

لتقاطعه هى ضاحكة ..مستكملة جملته ...:-...جعان .

لينفجر ضاحكاً معتدلاً فى جلسته وهو يسألها :- عرفتى كيف انى هجولك كده!؟...

لتقفز فى حجره على قدميه المتشابكتين .. متعلقة برقبته وهى تقول متصنعة الجدية :- انت متعرفش انى فهماك اكتر من روحك ..

لف ذراعاه حول خصرها وهتف مازحاً :- حجيجة .. ليستكمل هاتفاً فى محبة خالصة وبنبرة تحمل عشق الكون:- بدليل انك عذبتينى عشان تعرفى انكِ بجد اجرب ليا من روحى ...

ازداد تعلقها برقبته واخفت جبينها بكتفه وهى تنكمش اكثر فى احضانه .. ليهمس لها من جديد :- زهرة ..

لتهمس متصنعة الغضب :- خلاص يا عاصم عرفت انك جعان..

ليقهقه مغتبطاً وهو يشدد من احتضانها وهو يعاود الهمس اليها من جديد :- ايوه جعان .. جعان لحبك..

لترفع رأسها متطلعة اليه فى شوق لانهائى..

****

-بكفاياكى يا سهام .. كل دى مانجا كلتيها ..!!؟..

هتف حسام صارخا فيها وهو ينظر الى كومة عالية من قشر المانجو التى تستقر بجوارها على ارض غرفة نومهما

لتهتف هى ساخطة :- ايه .. مستخسرها فيا ..!!؟؟..

ليهتف ضاحكاً :- لاه .. هنا وشفا عليكى.. بس مش لدرجة انكِ تجومى فى نص الليل تجمعيهم من تحت السجر وتكليهم دلوجت يا بت الناس ..

هتفت فى حنق من جديد :- اعمل ايه طيب .. وانا نايمة بصيت عليك جارى شفتك كنك مانجاية كبيرة .. أكلك .. ولا انزل اجمع المانجا فى نص الليل ..؟!!..

هتف حسام شاهقا :- سلام قول من رب رحيم .. لاه انزلى جيبى المانجا اللى انتى عاوزاها.. واجولك .. هجيب لك المانجا اللى فى جنينتكم كمان وكتم ضحكاته وهو يستكمل..

بس ركزى وانت نايمة الله يسترك ..

هتفت فى غيظ :- بتتريج عليا .. ماشى يا حسام خلى ولدك..

يطّلع له مانجاية فى جفاه ..

صمت فى صدمة يتطلع اليها .. فلانت ملامحها وبدأت فى الضحك وهى تراه على هذه الحالة.. لتهتف مشاكسة إياه :- هتسميه ايه .. !!؟.. لتنفجر ضاحكة .. نسميه مانجاوى..

ليستفيق هو من صدمته اخيرا وهو ياخدها بين ذراعيه معتصرا إياها لاحضانه غير عابئ بكفيها

ووجها الذى تغطيه اثار المانجو .. لتهمس فى احضانه متسائلة :- فرحان يا حسام ..!!؟..

ليجيب فى سعادة :- فرحان بس ..!!؟.. ده الدنيا مش سايعانى

من الفرحة ..

لتهمس من جديد تكتم ضحكاتها :- طب انا نفسى فى ..

ليقاطعها فى ترقب وهو يبتعد عنها ليغير ملابسه ليندفع لإحضار ما تشتهيه مهما كان :- ايه .. نفسك فى ايه .. جولى ..!!؟..

لتنفجر ضاحكة وهى تفتح له ذراعيها :- نفسى فى .. ولا حاجة .. كنت بضحك معاك ..

ليبادلها ضحكاتها وهو ياخدها لاحضانه

****

سألت ام سعيد الحاجة فضيلة :-احضر الفطار يا حاجة !؟

أومأت الحاجة برأسها ايجابا لكنها استوقفتها قائلة :- حضريه ليا على السفرة لوحدى .. وطلعى صينية كبيرة عليها خيرات ربنا لأوضة عاصم ..

-حاضر .. هتفت ام سعيد وهى تهم بالذهاب لتنفيذ الامر.. لكن الحاجة فضيلة استوقفتها من جديد قائلة :- و بجولك ايه.!؟.. تحطى الصينية جدام الباب وتخبطى مرة وتروحى

سمعانى ..!!؟..

أومأت المرأة من جديد هاتفة :- حاضر يا حاجة ..

وتندفع لتلبى الأوامر .. وتصعد بصينية الطعام وتطرق الباب

مرة واحدة وترحل ..

فتح عاصم الباب ليجد صينية الطعام فيهتف فى سعادة وهو يحملها للداخل :- اه .. الحاجة كلها واجب والله حاسة بابنها

لتبتسم زهرة وهى تنهض تجلس قبالته تتناول لقيمة لتضعها

فى فمه يتناولها فى جوع حقيقى ويعقبها باخرى لتهتف هى

ضاحكة :- بالهنا والشفا يا عصومى ..

ليهتف حانقا :- ايه عصومى ده..!؟.. احنا مبنجلعوش رجالتنا..

لتصمت هى دون ان تعقب .. ليسألها حتى يخرجها من نوبة صمتها راغبا فى ارضاءها :- انت جولتى ايه .!؟.. عصومى.. ماشى ..لتبتسم هى فى سعادة .. ليكمل مؤكدا .. بس بجولك ايه..!!؟. ده بناتنا وبس .. مش جدام الناس .. تمام ..!!؟..

لتهتف فى فرحة :- تمام .. وتضع لقيمة جديدة بفمه يتقبلها فى سعادة ..

انتهيا من افطارهما .. وهبطا معا لملاقاة الحاجة فضيلة التى استقبلتهما بالترحاب ..

لتسأل عاصم بنبرة مؤنبة :- هو انت لازماً تخرج النهاردة !؟

اجعد استريح ..

ليهتف عاصم :- حاجات كتير اتعطلت فى رجدتى يا حاجة .. كفايانا بجى نشوفوا مصالحنا ..

وهم بالرحيل لولا تذكره انه نسى حافظته ..لتنظر الحاجة فضيلة لزهرة نظرة ذات مغزى .. لتندفع زهرة منفذة وهى تهتف صاعدة الدرج :- انا هجيب لك المحفظة يا عصوم.. وتقطع كلمتها الاخيرة المقصودة .. متصنعة الفزع وهى تضع كفها على

فمها تنظر لعاصم الذى كان يضغط على أسنانه غيظا لتندفع صاعدة الدرج متصنعة الخوف ليتوجه بكليته للحاجة فضيلة والتى كانت تتابع التمثيلية المقدمة من ابنة اختها فى استمتاع قائلا فى توتر يحاول مداراته :- طب .. انا هطلع أچيبها يا حاچة .. انا عارف .. اصلها مش هاتعرف.. وبدأ فى صعود الدرج فى تؤدة .. لتشير اليه بالصعود متفهمة .. وما ان اختفى عن مجال رؤيتها حتى انفجرت ضاحكة .. وقفز هو الدرج عدة درجات فى كل مرة

حتى وصل اخيرا لباب حجرتهما فطرق فى غيظ..هاتفاً :- افتحى يا زهرة ..

لتجيب وظهرها مستندا على الباب وهى غارقة فى ضحكاتها

:- لا..

ليهتف من جديد فى نبرة مازحة :- افتحى يا زهرة بجلك..

لتطلب فى مرح :- قول كلمة السر الاول ..

ليتلفت حوله يميناً ويسارا قبل ان يهمس لها قرب الباب :- عصومى ..

لتنفجر ضاحكة وهى تفتح الباب ..ليدخل مسرعا ويتلقفها بين ذراعيه..

تيقنت الحاجة فضيلة بالأسفل ان التمثيلية التى قامت بإخراجها .. قد نجحت نجاحاً منقطع النظير عندما مرت

عدة ساعات ولم يظهر عاصم فى الأسفل من جديد..

فأنفجرت ضاحكة فى حبور ..

الخاتمة

-واااه .. اجول بووه ويجولوا الحاجة فضيلة اتجننت..!؟.. صرخت الحاجة فضيلة فى أحفادها .. وهم يتقافزون حولها فى مرح وشقاوة .. صرخاتها

استدعت ضحكات سهام وزهرة الجالستان أمامها .. غير قادرات على التدخل لانقاذها من عبث أطفالهما ..

لتعاود الصراخ من جديد .. ولكن فى سهام وزهرة هذه المرة ..:- كل واحدة تحوش عيالها .. انا مش جادرة عليهم .. ولا كل واحدة فيكم فالحة تخلف بس.. ايه داخلين مسابجة!!؟..

انفجرت كل من زهرة وسهام ضاحكتين.. وبطن كل منهما المنتفخة فى شهورها الاخيرة تهتز بشدة ..

واعادت الحاجة فضيلة هتافها فى الاطفال :- هات يا واد السبحة .. ابعدى يا بت عن المصلاية.. ثم توجهت بحديثها لزهرة وسهام فى نفاذ صبر :- بالكم ..!؟.. انا سيبهالكم انتوا وعيالكم الجرود دوول وجايمة.. اما أروح اجعد مع الحاج مهران شوية .. بدل جعدتكم اللى تتعب دى ..

وحملت مسبحتها ومصحفها وتحركت فى تثاقل بحكم سنها

وتوجهت للدرج تعتليه.. ونظرات سهام وزهرة تتبعها.. حتى ما ان ابتعدت سألت سهام فى حزن :-

هى لساتها يا زهرة .. بتجعد فى أوضة ابويا الله يرحمه .. وتكلمه كنه عايش!!؟..

هزت زهرة رأسها ايجابا وهى تقول :- أه يا سهام .. احنا على طول مش حابين تفضل لوحدها.. وبنحاول انا وعاصم نقعد معاهم .. بس اديكى شوفتى .. بتتحجج بشقاوة العيال عشان تقعد لوحدها فى أوضة عمى الله يرحمه.... برغم ان روحها فيهم.. بس ... هنعمل ايه ..!!؟.. سبع سنين من يوم ما عمى أتوفى .. وهى مش مصدقة انه غاب عنها.. دى انا بسمعها بتحكيله كل حاجة بتحصل فى السرايا.. كأنه سامعها وبيرد عليها .. ومرة دخلت عليها وهى على حالتها دى .. زعقت فيا .. وقالت لى .. محدش يخش عليها هى والحج الا لما يستأذن..

دمعت عينا سهام وهى تهمس :- يا حبيبتى ياما..

طال الصمت حزنا على حال الحاجة فضيلة الا ان هتفت زهرة محاولة اخراج سهام من حالة حزنها على امها .. فهمست بصوت يغلّفه المرح :- شوفيلك حل فى باسل ابنك ده!!؟.. شايفة بيعمل ايه ..!؟..

انتبهت سهام عند ذكر اسم باسل ولدها .. لتنفجر ضاحكة على افعال ابنها ذو الأعوام التسع.. وهو يهتف فى ابنة خاله سندس صارخا :- تعالى هنا يا بت .. يا اللى اسمك اوله ذى أخره انتِ...

تحركت سندس والتى كانت تشبه زهرة لحد كبير ناحية باسل الذى يكبرها بحوالى عامين .. لتقول فى براءة .. وهى تخرج لسانها فى حرف السين .. فيبدو كثاء :- نعم يا باثل..

هتف باسل مغتاظا :- انتِ هاتعرفى امتى تنطجى اسمى صوح!؟..

لتأخذ سندس جانباً وتبكى وحيدة .. وهنا يتدخل مهران الصغير دفاعا عن توأمته سندس. :- انت بتكلمها كده ليه !؟ عارف يا باسل لو ضايجتها تانى هزعلك ..!؟..

لينفجر باسل ضاحكا .. وهو يقول ساخرا :- طب ابجى ورينى .. هتزعلنى كيف ..!؟..

كانت كل من زهرة وسهام تشهد هذا الحوار .. تداريان ضحكاتهما .. لتهمس سهام :- ولدى باسل طالع لخاله .. هوارى أصيل .. ولا حاجة بتهمه ..

لتنفجر زهرة ضاحكة :- انت هتقوليلى..كلهم هوارية حتى مهران سبحان الله كأنى شايفة فيه عمى .. عقل وقوة مع بعض ..

هتف مهران مقتربا من امه متسائلا فى حنق:- هى بنتك الهبلة دى بتسمع كلام باسل ليه ومش بتعارضه..!؟.. طلعة لمين دى!!؟..

لتهتف زهرة ضاحكة :- طالعة لامها يا حبيبى ..

لتقهقه سهام فى المقابل .... التى بادرها مهران متسائلا:- هى فين تسنيم يا عمتى .. مش بتاجى معاكى ليه ..!؟..

لتجيب سهام متحدثة عن طفلتها التى تصغر مهران بحوالى عامين وهى تنظر لزهرة :- تسنيم روحها فى جدها جدرى .. مش بتفارجه لا فى صحيان ولا فى نوم .. وهو روحه فيها .. تجعد تحت رجله تنفذ له طلباته وهو يحفظها

قرآن ..سبحان الله ..مش عارفة جايبة التجوى دى منين !!؟..

لتنفجر زهرة ضاحكة بدورها .. لتسألها سهام :- مفيش اى اخبار .. عن ندى ونبيل ..!؟؟.. انا بطلت اسأل حسام من زمن..

لتؤمى زهرة برأسها نفياً :- للاسف يا سهام مفيش.. اهو شوفى بقالهم أكتر من خمس سنين متجوزين .. وربنا مأردش باولاد .. ندى قالت لى فى اخر مكالمة بِنَا .. انها رايحة لدكتور جديد .. وَيَا رب يكون فى ايده الشفا ..دعواتك ..

لتهتف سهام فى صدق :- يااارب

لتستطرد سهام متسائلة :- طب و زكريا ..!!؟.. برضك لِسَّه معرفينش فين أراضيه .. ولا بعت لعاصم ...ده أمه الحاجة بخيتة هتموت عليه .

هزت زهرة رأسها نفياً وهى تعقب قائلة :- كسبانة بتقول انه بيكلم أمه على فترات بعيدة .. وفى كل مرة بغير النمرة ومبيعرفوش يوصلوله ..وأهى البت كسبانة طلعت جدعة

وبتراعيها و قاعدة مبسوطة معاها هى وولدها خاصة بعد ما قبضوا على غسان بن عمك وَاهو مسجون بقاله خمس سنين.

هتفت سهام حانقة:- يستاهل ولسه بجيله كدهم مرتين تانى ..

وفجأة ينتبه الجميع وقطعوا استرسال حديثهم .. وخاصة زهرة التى ارتسم على وجهها الوجوم .. عندما دخلت سمية باكية كعادتها يتبعها طفلاها صارخة :- وينه واد عمى!!؟؟ .. يشوفلى صرفة مع عدلى بن محروس..

هتفت سهام فى نبرة من اعتاد على هذا المشهد :- خير يا سمية .. ايه حُصل تانى ..!!؟..

صرخت سمية :- خلاص مجدراش استحمله.. لا هو ولا أمه..الله يرحمك ياما جالتلى بلاش.. وانا اللى ركبت راسى

واتجوزته بن أمه ده.

دخل عاصم فى تلك اللحظة هاتفاً فى سمية :- كيف تجولى على چوزك كده .. !!؟.. چوزك سيد الرجالة ..

انتفضت فى صدمة لظهور عاصم المفاجئ لكنها استطردت باكية:- ماهو يا واد عمى .. أصله

عمره ما عمل لى خاطر .. وعلى طول جالل من جيمتى ..

رق عاصم لبكاءها فهتف :- خلاص .. هكلمه يا سمية .. بس انتِ برضك راعى انه چوزك وأبو عيالك ..

هنا هتفت زهرة :- أه .. عاصم ..ألحقنى..

اندفع عاصم باتجاهها هاتفاً :- ايه خير .. نطلع على المستشفى..

استندت عليه ناهضة :- لا .. عايزة استريح فوق شوية ..

مصمصت سمية شفتاها وجذبت اطفالها خارجا وهى تلقى التحية بحقد .. بينما انفجرت سهام ضاحكة وهى تلقى التحية

هى الاخرى وهى ترى زهرة تتكئ على عاصم فى دلال صاعدا الدرج.. وفى اعلى الدرج عندما تاكد عاصم من رحيل اخته وابنة عمه حملها بين ذراعيه فى سعادة على الرغم من علمه ان زهرة بصحة جيدة ولا تعانى أيه آلام سار متخطياً تلك الردهة وهو ينظر اليها مشاكساً.. وما ان وصل بها امام

غرفتهما حتى همس بإذنها :-انت مش هتبطلى عمايلك دى كل اما تشوفى سمية ..!؟

هتفت كطفلة مشاغبة :- لا .. مش هبطل

انفجر ضاحكا أمرا :- طب .. افتحى الباب..

لتهلل هى كطفلة صغيرة :- لا .. خلينى كده شوية..

فتتعالى قهقهاته..وهو يقول :- وماله .. خليكى ..

لتهمس وهى تتعلق برقبته وتشبك كفيها خلف عنقه.. متصنعة العتاب :- ايه خلاص .. تقلت عليك انا واللى فى بطنى..!؟..

همس بشوق على مسامعها :- ولو مية سنة يا زهرة ..

مدت كفها لتدير مقبض الباب .. ونظراتها متعلقة به وهى تهمس بشوق :- واااه .. بحبك يا واد خالتى ..

لينفجر ضاحكا وهو يدفع الباب بقدمه..ليدلفا للغرفة .. فتمد كفها تغلق الباب .

باب الحقد والانتقام والكراهية

وتفتح نوافذ الامل .. وشرفات الحب..

فقد أنهت على يديها ميراث الدمع

ليبدأ عصرا جديدا .. من ميراث العشق

تمت بحمد الله

رضوى أحمد